الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة باتنة 01 — وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإسلامية — نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث

قسم أصول الدين — العلمي والعلاقات الخارجية

جهود علماء الجزائر في علم التفسير

زمن العهد العثماني

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص: كتاب وسنة

إعـداد الطالب: — إشراف الدكتور:

عبد الغاني عيساوي — منـصور كـافي

السنة الجامعية:

1437/1436هـ الموافقة لـ: 2016/2015م

إهـــــداء

الوالد الأعز: كمال، إلا أنت يا والدي، أعييتني أن أرُدَّ لك ربع الجميل، بَلْهَ كل الجميل.

الوالدة الكريمة: جوهرة، حبيبةٌ غالية، لكِ مني تحية تنادي: أن ابنك حسام يحبك يا غالية.

الزوجة توأم الروح: نورة، جهودك مباركة، وصبرك كان أيوبيا وبذلك كان سخيا، أدامك الله ظلا وافرا لي.

فلذات كبدي قرة العين والفؤاد: بثينة، ميمونة، خالد حفظكم المولى، وجعلكم من عباده الصالحين المصلحين، واستخدمكم في نصرة هذا الدين.

أهل الرحم الواحد: سارة، سامية، خولة، يونس، سالم...تقبلوا مني فائق معاني الحب والأخوة والصفاء.

الأحباب: خالد رقاعة، الحاج فرحات مانع، والشهيد صبري أبو الغيط المصري، اللقاء سيتجدد هناك حيث لا نصب ولا وصب... والظن بالله حسنٌ جميلٌ.

إلى الصديق الوفي والأخ الذي لم تلده أمي: سمير بوتياح... تقبل تحياتي وتشكراتي وامتناني.

صهري العزيز عمي عبد الرحمن زعبوب، وابنه كمال ويونس وكل عائلتكم الكريمة... تقبلوا تحياتي وتشكراتي لكم جميعا..... ففضلكم علي كبير.....

إلى كل أهل قرية "سفيان" فردا فردا وعائلة عائلة، الذين لهم في القلب وافر مكان وفي النفس كبير امتنان، فقد كنتم سندي وعكازتي في مساري الحياتي والعلمي، ففضلكم لا ترده الكلمات ولو مزجت بمداد البحر، أخص بالذكر: عمي رابح، الحاج عزيز، عمي إسماعيل، عمي مصطفى، عمي بكير، صديقي حمزة كريميل، سمير مقعاش، سمير بلوم، وليد مخلوفي، عبد القادر يحياوي، الطاهر مهار، يوسف شليحي، محمد مقعاش، محمود سنقوقة وغيرهم كثير .....لن أنسى صنيعكم معي، واللهُ فقط يُكافئُكم ويَجزيكم خير الجزاء.

إليك أخي سليم بن قلي، وصديقي العربي غضبان ..... الله يشهد أني أحبكم، ولن أنسى فضلكم.

لكل هؤلاء أهدي عملي وجهدي هذا..... محبكم جميعا: عبد الغني بن كمال عيساوي

شكر وعرفان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اللهم لك الحمد على ما يسرت ولك الحمد على ما وفقت وأعنت وسدَّدت.

فإن الشكر ابتداء وانتهاء لله تعالى، إذ يسر وسهل في إكمال هذا البحث وإتمامه، فأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، نافعا لي ولكل من قرأه واطلع عليه إلى يوم الدين.

ثم أسدي خالص الشكر والتقدير وفائق الاحترام إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور: **منـصـور كافي** -حفظه الله تعالى وبارك في عمره وعلمه- حيث تفضل بالإشراف على هذا العمل، موجها وناصحا ومعينا، والذي أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، على تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة، وإمدادي بنصائحهم وتوجيهاتهم وإرشاداتهم، فشكرَ الله جهدكم وفضلكم.

والشكر موصول أيضا إلى كلية العلوم الإسلامية بباتنة ممثلة في مديرها وموظفي إدارتها، وكل من ساهم في إعداد هذا المجلس للمناقشة.

والشكر والتحية لشيوخ الزوايا الجزائرية، والمكتبات الخاصة والعامة، داخل الجزائر وخارجها، أخصُّ بالذكر داخل الوطن مكتبة الأسرة العثمانية بطولقة ولاية بسكرة، وخارجها كلا من زاوية جربة بتونس ودار الكتب المصرية بالقاهرة، كذا الأزهر الشريف ومكتبته العامرة.

والحمد لله رب العالمين.

مـــقدمـة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم وأتمَّ به النور المبين، وأكمل الحجة بخير الرُّسل والمفسِّرين، وجعل فيه صنوفا من الآيات المحكمات التي لا يُتَطرق لها بالمتشابه والمظنون، كما جعل فيه صنوفا من الآيات المتشابهة التي قُـيِّضَ لها من أهل العلم الراسخون، فكان نورا مكتملا إن في محكمه أو متشابهه، وحجةً مقامةً على البشرية مرَّ الأزمنة والدهور.

ولعظيم شأن القرآن الكريم وعلومه، عَظُم شأن المهتمين به والمشتغلين فيه، وكان لصنفٍ من هؤلاء المشتغلين الذين هم المفسرون، مقامٌ عالٍ ورفعة مذكورة وبصمة ظاهرة وعطرٌ عبر التاريخ فواحٌ، فتناثرت الجهود وتكاثرت في خدمة هذا الفن النبيل بين مشارقة ومغاربة أدلوا بدلوهم في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بصنوف من التآليف إنْ في تفسير القرآن الكريم قصدا أو في علومه وفنونه المساعدة، فصنفوا وألفوا فيه نظما ونثرا بين مطول وموجز، وبين شروح وحواش واختصارات، وخدموه بحلقات ودروس علمية مبثوثة في المساجد والزوايا والمدارس الخاصة والعامة، وكان لعلماء الجزائر بتصانيفهم وإسهاماتهم عبر التاريخ الإسلامي دور فعال وإسهام ملاحظ في خدمة هذا الفن والعلم الشريف بشقيه التأليفي والتدريسي، سواءً في حواضرهم العلمية العريقة داخل بلادهم، أو في حواضر العالم العربي الإسلامي.

ومنذ زمن الدولة الرستمية وبظهور أول تفسير جزائري في تلك الحقبة القديمة والبعيدة، تنامى الاهتمام به وكثر الاشتغال بعلومه، وأصبح تفسير القرآن الكريم علما وفنا مستقلا يزاحم بقية الفنون كالحديث والفقه واللغة والتراجم والتاريخ وغيرها، بعد أن كان تناوله لا يتم إلا في حلقات رواية الحديث النبوي، وتسارع العلماء والصلحاء في خدمته والإسهام فيه، وأظهر الولاة والأمراء في الدول المتعاقبة على أرض الجزائر اهتماما متفاوتا به وبمشايخه وطلبته ومدارسه، وتوالت الأعمال والجهود وتنوعت بين ركود وانتعاش في الحواضر العلمية الكبرى متأثرة بالبيئة السياسية والاجتماعية والثقافية لكل دولة، حتى زمن دخول الدولة العثمانية أرض الجزائر.

أولا: أهمية الموضوع:

الدراسة بهذا الثوب وبقضاياها المحورية التي تعالجها، تتطرق للتراث التفسيري الجزائري وأعلامه في الحواضر العلمية الكبرى، كحاضرة تلمسان وبجاية وتوات وقسنطينة وغيرها، زمن الحكم والعهد العثماني بأرض الجزائر، الممتد من 925هـ، إلى غاية 1245هـ الموافق لـ: 1519م-1830م، متطرقة لمناهج المفسرين الجزائريين وأعمالهم في حقل التفسير وعلومه، معتمدة على تصانيفهم المطبوعة، والمخطوطة التي استُجلِبت -غالبها- من خارج القطر الجزائري، وكانت مبثوثة في مكتبات الدول العربية والغربية.

وهي بهذا-الدراسة- تبرز معالم المدرسة التفسيرية الجزائرية، بعد أن بَحَثَت طرق التفسير لدى علماء الجزائر، وأنواعه من التفسير الكلي والسوري والآيي والمنظومي، وشقي علم التفسير التدريسي "الشفوي" والتأليفي "الكتابي"، ثم بَيَّنت ملامح الصناعة التفسيرية الجزائرية ومدى تأثرها أو تأثيرها بالعوامل الخارجية عموما والداخلية خصوصا، كعامل السلطة السياسية "العثمانية آنذاك" أو عامل الرحلة نحو المشرق والمغرب وأثر ذلك في تصانيف ومساهمات المفسرين[1] الجزائريين، وما مقدار الاهتمام بهذا الفن، وسط مزاحمة شديدة وكبيرة لبقية الفنون التي راجت تلك المرحلة من حديث وفقه ولغة ونحو ومسائل عقدية متنوعة، وأثر الفرق الإسلامية والاختلافات العقدية والمنهجية والمذهبية على ملامح التفسير الجزائري عموما، باعتبارها مدرسة ذات ملامح خاصة، وإن كانت صفة الجمود وقلة الإبداع واعتمادها ثقافة التحشية غلَّابة واضحة الملمح فيها، لا يمكن إخفاؤها أو التستر عليها، ولها ما يبررها تاريخيا وثقافيا، ولكن لا يُتَحجَّجُ بها عِلميا.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

لكل جهدٍ علمي أكاديمي مبذول، أسبابٌ تدفع مؤلفه إلى اختيار موضوعه، ومن أهم أسباب اختيار الكتابة والجمع في هذا الموضوع بالتحديد ما يلي:

1: ينظر لتعريف المفسِّر ص:52.

1- تلك العصبية المحمودة والمضبوطة للجزائر-حرسها الله من كل ما يسوء-، كتب الزركلي في مقدمة كتابه «الأعلام» ما نصه:" وما أطمع من وراء ذلك في أكثر من أن يكون لي في بنيان تاريخ العرب والمسلمين رملة أو حصاة "[1]، وبمقولته أقول، وبنيته سأعمل وأثابر، لأجل تراث الجزائر وعلماء أهل الجزائر.

2- يقيني أن لعلماء الجزائر-عموما-بصمةً كبيرةً في بنيان الحضارة الإسلامية على المستويين المشارقي والمغاربي، وفي ثغور العلم المتعددة من تفسير وحديث وفقه ومنطق ولغة وطب وحساب وفلك وغيرها من ثغور العلم التي كانوا واقفين عليها، إذ جهدهم في ذلك ملحوظ مشاهد، يجب بثه والتشهير به.

3- الطبيعة الجزائرية والفطرة الشعوبية التي تمارس نوع استصغار وازدراء للعلماء وأهل العلم، وليس الأمر مقتصرا على أهل الفضل من الجزائريين في فن أو علم معين، بل على أهل العلم في جميع تخصصاتهم، وقد بيَّن هذه الآفة العلماء السابقون، كالإمام السنوسي والإمام المغيلي وغيرهم من سلفنا، والبحاثة اللاحقون كناصر الدين سعيدوني وأبو القاسم سعد الله.[2]

4- اهتمامات المشارقة برجالات الجزائر وعلمائهم ومفكريهم، وهو اهتمام ينبغي أن يكون أولا من أبناء جلدتهم للاستفادة من خبراتهم وتوجيهاتهم وحياتهم، وانظر صنيع أهل الشام مثلا بحياة الشيخ طاهر الجزائري، وأهل تونس بالشيخ محمد الخضر حسين، وأهل القاهرة بالإمام السنباوي، وهي جهود مباركة استفاد منها أهل تلك البلاد كثيرا، ونحن أحق بها وبالكتابة عن أعلامنا وروادنا.

5- البصمة الجزائرية في علم التفسير إن على مستوى التأليف أو التدريس أو الجمع بينهما، وبزوغ ملامح "مدرسة" تكتسي طابعا خاصا في التعامل مع الآي الكريم، وإن كانت متسمة غالبا بالتحشية

1: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت: 2002م، ج: 01، ص: 16.

2: انظر في ذلك: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 01، ص: 59. ونهاية الرجال ومأساة المثقفين في الجزائر، ضمن مجموعة من المقالات والمداخلات جمعها ناصر الدين سعيدوني في كتاب: الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، ت: 2000م، ص: 469.

والاستطرادات، ثم ملاحظة بقاء كثير من الأعمال التفسيرية لأعلامٍ جزائريين في عالم المخطوطات أو المفقودات، فوجب الكتابة عن هذا الموضوع والتطرق إليه، ببيان جهود علماء الجزائر في هذا الفن الأصيل الذي لا يسبر غوره إلا أعلام الأعلام وجهابذة العِلم الأفلاح.

6- ملاحظة اقتصار الكتابة في الرسائل الأكاديمية أو البحثية على الجهود الشخصية والفردية لجهود أعلام جزائريين في علم التفسير، دون الكتابة عنها بالعهود والدول والفترات الزمنية المطولة، لمعرفة ملامح العصر، ومحاولة الربط بين العصور والدول المتلاحقة على أرض الجزائر، وهو تفكك في البنية المعرفية لسير خط التفسير في أرض الجزائر، لذا كانت الكتابة في هذا الموضوع لأجل قراءة مسحية لزمن وعهد دام أكثر من ثلاثة قرون، وهو زمن العهد العثماني.

7- ما راجت به الساحة العلمية الحديثة، من حديث حول جدلية الفتح والاحتلال للعنصر التركي العثماني لأرض الجزائر، ومحاولة استقراء الجدلية من زاوية علم التفسير، ومدى تأثر المدرسة التفسيرية الجزائرية بالوجود العثماني إن سلبا أو إيجابا.

ثالثا: إشكالية البحث:

ككل بحث علمي مدروس، أثارت الدراسة مجموعة من الإشكالات العلمية التي تسعى للإجابة عليها، والتي يمكن حصرها في الآتي:

ما مقدار اشتغال علماء الجزائر بعلم التفسير بشقيه التدريسي والتأليفي زمن العهد العثماني؟ وما منهجهم في التفسير والتعاطي مع الآي الكريم؟ ما الفوارق التي كانت بين الحواضر العلمية الجزائرية في هذا الاشتغال إن على مستوى الكم أو الكيف؟ وهل يمكن اعتبار جهود علماء الجزائر في هذا الفن مدرسة خاصة ذات ملامح خاصة تكتسي طابع الجمود أو التجديد؟ ما مدى تأثير الوجود العثماني بأرض الجزائر على المنتوج التفسيري ومنهجه؟

رابعا: أهداف الموضوع:

يسعى الباحث في دراسته هاته إلى استلماحِ واستلحاظ أهدافٍ منشودة في موضوع بحثه هذا المتناولِ للتراث التفسيري الجزائري وجهود أعلامه زمن الحكم العثماني، والمتمثلة فيما يلي:

1- المساهمة في إثراء المكتبة العربية عموما والجزائرية خصوصا، بعنوانٍ جديدٍ في علم التفسير حول جهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن الحكم العثماني.

2- المساهمة ببحث أكاديمي توجيهي للباحثين في التراث التفسيري الجزائري، ليكون لهم عونا وإضافة في أبحاثهم حول شخصيةٍ ما أو شخصيات قد تطرقتُ لها بالبحث في دراستي، وأبرزتُ فيها الملامح الكبرى لمناهجهم ومجالسهم التفسيرية، وكيفية مساهمتهم في إرساء قواعد مدرسة تفسيرية خاصة، مع بيان لمحات من تفاسيرهم المخطوطة أو المتكلم عنها في تراجمهم.

3- إحياء بعض المصادر والمراجع التي كانت ومازالت مخطوطة، ونقل بعض نصوصها، مما قد يكون لبنة في توجيه باحث أو طالب في اقتفائها، وطريقا في إخراجها وتحقيقها، فالعشرات من ذلك التراث التفسيري الجزائري ما يزال حبيس رفوف الزوايا والمكتبات الخاصة، أو حبيس "الفقد" ضمن المخطوطات المفقودة أو النسخ المجهولة "الهوية".

4- تسليط الضوء على ملامح المدرسة التفسيرية الجزائرية، وبيان جهود علماء الجزائر ومساهماتهم في هذا الفن النبيل والعظيم الشأن، ومدى اهتمامهم بالتأصيل في فنونه وعلومه، وبيان العلاقة بين هذا العلم وبقية العلوم من حديث وفقه ومسائل كلامية وعقدية ولغة ونحو وغيرها من العلوم التي راجت تلك الفترة.

5- مدافعةٌ ومجابهةٌ لما ألمحت له سابقا من الطبيعة الجزائرية والفطرة الشعوبية التي تمارس نوع استصغار وازدراء للعلماء وأهل العلم، وليس الأمر مقتصرا على أهل الفضل من الجزائريين في فن أو علم معين، بل على أهل

العلم في جميع تخصصاتهم، واخترت علم التفسير لأسُدَّ به طريق كل قادح وأغلق به أفواه كل لامز، إذ قد تُحُجِّجَ بكلام ابن خلدون -غفر الله له-وغيره، في طبيعة ضعف المغاربة وقلة بضاعتهم في الفنون والعلوم.

خامسا: الدراسات السابقة في الموضوع:

تُطرق لموضوع التراث التفسيري وجهود علماء الجزائر فيه، بكتابات محصورة مقتصرة على جُهود عَلَم من الأعلام وبيان أسلوبه وطريقته في التفسير تأليفا أو تدريسا، ولم أجد دراسة أكاديمية مستوفية مشابهة لموضوع بحثنا، فغالب من تمَّ التطرق والحديث عنهم من المفسِّرين الجزائريين كانوا خارج الحقبة العثمانية، لذا فإني أحسب الدراسة فريدة في بابها، مسلِّطة الضوء على موضوع جديد، مستقرئة لفترة زمنية لم يتم دراستها من قبل.

وصنيع غالب من تحدث في الموضوع جعل من دراسته بيان منهج فلان في تفسيره، فضلا عن أن الفترة الزمنية كانت متباعدة متناثرة بين أعلامِ سلفٍ وخلفٍ، كصنيع الدكتور هلال خزاري -رحمه الله- في رسالته للماجستير التي جاءت بعنوان: جهود علماء الجزائر في التفسير -ابن باديس نموذجا- والتي نوقشت بالجامعة الإسلامية العالمية، بإسلام آباد، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، والطالب سامي محمود محمد أحمد، في رسالته للماجستير التي جاءت أيضا بعنوان: منهج الشيخ هود بن محكم الهواري في تفسيره «تفسير كتاب الله العزيز» دراسة ونقد. والتي نوقشت بقسم التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة بإشراف الدكتور: عبد السلام حمدان اللوح، سنة: 2002هـ، وغيرها.

وجُلُّ الدراسات في هذا الشأن جاءت على نفس النَّسق والمنوال -بحسب علمي-.

ولم أجعل من الدراسات الفردية التي تناولت جُهد العَلَم الواحد دراسة سابقة، لأنها خلاف ما يراد من موضوع بحثنا من بيان جهود علماء الجزائر في علم التفسير في إطاره الجماعي ومشروعه التراكمي، كما أن جُلَّ من تم دراستهم والعمل عليهم أكاديميا ببحوث ماجستير أو دكتوراه، كانوا خارج الفترة أو العهدة العثمانية، وهي زمنية الدراسة التي لم يتطرق لها سابقا.

سادسا: منهج البحث:

اعتمدت في تناولي لموضوع التراث التفسيري لعلماء الجزائر زمن العهد العثماني، مناهج بحثية علمية أساسية ثلاث: **المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي.**

باعتبار الدراسة توصيفا لفترة زمنية معينة في علم من العلوم وعمل تقريري بعرض موضوع التفسير بأعلامه وأعماله لدى علماء الجزائر، ثم استقراء كل أعمال التفسير من التأليف في السوري والآيي والمنظومي والكلي، والتدريس في المساجد والزوايا والمدارس العامة والخاصة، وبيان جهود علماء تلك الفترة في هذا الفن الأصيل، مع تحليل تلك الأعمال وبيان طريقة وأسلوب أصحابها في التعاطي مع النص القرآني وآياته، ومع علم التفسير وفنونه، بعد الاعتماد على منهج جمع المادة العلمية وتركيبها بعد تشتتها تاريخيا، ثم القيام بتقييمها لاستنطاق الأحكام على تلك الجهود المبذولة.

سابعا: خطة البحث:

بعد تعديلات وتصويبات بحسب المادة العلمية المتوفرة، خرجت خطة البحث في ثلاث فصول ومقدمة وخاتمة، ومجموعة من الفهارس المهمَّة والكشافات المساعدة.

جعلت مدخلا للدراسة استفتحت به، بعنوان: **مدخل حول الحركة العلمية الثقافية الجزائرية زمن الحكم العثماني**، مرجحا فيه كون تلك الفترة من الوجود العثماني بأرض الجزائر مرحلة انحطاط ثقافي وركود علمي وسبات فكري لعوامل متعددة كثيرة وبأدلة وشواهد علمية.

وجاء **الفصل الأول** بعنوان: **التراث التفسيري الجزائري من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر الهجري**، وهي زمنية اضطررتُ فيها لإدماج فترات ما قبل العثمانيين، بالقرنين الأولَين من زمن الوجود العثماني بأرض الجزائر وهي زمنية الدراسة، وهو صنيعٌ أملاه عليَّ طبيعة المادة العلمية التي لم تكن متوفرة ولا سهلة التمديد والإعمال فيها، توفيقا للحجم بين الفصول ومحاولة عدم الإخلال بهذا المطلب.

وقد تضمَّن هذا الفصل توطئة جعلتُ فيها ضوابط مُحدِّدة للمفسّر الذي يُعتد به بعد تعريفه، بذكر ضوابط أربع منتقاة بدقة، ليخرج بذلك كل من ليس من المفسرين، ولمجابهة آفة الألقاب المدحية التي تكال في التراث التراجمي لعلماء الأمة دون أحقية علمية، بل بممارسات تزكوية مجاملاتية في غالبها، مع ذكر ضابط التعريف بالعَلم الجزائري ومن يدخل في الدراسة، وأتبعته بثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: حركة التفسير في بلاد الجزائر، من البدايات إلى العهد العثماني.

المبحث الثاني: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن العاشر الهجري.

المبحث الثالث: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الحادي عشر الهجري.

ثم انتقلت **للفصل الثاني** الذي جاء بعنوان: **التراث التفسيري الجزائري زمن العثمانيين في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري**. وقد حوى مبحثين مطولين، كانت المادة العلمية من مخطوط ومطبوع وتوفرها سببا في ذلك، هما:

المبحث الأول: التراث التفسيري الجزائري وأعلامه في القرن الثاني عشر الهجري.

المبحث الثاني: التراث التفسيري الجزائري وأعلامه في القرن الثالث عشر الهجري.

ثم أتبعته **بفصل ثالثٍ** تحت عنوان: **المدرسة التفسيرية الجزائرية، خصائصٌ وملامحٌ**، جاء في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مصادر التفسير وطرقه في التراث التفسيري الجزائري.

المبحث الثاني: الصناعة التفسيرية عند علماء الجزائر بين التأليف الكتابي والتدريس الشفوي. وفيه:

الأول: التأليف الكتابي للتفسير بين الكلّي والسُّوري والآيي والمنظومي عند علماء الجزائر.

الثاني: التدريس الشفوي للتفسير في الحواضر العلمية بالجزائر.

المبحث الثالث: أثر الرحلات العلمية في الصناعة التفسيرية الجزائرية. وفيه:

الأول: دوافع الرحلة عند علماء الجزائر زمن العثمانيين.

الثاني: الرحلة عند علماء الجزائر بين طلب التفسير قصدا وطلب علوم الآلة.

لتُختتم الدراسة **بخاتمة** جاء فيها أهم ما توصلت إليه، مع ذكر مجموعة من التوصيات.

ثم أتبعت الخاتمة **بملحق لصور المخطوطات المعتمدة في الدراسة،** وقد اخترت –غالبا–اللوحة الأولى والأخيرة، ليتعرف على شكلها كل طالب لها ومريد.

كما جعلت في خاتمة الرسالة مجموعة من **الفهارس والكشَّافات** العلمية التي تعتبر مفاتيح إضاءة على الدراسة جاءت وفق الترتيب التالي:

أولا: فهرس الآيات القرآنية. **ثانيا:** فهرس الأحاديث النبوية. **ثالثا:** كشَّاف المخطوطات. **رابعا:** فهرس الأعلام. **خامسا:** كشَّاف الحواضر العلمية. **سادسا:** فهرس المصادر والمراجع، ولأهميته فقد قسمته لأربعة قوائم هي:

1– قائمة الكتب المطبوعة. **2**– قائمة المخطوطات.**3**– قائمة الرسائل الجامعية.**4**– قائمة المقالات.

سابعا: فهرس المحتويات.

ثامنا: صعوبات اعترضت البحث:

أبرز الصعوبات التي صادفتني في بحثي هذا ما يلي:

أولا: عدم التطرق لهذا الموضوع بتلك الزمنية المرسومة والمحددة، كي تكون لي يدا مساعدة وموجهة، يمكن من خلالها الاستفادة من بعض المصادر والمراجع والمخطوطات.

ثانيا: غالبُ أعمال المفسرين الجزائريين كانت مخطوطات ومفقودات متناثرة في ربوع الوطن والعالم، ما زاد في صعوبة الحصول عليها، بعد امتناع الكثيرين عن التصوير والسماح لي بالدخول للمكتبات الخاصة، خاصة في بعض الزوايا.

ثالثا: صعوبة الحصول على الكثير من المطبوعات القديمة، وتناثرها أيضا في ربوع الوطن والعالم، وهي مصادر ومراجع كانت الحاجة لها ماسة في دراستي هاته، ولم أستطع الحصول على بعضها.

رابعا: قلة الوثائق التاريخية وندرة المصادر والمراجع التي تتحدث عن بعض الفترات والأزمنة في العهد العثماني، والتي لم تؤرخ لعلاقة الساسة بالعلماء خاصة علماء التفسير الجزائريين.

خامسا: الألقاب المدحية التي كانت تزخر بها التراجم، والتي تعبتُ كثيرا في تنقيحها وبيان الخطأ في تلك النسب والألقاب بعد غربلتها وبيان الحقيقي منها والمزيف في أمر التفسير أو المفسِّر.

سادسا: قلة المادة العلمية التي يمكن استخدامها في التفسير الشفوي التدريسي خصوصا، إذ لم يكن هناك اعتناءٌ بذكر العناوين التي كان المشايخ يقومون بتدريسها في تخصص التفسير ولا بالطريقة أيضا.

سابعا: وجود بعض المصادر والمراجع مكتوبة بلغات أجنبية خاصة العثمانية القديمة، التي أرخت للوجود العثماني بأرض الجزائر، وتحدثت عن الحالة الثقافية والسياسية والاجتماعية، والتي لم أستطع ترجمتها لحجمها، وصعوبة وجود متقنيها خاصة اللغة التركية القديمة.

تاسعا: مصادر الدراسة ومراجعها:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع القديمة والحديثة المخطوطة والمطبوعة في شتى الفنون والعلوم الخاصة والعامة، وأشير إلى أبرزها وأهمها مجملا لها وفق الترتيب الآتي:

أولا: كتب التراجم: أريد بها كتب التراجم الخاصة بعلماء الجزائر والتي ألَّفها أعلام جزائريون، فقد حاولت جاهدا أن أستقرئ وأتتبع وأبحث في كل كتب التراجم الجزائرية لأتصيد كل من عُبر عنه بالمفسِّر ووُصف بالمساهمة أو المشاركة بالتفسير وعلومه، ككتاب «البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان»، و«تعريف الخلف برجال السلف»، و«موسوعة تراجم علماء الجزائر»، و«عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في

المائة السابعة ببجاية» وغيرها، ثم توسعت في الاستمداد والبحث عن أعلام الجزائر في **كتب التراجم العامة** التي ألَّفها غير الجزائريين، ككتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» للتنبكتي و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» للمخلوف و«دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر» للشفشاوني، و«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون، و«الإعلام بمن حلَّ أغمات ومراكش من الأعلام» للسملالي وغيرها كثير، كما كان اعتمادي على كتب تراجم وطبقات المفسرين ككتب طبقات المفسرين الثلاث للسيوطي والداودي والأدنويه، و«معجم المفسرين» لنويهض وغير ذلك من كتب التراجم العامة والخاصة.

ثانيا: كتب التراجم المفردة: وهي كتب أفردت أحد الأعلام الجزائريين بمصنَّفٍ خاصٍ عن حياته، ذُكر فيه اشتغاله بالتفسير وعلومه وبقية العلوم، كصنيع الشيخ محمد باي بلعالم في مصنفه «الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني»، وصنيع الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه «شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية» وغيرها من تلك المصنفات الخاصة بعَلَم من الأعلام.

ثالثا: كتب الرحلات: التي حوت الكثير من الإشارات للمجالس العلمية عموما والتفسيرية خصوصا وإلى أصحابها من أعلام الجزائر، وتتجلى فائدتها في كونها كانت زمن العهد العثماني وكتبها أصحابها زمن الدراسة، فما عُرف الإمام المنور التلمساني، أبو عبد الله، المتوفى سنة:1173هـ إلا من خلال رحلة الورثيلاني والذي أشار إليه وإلى المجلس الذي جمعه به في الأزهر الشريف، ولقَّبَه بالمفسِّر.

ومن أبرز وأهم تلك الرحلات من أصحابها الجزائريين زمن الحكم العثماني «نزهة الأنظار» المشهورة بالرحلة الورثيلانية، ورحلة ابن حمادوش الموسومة بـ «لسان المقال».

كما اعتمدت على رحلات بعض الأعلام من خارج الجزائر، والذين دخلوا الجزائر إما مرورا بها أو مكثا كرحلة محمد بن زاكور الفاسي الموسومة بـ «نشر أزاهر البستان»، والرحلة العياشية الموسومة بـ «ماء الموائد»، وغيرها من مصنفات وكتب الرحلات والأسفار التي ستظهر في الدراسة.

رابعا: كتب الفهارس والبيبليوغرافيا: لما فيها من إرشادات وتوجيهات للمخطوطات وأصحابها وأماكن تواجدها وتوثيقٍ لعناوينها، وقد اعتمدت على الكثير منها سواء تلك المؤلفة في تراث ومخطوطات الجزائر فقط، كـ «فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث»، و«فهرس مخطوطات أدرار»، و«فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ التهامي صحراوي بباتنة الأوراس»، و«فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية زاوية الهامل بوسعادة» وغيرها.

أو تلك المؤلفة في مكتبات العالم العربي والإسلامي، كـ «فهرس الأزهرية» و«فهرس دار الكتب المصرية» بالقاهرة، و«ببليوغرافيا الإباضية»، و«فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية» وغيرها من الفهارس والبيبليوغرافيا في شتى مكتبات العالم التي كنت أنقب فيها عن أسماء وعناوين جزائرية في فن التفسير وعلومه.

خامسا: كتب التاريخ: وهي مصادر ومراجع مهمة في الإفادة بأسماء العلماء وتخصصاتهم ومجالسهم العلمية، وقد قسمت استخدامها والاستفادة منها إلى قسمين:

1- قسم خاص: وهي كتب التاريخ التي أرَّخت للوجود العثماني بأرض الجزائر وكتبت عنه إما مدحا أو ذما، أو باعتباره فتحا أو احتلالا، وبكل أصنافها سواء التي تحدثت عن بعض الفترات الزمنية من العهد العثماني أو بعض باياته وباشواته ككتاب «التحفة المرضية في الدولة البكداشية» لمحمد بن ميمون، وكتاب «التقييدات» لابن المفتي، أو التي أرَّخت للعهد العثماني بقرونه الثلاث المتتابعة، ككتاب «تاريخ الجزائر الثقافي» لأبي القاسم سعد الله، وكتاب صالح عباد «الجزائر خلال الحكم التركي».

2- قسم عام: أعني به كتب التاريخ التي تحدثت عن تاريخ الجزائر عموما ككتاب «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» للمبارك الميلي، وعن الفتح الإسلامي ببلاد المغرب العربي عموما ككتاب «معالم الإيمان» للدباغ، وعن الدولة العثمانية كـكتاب «تاريخ الدولة العثمانية العلية» لإبراهيم بك حليم وغيرها من المصادر والمراجع.

عاشرا: الطريقة المعتمدة في كتابة البحث:

تجدر الإشارة –ابتداء– أن المادة العلمية والمصادر التاريخية تفاوتت بشكل كبير في قرون الدراسة، فكان لها الأثر في تقسيم وحجم الفصول والمباحث التي حاولتُ التقريب والتوفيق فيما بينها، وقد جعلتُ لكتابة هذا الموضوع منهجية خاصة، قصدت من خلالها التسهيل والتوضيح والبيان وحسن الإصدار، وجاءت وفق ما يلي:

– النقطة والنقطتان والفاصلة الفارزة وعلامة الاستفهام والتعجب في الجمل والفقرات.

– القوسان المزهران ﴿ ﴾: لحصر الآيات القرآنية الكريمة.

– الحاضنتان{ }: لحصر أحاديث النبي ﷺ.

– علامة التنصيص " ": لحصر الكلام المقتبس بحرفه من المصادر والمراجع.

– المزدوجتان « »: لأسماء الكتب المطبوعة والمخطوطة.

– الشرطتان– –: لعبارات الترحم والترضي، والجمل والكلمات الاعتراضية.

– القوسان المعقوفان [ ]: لاسم السورة ورقم الآية، جعلتها عند نهاية الآية مباشرة دون إيرادها في الهامش.

الهامش: وفيه استخدمت كل ما مضى ذكره إضافة إلى ما يلي:

– علامة التابعية =: لاستكمال النص في هامش الصفحة اللاحقة.

– في الإحالة على المطبوع اعتمدت ذكر اسم الكتاب أولا، ثم مؤلفه، محققه، دار النشر، بلد النشر، طبعته وتاريخ نشره، ثم الجزء والصفحة، وإن تكررت الإحالة عليه أشرت لذلك بالقول: المرجع نفسه.

– في الإحالة على المخطوط اعتمدت ذكر عنوان المخطوط أولا، فمؤلفه، المكتبة التي فيها، رقمه، ثم رقم اللوحة المعتمدة، وإن تكررت الإحالة عليه ذكرت عنوانه فمؤلفه، ثم رقم اللوحة.

– وفي الهامش قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصدرين اثنين في الغالب.

– كما قمت بالترجمة للأعلام غير المشهورين، بإيجاز دون تطويل من مصدرين فأكثر، مركزا على الاسم الكامل ومولده ورحلته في الطلب وبعض تصانيفه وتاريخ وفاته بالهجري.

مدخل حول الحركة

العلمية الثقافية الجزائرية

زمن الحكم العثماني

اتفق غالب الدارسين للحركة العلمية والثقافية في الجزائر إبان العهد العثماني، على الحكم عليها بالخمول والتراجع وكساد سوقها، بل قرَّر بعضهم[1] أنها النقطة السوداء في التاريخ العثماني في أرض الجزائر، ومرحلة ركود علمي وسبات ثقافي، خاصة في بداياته، وأن سلبية الوجود العثماني في الجزائر ظهرت في الميدان الثقافي على وجه الخصوص، ويصف أحدهم تلك المرحلة بمرحلة "فراش الاحتضار" إذ يقول:" الثقافة في الجزائر على عهد الأتراك رهن فراش الاحتضار تلفظ نَفسها الأخير، وأن بذورها قد استأصلتها الجائحة في أوكار الزيانيين، ثم اختفت في طي النسيان إلى يوم غير معلوم"[2]، وهي مرحلة طويلة جدا في عمر الأمم امتدت من 1519م[3] إلى غاية 1830م، كان لها الأثر الكبير في ما آلت إليه الحالة العلمية والثقافية الجزائرية إن سابقا أو لاحقا، وهو ما حدا ببعض الدَّارسين للتاريخ العثماني في الجزائر إلى القول بأن العهد العثماني كان " **بربرية ثقافية** بالنسبة للجزائر، وأن الشعب قلّد حكامه الأتراك في جهلهم وبعدهم عن العلم والعلماء".[4]

1: كمحمد بن عبد الكريم الزموري، في تقديمه لكتاب «التحفة المرضية» للبكداشي، والمهدي البوعبدلي في تقديمه لكتاب: «الثغر الجماني» لابن سحنون الراشدي.

2: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، تحقيق: محمد عبد الكريم، ش و ن، الجزائر، ط: 01، ت: 1972م، ص: 45.

3: وهو ما رجحَّه بعض الباحثين في الشأن التركي الجزائري، استنادا إلى أن تاريخ إرسال أهالي الجزائر رسالة الاستغاثة للسلطان سليم الأول كان في هذا التاريخ، خلافا لبعضهم الذي جعله سنة: 1518م كالدكتور يحي بوعزيز وغيره، وللدكتور أبو القاسم سعد الله رأي آخر إذ يقول: "ومن الخطأ أن نبدأ تاريخ الجزائر العثماني سنة: 920هـ، 1516م، كما تذهب معظم كتب التاريخ، فالوجود العثماني في الجزائر وفي الحوض الغربي للبحر الأبيض أقدم من هذا التاريخ، فهو يعود في الحقيقة إلى أواخر القرن التاسع ولا سيما منذ سقوط غرناطة سنة: 897هـ، وإذا عدنا إلى رحلة بيري رايس العثماني وبعض النصوص المحلية وجدنا العثمانيين كانوا على صلة بأهل المدن الساحلية الجزائرية ولا سيما رجال الدين يتعاملون معهم ويحاربون معهم العدو المشترك". انظر:" تاريخ الجزائر الثقافي"، ج:1، ص:137. قلتُ: قد رجَّح الدكتور ناصرالدين سعيدوني في كتابه "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر" التاريخ المثبت، كما أن وجود تلك العلاقة المشار إليها لا يثبت بالضرورة العهد العثماني وتدخله في أرض الجزائر، والمثبتون اعتمدوا على تاريخ الفرمان وقفطان التولية الرسمية الذي استلمه خير الدين من السلطان التركي.

4: مقدمة كتاب " العدواني"، شارل فيرو، مجلة: روكاي، ت: 1868م، نقلا عن: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 193.

وقد اتسمت الحياة الثقافية والعلمية زمن الحكم العثماني بسيطرة عدة ظواهر كان "من أهمها انتشار التصوف والدروشة وشيوع الشروح والحواشي على أعمال المتقدمين والثقافة الموسوعية والحفظ"[1]، وهو تكريس لمبدأ الحضارية الفقهية التي انطبعت بها الأمة الإسلامية والعربية عموما، بعد سيطرة العلوم الفقهية وفروعها من شروح وحواشي وتلخيصات فقهية على الساحة العلمية، مما جعلها في نظر المفكر عابد الجابري حضارة فقهية، لم تستطع تجاوز تلك المرحلة لمرحلة التجديد والإبداع الثقافي والعلمي عبر تاريخها الطويل، وإن اصطُبغت بعض مراحلها بتآليف واجتهادات في بعض الفنون، لم تصل إلى حد الإبداع والابتكار في غير ما علوم الشريعة وأدواتها.

ومنه فقد قلَّت الآثار المبتدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشة والتخلف السياسي، فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظر إليها نظرة تقديس، وعكفوا عليها يشرحونها ويحشون عليها ويكررونها، مختصرين لمطولاتها ومطولين لمختصراتها أو موضحين لغوامضها، وقد شمل ذلك كتب الفقه والنحو والتصوف والسيرة والتوحيد والمنطق.[2]

ويُقصد بأعمال السابقين، تآليف القرن التاسع الهجري على وجه الخصوص، وكذا ما قبله، "إذ يعتبر –القرن التاسع–من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين أو العلماء والمؤلفات... وكثير من إنتاج القرن التاسع ظل موضع عناية القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده ونحو ذلك ... وذلك باعتباره التركة التي وَرِثَها العهد العثماني، والذي هو في الواقع خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين، وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر".[3]

وقد كان بأرض الجزائر حواضر علمية كبرى، شاهدة على السمو العلمي والرفعة الثقافية التي كانت تحظى بها تلك البلاد، خاصة حواضرها الثلاث: حاضرة تلمسان وحاضرة قسنطينة وحاضرة بجاية، " فقد

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 20.
2: المرجع نفسه، ج:01 ص: 21.
3: المرجع نفسه، ج:01، ص: 39.

كانت معظم المدن الجزائرية تعيش حركة ثقافية وفكرية ودينية تضيء بنور معرفتها على جميع أرجاء القطر الجزائري وخارجه"[1]، ويكفي أن علماء كُثرا ألَّفوا في تآليف وتراجم علماء كل حاضرة، كما صنع القاضي الغبريني[2] الذي صنَّف كتابه «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» والذي أحصى فيه أكثر من مائة وعشرة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء والرياضيين والفلكيين والمتصوفة والفلاسفة والمحدثين والمناطقة وغيرهم، ممن أنجبتهم بجاية أو جاؤوا إليها من الأصقاع البعيدة واستقروا بها طلبا للعلم والمشيخة في تلك الحاضرة العلمية الكبيرة، وابن مريم الذي ألَّف في علماء وصلحاء وأدباء تلمسان كتابه الشهير «البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان» وغيرهم.

وقد تأثر مردود تلك الحواضر في العهد العثماني تأثرا بارزا وواضحا، إن على مستوى الكمِّ أو على مستوى النوع، يُبيّن حاله المؤرخ أبو راس الناصري[3] الذي عاصر الوجود العثماني في نهاية القرن الثامن عشر، إذ يقول:" في زمن عُطِّلت فيه مشاهر العلم ومعاهده وسُدَّت مصادره وموارده، وخلت دياره ومواسمه... لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنَّسب، قد طُرحت في زوايا الهجران، ونَسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول".[4]

ونُجمل أسباب ذلك التدهور ومظاهره فيما يلي:

1: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، عدد خاص، جويلية/ أوت، 1975م، ص: 136-155.

2: أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغبريني: قاض، مؤرخ، له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والعربية والمنطق، من كبار فقهاء المالكية. نسبته الى "بني غبري" بطن من قبائله الأمازيغ في أعلى وادي سباو. نشأ في بجاية وتعلم بها وبتونس، وبلغ عدد الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم نحو السبعين شيخا من أعلام المغرب الاوسط وافريقية والاندلس. ولي قضاء بجاية، توفي سنة: 704هـ. انظر"شجرة النور" لابن مخلوف،ج:1، ص:308، "معجم أعلام الجزائر" لنويهض،ج:1، ص:247-248.

3: ستأتي ترجمته في فصل أعلام التفسير الجزائريين في القرن الثالث عشر.

4: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أبو راس الناصري، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم: 1632، لوحة رقم: 02.

أولا: السلطة العثمانية الحاكمة وطبيعة الثقافة الدينية التقليدية: التي كانت تتصف بها وتدعو إليها، واهتمامها بالجانب العسكري"الجهادي" الذي لم تستطع الدولة الخروج من دوامته بسبب الحروب الداخلية أو الخارجية، وهو ما جعل من الأتراك دعاة حروب لا دعاة ثقافة وعلوم، "فليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يبُثُّوها في مجتمع طالما أحب العربية حبا جما، وبذل من أجلها النفس والنفيس والغالي والرخيص، فغير ممكن أن نحكم على شعب بأنه مثقف ثقافة متينة الرصيد، ذائعة الصيت ذات مكانة وتأثير وملوكه خلو منها، وقديما قيل: الناس على دين ملوكهم، وفاقد الشيء لا يعطيه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله".[1] بل ومع تلك العادات التقليدية التي مست جميع الجوانب الحياتية في حياة الحكام الأتراك، ومع تلك الحقيقة من كونهم رجال حرب لا رجال علم، فقد كانوا " في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط، ثم إنهم كانوا يحكمون الجزائريين بيد من حديد، ويسلبونهم أموالهم وثرواتهم عن طريق الضرائب والرشى والهدايا ونحوها، بل إنهم تعدوا على حرمات الأوقاف وأموال العجزة واليتامى".[2]

وكل ما كان من الدولة العثمانية من بناءٍ للمساجد والزوايا ودور العبادة والمدارس لم يشفع لها أو يجعلها في منأى عن الوضع المتدني للحالة العلمية والثقافية في أرض الجزائر، ففي أواخر القرن الثاني عشر بدأت حركة نشيطة بتشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء والكتب، وقد ساهم في هذه الحركة بعض البايات أمثال صالح باي والحاج محمد الكبير، وقد كان لبعضهم " أياد بيضاء في تشجيع بناء المساجد والمدارس في العديد من الحواضر الجزائرية"[3] على حد تعبير أبي راس الناصري المعسكري.

ولكن الأمر لم يغير حقيقة النكوص والخمول الثقافي والعلمي الذي قررناه، يقول أبو القاسم سعد الله -رحمه الله-: " فالعثمانيون قد دافعوا في البداية عن الدين الإسلامي وشجعوا تيار التصوف في البلاد

1: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 46.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 14-15.

3: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أبو راس الناصري، مخطوط، لوحة رقم: 02.

وأوقفوا بعض الأوقاف على المؤسسات الدينية، وساهموا في بناء الزوايا والمساجد والكتاتيب، فكأن نظرتهم إلى الدين في داخل البلاد كانت نظرة تعبدية محضة، وهي نظرة لم تستفد منها الثقافة على كل حال، فهم لم يؤسسوا جامعة كالقرويين أو الأزهر أو الزيتونة، تبث العلم وتخرج العلماء والكتَّاب، وتحفظ اللغة وتربي العقل"[1]، وهي حقيقة نتجرع آثارها ومظاهرها ليوم الناس هذا.

وليس أدل على تلك الثقافة التقليدية التي كان الأتراك يعيشونها ثم يمارسونها في الوسط الجزائري، من منعهم لدخول الطباعة إلى أرض الجزائر، بعد أن انتشرت في ربوع العالم تقريبا، وصارت وسيلة علمية حديثة مشتهرة، تُمثل التقدم العلمي والرقي الحضاري، وكانت الحجة العثمانية في ذلك المنع واهية بكل المقاييس إن لم نقل إنها مضحكة إذ تمثلت في" الخوف من فقدان النساخين حرفتهم وخبزهم"[2]، ولا عجب إذا أن يصف "بانانتي" شوارع العاصمة الجزائرية بالقول:" فلا أجد شيئا يسترعي انتباهي، فلا مكتبة ولا مقهى فيه جريدة".[3]

ثانيا: هجرة العلماء خارج القطر الجزائري: زمن العهد العثماني، لأسباب عديدة يتلخص مجملها في عدم وجود جو يساعد على الاستقرار والإنتاج الثقافي والعلمي، وتباعد الهوة ووجود النفرة بينهم وبين طبقة الحكام من جهة، وبينهم وبين طبقة الدهماء من العوام من جهة أخرى، "ويمكن حصر الأسباب في عوامل السياسة والاقتصاد والدين والعلم، فقد هاجر بعض علماء الجزائر ولا سيما من تلمسان ونواحيها إلى المغرب عقب استيلاء العثمانيين على مملكة بني زيان، وظلت موجة الهجرة نحو المغرب مستمرة حتى بعد أن استقرت الأوضاع للعثمانيين، وهناك عائلات انتقلت بأسرها إلى المغرب ولا سيما فاس، والذي يقرأ «دوحة الناشر» و«البستان» يعرف الكثير من أسماء العائلات التي هاجرت إلى المغرب خلال القرن العاشر، ومعظم العائلات العلمية التي شاع أمرها بتلمسان في القرن التاسع انتقلت إلى هناك في القرن الذي يليه،

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 18.

2: المرجع نفسه، ص: 166.

3: نقلا عن تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، ص: 166.

ولم تكن معاملة الأتراك هي السبب المباشر في هذه الهجرة، ذلك أن الحروب الداخلية التي عرفتها المملكة الزيانية في أخريات أيامها وعلاقتها بالإسبان في وهران وضغط بني وطاس عليها من الغرب، والعثمانيين من الشرق، قد جعل العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي، فما كان من العديد منهم إلا أن حمل أمتعته وأهله وترك البلاد جملة، حتى يهدأ غبار الفتن والمعارك"[1]، وألّف بعضهم تصانيف خاصة بأسماء من هاجروا لتلك البلاد، كمحمد بن جعفر الكتاني[2] في كتابه «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» أين ذكر عددا كبيرا من علماء وصلحاء الجزائر، وكتاب «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام» للعباس بن إبراهيم السملالي[3] وغيرها كثير.

وكان لتوتر العلاقة بين طبقة الحكام وطبقة العلماء والصلحاء الدور الكبير في تلك الهجرة، مع اضطراب السياسة الداخلية والمحلية التي كان ينتهجها حكام العهد العثماني، والتي أنكرها كثير من العلماء كعيسى الثعالبي ويحي الشاوي وابن العنابي[4]وغيرهم كثير.

وقد كتب الإمام سعيد المنداسي[5] شعرا لاذعا قادحا في الحكم العثماني والحط منهم ومن سياستهم

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 423-424.

2: أحمد بن جعفر بن إدريس، أبو العباس الكتاني: من علماء القرويين مولده ووفاته بفاس، كان واسع المعرفة بالحديث. له 70 كتابا ورسالة، يقول الزركلي: "رأيت أكثرها عند نجله الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني بالرباط" ولد سنة:1293هـ، وتوفي سنة:1340هـ. انظر:"الأعلام"ج:1، ص: 108. و"معجم المؤلفين"ج:03، ص:133.

3: عباس بن محمد السملالي نسبا، المراكشي: مؤرخ من القضاة، نسب إلى جده. مولده ووفاته بمراكش تعلم بها ودرس، وولي القضاء في سطات، ثم في محكمة المنشية بمراكش فاستقر إلى أن اعتزل ولزم بيته نحو أربع سنوات انتهت بوفاته سنة: ت:1378هـ، وكان حلو المعشر مرحا، وصنَّف كتبا كثيرة، لا تزال بعض كتبه المخطوطة في خزانته بمراكش. انظر:"الأعلام"ج:3، ص: 265-266. و"معجم المؤلفين"ج:12، ص:61.

4: ستأتي تراجمهم في الفصول القادمة.

5: سعيد بن عبد الله، التلمساني المنشأ، المنداسي الأصل نسبة إلى منداس، وهي أرض معروفة شرقي نهر مينا بولاية غليزان، أبو عثمان: شاعر بالملحون، من آثاره "العقيقة" قصيدة لامية في مدح النبي العربي الكريم، نشرها الجنرال Faure – Bipuet متنا=

نورد منها بعض الأبيات، إذ يقول[1]:

أمن قادر بالله يحمي تلمسـان *** فإن بها من قوم يأجوج إخوانـــــا

بنى السّدَّ ذو القرنين للنـــاس *** فياليته من شوكة الترك هنَّانـــــــا

سمعنا حديثا صادق النقل ربه *** بأن لجنس الترك في الأرض إخوانــا

ولكن وراء السد عمَّ فسادهم *** وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانا

وتطول القائمة لو حاولنا استقصاء العلماء الذين هاجروا وقضوا حياتهم في المهجر، لأجل هذا السبب المشار إليه.

وهي نفرة اتسعت وامتدت أيضا بسبب تآليف بعض علماء الجزائر، التي كانت تُحرِّم أمورا استلذها الحكام الأتراك ومارسوها وبثوها في العامة من الشعب، وقد كانت تلك التآليف من أسباب هجرة أولئك العلماء أيضا، كصنيع الفكون[2] الذي صنَّف في حرمة الدخان رسالة بعنوان:«محدِّد السِّنان في نحور إخوان الدخان»[3]، وقد أشار المستشرق جوزيف بيتز إلى أن "الترك في الجزائر كانوا يدخنون كثيرا، وأنهم كانوا يعرفون أنه مخالف للشرع".[4]

ومن جهة أخرى، فإن داء الجفاء والتنكر لفضل العلماء والصلحاء قد استشرى في عموم الشعب أيضا، حيث صارت ثقافة الانتقاص تطبع الذهنية الجزائرية تجاه مثقفي وعلماء ومفكري بلادهم، الأمر

=وترجمة فرنسية، بمقدمة وافية، بالجزائر سنة:1319 هـ. انظر: "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:68. "معجم المؤلفين"ج:4، ص:225.

1: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش والغوثي بن حمدان، دار البصائر، الجزائر، دط، ت:2011م، ج:03، ص:59.

2: ستأتي ترجمته لاحقا.

3: منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط، برقم: 6929.

4: نقلا عن: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص: 454.

الذي " نتج عنه قصور في عطاء التجربة، وانقطاع في تواصل الأجيال، فأصبح التاريخ الجزائري وكأنه تاريخ شعب بدون أفراد وماضي أمة بدون رجال".[1]

وكتب الدكتور ناصر الدين سعيدوني عن الجحود الذي قوبلت به النخبة المثقفة والعلمية من أبناء الجزائر "على الرغم من مساهماتهم في الكثير من المجالات وفي مختلف الأنشطة بدءا من الميدان السياسي وحتى المجال الثقافي، فإنهم يتجرعون مرارة الجحود لما بذلوه من عمل وما قدَّموه من جهد وما أسهموا به من عطاء، لا يُلتفت إليهم ولا يعطى لهم اعتبار، فالكلُّ منشغل بجلبة المهرجين وصخب المدَّاحين، وزحام الساعين إلى المناصب والمهرولين لاقتسام الغنائم"[2]، الأمر الذي حدا بكثير من المخلصين الصادقين من طبقة العلماء والمثقفين والمفكرين الجزائريين لأن يهجروا الديار بلا عودة.

وعلى الرغم من أن مفهوم العَلمية والمشيخة كان منتشرا بين أوساط الناس مشتهرا بين عوامهم "وكان رجال الدين هم العلماء بحق، فكل فقيه أو محدث أو مفسِّر أو أصولي أو عقائدي، يُعد في نظر الناس عالما ويلقبونه بسيدي فلان، أما إن جمع بين فنون شتى فإنه يعتبر عالما نحريرا وبحرا غزيرا، فقد كانت الحركة العلمية آنذاك دينية تمتُّ إلى العلم الظاهر وصوفية في آن واحد"[3]، وهو ما لم يشفع لطبقة العلماء عند طبقة الدهماء، على الرغم من الفضل الكبير والعطاء الغزير والاهتمام الفريد الذي أولاه علماء تلك البلاد لهم، وسعيهم في خدمة دنياهم وأخراهم.

لذا فإن العلماء والصلحاء والمثقفين الذين كانت بصمتهم العلمية والثقافية ظاهرة وبارزة على الحواضر والديار التي هاجروا إليها، إما المشارقية أو الأندلسية أو الشامية أو غيرها "لم يكونوا يَشكون من ظلم الحكام فقط، بل كانوا يَشكون من ظلم الناس أيضا، فقد اشتهر الجزائريون منذ القديم بأنهم لا يقيمون وزنا ولا يعترفون لهم بحرمة أو عهد، وهي ظاهرة كانت أقسى على هؤلاء العلماء من ظلم الحكام وظلم العصر، بل

1: الجزائر منطلقات وآفاق، ناصر الدين سعيدوني، ص: 469.

2: المرجع نفسه، ص: 471.

3: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 47.

لعلها هي التي أجبرت عددا كبيرا منهم على الهجرة والعيش خارج الجزائر، وقد لاحظ محمد السنوسي ذلك فقارن بين عناية أهل المشرق وأهل المغرب بعلمائهم، ووجد أن المشارقة أكثر رعاية لعلمائهم من أهل المغرب، وخاصة أهل الجزائر، فقد نُقل عنه أنه قال: إن أهل المغرب-خصوصا أهل بلادنا- أقل عناية بمشايخهم، ولهذا لا يجد أكثرنا اعتناءً بمشايخنا ولا يحسن الأدب معهم، بل يستحسن كثيرٌ منا أن ينسب بالتلمذة لمن كان خاملا، ويكون جُلُّ انتفاعه بذلك الخامل فيعدل عن الانتساب إليه إلى من هو مشهور عند الظلمة، ويرحم الله المشارقة ما أكثر اعتناءهم بمشايخهم وبالصالحين منهم خصوصا".[1]

وقد يجد الباحث حينها تبريرا منطقيا لمقولة:" فالأزهر الشريف وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، وجامع الأمويين، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، **أبت الطبيعة** أن تجعل أحدها في حوزة القطر الجزائري، حتى ينبُغ فينا رجال علم وأدب، فيكون لهم نتاج يستوجب من علماء الأقطار هزَّ الرؤوس ومن أدباء الأعصار رقص النفوس، فالبعرة تدل على البعير والأقدام تدل على المسير، والحق يعلو ولا يعلى عليه".[2]

ثالثا: التنكر لمبدأ التجديد الذي دعا إليه رائده الأول في زمانه ابن العنابي[3] -رحمه الله-(ت1850م)، "إذ يُعتبر من أوائل علماء المسلمين الذين طرحوا قضية التجديد في النظم الإسلامية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وهو لذلك من أوائلهم أيضا الذين طرقوا باب الاجتهاد الذي ظل مقفلا عدة قرون نتيجة التأخر العقلي الذي كان عليه العالم الإسلامي، كما عالج أيضا قضايا العصر في كتبه وفي فتاويه التي كان يصدرها طبقا لمصالح المسلمين، وفي إجازاته التي كان يمنحها لطلابه والعلماء الذين يطلبونها منه"[4]، وهو ما كان مصادما مصادمة كبيرة للنهج العثماني في التعاطي مع أمور النظم الإسلامية أو العقلية التقليدية الثقافية التي أشرنا لها سابقا، وهي مسائل وقضايا أساسية استرعت اهتمام ابن العنابي وحام حول تجديدها

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 59-60.

2: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 80.

3: ستأتي ترجمته عند الحديث عن الجد.

4: رائد التجديد الإسلامي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت: 1990م، ص: 15.

وبعث روح التجديد فيها، يقول أبو القاسم سعد الله:"ومن القضايا التي استرعت نظره بكثرة، جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدم العقل الأوروبي، وتخلف الجيش الإسلامي أمام زحف الجيوش الأوروبية، وقد عالج القضية الأولى في عدة مناسبات من آثاره ولم يفردها بتأليف، ولكنها تكاد تكون المحرك له فيما كتب وقال واتخذ من مواقف، أما القضية الثانية فقد أفردها بكتاب ما يزال مخطوطا سماه« السعي المحمود في نظام الجنود»[1] وهو الكتاب الذي يعتبر من أوائل –إن لم نقل الأول– الكتب العربية التي عالجت موضوع التجديد في النظم الإسلامية عامة والنظام العسكري خاصة، أو إذا شئت فقل عالج فيه موضوع تقليد المسلمين للأوروبيين في مبتكراتهم الحديثة، وقد ناقش ابن العنابي كل ذلك في ضوء الشريعة الإسلامية من جهة، وفي ضوء حاجة المجتمع الإسلامي إلى التطور من جهة أخرى".[2]

وهذا ما يفسر انتقالاته في منصب القضاء والفتوى زمن العهد العثماني، وظهوره في فترات ثم اختفائه في أخرى، فقد ولي القضاء مرات وخُلع منه مرات، وأوَّل من ولاه القضاء الحنفي هو الداي أحمد باشا، ثم اختفى اسمه على الساحة بعد ثلاث سنوات من ذلك التقليد، ليظهر من جديد في عهد الداي عمر باشا، سنة: 1230هـ، ويبقى في منصب القضاء إلى غاية سنة: 1232هـ، ثم يغيب اسمه من ساحة القضاء والفتوى على أن يرد اسمه بـ: نزيل مصر القاهرة، وهو ما جعل المؤرخ سعد الله يتساءل عن سبب هذا التَّغيب أو التَّغييب بالقول: "وهل كان مغضوبا عليه سياسيا ؟".[3]

قلتُ: وهو مما لا شك فيه، لتصادم فكر الرجل ودعوته مع أصول الحكم العثماني ببلاد الجزائر، وبقاء آثار التقليد والجمود حتى زمن نهايات ذلك العهد، وهو الذي "نادى في جرأة كبيرة بضرورة تقليد الأوربيين، ويسميهم الكفار، في مبتكراتهم وصنائعهم ولغاتهم وتقنياتهم وأسلحتهم، كما نادى بالتفوق عليهم في العلوم

1: حُقِّق كتاب ابن العنابي "السعي المحمود في نظام الجنود"من طرف الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، وطبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة: 1983م.

2: رائد التجديد الإسلامي، أبو القاسم سعد الله، ص: 15-16.

3: المرجع نفسه، ص: 36.

التي تفوقوا فيها، لأن ذلك من صميم الدين الصحيح، أما الانغلاق والافتخار بما فعل السلف وتجنب ما ابتدعه الأوروبيون بدعوى أنه عمل النصارى، فهو ليس من الدين في شيء، وليس أيضا من الرجولة".[1] وهو بهذا الخطاب يضاد النهج التركي العثماني من أصوله بل وفروعه، ويدعو لتغيير العقلية الجمودية التي انطبعت بها الثقافة الجزائرية والتي زادها العهد العثماني بأساليبه تخلفا إلى تخلف.

ويصف محقق «التحفة المرضية» تلك الحقبة الثقافية بأنها نتاجٌ يغلب عليه طابع التقليد الأعمى، بعد أن يقرر حقيقة ضآلته وصغر حجمه فيقول:" لقد أصبح النتاج الثقافي في القطر الجزائري ضئيلا كما قدمنا بالنسبة إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، فالنتاج العلمي-غالبا- محصور في بعض التفاسير التي جُلُّها لم يكمل، وفي الشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دوَّن مصنفاتها القدامى أو المعاصرون لهم في غير قطرهم، وقد بادر علماء الجزائر -آنذاك-إلى حذو من تقدمهم في فن التصنيف أيضا، وكان مضمون هذا النتاج يغلب عليه طابع التقليد الأعمى من حيث التفكير، تارة لعلماء المغرب الأقصى-لا سيما أهل فاس- ، وتارة لعلماء المشرق العربي-بما فيه تونس-، وتارة لعلماء بجاية أو تلمسان أو الأندلس، يوم أن كانت هذه الأماكن الثلاث في غزارة وريعان علمها وأوج أدبها".[2]

ويصف تلك الحقبة الثقافية العلمية بأنها تنزَّلت إلى درجة "استخدام ألفاظ العامية فيه، مع ركاكة في التركيب، لا سيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية".[3]

ويمثِّل للجمود في التراث الأدبي الذي مسَّ أعمال علماء القطر الجزائري، حيث يقول: "ولعل من يتصفح تراثنا الأدبي في ذلك العصر المنحط، يوافقنا فيما ذهبنا إليه، وهل من أديب منحه الله ذوقا سليما

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 452-453.

2: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 61-62.

3: المرجع نفسه، ص: 62.

وشعورا أدبيا في عصرنا الحاضر، يستسيغ مرثية يوسف الزياني[1] في البشير البحثاوي الأغا[2] للباي مصطفى أبي الشلاغم[3]، ننقل منها ثلاثة أبيات كنموذج:

هنيئا لك الجنان لا السعيـــــر *** يا كافل الأرامل يا بشيـــــــر

لقــد عشت سعيدا في رغد العيش *** وفزت بالشهادة يا أميـــــر

ببلدة مستغانم كان المثـــوى *** فنعم السكنى سكناك يا نحريـــــر

ثم يقول: "ومن هذا النمط كثير من نتاج أدبنا على عهد الأتراك في قُطرنا".[4]

رابعا: ومن أسباب كساد سوق الثقافة والعلوم في الجزائر زمن الحكم العثماني، داء الطاعون وكثرة الأوبئة: والجوائح والزلازل التي مست بلاد الجزائر وكانت سببا في خروج كثير من العلماء منها، أو في وفاتهم وهلاكهم، فقد تكلم صاحب «البستان» عن طاعون فاتك سنة: 981هـ، أخذ حياة الكثيرين من العلماء والصلحاء والمثقفين، وعبد الكريم الفكون الذي تحدث عن مجموعة من شيوخه وأن سبب وفاتهم كان بطاعون سنة: 982هـ، وتحدث ابن حمادوش في رحلته عن الطاعون الفاتك الذي حدث في حياته وأخذ الكثيرين من العامة والخاصة، بل تحدثت بعض التقارير عن غلق ثلثي منازل بعض المدن كعنابة[5] بسبب الأوبئة المنتشرة والأوبئة الفتاكة.

1: لم أجد ترجمته ولا اسمه الكامل، وربما هو والد يوسف بن محمد الزياني، مؤلف كتاب «دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران».

2: لم أجده.

3: أول بايات مدينة معسكر، مصطفى أبو الشلاغم الذي تولى فتح وهران ونقل عاصمة بايلك الغرب من مازونة إلى معسكر فوهران سنة: 1708م، بعد طرده للإسبان منها، توفي بمستغانم سنة:1138هـ. انظر:"الموجز في تاريخ الجزائر" يحي بوعزيز، ج:02، ص: 48.

4: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 62-63.

5: الحياة الصحية بعنابة أثناء العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، مقال بمجلة "الأصالة" العدد: 35/34، سنة: 1976م، ص: 96.

وهو عامل يبرز الوضع الصحي المزري زمن تلك المرحلة من العهد العثماني في الأرياف والمدن، وتكاثر الأمراض والأوبئة القاتلة مما أثَّر سلبا على حالة السكان الصحية والمعاشية، وترك آثارا سيئة على أوضاعهم الاجتماعية، والظاهر أن ذلك التدهور يرجع إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان، الذي افتتح عهده الإمام عبد الكريم المغيلي[1] المتوفى سنة: 908هـ، وعلاقتها التجارية مع أوربا وارتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي.

"وقد شكَّل الطاعون أخطر مرض عانت منه كل الفئات الاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني، كما تعرضت إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد، لقد تكرر ظهوره في شكل حلقات متعاقبة من الأوبئة المستوطنة بالمنطقة، تسببت في انهيار ديمغرافي وأدت إلى تدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على اقتصاديات البلاد تاركا تشوهات خطيرة في البيئة الاجتماعية.

ومما زاد الأحوال الصحية سوءا أن الحكام العثمانيين لم يهتموا بميدان الصحة ولم يعطوها الأهمية التي تستحقها، فمن ذلك أنهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد تنامي هذه الأمراض، أما أماكن العلاج فكانت محصورة حول بعض المصحات والملاجئ مثل: زنقة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصص للأتراك، بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كانت تنفق عليها الدول الأوربية، وما يمكن ملاحظته أن الأوبئة كانت تتكرر كل عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما، وأنها في بعض الأحيان استمرت لبضع سنوات. وهكذا أصبح وباء الطاعون من مظاهر البيئة الجزائرية، فتكرر ظهوره بها باستمرار، وقد كان مرتبطا بحركة الأسطول الجزائري واحتكاكه الدائم بموانئ المشرق التي كانت مصدرا لمختلف أوبئة الطاعون، حتى عُدَّت الجزائر من مراكزه الدائمة وبيئاته المفضلة، وهذا ما عبر عنه بنزاكPanzac بقوله :"وباء الطاعون من الظواهر المستمرة والدائمة في الجزائر العثمانية".[2]

1: تأتي ترجمته لاحقا.

2: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني، محمد مكحلي، مقال نشره الدكتور بموقع: www.icozium.com المهتم بالتاريخ الجزائري.

فما موقف الدولة العثمانية من كل ذلك؟ وما هي سياستها للحد من تلك الأوبئة التي راحت تفتك بالعامة والخاصة؟ يجيب الدكتور أبو القاسم سعد الله:"كان العثمانيون لا يهتمون بالحياة الصحية للسكان، ذلك أن معظم البايات والباشوات كان لهم أطباء أجانب يختارونهم عادة من الأسرى والأوروبيين الذين يقعون في قبضتهم أو يستجلبونهم بالأموال، ولكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك للتخفيف على السكان من الآلام والأمراض"[1]، ويضيف مبينا حقيقة استهتارهم بالوضع الصحي:" ولم يكن هناك مستشفيات ولا مصحات، بينما كان للأجانب كالإسبان والإنكليز مستشفيات خاصة بهم في الجزائر، ولعل أهم وسيلة حماية طبقها العثمانيون في الجزائر هي ما يعرف بالحجر الصحي، فقد كانوا يبقون السفن الواردة فترة معلومة قبل أن يسمحوا لها بالدخول إلى الميناء ولركابها بالنزول".[2]

ولم يكن العلماء في منأى عن تلك الحالة المزرية وآثارها المدمرة، فقد أخذ منهم الكثيرين، حتى ألَّف مسلم بن عبد القادر الحميدي(ت1249هـ)[3] رسالة خاصة في هذا الشأن بعنوان:«أنيس الغريب والمسافر»[4]، ترجم فيها لمجموعة من كبار علماء تلك المرحلة الذين هلكوا بسبب الطاعون والأوبئة، بعد سرد تاريخي لتلك الحقبة وأهم حوادثها.

خامسا: انتشار الطريقة الصوفية، وكثرة الزوايا: وافتتاح عهد التصوف الخزعبلاتي المنحل، ما جعل بعض المؤرخين يرون أن العهد العثماني كان له الدور الكبير والفعال في حماية هذا المسلك، والذي زاد في زمانها

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 167.

2: المرجع نفسه، ص: 167-168.

3: ذكره بن يوسف الزياني صاحب "دليل الحيران" بأبي عبد الله مسلم بن عبد القادر الحميدي الزايري، تقلد وظائف هامة أولها منصب خوجة لدى الآغا الحاج محمد المزاري البحثاوي، ثم انتقل إلى خدمة حسن بن موسى قبل تولي هذا الأخير منصب باي الإيالة الغربية، ومارس عنده الكتابة الديوانية، ثم تولي وظيفة دفتر دار، توفي سنة: 1294هـ. انظر: مقال: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)، للأستاذ: صادق قاده، مجلة إنسانيات، العدد:03، سنة:1997م.

4: حقَّق الأستاذ: رابح بونار الجزء الأخير منه، المتمثل في خاتمته العامة، سنة: 1974م، ونسخ المخطوط متوفرة منها بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1061.

ازدهارا وتفريعا، وعلى الرغم من تواجد هذه المدرسة قبل وجود العهد العثماني، إلا أنه ازداد نشاطا وأصبح ممنهجا بحماية الدولة له وتمويله، ومحاولة نشره على نطاق واسع في الأراضي الجزائرية، ذلك أنه كان دين الملوك ومنهجهم التعبدي ومسلكهم النُّسكي خاصة الطريقة القادرية، التي مكَّن الأتراك لها ولنفوذها أمام الطريقة الشاذلية[1]، باعتبارهما الطريقتان الرئيسيتان المتنازعتان في تلك المرحلة بالذات، يقول ألفريد بل:"إذا كانت المناطق الغربية من الشمال الإفريقي تحتوي خصوصا على زوايا الشاذلية، فإنه في القسم الذي كان يسيطر عليه الأتراك كانت السيادة للزوايا القادرية، واعتمد الترك على جماعات هذه الطريقة القادرية، وكذلك على سائر زعماء الطرق الصوفية والصوفية المحليين"[2]،" فالتصوف الذي يعني الزهد والتقشف والصلاح والعمل بالعلم والابتعاد عن الدنيا وأهلها، قد ترك مكانه في أغلب الأحيان إلى نوع من التصوف هو أقرب إلى الدروشة والدجل منه إلى الصلاح...وقد شاع هذا التصوف حتى بين العلماء العاملين كالفقهاء والنحاة والمؤرخين، بل حتى بين الولاة والمسؤولين... كما كان بعض الولاة يتقربون إلى رجال التصوف بوقف الأوقاف عليهم وإعفائهم من الضرائب وبناء القباب لهم وأخذ العهد منهم ونحو ذلك، فالعقل الإنساني في جميع مستوياته كان عندئذ واقعا تحت طائلة هذا المخدر القوي، وهو التصوف المحرف عن حقيقته".[3]

وقد كان للعثمانيين سياسة خاصة حول الطرق الصوفية، وإدراكا منهم لنفوذها في المجتمع الجزائري، ومدى قدرتها على صياغة الرأي العام، "فقد أبقوا على سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ودعموا مرابطي الطرق وشيوخ الزوايا، وهذا ما أدى إلى تدعيم إثنائية السلطة، فاكتفى الأتراك فيها بالإشراف غير المباشر".[4]

1: سنأتي لاحقا على أسباب هذا الصراع الصوفي الطرقي، ومظاهره وأهم دوافعه وكيفية توظيفه من طرف الأتراك، ودخول الطريقة التيجانية أيضا في الصراع.

2: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ألفريد بل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ت: 1981م، ص:394.

3: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص: 20.

4: ورقات جزائرية، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، ت: 2000م، ص: 492.

وهو-التصوف-بذاك التوصيف من الدكتور أبي القاسم سعد الله، وبتلك السياسة العثمانية، من الدكتور سعيدوني، قد ترك أثرا بارزا وواضحا على نمط ونوعية الثقافة التي كان يمارسها العلماء أو يُصدِّرونها، بنتائج خطيرة أهمها: تبسيط المعرفة ورسم أروقتها التي لا ينبغي الخروج منها، وغلق باب الاجتهاد أمام وجه العلماء والمثقفين والمفكرين، وحصر التعليم في الزوايا وأدورتها،" ذلك أن نقل التعليم إلى الزوايا قد أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه، بطريقة جافة ريفية ضيقة، وأصبحت الزاوية بذلك تنافس المدرسة والجامع، في نشر التعليم وفي كسب الأنصار، وبدل أن يلتف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس والمساجد، أصبحوا يلتفون في زاوية حول شيخ أو مقدم تغلب على عقله الخرافة وعلى أحواله الزهد، وهكذا تدهور مستوى التعليم، وهذه المنافسة بين العالم والمرابط أو الجامع والزاوية، قد أجبرت علماء المساجد والمدارس على تبسيط آرائهم وطرقهم في التعليم ومحتويات دروسهم حتى لا يفر الطلبة إلى الزوايا والمرابطين، فالتنافس إذا كان من أجل البحث عن الأتباع وضمان لقمة العيش وليس من أجل رفع مستوى التعليم، أو المساهمة في ترقية الحياة الفكرية، ولا شك أن التعليم الذي يقوم على هذه الأسس لا يترك مجالا للاجتهاد وحرية الرأي والبحث وراء المجهول، وإعطاء تفسيرات حرة وفلسفية لقضايا الدين والعصر".[1]

وقد ترك هذا النمط من التصوف بصمته الكبيرة على مؤلفات وتصانيف تلك المرحلة،" وكل من يتصفح مؤلفات ذلك العصر الحامل ومصنفاته الباكية يجد نفسه يعيش في عالم الأموات، فهذا يرقب خروج الدجال من المشرق، وذاك ينتظر ظهور الدابة، وذلك يتوقع انقضاء الدنيا وفناء المادة، والنفخة الأولى في الصور، ومن ظفر بكتاب ابن سيرين لتأويل رؤياه فقد فاز بكل ما يتمناه، وكانت الحركة الثقافية بنوعيها العلمي والأدبي، موزعة على بعض مدن القطر، وفي القليل من القرى والمداشر توزيعا لا يفي بحاجيات أهل القطر لدينهم الضروري وأدبهم المكتسب، وربما قطع سكان بعض القرى والمداشر مرحلة أو أكثر ليستفتوا في مسألة دينية أو أدبية قد تعرض لهم، ولم يكن بين ظهرانيهم عالم يحل مشكلتها أو أديب يفك عويصها".[2]

1: ورقات جزائرية، ناصر الدين سعيدوني، ص: 48-49.

2: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 48-49.

ولنا أن نُقَيِّم التراث الثقافي زمن هاته الحقبة بالقول أنه تراث صوفي دروشي بالدرجة الأولى، بالنظر إلى التصانيف الكثيرة التي خرجت في تلك الفترة من العهد العثماني، وظهور "علم المرائي" التي كان يدعيها الأغلبية ويقصونها ويكتبون عنها، والتي تجلب لهم البركة والقبول والمشيخة لدى الدهماء من الناس، في تباعد مطرد مع العقل الصحيح وروح التجديد في العلوم الشرعية والعقلية.

ومنه فإن كلام الدكتور يحي بوعزيز عن المدارس العلمية بأرض الجزائر، وحديثه عن التنوع للعلوم والمعارف التي كانت تُدرَّس فيها، وذكر منها "العلوم الطبيعية والتجريبية كالفلك والحساب والطب والصيدلة العشبية وغيرها"[1]، كلام لا يمت بصلة للواقع الثقافي العلمي الجزائري إبان تلك المرحلة من العهد العثماني، خاصة أن الدكتور أبو القاسم سعد الله يصفه بالقلة والضعف[2] في هذا النوع من العلوم على وجه الخصوص، وأن هناك أسماءا التصقت بها تلك المهن والعلوم كالحساب والفلك، "ولكن لم يختصوا كما اختص مثلا الونشريسي في الفقه والثعالبي في التصوف".[3]

وقد كان للمؤسسات الدينية المنتشرة في ربوع وأرجاء أرض الجزائر، الأثر الكبير في المحافظة على التراث العلمي والثقافي بنشره وتعليمه للأجيال، "وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت بالتدريج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته، وخففت عنه بعض الأعباء، وهي المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية والزوايا والمعمرات"[4]، وقد حُدِّدت هذه المؤسسات في سبعة مراكز، ولكل مؤسسة فضلها في القيام بدورها المنوط بها، بحسب قدرات ذلك الزمان وآلياته، وما تقتضيه قوانين إقليم القطر وعوائد سكانه:

1: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،دط، ت: 1999م، ص: 128.
2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص: 111.
3: المرجع نفسه، ص: 111.
4: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، يحي بوعزيز، ص: 127.

المركز الأول: كتاتيب القرآن، وقد خُصصت لاستظهار كتاب الله العزيز، وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل، والقلم القصبي، وتكون هذه الكتاتيب –غالبا–في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين.

المركز الثاني: الزوايا، وقد كانت الزوايا تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب، المتعطشين إلى النهل من زلال العلم والمعرفة.

المركز الثالث: المساجد، وقد كانت فيما عدا أوقات الصلاة مرتعا لحلقات الدروس اليومية، ومحطا لفنون العلوم التي كانت تُدرس ذلك العهد لا سيما في المدن والقرى.

المركز الرابع: المدارس، وهي أمكنة خُصصت لإلقاء الدروس بها، ولا توجد إلا في المدن الرئيسية، مثل: قسنطينة الجزائر بجاية وهران تلمسان، والتي بها مدرسة سيدي أبي مدين، والتي قرأ فيها ابن خلدون وأقرأ فيها أيضا، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة الغرباء.

المركز الخامس: الدكاكين التجارية التي كانت تستعمل نهارا للبيع والشراء، وفي الليل للمسامرات الأدبية.

المركز السادس: الأندية المنزلية، وهي التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد، وأعيان ذوي النفوذ والسلطة المحلية، وقد استمرت هذه العادة إلى زمان الاحتلال الفرنسي.

المركز السابع: المكتبات العامة والخاصة، وهي التي كنت تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، لا سيما المكتبات العامة التي كانت وقفا وحبسا على المساجد والزوايا والمدارس، وقد كانت هذه المكتبات العامة موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن، من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، لا سيما المدن ، مثل: الجزائر العاصمة، وقسنطينة وتلمسان ومازونة وهلم جرا، قال بول قافاريل:"... وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب

والبحث عن نفائس المخطوطات أنى وُجدت، وقد وَجَدت فرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة 17 مكتبة خاصة تحتوي على 14000 من المجلدات".[1]

وهو مؤشر على اهتمام الجزائريين بهذه المراكز واعتنائهم بها، خاصة ما كان متعلقا بالزوايا والمساجد، التي كانت منتشرة في المدن والأرياف على حد سواء، والتي كانت تمثل لهم مصدرا ومنبعا للمعرفة والعلوم زيادة إلى صونها وتزكيتها للجانب الروحي النُّسكي.

وكل ما تم رصده من اهتمام بالمراكز لا يخرج عن جهود فردية سكانية لم يكن فيها للدولة العثمانية كبير جهد أو اهتمام، كما هو الشأن زمن الزيانيين، إلا ما يمكن استثناؤه من جهود بعض البايات في قسنطينة شرقا ووهران غربا.

ويورد الدكتور أبو القاسم سعد الله سؤالا مثيرا، يحاول فيه الإجابة على العلاقة بين العهد العثماني وبين الحركة الثقافية والعلمية بأرض الجزائر والربط بينهما، متسائلا: هل يصح أن نطلق على هذا العهد عهد "الانحطاط الثقافي"؟

ثم راح الدكتور يجيب بعموميات لم يخرج فيها بإجابة تفيد القطع، فقال:" والواقع أن عهود الانحطاط السياسي والثقافي قد بدأت قبل القرن العاشر بفترة طويلة، وأن دراسة أسبابها خارجة عن نطاق هذا الكتاب، أما ما يخص موضوعنا، فإن ظاهرة الجمود الثقافي كانت بارزة في العهد الذي درسناه، وهو جمود ليس خاصا بالجزائر، ولو كانت الثقافة في بقية العالم الإسلامي حية ونشيطة لاستفاد منها الجزائريون أيضا، لأن معظم علمائهم كانوا يرحلون في طلب العلم إلى المعاهد الإسلامية، وإذا كان الأمراء في غير الجزائر لهم اتصال وثيق بالثقافة العربية والعلوم الإسلامية، فإن حكام الجزائر كما ذكرنا كانوا أبعد الناس عن هذا

1: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 61/58.

الميدان، وهذا هو الفرق بين حالة الثقافة في الجزائر، وغيرها من البلدان العربية الإسلامية الأخرى خلال هذا العهد، أما ظاهرة الجمود فقد كانت عامة".[1]

ثم أورد شرحا بيانيا بحسب القرون لعلماء الجزائر وتآليفهم، مبينا الفروق بين القرون الثلاث للعهد العثماني بالجزائر، وهو –رحمه الله–بصنيعه وإيراده لتلك التعميمات، يريد الخروج من طائلة وتبعات التأصيل لمقولة أن العصر العثماني في أرض الجزائر كان عصر انحطاط ثقافي علمي بجدارة، والقارئ للإجابة على السؤال المهم الذي أورده لا يخرج بإجابة قطعية كما أسلفنا.

والباحث يرى ضرورة القطع في هذا السؤال المثير، وأن الحالة الثقافية والعلمية زمن العهد العثماني كانت بحق منحطة كثيرا، وأنه زمن انحطاط ثقافي ذاك الذي عاشته الجزائر عصر الحكم العثماني، وكساد علمي وفتور ثقافي، وأن الحاجة أصبحت ملحة لإعادة تقييم العهد العثماني وآثاره في أرض الجزائر، برأي ناقد يرتكز على النظرة العلمية الحقيقية لا العاطفية الدينية، إذ الاشتراك في الديانة لم يكن أبدا مانعا من قول الحقيقة وبثها للأجيال.

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 19.

الفصل الأول:

التراث التفسيري الجزائري من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر الهجري.

الفصل الأول:

التراث التفسيري الجزائري من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر للهجري.

المبحث الأول:

حركة التفسير في بلاد الجزائر، من البدايات إلى العهد العثماني.

المبحث الثاني:

التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن العاشر الهجري (900هـ-1000هـ).

المبحث الثالث:

التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الحادي عشر الهجري (1000هـ-1100هـ).

تمهيد:

لشرف القرآن الكريم، وشرف المشتغلين به تفسيرا وتدريسا، صنَّف أهل العلم في طبقاتهم وتراثهم وسيرهم وعطائهم، وظهر فن التصنيف في طبقات المفسرين بعد أن تأخر التأليف فيه لأزمنة وقرون عديدة، وبعد أن اكتمل نصاب التصنيف في طبقات الفنون الأخرى كالفقه والحديث واللغة والشعر والنحو وغيرها.

وكان الفضل – بما هو مشتهر الآن– في التنويه والكتابة في فن طبقات المفسرين للإمام السيوطي صاحب التصانيف الكثيرة البديعة بمؤلَّفه «طبقات المفسرين»، وعُدَّ كتابه هذا أوَّل تصنيف في هذا الباب وهذا الفن[1]، خاصة وأنه كتب في مقدمة كتابه قائلا: "وبعد، فهذا المجموع فيه طبقات المفسرين، إذ لم أجد من اعتنى بإفرادهم كما اعتُني بإفراد المحدثين والفقهاء والنحاة وغيرهم" [2]، وهو تقرير لا يُسلَّم للإمام فيه ولا للناقلين له، إذا عُلم أن الإمام الأدنويه المتوفى سنة:1095هـ جعل من مصادره ومراجعه التي اعتمد عليها في كتابه «طبقات المفسرين»، كتاب «مختصر طبقات المفسرين» للإمام البيضاوي المتوفى سنة:685هـ، ولا يُعلم هل هو اختصار لمطولٍ في طبقات المفسرين كتبه أحد الأعلام واختصره البيضاوي، أم أن التأليف يحمل هذا العنوان، وهو ما لا يمكن الجزم به لفقد المخطوط، بل وقلة اشتهاره عند من ألَّف في هذا الفن.

ولعل الجامع بين كتب طبقات المفسرين الثلاث، للسيوطي والداودي والأدنويه، أنها كُتبُ تراجم لأشهر المفسرين وأعمالهم، إذ حوى كتاب السيوطي 136 ترجمة، وكتاب تلميذه الداودي 704 ترجمة، وكتاب الأدنويه ما يقارب تراجم الداودي، والذي اعتبره البعض ذيلا عليه، واختلفوا في طريقة ترتيب التراجم بين

1: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:02، ت: 1427هـ، ص: 207.

2: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:01، ت: 1396هـ. ص:21.

مؤلِّفٍ فيها مرتبٍ لها ألف بائيا، وآخر موزعٍ لها بالقرون جاعلٍ من المئة سنة طبقة لوحدها، والأقدم فالأقدم بدءا من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى آخر عهده كالإمام الأدنويه.

غير أن اللافت للانتباه أنهم اختلفوا كثيرا في مسمى "المفسِّر"، وما البون الكبير بين تراجم المفسرين على الرغم من تقارب سني الوفاة بينهم إلا دليلا على ذلك، كما أنهم لم يجعلوا في مقدمة كتبهم –الثلاث– ضوابط محدِّدة لمفهوم المفسِّر وتعريفه، وما حد دخول المفسِّر في الطبقة أو خروجه منها.

لذا اختلط الأمر بين ناقل للتفسير ومؤلِّف فيه ومدرِّس له، وصاحبِ حديث روى نتفا من تفسير الآيات القرآنية في مسنده وبين شيخ قرأ من التفاسير المشتهرة، وغير ذلك من التوسعة التي لم يجعل لها الأعلام ضابطا محددا في مسمى المفسِّر، خلافا لما وجدته من اهتمام بالغ بتعريف التفسير وعلومه والفرق بينه وبين التأويل وغيرها من المسائل التي أصبحت مشتهرة إن ذكر مصطلح التفسير.

وبتقسيم السيوطي للمفسرين إلى أربع طبقات[1] يظهر ما أشرتُ إليه آنفا من التداخل والاختلاط في مسمى "المفسِّر" إذ جعلهم أربعة أنواع فيقول: " واعلم أنهم أنواع:

الأول: المفسرون من السَّلف والصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

1: بدراسة كتب الطبقات الثلاث قام الدكتور مساعد الطيار بتقسيم طبقات المفسرين إلى أربع قال فيها: "ولو سبرت المفسرين المذكورين في كتب طبقات المفسرين، واطَّلعت على ما دوَّنوه من منجزاتهم في التفسير، لظهر لك أنَّهم لا يخرجون عن **أربعة أنواع**: **الأول**: طبقة المجتهدين الأُوَل: من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، الذين دونت أقوالهم في كتب التفسير المسندة. **الثاني**: نَقَلَةُ التفسير: وهم جملة من المحدِّثين وغيرِهم ممن لم يكن لهم إلاَّ النقل لتفسير من سبقهم، ولم يكن لهم فيه أيَّ رأي واجتهاد. **الثالث**: المفسر الناقد: وهو الذي يجمع مرويات المفسرين ويرجح بينها، وهو صاحب رأي، لأنه يستعرض الأقوال المذكورة في الآية، ثمَّ يختار منها ما يراه راجحًا، فاختياره قولاً من الأقوال دون غيره رأيٌ واجتهادٌ منه، ولذا فهو من الذين لهم رأي في التفسير. **الرابع**: المفسر المتخيِّر قولاً واحدًا: وهو أن يعمد المفسر إلى أقوال التفسير فيختار منها قولاً دون غيره، ولا يتعرَّض لنقد ما سواه". انظر: "مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر"، ص: 215/210، بتصرف.

الثاني: المفسرون من المحدثين، وهم الذين صنَّفوا التفاسير مسندةً، مورداً فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد، وهذان النوعان تراجمهم مذكورة في طبقات الفقهاء.

الثالث: بقية المفسرين من علماء أهل السنة، الذين ضموا إلى التفسير التأويل والكلام على معاني القرآن، وأحكامه وإعرابه وغير ذلك، وهو الذي الاعتناء به في هذا الزمان أكثر.

الرابع: من صنَّف تفسيراً من المبتدعة، كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم.

والذي يستحق أن يُسمى من هؤلاء، القسم الأول ثم الثاني، على أن الأكثر في هذا القسم نقلة، وأما الثالث فمؤولة، ولهذا يسمون كتبهم غالباً بالتأويل".[1]

قلتُ: قد جعل السيوطي من النَّقلة للتفاسير المسندة في كتب الحديث مفسِّرين، وهو بهذا يجعل من مسمى "المفسِّر" من كانت له مشاركة فيه ولو بنقل التفاسير من كتب الحديث، وهذا غير لازم فيما سأورده وأبحثه.

وقد تنوعت عبارات العلماء وتعددت في تحديد شروط المفسِّر وعدِّها، كما اختلفوا في مقدار الإلمام بها والإحاطة، ولعل من أوائل من عدَّ هذه العلوم الراغب الأصفهاني المتوفى سنة:502هـ، فقد عقد لها مبحثا في تفسيره بعنوان: "بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسِّر" وجعلها عشرة علوم: وهي علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة.[2]

وأظهر الإمام الكافيجي الخلاف في عدِّ تلك العلوم وانتصر لمذهب الجمهور في مبحث العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر إذ يقول:" وهل تنحصر في عدد معين؟ فقال بعضهم: إنها تنحصر في خمسة عشر عِلما،

1: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص: 21.

2: تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، القاهرة، ط:01، ت: 1999م، ج:1، ص: 39.

وقال الآخر منهم: إنها تنحصر في أربعة وعشرين عِلما، ومنهم من قال: إنه لا تنحصر في عدد معين معلوم لنا، لكن الذي اختاره الجمهور وعليه العمل الآن هو الأول".[1]

وهو اختيار الإمام السيوطي[2] الذي لم يُجز لمن لم يكن جامعا للعلوم الخمسة عشر أن يُفسِّر القرآن أو يتصدى للكلام فيه وفي معانيه، وهذه العلوم باختصار هي:

الأول: اللغة. **الثاني**: النحو. **الثالث**: التصريف. **الرابع**: الاشتقاق. **الخامس**: المعاني. **السادس**: البيان. **السابع**: البديع. **الثامن**: علم القراءات. **التاسع**: أصول الدين. **العاشر**: أصول الفقه. **الحادي عشر**: أسباب النزول والقصص. **الثاني عشر**: الناسخ والمنسوخ. **الثالث عشر**: الفقه. **الرابع عشر**: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. **الخامس عشر**: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

ولم يجزم الإمام الزمخشري بعدد معين، غير أنه اشترط أن "لا يتصدّى منهم أحدٌ لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في عِلمين مختصين بالقرآن، وهما علم **المعاني** وعلم **البيان**، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ".[3]

وهو بهذا يؤكد حرصه على الإلمام والإحاطة بهذين الفنين من علم البلاغة مازجا في نصه –كما هم الآخرون– بين جملة العلوم الشرعية وعلوم الآلة.

1: التيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط:01، ت: 1998م، ص: 27.

2: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:01، ت: 1394هـ/ 1974 م، ج:4 ص: 215/213.

3: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 03، ت: 1407 هـ، ج: 01، ص:03.

ونفس الأهمية أولاها الزركشي لهذا الفن إذ جعله" أعظم أركان المفسِّر، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك".[1]

ويبقى السؤال: ما المقدار والحد الذي ينبغي على المتصدي لهذا الفن بلوغ سقفه كي يتسنى له التفسير، والقول بكفاءته في ذلك؟ وما المقصود بالإحاطة والإلمام عند الزمخشري والزركشي وغيرهما؟ إذ قد بلغ عندهما أنه أعظم أركان المفسِّر، ونفس الأمر ينسحب على بقية العلوم والفنون والتي ليس بلازم الإحاطة بها، كما هو شأن علم البلاغة إن استثنيناه.

كما أن بروز المفسِّر في علم من العلوم كالفقه مثلا، يجعل تفسيره يصطبغ به حتما لازما، بل وحتى دون إدراك منه في بعض الحالات، ونفس الأمر في القراءات والإعراب وغيرها، ويبقى تحرير القول في هذه العلوم ومقدارها وحدِّها نسبيا لا يمكن الجزم به والفصل فيه.

وكل ما سبق إيراده يدخل ضمن ما أسميته **بشروط الأهلية العلمية للمفسِّر**، والتي هي القسم الأول من شروط أهلية المفسِّر.

ولعل هذه العنونة جاءت استجماعا لما وقعتُ عليه من توسعٍ كثير واختلافٍ كبير في ضبط هذه العلوم وعلاقتها بالمفسِّر في كتب من تطرق لها من الأعلام، فقد أطلق عليها طاش كبري زاده "شروطا للمفسِّر" وجعلها عِلمًا منفردا، إذ يقول:"علم معرفة شروط المفسِّر وآدابه"[2]، وسمَّاها الراغب الأصفهاني "الآلات التي

1: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: 01، ت:1957، ج:1، ص: 311.

2: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، تحقيق: اللجنة العلمية للدار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، ت:1985م، ج:2، ص: 535.

يحتاج إليها المفسِّر"[1]، كما سمَّاها أبو طالب الطنزي[2] " أدوات المفسِّر"[3]، واختار الكافيجي تسميتها بـ "العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر"[4] ووافقه السيوطي في تسميته، وذكر أنها "العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر" [5]، وهي نفس تسمية صاحب مخطوط «تفسير المباني» غير أنه لم يذكر لفظ العلوم إنما قال في الفصل السابع: "ما يحتاج إليه المفسِّر"[6]، وسمَّاها ابن زمنين في تفسيره بـ"خصال المفسِّر"[7] ينسب القول ليحيى بن سلام، إذ يقول:" قال يحيى: ولا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة"، وهو ما ذكره أيضا صاحب «تفسير المباني »حينما عدَّد ما يحتاج إليه المفسِّر بعشر خصال فقال:" يحتاج من تكلم في تفسير كلام الله عز وجل إلى عشر خصال"[8]، وسمَّاها الشيخ طاهر بن عاشور بـ "علوم الاستمداد " عند حديثه في المقدمة الثانية من مقدمة تفسيره حول "استمداد علم التفسير للمفسِّر العربي".[9]

أما عن القسم الثاني من شروط الأهلية فقد جعلته بعنوان: **شروط الأهلية التدينية.**

1: تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، ج: 1، ص: 39.

2: كذا ذكره طاش كبري زاده، ولم أجد له أي ترجمة أو تصنيف، وغالب الظن أن اسمه وقع فيه تحريف، فالله أعلم.

3: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، ج: 2، ص: 536.

4: التيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، ص:27.

5: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4 ص:213.

6: مخطوط: تفسير المباني، لمجهول، لوحة رقم:10، منه قطعة في مكتبة الدولة ببرلين، تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الحجر برقم 1031، على موقع المكتبة في الأنترنت، ومنها استفدت، وبَحَث الدكتور غانم قدوري الحَمَد نسبة هذا الكتاب في بحث له نشره في مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد بعنوان:"مؤلف التفسير المسمى: كتاب المباني لنظم المعاني" في عددين متتاليين هما العدد رقم 164 والعدد 165 سنة: 1404هـ، وقد ذكر في بحثه هذا أدلة ترجح نسبة هذا الكتاب ومقدمته المنشورة إلى الشيخ أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام المتوفى بعد سنة 425هـ.

7: تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط: 01، ت: 1423هـ/ 2002م، ج:1، ص: 114.

8: مخطوط: تفسير المباني، لمجهول، لوحة: 64.

9: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ت:1984م، ج:1، ص:18.

ذلك أن غالب من تكلم في هاته المسألة من الأعلام في مصنفاتهم، تطرق لموضوع تدين المفسِّر وتقواه وأمانته وصلاحه ظاهرا وباطنا، وهي شروط "تدينية" تخص سيرته وأخلاقه والتي بها يصبح مؤهلا لخوض غمار التفسير، بل جعل الزركشي ذلك أصلا للوقوف على معاني القرآن وتدبره إذ يقول:" أصل الوقوف على معاني القرآن، التدبر والتفكر، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق، أو معتمدا على قول مفسِّر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعا إلى معقوله، وهذه كلها حجبٌ وموانع، وبعضها آكد من بعض، إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرا إلى قدرته، تاركا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئا من حوله وقوته، معظما للمتكلم مفتقرا إلى التفهم، بحال مستقيم وقلب سليم وقوة علم وتمكن سمع لفهم الخطاب وشهادة غيب الجواب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسكن، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستعن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالتشديد...".[1]

كما أشار إليها الزمخشري بعد اشتراطه الإحاطة والإلمام بعلم البلاغة للمفسِّر، فقال عن المفسِّر أنه ينبغي عليه أن يكون:" مقدّما في حملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس درّاكا للمحة وإن لطف شأنها، متنبها على الرمزة وإن خفي مكانها، لا كزّا جاسيا، ولا غليظاً جافياً متصرفا".[2]

وأحسن عبارة جاءت في هذا الباب، عبارة صاحب «تفسير المباني» عند حديثه عن تديُّن المفسِّر واستقامته في الخصلة التاسعة والعاشرة من عموم خصال المفسِّر، إذ يقول:

1: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، ج:2، ص: 180.

2: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 03، ت: 1407 هـ، ج: 01، ص: 2-3.

"... **التاسعة:** أن يكون مفوضا أمره إلى الله تعالى متضرعا إليه أن يلهمه الرشد والتوفيق، ويحذر الإعجاب بنفسه والاتكال على عقله وجودة قريحته فإن المعجَب مخذول.

العاشرة: أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فإن كل أحد يحفظ ما هو طالبه، وينحو نحو ما هو من همته ورغبته، فمن رغب في الدنيا انصرفت همته إليها، وسيكون ما يسبق إلى قلبه من وجوه ما يريد ... يجب أن يكون معتقدا للزهد مجتهدا في طريق أهله، من المتفرغين للعلم والعبادة، وألا يكون من المكبِّين على الدنيا المقبلين عليها في غالب أحوالهم، فإن الله تعالى جعل مثال العالم الذي هو بهذه الصفة مَثل الكلب..."[1].

وفي التراث التفسيري لعلماء الجزائر، وحول شروط الأهلية العلمية والتدينية للمفسِّر، لم أقف فيما ظهر لي من مخطوطات أو حتى مطبوعات، من خصَّ هذا الموضوع بتصنيفٍ منفرد أو ضمَّنه أحد تصانيفه، غير عَلَمين اثنين:

الأول: الإمام محمد بن علي السنوسي الجزائري[2] برسالته: «نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن»[3]، التي جاءت في: 24 لوحة، ومسطرتها 25، بخط نسخي دقيق، ذكر أنها حوت "مقدمة وخاتمة وثلاثة أبواب"[4]، أما المقدمة فقد جعلها لمعنى وتعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحا والفرق بينهما.

1: مخطوط: تفسير المباني، لمجهول، لوحة: 64-65.

2: الحسني الإدريسي، أبو عبد الله، مؤسس الطريقة السنوسية. ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل، تنقل في البلاد العربية، وفي سنة:1257هـ رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر وبنى "الزاوية البيضاء"، فعمت الدعوة السنوسية ليبيا، انتقل الى زاوية الجغبوب سنة:1273هـ فأقام بها إلى أن توفي فيها سنة1276هـ. له :"المسائل العشر"، و"الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية " وغيرها. انظر:"معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 179. و"الأعلام"ج:6، ص:299.

3: نسخة الشيخ بوخبزة التطواني المغربي، على موقع: جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة، رقم :08 من مخطوطات المكتبة: http://www.maghrawi.net/?taraf=Makhtotat&op=geninfo&did=832

4: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، نسخة الشيخ بوخبزة التطواني، لوحة:01.

ثم ذكر في الباب الأول: شروط تعاطيه –التفسير– والتصدي له، وأورد الخلاف في حكم تفسير القرآن أصالة، وهل يجوز الخوض فيه أم لا؟ وأورد حجج كل فريق بأدلته، ليرجح القول بالجواز رادا على أدلة القائلين بالمنع مطلقا إلا ما جاء بنص نبوي، بعد أن توسع شرحا في أمر المحكم والمتشابه وتعريفهما وحكم تفسير آياتهما، مرجحا أيضا جواز تفسير المتشابه إن كان بسند عن النبي ﷺ قائلا: "وهو الصواب".[1]

ثم أورد شروط المفسِّر التي عبَّر عنها أنها اختيار جمهور العلماء، وأورد الشروط الخمسة عشر التي في «الإتقان» وبنصها، غير أنه كان يذكر نص كلام السيوطي موجزا له، ثم يعقبه بكلام أبي حيان شارحا به غالبا، ويذكر كلام الزمخشري أحيانا.

ففي الشرط الثامن –مثلا– يذكر شرط: علم القراءات، الذي شرحه السيوطي بالقول:"لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض"[2]، ثم يعقب عليه الإمام السنوسي مباشرة بكلام أبي حيان إذ يقول:"قال أبو حيان:"وقد صنَّف علماؤنا في ذلك كتبا لا تكاد تحصى، وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن البَاذش[3]، وفي القراءات العشرة كتاب «المصباح» لأبي الكرم الشَّهرزوري[4]"[5]، ثم يضيف هو قائلا:"وأشهرها اليوم «النَّشر» لابن الجزري و«حرز الأماني» للشاطبي وشروحها كالجعبري".[6]

1: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:02.

2: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4، ص: 215.

3: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش: عالم بالقرآآت، أديب كان خطيب غرناطة، قرأ السبع على أبي الحسن بن كوثر، وقرأ عليه الحافظ محمد بن يوسف بن مسدي، توفي بعد: 630هـ وقيل سنة:540هـ، له:"الإقناع في القرآآت السبع". انظر:"الأعلام"ج:01، ص:173، و"غاية النهاية في طبقات القراء"ج:1، ص:83.

4: المبارك بن الحسن بن أحمد الشَّهرزوري، أبو الكرم: عالم بالقراءات مجوّد لها، قال أبو محمد بن الخشاب: هو شيخ ثبت يقظ، صحيح السماع عارف بالقراءات، حسن الأداء لها سمعت منه بقراءتي عليه، صنّف " المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر "رواه من نحو خمسمائة طريق. توفي ببغداد سنة: 550هـ. انظر:"الأعلام" ج:05، ص: 270. و"غاية النهاية" ج:02، ص: 38.

5: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:10.

6: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

ثم ينتقل للشرط التاسع الذي نقله عن السيوطي بتمامه إذ يقول:"التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز"[1]، ثم يعقب عليه شارحا بكلام أبي حيان أيضا إذ يقول:" قال أبو حيان: وقد صنَّف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتبا كثيرة، وهو علم صعب، إذ المزلة فيه –والعياذ بالله– مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة".[2]

على سائر الشروط الخمسة عشر سار الإمام السنوسي بهذا المنهج عموما، وكان يبرز علمه ويظهر شخصيته في مؤلَّفه هذا بتعليقات وإضافات متعددة، كما في الشرط الثالث عشر مثلا، عند شرط الفقه، إذ يقول:"لأنه بمعرفته يستفيد طريق الاجتهاد، ومن تصرُّف الفقهاء في الحوادث وكيفية بعضها على بعض وما اتفق عليه وما اختلف ليعرف الإجماع كي لا يخرقه، فإنه حرام إن كان مستنده نصا وإلا فخلاف".[3]

وبعد أن أتم ذكر شروط المفِّسر الخمسة عشر التي ذكرها الإمام السيوطي، عقَّب عليها بالقول: وقد ردَّها أبو حيان إلى سبعة أوجه" ثم ذكرها مرتَّبَةً، ذاكرا لها بالأوجه لا بالشروط وهي:

" **الوجه الأول**: اللغة، **الوجه الثاني**: معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها، ويؤخذ ذلك من كتب النحو" ويعلِّق هو بالقول" يعني المشتملة على التصريف".[4]

الوجه الثالث: كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع. **الوجه الرابع**: تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك من علم الحديث، وقد تضمنت الكتب والأمهات المدونة في ذلك. **الوجه الخامس**: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هذا، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هنا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة، إذ هو شيء

1: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:10.
2: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.
3: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.
4: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:10.

يتكلم فيه على أوضاع العرب، ولكن تكلم فيه غير اللغويين أو النحويين ومزجوه بأشياء من حجج العقول. **الوجه السادس**: الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة، ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى وفي الأنبياء وإعجاز القرآن، ويؤخذ هذا من علم الكلام. **الوجه السابع**: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القراءات".

ثم عقَّب على هذا الحصر بالقول:" ثم اعلم أن ردَّه لهذه العلوم إلى هذه السبعة الأنواع أقرب إلى التحقيق، لأنها وإن كانت قريبا من خمسة عشر السابقة، لا توجد غالبا إلا في هذه الأنواع السبع، فإن التصريف الغالب عليه وجوده في كتب النحو، والاشتقاق قد يوجد مع التصريف فكانا من قبيل واحد"[1]، ثم راح يبرر ويرجح مقولة أبي حيان في هذا الحصر، وهو دليل على حضور شخصيته العلمية.

ثم انتقل الإمام السنوسي إلى الباب الثاني والذي جعله بعنوان:آدابه في حال إتمامه، وهي عنونة تدل على آداب ما بعد تمام الشروط واستكمالها والتي اصطلحتُ عليها بالأهلية العلمية، ومراده من هذا الباب آدابه في فن التفسير من حيث تقديم العلوم وتأخيرها، سواء في العمل بها أو حتى تحصيلها، إذ يقول في مقدمة هذا الباب:" وحاصل ما لهم في هذا الباب أنه يجب على المفسِّر أولا تقديم اللغة ثم التصريف ثم النحو ثم الاشتقاق ثم الإعراب ثم المعاني ثم البيان ثم البديع ثم يشرع في المعنى المقصود من الآية لأن هذه العلوم كالباب الذي لا مدخل لها من غيره...".[2]

وضمَّن هذا الباب ما اصطلحتُ عليه بشروط الأهلية التدينية للمفسِّر، من صحة اعتقاد ولزوم سنة وتدين وتعبد وزهد وغيرها.

1: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:11.

2: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، لوحة:11.

ثم انتقل إلى الباب الثالث، الذي جاء بعنوان: طبقات المفسرين، والذي تحدَّث فيه مطولا عن أربع طبقات باين فيها كل من سبقه في التفصيل في مسألة طبقات المفسرين كالسيوطي والزركشي والداودي وغيرهم، بل استدل على هذا التقسيم بحديث أفضلية القرون[1]، إذ يقول:" ثم إني أجعل ذلك على أربع طبقات:

الأولى: طبقة الصحابة المشار إليها بالقرن الأول.

الثانية: طبقة التابعين المشار إليها بالقرن الثاني.

الثالثة: طبقة تابعي التابعين المشار إليها بالثالث.

الرابعة: طبقة من جاء بعدهم إلى آخر الدهر".[2]

ثم شرع في تعريف كل طبقة وبيان أعلامها وطريقتها وبعض تصانيفها، كما تطرق لبعض المسائل الفرعية من حكم الأخذ بقول الصحابي، وحكمه حال التعارض مع آخر، ووصف في الطبقة الأخيرة الكثير من المفسرين وأعمالهم التفسيرية ومناهجهم أكانوا مبتدعة أو غير ذلك، فخرج الباب الثالث غنيا بمباحثه ثريا بلمساته العلمية الفريدة.

1: لحديث الخيرية والأفضلية طرق وروايات عدة، ويظهر أن الإمام السنوسي اعتمد رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه:{خير القرون القرن الذي أنا فيهم، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع لا يعبأ الله بهم شيئا}، لأن قول الإمام السنوسي:" المشار إليها بالثاني" وقوله:" والمشار إليها بالثالث" دليل على اختياره لهذه الرواية. وهو في حلية الأولياء عن زيد بن وهب برقم :5263.وعلَّق عليه بالقول: غريب من حديث الأعمش، لم يروه عنه إلا إسحاق.

والحديث متفق عليه بلفظ:{خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته}. أخرجه البخاري، عن عبد الله بن مسعود، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث: 2530. ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث: 4706.

2: مخطوط: نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، لوحة:15.

ثم ختمها بخاتمة خصَّها بتفصيل القول في تفاسير الصوفية، وأسلوبهم في التعاطي مع الآي القرآني الكريم، وبيَّن المذموم منها والممدوح، ومثَّل لبعضها مستدلا بأقوال العلماء وبعض أعلام الطرائق الصوفية كصاحب «الفتوحات» والإمام الشعراني وغيرهم، وقد دندن حول إبراز مفهوم الباطن والظاهر للآية القرآنية في تفاسيرهم مدافعا عن أسلوبهم مبررا له في بعض الأحيان، وذاما لبعض شطحاتهم وخزعبلاتهم في بعضها الآخر، مبينا علل سقوطهم فيها.

ويبقى هذا العمل للإمام السنوسي من أبرز وألمع ما أُلِّف في بابه في التراث التفسيري وعلومه عند علماء الجزائر، ولحد الساعة لم تظهر لنا نسخة ثانية يمكن اعتمادها في إخراج هذا الكنز المدفون لعالم المطبوع، وحتى تلك اللحظة فإنه عملٌ جدير بأن تُشدَّ الرحال لطلب نسخته الثانية ولا غرو.

أما عن العمل **الثاني** في التراث التفسيري لعلماء الجزائر، حول شروط الأهلية العلمية والتدينية للمفسِّر، فمخطوط:« عمن يتصدى لتفسير كلام الله» للشيخ إبراهيم حفَّار الإباضي[1]، وقد ذكر الشيخ يوسف بن بكير أن للشيخ رسالة مطولة في شروط المفسِّر[2]، ولعله لم يطلع عليها لذا لم يهتد لعنوانها الصحيح، خاصة أنه وَهِم في تسميتها بالرسالة المطولة، وهي لا تتعدى حدود 06 لوحات، ولعل الوهم كان بسبب تسمية المجموع الذي تضمن تلك اللوحات باسم الرسالة:« عمن يتصدى لتفسير كلام الله»، والمجموع عبارة عن فتاوى فقهية وعقدية وسلوكية متنوعة، كان من بينها تلك اللوحات التي أنا بصدد الحديث عنها.

1: الشيخ إبراهيم بن بكير حفار، ولد في القرارة بميزاب عام 1890م، تتلمذ بمعهد القطب الشيخ اطفيَّش ببني يسجن، مكث فيه خمسة أعوام، وقد خصَّه القطب بدرس في غير الوقت العام للطلبة. انتقل إلى تونس وأخذ علم القراءات في جامع الزيتونة، وعند رجوعه من تونس اشتغل بالدعوة والتعليم، ساهم في إنشاء المعهد الجابري، وكان من أبرز الشيوخ به إلى أن توفي. له تآليف كثيرة، توفي سنة: 1954م. انظر:"نهضة الجزائر الحديثة "ج:2 ص: 145/ 147. و"تاريخ بني ميزاب" ص:274.

2: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المطبعة العربية، الجزائر، ط:3، ت: 2014م، ص: 275.

وهاته اللوحات ذكر الشيخ أنها جواب عن سؤال حول "من يتصدى لتفسير كلام الله وحديث رسول الله، ويتعاطى جَلَّ غامضه، وهو صفر الكف من الدراية والرواية، ومن التشبَّع من روح المعقول والمنقول، اللذين هما الشرط الوحيد والأصل الفريد في الدنو من صناعة تفسير القرآن والحديث".[1]

وقد استفتح الشيخ رسالته بالتعريف والتفريق بين التفسير والتأويل، ثم تطرق لشروط المفسِّر، والتي نقلها بتمامها وحرفيا من كتاب:«الإتقان» للسيوطي، ولم تظهر فيها أي زيادة أو نقصان، فضلا عن تحليل أو تبيان.

ثم انتقل للأخذ عن الغزالي من إحيائه ثم أبي حيان من تفسيره ثم الزركشي من برهانه، فكانت الرسالة من بدايتها إلى نهايتها تركيبا ولصقا للكلام، وختمها بنصيحة –زهدية– تحذيرية من الخوض في التفسير بغير علم، وعن التفسير بالرأي المذموم شرعا.

وهي بهذا الوصف لم تكن ذات فائدة علمية أو بصمة تجديدية في هذا الموضوع من شروط المفسِّر، بل كان ناقلا لا غير، مُباينا بمنهجه هذا الإمام السنوسي في رسالته:«نزهة الجنان» مباينة تامة.

ويهدف كل ما تم بحثه آنفا، إلى إيجاد أسلوب وطريقة لكيفية التعامل مع الألقاب المدحية المتناثرة في تراث الأمة التراجمي عموما والتراث الجزائري خصوصا، والذي حوى في ترجمة العَلَم الواحد عشرات الألقاب كالمؤرخ والنحوي والمحدث والمفسِّر واللغوي والفقيه وغيرها، وهي فنون وعلوم متباينة لا يستطيع الباحث "المعاصر" تحديد تخصص العَلَم الذي يبحث فيه أو عنه، ونظرة في كتاب « البستان» لابن مريم، أو «تعريف الخلف برجال السلف» للحفناوي، أو «عنوان الدراية» للغبريني وغيرها تنبئك بصدق الملاحظة.

1: مخطوط: عمن يتصدى لتفسير كلام الله، الشيخ إبراهيم حفار، ضمن مجموع لفتاوى الشيخ، من الصفحة:50 إلى 56. نسخة مكتبة الحاج أسعيد محمد بن أيوب، غرداية، دون ترقيم، ووجب التنبيه لفضل الأستاذ والشيخ: بشير بن موسى الحاج موسى، الذي صوَّر لي النسخة، وكان عونا لي ومرشدا في رحلتي حول مخطوطات التفسير بغرداية، فجزاه الله خيرا، وشكر له حسن أدبه وطيب أخلاقه.

وإن كان تبرير ذلك عدم الحاجة إليه زمانهم، ونمطية التلقين والتلقي قديما، وشيوع منهج الإلمام بالعلوم والأخذ منها والتكلم فيها، فإنه بات مطلبا جديا للباحث المعاصر أن يفرّق بين تخصص وتخصص وفنٍّ وفنّ، وما يغلب على الشخصية التي يبحث فيها أو العَلَم الذي يتناوله بالدراسة، إذ البروز والظهور العلمي العام لا يلزمُ منه البروز في عِلم معيَّن من العلوم.

ومنه فإن ضوابط تسمية المفسِّر في دراستي هاته، أربعة ضوابط هي كالآتي:

الضابط الأول: الأهلية، وهي الأهلية التامة للمفسّر للخوض في الكلام عن مراد الله تعالى في قرآنه الكريم، بعد أن استوفى نصاب شروط المفسِّر العلمية والتدينية التي طُرقت سابقا، بقدرٍ من الإحاطة والإلمام الكبيرين.

وقد عرَّف الدكتور حسين الحربي المفسِّر بالقول: "المفسِّر من له أهلية تامة، يَعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته قدر الطاقة، وراضَ نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جملا كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عمليا بتعليم أو تأليف"[1]، كما عرّفه الدكتور مساعد الطيار بالقول:" فظهر لي أن يكون تعريف المفسِّر: من كان له رأي في التفسير، وكان متصديا له"[2]، وتعريف الدكتور الطيار يحتاج لكثير من الضوابط، وفيه نوع استسهال في دخول كل من له رأي زمرة المفسرين وهذا ليس بلازم، إذ كثير من أهل الحديث لهم رأي وآراء في التفسير ولا يمكن اعتبارهم مفسرين.

واخترت تعريف الحربي لشموله ودقته، ويمكن إعادة صياغة التعريف كالآتي: المفسِّر هو صاحب الأهلية التامة والكاملة للحديث عن مراد الله تعالى في قرآنه الكريم بتفسيرٍ أو تأويلٍ، المستوفي الشروط العلمية والتدينية، وصاحب صنعةٍ تفسيرية تدريسا أو تأليفا، تُظهر بصمته وشخصيته التفسيرية.

1: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط:01، ت: 1996م، ج: 01، ص: 33.

2: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطيار، ص: 215.

ويبقى ضابط وحدُّ استيفاء الشروط العلمية والتدينية مرهونا بمدى جدِّية التفسير تأليفا أو تدريسا ومدى ظهور شخصيته التفسيرية فيه وقوة ترجيحاته وبراهينها، والتي تدخل في عموم" جودة ونوعية تفسيره".

الضابط الثاني: التأليف فيه: ولا يُشترط في هذا الضابط تفسيرُ كامل القرآن، بل التفسير الآيي أو السوري أو الكلي سواء، شريطة أن يكون تأليفا تفسيريا بمقاييس أهل التفسير وشروطهم، وإن كان بالعامية، باعتبارها أداة توصيل وأسلوب تواصل بين المفسِّر والمتلقي، كصنيع الشيخ المحجوب[1] في تفسيره، وسواءً كان التأليف نثرا أو نظما، في التفسير أو في أحد مباحثه وعلومه وفنونه.[2]

الضابط الثالث: التدريس فيه، بعقد الحلقات والمجالس العامة أو الخاصة في المساجد أو الزوايا أو المكتبات لتدريس هذا الفن أو علومه، شريطة ظهور شخصيته في دروسه التفسيرية، إذ التلاوة للتفسير وقراءته فقط ليس تفسيرا ولا مساهمة منه في علم التفسير، وبالرغم من صعوبة تحرير هذا القيد لغياب المادة العلمية والتاريخية التي نثبت من خلالها هذا الأمر أو ننفيه، إلا أنه اعتُمد كضابط قد يوجد عند مفسِّر دون آخر بحسب المادة العلمية الموجودة، مع ضرورة التنويه إلى ندرة المصادر التي تحدثت عن تفاصيل الدروس التفسيرية للأعلام الجزائريين.

الضابط الرابع: شهادة عَلَمين اثنين من الأعلام، أي بأن يشهد له عَلَمين اثنين من الأعلام بالتضلع في التفسير وقدرته في هذا الفن، للخروج من آفة الألقاب المدحية التي كانت تكال وتنسب للأعلام دون ضابط أو روية، ولفك إشكالية جملة: العَلَم المشارك في الفنون، وهي "الصفة" التي ما خلت منها ترجمة غالبا، خاصة قولهم: مشارك في العلوم، وهي جملة مُشْتَبَهة تحمل دلالاتٍ كثيرة، لا يمكن من خلالها إثبات تضلع العَلَم في التفسير.

1: أحد أعلام الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري، الذين خدموا التفسير تأليفا، وكان تفسيره بالعامية، وسيتطرق له بالشرح والبيان في موضعه.

2: إن كان العمل في أحد علوم التفسير أو مباحثه، اشترطت أن يكون قد أشير إليه بأنه من المفسرين.

لذا فإني أخرجت الكثير من الأعلام الذين أُشِير لهم في كتب التراجم على أن لهم مشاركة في التفسير، أو وصفوا بالمفسرين دون دليل على ذلك، إلا تزكية وألقابا مدحية كيلت لهم.

ومن أمثلة ذلك:

- الإمام علي بن موسى أبو الحسن المطغري المتوفى سنة:951هـ، إذ لم أجد في ترجمته ما يشير إلى كونه متخصصا في التفسير أو حتى مشاركا فيه، لا تدريسا ولا تأليفا، لذا فقد أغرب الدكتور عادل نويهض حينما قال في ترجمته:" المطغري، أبو الحسن فقيه مالكي من كبارهم، له مشاركة في علوم التفسير والعربية والحساب والفرائض".[1]

قلت: ولم يشر إلى هذه المشاركة كلٌّ من ترجم له، كصاحب «نيل الابتهاج» و«شجرة النور» و«تعريف الخلف» و«دوحة الناشر» وغيرهم، وغاية ما وجدتُ في ترجمته أنه "قارئ دروسه – أي ابن غازي[2]– في «المدونة» و«الموطأ» و«العمدة» والتفسير وخليل والعربية"[3]، وليس هذا بدليل على مشاركة الرجل في التفسير أو علومه.

- محمد شقرون الوجديجي التلمساني أبو عبد الله المتوفى سنة:983هـ، الذي أشار له ابن مريم في «البستان» على أنه:" مشارك في فنون عديدة منها علم التفسير"[4]ولم أجد غيره أشار لهذه المشاركة في علم التفسير فضلا عن وصفه بالمفسِّر، وهو بهذا يحتاج لشهادة عَلَمٍ ثان ليدخل في زمرة من انتقيته من أعلام

1: معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02، ت:1980م، ص: 305.

2: محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، أبو عبد الله، مؤرخ حاسب فقيه، من المالكية، من بني عثمان وهي قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون، ولد بها وتفقه بها وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، استقر بفاس وتوفي بها سنة: 919هـ. له تآليف منها: " الروض الهتون في أخبار مكناسة". انظر: "الأعلام" ج:05، ص: 336. "فهرس الفهارس" ج:01، ص:288.

3: ذكرها له صاحب «نيل الابتهاج» (305/1)، ونقلها عنه بتمامه صاحب «تعريف الخلف» (280/2).

4: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:2014م، ص: 448.

التفسير الجزائريين، كما أن كونه تلميذ الإمام المفسِّر النوازلي أبو مروان عبد الملك البرجي الأندلسي[1]، ليس بدليل على أنه مارس التفسير كما وَهِم بعضهم فوصفه بالمشارك في علم التفسير.

– أبو الحسن الغربي القسنطيني[2] المتوفى ما بعد 988هـ، ويُستدل به هنا في عدم أهليته للتفسير وعدم استيفاء شرط الأهلية العلمية، وقد ذكره الفكون في «منشور الهداية» وترجم لوالده أبو الفضل، ثم قال:" وأما ولده فتصدر للإفتاء بالمدينة المذكورة زمن الجد عبد الكريم ودرَّس بها، وذُكر أنه تصدى للتفسير، وكان الغالب عليه فن الحساب والتعديل، وله مخالطة بالمنطق، وأخبرني جمع كثير ممن يقتدى بقوله أنه لا باع له في العلم إلا شهرة أسلافه أورثته المنصب المذكور".[3]

– محمد بن سعيد قدورة، أبو عبد الله المتوفى سنة:1107هـ، فبالرغم من شهرته التي فاقت الآفاق، إلا أني لم أجد من وصفه بالمفسِّر غير ابن المفتي[4] في تقييداته إذ يقول:" العالم الفقيه القدير المفسِّر المحدِّث"[5]، ولم يذكر غيره ممن ترجم له أنه من المفسرين، وعلى الرغم من أنه كان شيخ ابن زاكور الفاسي[6] وذكره مطولا في رحلته، وأورد إجازته له في «نشر أزاهر البستان»[7] إلا أنه لم يذكر أي صلة له بالتفسير أو علومه.

1: جاء في ترجمته في "دوحة الناشر": الشيخ الفقيه الراوية خاتمة العلماء التونسيين أبو عمران عبد الملك البرجي الأندلسي، أحد أشياخ شيخنا أبي عبد الله بن هبة الله، ورد على تلمسان وبها استقر إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة، كان جليل القدر كبير الشأن رحمه الله". انظر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط:02، ت: 1977م، ص: 133.

2: لم أجد له ترجمة، ولم يُذكر إلا في كتاب «منشور الهداية» للفكون وبإيجاز، كما لم أهتد لاسمه الكامل.

3: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1987م، ص: 56.

4: قام الدكتور أبو القاسم سعد الله بدراسة وافية عن ابن المفتي وكتابه التقييدات، انظرها في "تاريخ الجزائر الثقافي"ج:2، ص: 366.

5: تقييدات ابن المفتي، ابن المفتي حسين بن رجب، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط:1، ت:2009م، ص: 98.

6: محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد، ابن زاكور الفاسي، أبو عبد الله: أديب فاس في عصره، مولده ووفاته فيها، زار الجزائر وأخذ عن أعلامها كمحمد سعيد قدورة وغيرهم، من كتبه "المعرّب المبين بما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين" و "إيضاح المبهم من لامية العجم " وغيرها، توفي سنة:1120هـ. انظر:"فهرس الفهارس" ج:1، ص:185. "نشر أزهار البستان" ص: 13.

7: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خ، ت:2011م، ص: 69.

– محمد بن عبد الله بن أيوب، المنور التلمساني، أبو عبد الله، المتوفى سنة:1173هـ، وصفه الورثيلاني في رحلته بالقول:" العالم المؤمل، الفقيه المفسِّر"[1]، ولم أجد غيره ممن ترجم له أو ذكره بالاشتغال بالتفسير أو علومه، وقد ذكره الإمام الكتاني في فهرسته[2] ولم يذكر أي صلة له بالتفسير وعلومه على كثرة إيراده له في كتابه، وقد غاب هذا العَلَم عن كتب التراجم المشهورة.

وتجدر الإشارة إلى أمرين اثنين:

الأول: أن البون كبيرٌ بين من قَصَد من الأعلام التفسير كفنٍّ وعِلمٍ مستقلٍ للتدريس فيه أو التأليف، وبين من كان التفسير أحد الملح التي كان يزين بها حلقاته اللغوية أو الحديثية أو الفقهية، وكمثال عن ذلك: الإمام عبد الكريم الفكون، أبو محمد المتوفى سنة: 1073هـ، والذي كان يعقد مجالسه في النحو واشتهر بها، ولكنه يعرج على التفسير كمبحث استدلالي فقط، لذا وجدتُ أن الدكتور أبو القاسم سعد الله قد أشار إلى أن معظم الفنون التي كان يُدرِّسها –الفكون– لطلابه هي النحو والتفسير والفقه[3] أثناء شرحه على ابن الحاجب، وأنه مشارك في العلوم مختص في النحو، وأن سبب اختصاصه في هذا العلم هو قلة المشتغلين به في تلك الفترة، وصعوبته كعلم وقلة الأساتذة المدرسين له[4]، وهذا ليس بدليلٍ على أنه كان صاحب صنعة تفسيرية فضلا عن أن يكون مفسِّرا.

1: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، تحقيق: محمد بن أبي شنب،ط:01، ت:2008م، ج:1، ص: 361.

2: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت: 1982م، ج:1، ص: 121.

3: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ص: 11.

4: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 1986م، ص: 118.

كذلك ما أشار إليه الدكتور أبو القاسم سعد الله من أن الإمام أبو مهدي عيسى الثعالبي صاحب الموسوعة العلمية الحديثية الكبيرة المخطوطة «كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع»[1] أنه من مفسِّري القرآن الكريم في دروسه[2]، فقد كان تعاطيه للتفسير وبعض علومه عَرَضًا أثناء حلقاته الحديثية المشتهرة آنذاك، ولم أجد عند كل من ترجم له أنه مفسِّرٌ، أو أنه عقد مجالس وحلقات للتفسير وعلومه.

الثاني: لم أعتدَّ بهذه الضوابط المحدِّدة لاسم المفسِّر فيمن كان قبل الحقبة العثمانية، بل أوردت في مبحث حركة التفسير في بلاد الجزائر من البدايات إلى العهد العثماني، كل من أشير إليهم أنهم مفسرون أو لهم مشاركة في علم التفسير دون تنقيح، كونهم خارج نطاق زمنية الدراسة.

وينبغي التنبيه في كون العَلَم من أعلام الجزائر إلى ثلاثة أمور رئيسة مهمة في هذه الدراسة:

الأول: أنه يشترط في العَلَم أن يكون جزائري النَّسب والأصل، وإن لم يكن من مواليدها كالإمام عبد الرحمن المنجري[3] المتوفى سنة:1179هـ، والذي سكن فاس ووُلد بها، والإمام محمد الخضر حسين المتوفى سنة:1377هـ، الذي سكن تونس ووُلد بها أيضا –والثاني خارج عن زمنية الدراسة وهو للتمثيل فقط–.

الثاني: لم أجعل من الوفاة في أرض الجزائر والمكث فيها مطولا دليلا على "جزائرية العَلَم"، فالإمام محمد بن علي الخروبي الطرابلسي[4] المتوفى سنة:963هـ صاحب تفسير «رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير

1: لأبي مهدي عيسى الثعالبي الجزائري، المتوفى سنة: 1080هـ، أحد رجالات الحديث، والكتاب اعتبره العياشي صاحب "الرحلة"(132/2): "نادرة الوقت ومسند الزمان" بعد أن أجازه فيه الثعالبي، وأشار الكتاني إلى أن نسخة من الكنز ناقصة كانت بالمدينة المنورة وقف عليها هناك عند السيد محمد أمين رضوان المدني، وأنه ظفر منه بالمجلد الأول، وقال:"هو عندي عليه خط مؤلفه بالمقابلة والتصحيح". منه نسخة بخط مشرقي بمكتبة الزاوية الحمزية، برقم:192 مجموع، بالمغرب. ونسخة بعنوان مغاير بدار الكتب المصرية برقم:286، بعنوان: "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد".

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م، ج:2، ص:15.

3: أحد أعلام التفسير الجزائريين في القرن الثاني عشر الهجري، ويتطرق له في مبحثه.

4: الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، فقيه الجزائر في عصره، مفسر، محدث من كبار العلماء. ولد في قرية قرقارش من قرى طرابلس الغرب عاش بالجزائر وولي الخطابة بها، وفي سنة 959هـ دخل المغرب الأقصى سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين أبي عبد الله المهدي

القرآن»[1]، طرابلسي الأصل والنَّسب نشأ بأرض ليبيا، ثم بعد زمن طويل التحق بالحاضرة الجزائرية وأقام بها، فلم أعتد به كعَلَم من أعلام الجزائر وإن طال مقامه بها وكانت وفاته فيها.

الثالث: أن ولادة العَلَم في أرض الجزائر ونشأته فيها لسنوات وتحصيله العلمي والثقافي من حواضر الجزائر وعلمائها، مع تيقن نسبه وأصله غير الجزائري، يدخله في زمرة وثلة السادة أعلام الجزائر من المفسرين، كمحمد بن سعيد قدورة، أبو عبد الله المتوفى سنة:1107هـ، التونسي الأصل، والجزائري المولد والنشأة والتعلم والتعليم.

الشريف الحسني، فزار فاس ومراكش. مات بالجزائر العاصمة وخلف خزانة من كتب العلم. له: "رسالة ذوي الإفلاس الى خواص أهل فاس" و"شرح صلاة ابن مشيش". انظر:"معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص: 132."شجرة النور الزكية"ج:1، ص:411.

1: حُقق كرسالة دكتوراه للطالب: إسماعيل إسماعيل الربه، سنة:1996، بجامعة الأزهر الشريف، ونوقشت مجزأة بين مجموعة من الطلبة كرسائل ماجستير بجامعة الأزهر أيضا وهم:

1: سورة الصافات إلى آخر غافر، نور محمد علي المكاوي، سنة: 2002. 2: سورة المؤمنون والنور والفرقان، أبو الفتوح عبد ربه إبراهيم، سنة: 2002. 3: سورة الأحزاب وفاطر وسبأ ويسن، رمزي محمد إبراهيم، سنة: 2003. 4: سورتي المائدة والأنعام، جودة محمد أبو اليزيد المهدي، سنة: 1995. 5: سورة يوسف إلى الحجر، محمد طه دياب علام، سنة: 2003. 6: سورة الذاريات إلى الحشر، محمود أحمد غلوش، سنة: 2003.

المبحث الأول: حركة التفسير في بلاد الجزائر، من البدايات إلى العهد العثماني.

لا ينفك الحديث عن حركة التفسير ببلاد الجزائر أوائل عهدها، عن الحديث عن الفتح الإسلامي[1] لهذه الديار، والبعثات العلمية التي أُرسلت تباعا من طرف خلفاء المسلمين الفاتحين، صحابة[2] كانوا أم تابعين، ودخول القرآن الكريم وافتتاح عهد الكتاتيب لتعليم القرآن للمسلمين الجدد وأبنائهم.

والناظر في السرد التاريخي للفتح الإسلامي ببلاد المغرب العربي، يلحظ وبجلاء أثر صنيع عقبة بن نافع بعد استتباب الأمر له، بخطه لمدينة القيروان سنة:50هـ، وبناء مسجدها الكبير الذي كان له البصمة العظيمة والبالغة في بث روح الإسلام الحق، وتعاليمه الطاهرة وتثبيتها بعد تكرر الردة[3] والتمرد من أهل تلك البلاد، فغدا مرتكزا حقيقيا لنشر وبث العلوم الشرعية بين أوساط الناس، ومحاولة جادة لترسيخ القيم الإسلامية بنشر العلم والدعوة في أوساط مرتاديه الجدد.

1: لأجل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، انظر:"البيان المغرب" لابن عذاري، "الموجز في تاريخ الجزائر" يحي بوعزيز، "المختصر في تاريخ الجزائر"صالح فركوس، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" مبارك الميلي، "المغرب في حلي المغرب" لابن سعيد المغربي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي، "فتوح مصر والمغرب" لأبي القاسم المصري، وغيرها كثير.

2: ذكر أبو زيد الدباغ في معالمه، أن عدد الصحابة الذين فتحوا بلاد المغرب العربي، مع عبد الله بن أبي السرح أو غيره ثلاثون صحابيا، ثم أردفها "باثني عشر من صغارهم ممن ولد على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، وبعضهم رآه ولم يسمع منه". انظر:"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت: 1968م، ج:01، ص: 160-161.

قلت: وهو غريب إن صحت رواية أن جيش ابن أبي السرح فاق العشرين ألفا، وأن أكثرهم من الصحابة، يقول أبو العرب:"ومضى من أصحاب رسول الله ﷺ، من المهاجرين ناس كثير". انظر: طبقات علماء إفريقية، أبو العرب المغربي الإفريقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص: 15.

3: لم تكن ردة بقدر ما كانت تمردا على السلطة التي أسرفت في القتل دون مبرر واضح، أو أنها كانت قادرة على تجنب ذلك التوسع في القتل، يقول الدكتور عبد الكريم غلاب: "ولم تكن ردة وإنما كانت تمردا، فقد وضعت هذه الأحداث الإسلام في موقع التشكك، قد يكون ذلك ناتجا عن التناقض الذي وجده البربر بين ما يقوله الإسلام كما أخذوا يتعلمونه من العرب الفاتحين، وما يقوم به هؤلاء الفاتحون من حروب دموية كانوا في غنى عنها"."قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي"، ج:01، ص: 126. قلت: وهو بهذا النص والفهم يفند مقولة ابن أبي زيد القيرواني الذي تبعه فيها ابن خلدون من أن البربر ارتدوا ثنتي عشر مرة، وسبب ذلك تداخل مفهوم الحرب ومفهوم الردة واعتبار الحرب من البربر ردة عن الإسلام، وهو ملحظ جميل لمن تدبر.

ومما زاد في نشاط الحركة العلمية في ربوع القيروان كونها العاصمة السياسية لدولة المغرب العربي، وهو ما ألبسها ثوب المهابة والاحترام وجعل منها قبلة للعلماء والصلحاء والأدباء والفقهاء.

كما أن اعتبارها البلد الذي أسَّسه صحابة رسول الله ﷺ، وآخر ما دخلوه من بلاد المغرب، هيأها لدور الريادة العلمية والثقافية في إفريقية حيث غدت"منبع الولاية والعلوم، وهي لأهل المغرب أصل كل خير، والبلاد كلها عيال عليها، فما من غصن من البلاد المغربية إلا منها علا، ولا فرع في جميع نواحيها إلا عليها ابتنى، كيف لا ومنها خرجت علوم المذهب، وإلى أئمتها كل علم ينسب ولا ينكر هذا خاصٌ ولا عام، ولا يزاحمها في هذا الفضل أحد على طول الأمد والأيام".[1]

وخُطة تأسيس المساجد[2] في الحضارة الإسلامية هي خطة محكمة، القصد منها استحداث مركز روحي ثقيل يكون ممهدا للعلم والتعليم، ومنطلقا روحيا يربط المتعلم بأصله الديني الإسلامي قبل أي شيء، ويجعل منه ومن رواده نقلة للعلم الشريف إلى أهليهم وأقاربهم، فمن المسجد انطلقت الدعوة بين أهالي المغرب، وأقبل الناس عليه لتلقي العلوم الإسلامية والرجوع إلى أهلهم بعد ذلك لتلقينهم إياها، هذا بالإضافة إلى أولئك المعلمين العرب أو البربر الذين كانت ترسلهم الدولة إلى الأقاليم المختلفة لتعليم الناس بعد أن يكونوا قد تكونوا في العاصمة، لذا انتشرت الكتاتيب في القيروان مع بدايات الفتح الإسلامي، وعندنا نص تاريخي قديم يثبت ذلك التاريخ، فقد رُوي عن غياث بن أبي شبيب[3] أنه قال:"كان سفيان بن وهب[4] صاحب

1: معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، دار الأندلس الجديدة، مصر، ط: 01، ت:2008 م، ص:416-417.

2: معظم الدارسين لتاريخ القيروان يجعلون مسجد القيروان أول منابع العلم والتعليم في إفريقية، خلافا لأبي زيد الدباغ الذي ذكر أن "مسجد الأنصار" هو أول المساجد القيروانية، وأنه وُضِع واختُط قبل القيروان بسنوات، وذكره أولا في مساجد القيروان السبعة القديمة الفاضلة، وأنه أولها في الفضل والوضع. انظر: "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" أبو زيد الدباغ، ج:01، ص: 27.

3: لم أجد له ترجمة.

4: سفيان بن وهب الخولانيّ أبو أيمن قال أبو حاتم: له صحبة، وقال ابن يونس: وفد على النبي ﷺ، وشهد فتح مصر، وولي إمرة إفريقية في زمن عبد العزيز بن مروان، ومات سنة اثنتين وثمانين. وروى عن عمر والزّبير وغيرهما. روى عنه بكر بن سوادة وعبد الله بن المغيرة=

رسول الله ﷺ يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه"[1]، وكان سفيان بن وهب قد دخل القيروان أول أمره سنة:60هـ أي بعد الانتهاء من تأسيس القيروان بخمس سنوات، وهو دليل على ظهور الكتاتيب في تلك المرحلة المتقدمة.

كما أن الفاتح عقبة بن نافع قد أولى اهتماما بالغا بالقرآن الكريم من خلال وصاياه لأبنائه فقد" أوصى أولاده بأن لا يقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة، ولا يكتبوا ما يشغلهم عن القرآن"[2]، وترك حين أراد العودة لبلاد المشرق جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين، وجعل على رأسهم شاكر بن عبد الله الأزدي[3] صاحب الرباط المشهور[4]. وهي حركة شبيهة بالبعثة العلمية والتي يمكن اعتبارها أول بعثة علمية أسندت لكبار التابعين في تلك المرحلة، ركزت على تعليم الأصلين من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وقد أعقبتها ثلاث بعثات علمية كبيرة:

الأولى: وهي التي استبقاها حسان بن النعمان الغساني في حربه الثانية التي قَتَلَ فيها الكاهنة في شهر رمضان من سنة:82هـ، والتي بها ضمن ولاء البربر وعدم نقضهم للعهد معه، فأراد تثبيت ملكه وتوطين دعائم الإسلام فيهم بترك بعثة علمية تنشر فيهم المفاهيم الصحيحة، فلم يغادرهم حتى حسن إسلامهم،

=وأبو الخير، وأبو عشّانة وغيرهم. وله في مسند أحمد حديث، وقال ابن حبّان: من زعم أنّ له صحبة فقد وهم، أورد الذهبي تاريخ وفاته سنة:91هـ. انظر: "الإصابة في تمييز الصحابة"،110/3. "سير أعلام النبلاء"،452/3-453.

1: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 01، ت: 1992 م، ج: 02 ص:631. ولم تذكر "الكتاتيب" في الروايات المشتهرة إلا ما كان منها في "الاستيعاب" لابن عبد البر، و"معرفة الصحابة" لابن منده، ص:770.

2: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، ت: 2003م، ج: 02، ص: 118.

3: شاكر بن عبد الله الأزدي من قبيلة أولاد زيد من مواليد منطقة ياشير شرق الجزائر، أتي برفقة عقبة بن نافع الفهري من الجزائر لما جاء إلى المغرب فاتحا بعدما تم الفتح الإسلامي للجزائر في القرن الأول من الهجرة، ومكث في بلاد آسفي غرب المغرب الأقصى. انظر "البيان المغرب"ج:1، ص: 42.

4: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط:03، ت: 1983.ج:01، ص: 42.

ومصدر هذه البعثة هو نص عبيد الله بن صالح الذي يقول عنها:"ووَلِي أولاد الكاهنة يفرن وبزديان كل واحد منهم على ستة آلاف، وترك معهم ثلاثة عشر رجلا من علماء التابعين يعلمون لهم القرآن وشرائع دينهم، فرجع حسان إلى القيروان وذلك سنة اثنتين وثمانين من الهجرة"[1]، وهي بعثة علمية كان عدد شيوخها معلوما، بل وحتى وظيفتهم المنوطة، والتي كان مكانها أرض المغرب الأوسط" الجزائر" التي سكنتها الكاهنة، واختلف المؤرخون في ضبط مكانها بالتحديد، فذكر ابن خلدون أن تلك المنطقة هي جبل أوراس.[2]

الثانية: وهي البعثة التي بثَّها القائد موسى بن نصير حين انتهائه من فتح بلاد طنجة من المغرب الأقصى سنة:92هـ، والتي يقول فيها ابن عذاري:"ولما حمل أبو مدرك زرعة بن أبي زرعة رهائن المصامدة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم إلى أفريقية والمغرب، وكانوا على طنجة وجعل عليهم مولاه طارقاً، ودخل بهم جزيرة الأندلس وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلاً من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام"[3]، وهي بعثة معلومة الهدف، غير أن تعداد العلماء المتروكين من قبل القائد قد اختلف فيه، فالرقيق القيرواني يخبر أن عددهم "سبعة وعشرين رجلا من العرب"[4]، وأن إسلامهم قد حسن كثيرا، وفي نص عبيد الله بن صالح موافقة لرأي ابن عذاري حيث يقول:"وولى عليهم طارق بن زياد، ورجع إلى إفريقية، وترك معهم سبعة عشر رجلا من العرب يعلمون لهم القرآن وشرائع الإسلام، وتم إسلام أهل المغرب الأقصى فأسلموا كلهم إسلاما صحيحا الذي كانوا عليه اليوم، وذلك قريبا من سنة:90 من الهجرة ".[5]

وأيا كان العدد فإنهم اتفقوا على حسن إسلام البربر بعد تلك البعثة.

1: مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، نشره في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، ط:2، ت: 1954م، ص: 223.

2: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2، ت:1988م، ج:4، ص:239.

3: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ج:01، ص: 42 .

4: تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، تونس، ط:1، ت: 1994م، ص: 52.

5: مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، ص: 224.

الثالثة: وهي بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز، المشتهرة في تاريخ المغرب العربي، والتي كان قوامها عشرة– وقيل تسعة– من أفاضل التابعين وأعلمهم، واشتُهرت هذه البعثة بين المؤرخين لما لها من أثر وصيت بين أوساط بلاد البربر وإفريقية، ولأنها أكبر البعثات ترسيخا للإسلام وتعميما لانتشاره وتفقها لفروعه وأصوله، وهؤلاء العشرة المباركون هم: – أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الإفريقي الحبلي.[1]– إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري المعروف بتاجر الله[2]. – عبد الرحمن بن رافع التنوخي.[3]– أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمر الرُّعيني ثم القتباني.[4]– طلق بن جعبان الفارسي.[5] – أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي.[6]

1: عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي أبو عبد الرحمن، دخل القيروان في زمن مبكر، ولعل ذلك كان مع موسى بن نصير سنة 86هـ لأنه شهد فتح الأندلس، ثم عاد إلى القيروان وسكنها وبنى بها داراً ومسجداً ثم عين ضمن أفراد البعثة العلمية إلا أن وفاته كانت سنة 100هـ، أي بعد سنة واحدة من التكليف الرسمي، أجمع النقاد على توثيقه. انظر"تهذيب التهذيب"ج: 6، ص:81-82."معالم الإيمان" للدباغ، ج:1، ص: 180.

2: إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري مولى لهم، المعروف بتاجر الله، روى عن ابن عباس وابن عمر، وروى عنه من أهل إفريقية: بر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم، سكن القيروان وانتفع به خلق كثير، وبنى المسجد الكبير المعروف بجامع الزيتونة، سنة:91هـ، وكان يصلي به ويعمره، ولم يزل مقيما بالقيروان حتى حضرته نية في الجهاد، فخرج في مركب فغرق في البحر فمات وهو معانق للمصحف، وذلك سنة:107هـ. انظر:"معالم الإيمان" للدباغ، ج:1، ص: 191-192.

3: عبد الرحمن بن رافع التنوخي أبو الجهم، دخل القيروان في وقت مبكر سنة: 80هـ، وهو أجلّ قضاتها، وذلك على عهد حسان بن النعمان واستمر يبث فيها العلم ما يقارب ثلاثاً وثلاثين سنة، حدَّث عنه من القرويين: عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وعبد الله بن زحر الكناني، وغيرهم، وهو أول من ولي قضاء القيروان وتوفي بها سنة: 113هـ. انظر:"معالم الإيمان" للدباغ، ج:1، ص: 198.

4: جُعثلُ بن عاهان الرُّعيني القتباني، أبو سعيد، عدَّه أبو العرب وابن حجر وغيرها في التابعين، تولى قضاء الجند بالقيروان وبث فيها علماً كثيراً لمدة زادت عن خمسة عشر عاماً، وروى عنه من أهل القيروان عبيد الله بن زحر، وعبد الرحمن بن زياد، وبكر بن سوادة وهو زميله في البعثة العلمية، وثقه أكثر النقاد، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 115 هـ. انظر: "تهذيب التهذيب"ج: 2، ص: 79.

5: طلق بن جعبان الفارسي، وقيل: جابان والصواب الأول كما في "الإكمال"، تابعي، لقي عمر وسأله، وأكثر روايته عن التابعين كان فقيهاً عالماً، وروى عنه من أهل القيروان: موسى بن علي، وعبد الرحمن ابن أنعم، وروى عنه من أهل مصر: يزيد بن أبي أيوب، ولم يذكروا مدة إقامته بها ولا تاريخ وفاته. انظر" الإكمال" لابن ماكولا،ج:2،ص:108."معالم الإيمان" ج:1، ص: 215.

6: سعد بن مسعود التجيبي، أبو مسعود، يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو الدرداء، سكن القيروان وبث في الشمال الإفريقي علماً كثيراً، وكان شديداً على الأمراء، روى عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبد الرحمن بن زياد، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدباغ أنه توفي بالقيروان بعد أن بث فيها علماً كثيراً، ولم يذكر تاريخ وفاته. انظر"معالم الإيمان"ج:1، ص: 184.

– حبان بن أبي جبلة[1]. – بكر بن سوادة الجذامي.[2]– إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي.[3] – موهب بن حي المعافري.[4]– واختلف في عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني.[5]

وهي بعثة منتقاة على أساسٍ من التقوى والصلاح والعلم، فنحن"إذا تأملنا في هذا العقد الثمين، تبين لنا أن فرائده قد جُمِعت من أنساب مختلفة، من المهاجرين والأنصار والعدنانية والقحطانية ومن القريح والموالي ومن العرب، فلم يجمعهم إلا وصف الفقه في الدين".[6]

وقد كان لهذه البعثة التعليمية العلمية، أثرٌ كبيرٌ في تفقيه أهل المغرب أمر دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم، بأن استوطنوا تلك الديار، حيث"اختط كل واحد منهم دارا لسكناه وبنى مسجدا بحذائها لعبادته

1: حبان بن جبلة القرشي مولاهم، أدخل في الشمال الإفريقي حديث جملة من الصحابة، وبقي يبث العلم في القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة، أنتفع به أهلها، وروى عنه كثيرٌ منهم، كعبد الرحمن بن زياد، وعبيد الله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح وغيرهم، وهو عند النقاد ثقة في حديثه، توفي سنة: 125هـ وقيل 122هـ بالقيروان. انظر:"معالم الإيمان" للدباغ، ج:1، ص: 209.

2: بكر بن سوادة الجذامي، أقام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة محدثاً ومفتياً، وفقيهاً وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل على القيروان حديث عدد من الصحابة، وروى عنه كثير من أهل القيروان، وكان ثقة في حديثه، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها سنة: 128هـ. انظر:"مدرسة الحديث بالقيروان"ج:2، ص: 14-22. "معالم الإيمان" ج:1، ص: 211.

3: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، ولاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية في المحرم سنة:100هـ فكان خير أمير، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد، وغيرهم. ومكث في القيروان معلماً للناس ناشراً للسنة، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة:131هـ. انظر:"معالم الإيمان"ج:1، ص: 203.

4: موهب بن حي المعافري، غزا إفريقية قديماً، لأنه سأل ابن عباس المتوفى سنة 68هـ عن آنية أهل المغرب كما في "الرياض" و"المعالم"، وهو من أفراد بعثة عمر، وقد سكن القيروان، وبث فيها علماً كثيراً وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلى القيروان حديث ابن عباس وغيره، وروى عنه من أهل القيروان كثير، ولم تظهر المصادر حاله من حيث التعديل والجرح. انظر:" معالم الإيمان"ج:1، ص:213.

5: عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني، كان مقيماً في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبد العزيز بمدة طويلة معروفاً لدى أهلها مشهوراً بينهم بالعدالة والتقى، وقد ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء القيروان سنة:99هـ، فاستمر في منصبه إلى أن استقال منه سنة 123هـ، ذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه المصنفون بالفضل والعلم والدين. توفي بعد: 123هـ. انظر: "معالم الإيمان"ج:1، ص: 210-211.

6: أعلام الفكر الإسلامي، محمد الفاضل ابن عاشور، ص: 13.

ومجالسه، واتخذ بقربه كُتَّابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية لصغار أطفال البلد، وأشاعوا الرشد وعلموا الحلال والحرام وحرصوا على الأمن والتآخي والمواساة، فكان إسلام البربر نهائيا من آثار هذه البعثة الكريمة".[1]

ثم توافد الكثيرون على بلاد المغرب والقيروان، ولم يقتصر الأمر على البعثات الرسمية من الولاة فقط، بل أصبح قصدها لأجل الجهاد ومساعدة أهلها على البقاء على دينهم وتثبيتهم عليه مظهرا دينيًّا تدعو له الأخوة الإسلامية، خاصة بعد أن نالت قضية البربر اهتماما واسعا في دوائر الخلافة وأروقتها ببلاد الشام، وظهرت الفرق الإسلامية بها كالخوارج وغيرهم، فهذا أبو عبد الله علي بن رباح اللخمي[2] الذي قدم المغرب غازيا مجاهدا، وسكن القيروان واختط بها دار ومسجدا صغيرا، فانتفع به أهل القيروان انتفاعا عظيما وتزودوا من علمه كثيرا، خاصة أنه روى حديث رسول الله ﷺ عن ثلة كبيرة من الصحابة الكرام.

وبدخول القرآن الكريم لتلك الديار، وتدريس علومه من قبل أولئك العلماء والفقهاء، دخل علم التفسير لزاما وأصبح يُدرَّس في تلك الكتاتيب ويُسمع ضمن رواية الحديث، إذ كان التفسير في هذه الفترة يأخذ "طابع التلقي والرواية، حيث لم يدون شيء منه في هذا العصر، بل كان فرعاً من الحديث، ولم يتخذ شكلاً منظماً، إنما كانت هذه التفسيرات تُروى منثورة لآيات متفرقة من غير ترتيب وتسلسل لآيات القرآن وسوره، كما لا تشمل القرآن كله".[3]

كما أن ثلاثة من البعثة العمرية الأخيرة كانوا ممن رووا عن ترجمان القرآن الكريم ابن عباس رضي الله عنه وتتلمذوا على يديه وهم: موهب بن حي المعافري وحبان بن أبي جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأنصاري،

1: أعلام الفكر الإسلامي، محمد الفاضل ابن عاشور، ص: 10.

2: علي بن رباح بن قصير بن القشيب اللخمي أبو عبد الله ويقال أبو موسى، روى عن جماعة من الصحابة، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل مصر، قال كان ثقة ولد بالمغرب وكان له من عبد العزيز منزلة ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه أفريقية فلم يزل بها إلى أن مات، ويقال إن وفاته كانت سنة 114هـ. انظر:"تهذيب التهذيب"،ج:7، ص: 319، و"سير أعلام النبلاء"، ج:7، ص: 89.

3: بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله، علي السالوس، دار الاعتصام، القاهرة، ص:93.

أو عن طريق تلامذته كبكر بن سوادة الجذامي الذي روى عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يسار، إذ يمكن اعتبارهم قنوات أولى لدخول علم التفسير لتلك البلاد، وأول من بثَّ هذا العلم الشريف في أهاليها.

ولم تحفظ لنا الوثائق التاريخية أي نص تفسيري كان يُلقَّن ويلقى على مسامع أهل تلك البلاد، إلا ما ذكرنا من تتلمذ بعض العلماء والفقهاء على المدرسة العباسية للقرآن الكريم والذي لزاما قد بثوه فيهم، أو ما حفظته لنا من طريقة حفظ بعض الأهالي للقرآن الكريم، "فقد كان عمر بن يمكتن[1] يحفظ القرآن الكريم عن طريق التعرض إلى القادمين من الشرق، فيكتب لوحه ويحفظ ما فيه، ثم يمحوه ويعود إليهم فيكتب جزءا ثانيا، وهكذا حتى أتم حفظ القرآن"[2]، وهو دليل على ندرة المصاحف في تلك الحقبة، إن لم تكن منعدمة.

كما قد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية وثيقة مهمة، يمكن اعتمادها في معرفة مستوى الخطاب الديني الذي استُعملت فيه الآيات القرآنية بتفسير عام لها، ومدى نفوذه بين الأهالي واستيعابهم لذلك الخطاب التفسيري، وذلك زمن دخول حنظلة بن صفوان[3] لبلاد القيروان سنة:128هـ، وألقى فيهم كلمته حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم، من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة، أما بعد: فإن أهل العلم بالله وكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ قالوا: إنه يرجع جميع ما أنزل الله تعالى إلى عشر آيات، آمرة وزاجرة ومبشرة ومنذرة ومخبرة ومحكمة ومشتبهة وحلال وحرام وأمثال، فآمرة بالمعروف وزاجرة عن المنكر ومبشرة بالجنة ومنذرة بالنار ومخبرة بخبر الأولين والآخرين، ومحكمة يُعمل بها ومتشابهة يُؤمن بها، وحلال أُمر أن يؤتى وحرام أمر أن يجتنب وأمثال واعظة، فمن يُطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة،

1: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والسير.

2: السير، أبو العباس أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ت: 1301هـ، ص: 142.

3: حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشر الكلبي، تولى إمارة مصر باستخلاف أخيه بشر له عليها، فأقره يزيد بن عبد الملك سنة: 119هـ، خرج إلى إفريقية منقذا سنة: 124هـ، ولما قدم منها ليزيد بلغه وفاته وهو بأرض مصر، فرجع لإفريقية، ثم إن هشام بن عبد الملك صرفه عن ولاية إفريقية، وكانت ولايته فيها ثلاث سنين. انظر:" فتوح مصر والمغرب، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، ت: 1415هـ، ص: 249-250. و"تاريخ إفريقية والمغرب" للرقيق القيرواني، ص: 68-72.

ومن يُحلِّل الحلال ويحرم الحرام ويردَّ العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله مع طاعة واضحة ونية صالحة، فقد أفلح وأنجح في حياة الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[1]

ويمكن اعتبار هذه النُّدرة دليلا على قلة الاهتمام بعلم التفسير في تلك المرحلة، مع مزاحمة القضايا الفقهية والعقدية ومسائلهما المتنوعة والمتفرعة للساحة العلمية بل وسيطرتها في حقباتها الأولى، "فلم يحتل التفسير بإفريقية مكانة كبيرة منذ بدأت العلوم الإسلامية تنتشر في البلاد، لعدم حاجة الناس إليه وضعف استعدادهم لممارسته، حتى أن مشاهير المفسرين الإفريقيين لم تكن البيئة هي التي دفعتهم إلى وضع تفاسير اشتهرت بنسبتها إلى إفريقية، بل الأجواء الخارجية من شرقية وأندلسية هي التي بعثت فيهم تلك الهمة".[2]

وقد كان لقدوم عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه، دفعا جديدا لعلم التفسير ببلاد المغرب والقيروان، واعتناق منهجه التفسيري بين رواده وطلابه، حيث كانت له"حلقة درس في آخر مسجد القيروان ينشر فيها العلم"[3]. وكذا قدوم أول داعية للمذهب الإباضي سلمة بن سعيد الحضرمي[4]، وتذهب بعض المصادر أنهما دخلا بلاد القيروان مع بعضهما البعض حيث تقول:"إن أول من جاء يطلب مذهب الإباضية بالمغرب

1: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، أبو بكر عبد الله بن أبي بكر المالكي، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:01، ت: 1951م، ج: 01، ص: 103. وهو ليس كتاب: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي. الذي طبع بتحقيق بشير البكوش، بدار الغرب الإسلامي، سنة: 1983م. فليتنبه.

2: جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، بيروت، دط، ت:1980م، ص: 32.

3: مباحث في علم الكلام والفلسفة، علي الشابي، دار أبو سلامة، تونس، دط، ت:1977م، ص: 165.

4: سلمة وقيل سلامة بن سعد وقيل سعيد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني، صنَّفه الدرجيني في طبقة تابعي التابعين، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن كريمة، هو أول من جاء من البصرة بمذهب الإباضية إلى بلاد المغرب، كان حيا حتى سنة: 135هـ. انظر:"السير" للشماخي، ج:1، ص:91.

سلمة بن سعيد، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس على بعير، سلمة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية".[1]

واقترانُ عكرمة بفكر الخوارج، وعَدِّه من رؤوس الفرقة الصفرية ببلاد القيروان والمغرب، وترويج الخلفاء وبعض العلماء لذلك كان له الأثر السلبي على انتشار تفسيره ونقولاته عن ابن عباس، وهي آثار ممتدة حتى زمن مالك بن أنس الذي لم يرو لعكرمة في موطئه وأسقط ذكره تماما، يقول ابن المديني[2]"لم يُسمِّ مالك عكرمة في شيء من كتبه إلا في حديث ثور الديلي[3] عن عكرمة عن ابن عباس في الذي يصيب أهله وهو محرم، قال: يصوم ويهدي".[4]

وما لبث أن نفر من تلاميذ سلمة بن سعيد الحضرمي طائفة لتعلم أصول المذهب الإباضي بالبصرة على يد شيخه الأول أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[5]، والعودة إلى المغرب لنشره وبثه بين البربر والعرب على سواء، وكان من هؤلاء الطلبة: عبد الرحمن بن رستم[6]، مؤسس الدولة الرستمية ببلاد المغرب الأوسط، الذي انتقل للبصرة سنة:135هـ وعاد منها حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي إلى إفريقية.

1: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، المغرب، ط:02، ت:1406هـ، ص: 46.

2: أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جعفر بن المديني الحافظ، أحد الأعلام الأثبات، كان إماما في معرفة الحديث والرجال والعلل، له نحو مئتي مصنف، توفي سنة: 234هـ، انظر: "سير أعلام النبلاء"11/41-60، "ميزان الاعتدال" 3/138-141.

3: ثور بن زيد الديلي مولاهم المدني، روى عن أبي الزناد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، وعنه مالك وغيره، وكان ينسب إلى قول الخوارج، والقول بالقدر ولم يكن يدعو إلى شيء من ذلك، توفي سنة:135هـ، انظر:"ميزان الاعتدال" 1/373، "تهذيب التهذيب" 2/31-32.

4: أخرجه مالك في الموطأ،(1/384) في الحج باب: من أصاب أهله قبل أن يفيض. رقم :156-157.

5: مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة: فقيه، من علماء الإباضية. أخذ المذهب عن جابر بن زيد، ثم صار مرجعا فيه تشد إليه الرحال وكان أعورا، ويقال له (القفاف). شيخ سلمة بن سعيد الحضرمي حامل المذهب لبلاد المغرب، توفي نحو سنة:145هـ. انظر: "الأعلام"ج:7، ص: 222. " السير" للشماخي، ج:1، ص: 83.

6: عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى، ولد في العراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري، ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس، إلا أن بعض المؤرخين يعيدون نسبه إلى اللذارقة ملوك الأندلس قبل الإسلام، والمهم في هذا أنه سليل بيت الملوك قبل الإسلام=

أولا: المفسرون زمن الرستميين: وتذكر بعض المصادر أن لعبد الرحمن بن رستم تفسيرا للقرآن الكريم ولكنه لم يصل إلينا، وأنه بهذا الاعتبار أول من صنَّف في علم التفسير بالقطر الجزائري[1] في تلك المرحلة المبكرة جدا، بعد تأسيسه للدولة الرستمية المستقلة سنة: 160هـ.

وكثير من المصادر والمراجع التي تكلَّمت عن ظهور التفسير ببلاد المغرب والقيروان، تجعل من «تفسير يحي بن سلام»[2](ت:200هـ) أول تفسير ظهر في تلك الحقبة المبكرة، متناسية بذلك «تفسير ابن رستم»، ولعل للشأن السياسي والتحذير السني والأموي[3]من الخلافة الرستمية والمذهب الإباضي وأنه مذهب الخوارج[4]، واستعمال النصوص الواردة في ذمه، الدور الكبير في هذا التصنيف وتلك الإشادة بتفسير يحي

=سواء كانوا من الفرس أم من اللذارقة، توفي أبوه فتزوجت أمه برجل من أهل المغرب، فأخذها وابنها عبد الرحمن إلى القيروان، فرَّ من ابن الأشعث إلى تيهرت وأسَّس بها دولته التي دامت أكثر من 136 سنة، توفي سنة:171هـ. لمزيد من ترجمته انظر: معجم أعلام الإباضية، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ت: 1421هـ / 2000م، ج:2 ، ص246.

1: "معجم أعلام الإباضية" محمد باباعمي وآخرون، ج:2، ص:248 ،"معجم المفسرين" لنويهض ج:1،ص:265. "الدولة الرستمية" إبراهيم بحاز، ص288- 290. محمد المختار إسكندر في " المفسرون الجزائريون عبر القرون"، ص: 34، "التفسير والمفسرون" محمد الذهبي، ج:02، ص:332."كتاب السير" سعيد الشماخي، ج1، ص:114.

2: هو يحي بن سلام بن أبي ثعلبة أبو زكريا البصري، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري عن الحسن بن دينار وغيره وله اختيار في القراءة من طريق الآثار، نزل بالمغرب وسكن إفريقيا دهراً وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن وليس لأحد من المتقدمين مثله، توفي سنة: 200 هـ. انظر: "غاية النهاية في طبقات القراء"لابن الجزري، 373/2. و"معالم الإيمان" للدباغ، 321/1-327.

3: كرواية سيف بن هارون البرجمي قال: رأيت في المنام في موضع علمت أنه ليست في الدنيا، فإذا أنا برجل لم أر قط أجمل منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا يوسف بن يعقوب، فقلت: قد كنت أحب أن ألقى مثلك فأسأله، قال: سل، فقلت: ما الرافضة؟ قال: يهود، قلت: ما الإباضية؟ قال: يهود. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، دط، ت:1974م، ج:06، ص: 385.

4: جعل الذهبي لقلة تصانيف الخوارج- الإباضية- في التفسير وعلومه أسبابا ثلاثا، وأغفل تماما دور السلطة السياسية في هذا الأمر، فقال: "ما السر فى أن الخوارج قَلَّ إنتاجهم فى التفسير؟ والجواب عن هذا السؤال -كما أعتقد - ينحصر في أُمور ثلاثة وهي ما يأتي:

أولاً: أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، ومن قبائل تميم على الأخص، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه ببداوته، فكانوا لغلبة البداوة عليهم أبعد الناس عن التطور الديني والعلمي والاجتماعي، وكانوا يمثلون الإسلام الأول في بساطته، وعلى فطرته بدون أن تشوبه تعاليم الأُمم الأُخرى. أضف إلى ذلك: احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير، وضيق التصور، والبُعْد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم.=

بن سلام البصري، فقليلة هي المصادر التي ذكرت تفسير ابن رستم، إلا المصادر الإباضية أو التي أرَّخت للدولة الرستمية عند ذكر مؤسسها الأول. وبلغ انتشار تفسير ابن سلام واهتمام الناس به أن كان يُدرَّسُ زمن صاحبه من طرف تلامذته في القيروان، فضلا عن مؤلفه الذي كان يعقد المجالس لتدريسه، كما أشار إلى ذلك ابن الفرضي[1] إذ يقول:"ومحمد بن وضاح الصدفي[2] من أهل شذونة[3] المتوفى سنة:187هـ، رحل إلى المشرق فروى بالقيروان تفسير القرآن ليحي بن سلام"[4]، وابن سلام صاحب التفسير توفي سنة: 200هـ.

=**ثانياً**: أنهم شُغِلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم وكانت حروباً قاسية وطويلة ومتتابعة.. أسلمتهم حروب علي إلى حروب الأمويين، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في حالة تشبه الاحتضار وتؤذن بالفناء، فكان من الطبيعي أن لا تدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف.

ثالثاً: أن الخوارج – مع ما هم عليه من شذوذ – كانوا يخلصون لعقيدتهم، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم، وبه – عند جمهورهم – يخرج الإنسان من عِداد المؤمنين – فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لا يصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله.. وقد سُئِل بعضهم: لِمَ لَمْ تُفسِّر القرآن؟ فقال: "كلما رأيت قوله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوتين} [الحاقة: 44-46] أحجمت عن التفسير". من أجل هذا كله لم يكن يُنتظر من الخوارج أن يُؤلِّفوا لنا في التفسير كما ألفَ غيرهم، وليس التفسير وحده هو الذي حُرِم من تصنيف الخوارج وتأليفهم، بل كل العلوم فى ذلك سواء، وما وُجِد لهم من مؤلفات في علم الكلام، أو الفقه، أو الأُصول، أو الحديث، أو التفسير، أو غير ذلك من العلوم فكله من عمل الإباضية وحدهم، لأن هذه الفِرْقة هي التي عاشت وانتشرت في كثير من بلاد المسلمين، واستمرت إلى يومنا هذا، وتأثرت بتعاليم المعتزلة وغيرهم، وسايرت التطور العلمي والاجتماعي"، انظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، ت:2000م، ج:02، ص:234.

1: عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد، المعروف بابن الفرضيّ: مؤرخ حافظ أديب. ولد بقرطبة، وتولى قضاء بلنسية في دولة محمد المهدي المرواني. ورحل إلى المشرق سنة 382 هـ فحج وعاد، فاستقر بقرطبة إلى أن قتله البربر يوم فتحها، شهيدا في داره. من مصنفاته:" تاريخ علماء الأندلس "، و" أخبار شعراء الأندلس" توفي سنة:403هـ. انظر: "الأعلام"ج:4، ص:121.

2: محمَّد بن وضَّاح بن بزيع، أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام: محدّث، من أهل قرطبة. رحل إلى المشرق، وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد إلى الأندلس فحدّث مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جم وصنف كتبا، منها" "العباد والعوابد"، "البدع والنهي عنها " و"مكنون السر ومستخرج العلم" في فقه المالكية. انظر: "سير أعلام النبلاء"ج:10، ص:469، و"الأعلام"ج:7، ص:133.

3: مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، قال أبو سعد: الشّذوني، بالفتح ثمّ السكون وفتح الواو ونون، وهي من أعمال إشبيلية. انظر:"معجم البلدان"ج:3، ص: 329.

4: قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي، مسعود الركيتي، دار أبي رقراق، الرباط، ط:01، ت:2012م، ص: 80.

وبقيام الدولة الرستمية الإباضية وتمركز الثقافة الإسلامية في مدينة تاهرت[1]واهتمام الولاة بشؤون العلم والتعليم ونشر الحلقات التعليمية في المساجد، ظهر تفسير عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[2](ت: 188هـ)، والذي يمكن اعتباره ثاني تفسير صُنِّف بالقطر الجزائري، وهو تفسير أشارت له بعض المصادر التاريخية والتي أشارت أيضا لفقده وعدم وجوده، ولعل أمر عدم انتشاره يعود لنفس العوامل التي حالت دون انتشار تفسير والده عبد الرحمن.

وبفقده وضياع أصله لا يمكن بيان منهجه التفسيري أو تحليل طريقته في التعامل مع الآي الكريم، إلا الجزم بكونه قد خرَّج المسائل الفقهية على أحكام المدرسة الإباضية دون علم بإيراده لبقية الآراء من مختلف المذاهب الإسلامية الأخرى أم لا، كذلك الأمر ينسحب على المسائل الاعتقادية، خاصة أنه من أقطاب المذهب الإباضي ورواده الأجلاء.

وقد ذكر هذا التفسير بالحاج شريفي محقق «تفسير هود بن محكم»، ولم يجزم بنقل هود(ت:280هـ) في تفسيره عن تفسير عبد الوهاب ولم يزد عن القول:"إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري إلا تفسيرا نسب إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وآخر إلى الإمام عبد الوهاب، وليس ببعيد أن

1: تاهرت بفتح الهاء وسكون الراء اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة أسسها عبد الرحمن بن رستم وكانت عاصمة الدولة الرستمية، وهي الآن بلفظ: تيارت غرب الجزائر العاصمة. انظر:"معجم البلدان" للحموي ج:2، ص: 07.

2: عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الرستمي الإباضي ثاني الأئمة الرستميين من الإباضية في تيهرت بالجزائر ولي الخلافة بعد وفاة والده بنحو شهر سنة إحدى وسبعين ومائة، واجتمع له في أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع مثله لزعيم إباضي قبله، وكان فقيها عالما شجاعا يباشر الحروب بنفسه وله مواقف مذكورة، توفي بتاهرت وفي تاريخ وفاته خلاف وهي بين سنة ثمان وثمانين ومائة وبين ثمان ومائتين. له: تفسير القرآن الكريم، ومسائل نفوسة الجبل، انظر: "السير" للشماخي: 144، "الأزهار الرياضية" 100/2 و"البيان المغرب" 197/1.

يكون الهواري قد اطلع عليهما، وليس بين أيدينا الآن فيما بحثت وعلمت شيء من تفسيريهما حتى نتمكن من المقارنة بين هذه التفاسير".[1]

وفي تلك الحقبة الزمنية ونفس الديار الرستمية ظهر تفسير هود بن محكم الهواري[2] الإباضي، الموسوم ب «تفسير الكتاب العزيز»، وهو أول تفسير مكتوب يصل إلينا من تلك الحقبة البعيدة، إذ اعتبره كل من أسقط تفسير عبد الرحمن وابنه عبد الوهاب أول تفسير في القطر الجزائري[3]، اعتمد فيه صاحبه التفسير بالمأثور، قال عنه الشماخي:"وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب، بل على طريقة المتقدمين".[4]

كما اعتمد فيه صاحبه النقل عن «تفسير يحي ابن سلام» اعتمادا كبيرا وظاهرا، وأنه أصل لتفسير هود بن محكم، حتى اعتبره البعض تلخيصا له.[5]

وبعد هذا التفسير لم تعرف الحركة التفسيرية أي مؤلف جديد، وأصبحت الساحة التفسيرية خالية من أي اسم لامع في الصناعة التفسيرية أو علوم القرآن تأليفا أو حتى شفويا، وما ذاك إلا للاضطرابات السياسية والسجالات الفقهية والعقائدية الكبيرة التي شهدتها بلاد المغرب العربي عموما والمغرب الأوسط خصوصا،

1: تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت:1990م، ج:1، ص: 85.

2: هود بن محكم الهواري فقيه إباضي، من قبيلة هوارة البربرية، اشتغل بتفسير القرآن، أخذ العلم في طفولته عن والده بعد حفظه لكتاب الله تعالى، وتفقه في مجالس العلم وحلقات الدرس التي كانت تعقد بالمساجد، من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والنصف الأول من القرن الثالث، قطنت أسرته جبل أوراس وكان أبوه قاضياً في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمى، وكانت له منزلة في قومه. قال الشماخي: عالم متفنن خائض، اختلف في سنة وفاته ورجح محقق تفسيره أنها سنة: 280هـ. له: تفسير القرآن. انظر: مقدمة محقق تفسير كتاب الله العزيز، بالحاج شريفي،ج:1، ص: 01. "معجم المفسرين" عادل نويهض، ج: 2، ص: 713.

3: وهو صنيع الدكتور عمار طالبي ومحمد المختار إسكندر اللذين اعتبرا هذا التفسير أول تصنيف جزائري في الصنعة التفسيرية. انظر: المفسرون الجزائريون عبر القرون محمد إسكندر، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، دت، ج:01، ص: 40. كما اعتبر عبد الرحمن بن رستم أول المفسرين في القطر الجزائري أيضا، انظر ص:34.

4: السير، أبو العباس الشماخي، ص: 381.

5: تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم، ج:01، ص: 85.

بعد سقوط الدولة الرستمية ونشوء دولة العبيدين الفاطميين بها، ودخول الجزائر تحت سلطان العبيدين، وما تلاها من حروب واقتتال ودمار كبير، كان له الأثر الكبير على الساحة العلمية والثقافية بما في ذلك التفسير وعلوم القرآن عموما.

ثانيا: المفسرون زمن العبيدين: وفي أواخر القرن الرابع الهجري، ظهر أبو العباس أحمد الباغائي[1] (ت: 401هـ)، الذي ألَّف في تفسير آيات الأحكام كتابه «أحكام القرآن»[2]، قال عنه الداودي:" وكان لا نظير له في حفظ القرآن قراءاته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه، وله كتاب حسن في أحكام القرآن نحا فيه نحوا حسنا، وهو على مذهب مالك-رحمه الله-"[3]. وهو المصنف الوحيد الذي برز للساحة بعد «تفسير هود بن محكم»، تطرق فيه صاحبه إلى بيان معاني الآيات باختصار دون تطويل فيها، مركزا على آيات الأحكام، مرجحا-غالبا- قول مالك صاحب المذهب بعد إيراده لأقوال المذاهب الأخرى خاصة الحنفي، وقد يذكر بعض القراءات وأوجهها، إن كان الخلاف فيها ينبني عليه خلاف في الأحكام، ثم يرجح بعد ذلك، وقد أخذ الكتاب وصاحبه شهرة كبيرة في تلك الحقبة وما بعدها، بثناء علماء كثر عليه كصاحب «الديباج» و«الترتيب» و«الصلة»[4] وغيرهم كثير.

1: أحمد بن علي بن عبد الله، أبو العباس الربعي الباغاني، (الباغائي) من كبار علماء المالكية في وقته، من أهل "باغاية ". رحل إلى المشرق وسمع بمصر وغيرها. ثم دخل الأندلس وأقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة، قال ابن حيان: كان ربانيا في علوم الاسلام، جم الرواية، شديد الحفظ، آية في ذلك، لم يخلف بعده أحد يقربه في علوم القرآن، وهي كانت الغالبة عليه، وكان بحرا من بحار العلم، حسن التلاوة، بصيرا بالشروط، طاهر الثوب". من آثاره كتاب"أحكام القرآن"، انظر: "معجم المفسرين" ج:1، ص: 49. "طبقات المفسرين" للداودي، ج:1، ص: 53-54.

2: لا يزال مخطوطا، ويوجد منه نسخة خطية واحدة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، برقم: 360، رواق المغاربة، بمجلد واحد، عدد لوحاتها 91 لوحة، وأسطرها متفاوتة بين 20 و 28، عليها تعليقات.

3: طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1983م، ج:01، ص: 53-54.

4: انظر: "ترتيب المدارك"ج: 4، ص: 680، و"الصلة"ج:01، ص: 85، و"الديباج المذهب"ص:38.

وفي نفس تلك المرحلة، ظهر تفسير للقرآن الكريم لمؤلفه أحمد بن نصر الداودي[1](ت:402هـ)، وهو في عداد التفاسير المفقودة، أشار إليه صاحب «الجواهر الحسان» واعتمد عليه وعلى تقريراته وترجيحاته في مواضع عدة من تفسيره.

ولا نستطيع الجزم[2] بوجود هذا التفسير وصحة نسبته لمؤلفه، ذلك أن كل كتب الببليوغرافيا والتراجم التي ترجمت للداودي لم تذكر له هذا التفسير، بما في ذلك كتب طبقات المالكية كابن فرحون والقاضي وغيرهم.

وعمدة من قال بهذا التفسير كلام الثعالبي في تفسيره، ونقله لنصوص يثبت فيها أنها من تفسير الداودي، والباحث يرى أن قول الثعالبي"... قال الداودي في تفسيره.." يحتمل أنه يريد به تفسيره للموطأ، فكثير ممن كتب عن مؤلفات الداودي عند ذكرهم لشرحه لموطأ مالك يقول: المسمى «تفسير الموطأ» وهو صنيع ابن خير الإشبيلي في فهرسته حينما ذكر تصانيفه ولم يذكر تفسيره للقرآن، وقال في الشرح:«تفسير الموطأ»[3]، خاصة أنه أخبر عن رؤيته لإجازة بتصانيف الداودي كتبها الداودي نفسه.

1: أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة. كان بطرابلس وبها أملى كتابه في شرح الموطأ، ثم انتقل الى تلمسان، وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً، ألّف كتاب القاضي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، والنصيحة في شرح البخاري، والإيضاح في الرد على الفكرية، وغير ذلك، توفي بتلمسان سنة:402هـ، وقبره عند باب العقبة. انظر:"ترتيب المداراك"ج:7، ص: 103-104. و" الديباج المذهب"ج:1، ص:165-166.

2: قد جزم الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي في تاريخه، بوجود هذا التفسير من خلال تفسير الثعالبي فقط، بل وسمى هذا التفسير بالقول: تفسير القرآن المجيد، ولا يُدرى من أين له بهذه العنونة، خاصة أن كل من ترجم للداودي لم يذكر أن له تفسيرا للقرآن الكريم فضلا عن عنونة التفسير. انظر: "تاريخ الجزائر العام" للجيلالي، ج:1، ص: 273.

3: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:1419هـ، ص: 76.

وبنفس هذا الوهم نُسب أيضا مروان بن علي الأسدي البوني[1](ت:439هـ) إلى التفسير وأنه من رجال التفسير[2] في أرض الجزائر، وهو الوهم الذي قلَّده تماما بتمام صاحب«المفسرون الجزائريون عبر القرون»[3] بل حتى أنه نقل نفس الهوامش التي اعتمدها عادل نويهض في معجمه، يقول ابن بشكوال في ترجمة مروان بن علي الأسدي:"روى عنه أبو القاسم حاتم بن محمد وقال: قرأت عليه تفسيره في الموطأ "[4]، ولم تذكر المصادر والمراجع أنه كان مفسرا أو صاحب صناعة تفسيرية بل أجمعوا على أنه رجل حديث وفقه.

وبقي الركود ملازما لتصانيف التفسير وعلوم القرآن عموما طيلة القرن والنصف تقريبا، بسبب النزاعات السياسية زمن الدولة العبيدية ومحاولة فرضهم للمذهب الإسماعيلي، واهتمام العلماء برد شبهاتهم والتأليف في علم الفرق والملل والنحل.

ثالثا: المفسرون زمن الحماديين والموحدين:

ثم توالت التفاسير تصنيفا وتأليفا، وكثرت المجالس التفسيرية في المساجد، وعرفت الحركة التعليمية والثقافية نوع تحسن وازدهار، بعد تأسيس الدولة الحمادية وبسط نفوذها وسيطرتها على معظم بلاد المغرب، وانتقال العاصمة لمدينة بجاية، والتي كان عصر الحماديين فيها زاهرا ونشطا على كافة الأصعدة، كذا زمن الدولة الموحدية التي تكونت على أنقاض الدولة المرابطية وكان منهجها التعليمي يعتمد على إطلاق حرية البحث والتفكير في مجالات العلوم الفلسفية ومقارعة فقه الفروع بعد اكتساحه للساحة العلمية سابقا وإرجاع الأحكام إلى أصولها من الكتاب والسنة، وكان جلُّ أمرائها من المهتمين بالعلم والضاربين فيه بنصيب

1: مروان بن علي الأسدي القطان أبو عبد الملك البوني: فقيه مفسر حافظ. أندلسي الأصل نسبته إلى "بونة" وبها نشأ، أقام مدة بقرطبة وروى عن مشائخها، ثم رحل إلى المشرق وعاد إلى عنابة فعكف على التدريس والتأليف إلى أن مات. له "تفسير الموطأ" للامام مالك. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:52. "الديباج المذهب"ج:2، ص: 339.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج:1، ص:52.

3: المفسرون الجزائريون عبر القرون، محمد مختار إسكندر، ج: 1، ص: 64.

4: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت: 1955م، ص: 582.

وافر، وكان لذلك أثر بالغ في ازدهار الحركة العلمية في جميع الميادين بما فيها الدراسات الدينية والتي كانت متأثرة بتوجهات أبي حامد الغزالي الصوفية، والتي تركت بصمتها على علوم القرآن ونوعية التفاسير الموجودة.

وظهر على الساحة التفسيرية أعلام كثر زمن دولتي الحماديين والموحدين ببلاد المغرب الأوسط، تدريسا في المساجد أو تأليفا، هم:

الأول: يوسف بن إبراهيم الورجلاني[1](ت:570هـ)، الذي صنَّف تفسيرا كبيرا[2] قال البرّادي[3] في وصفه:" رأيت منه في بلاد ريغ[4] سفرا كبيرا لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم ولا أكبر منه، حرَّرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة أو أقل أو أكثر، فلم أر ولا رأيت أبلغ منه ولا أشفى للصدر في لغة أو إعراب أو حكم مبين أو قراءة ظاهرة أو شاذة أو ناسخ أو منسوخ أو جميع العلوم منه".[5]

ووصفه الشيخ إبراهيم أطفيش بالقول:" أما تفسير أبي يعقوب الورجلاني فغير موجود، ويذكر المحققون من علمائنا أنه من أحسن التفاسير بحثاً، وتحقيقاً، وإعراباً"[6]. ويبقى هذا التفسير في عداد التفاسير المفقودة.

1: يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي الورجلاني، أبو يعقوب، ولد سنة :500هـ، مؤرخ ومفسر أصولي ومتكلم إباضي، من أكابر الفقهاء الإباضية من أهل ورجلان مولدا ووفاة، رحل في شبابه إلى الأندلس، وسكن قرطبة طلبا للعلم، شبهه الأندلسيون بالجاحظ، له تصانيف عدة منها "تفسير القرآن الكريم" في سبعين جزء. انظر: "التفسير والمفسرون"ج:2، ص: 233. "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص: 341-342.

2: ذكر أحد الباحثين في مدونة المذهب الإباضي على الشبكة العنكبوتية أن له نسخة ناقصة في مكتبات ألمانيا، ولم يشر إلى اسم المكتبة أو رقمها أو مصدر هاته المعلومة.

3: أحد أعلام الإباضية، وهو أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الإباضي الدمري، من جبل دمر بالجنوب التونسي.

4: ويقال ريغة: إقليم بقرب من قلعة بني حمّاد بالمغرب، وقلعة بني حمّاد هي أشير، وقال المهلّبي: بين ريغة وأشير ثمانية فراسخ وهي كلمة بربرية معناها السبخة، فمن يكون منها يقال له الريغي. انظر: "معجم البلدان"ج:3، ص: 113.

5: نقلا عن "معجم أعلام الجزائر"،ج:1، ص: 341-342.

6: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج: 2، ص: 233.

الثاني: حسن بن علي بن محمد المسيلي[1](ت:580هـ)، صاحب كتاب «التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات» وهو تفسير يغلب عليه التصوف والتذكير، مزجه مؤلفه بالكثير من المسائل الفقهية[2]، يقول الغبريني واصفا إياه بعد أن اطلع على بعضه ما نصه:"وهو كتاب جليل سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب «الإحياء» وبه سُمي أبا حامد الصغير، وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم، ودلَّ كلامه فيه على إحاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الظاهر والباطن، ومن تأمل كلامه أدرك ذلك بالعلم اليقين، ولم يفتقر فيه إلى تبيين، وهو كثير الوجود بين أيدي الناس، وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإيثارهم له، ولقد رأيت على نسخة من نسخه ما نصه:"اعلم وفقك الله أن هذا الكتاب حسنٌ في معناه، مخترع في الترتيب ومبناه، قلَّ فيه ما ينتقد، وكثر ما يعتقد وعليه يعتمد، سلك مؤلفه فيه مسالك المهتدين، وترك مهالك الضالين المعتدين، فهو فيه على صراط مستقيم، ومقصد قويم، طرَّزه بمعاني الكتاب العزيز، فجاء كالذهب الإبريز، وسلم فيه من غلو الغالين، وتحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، نفعه الله به، آمين، وصلى الله على محمد وعلى جميع الملائكة والنبيين وسلم، والحمد لله رب العالمين".[3]

ويصنَّف هذا التفسير ضمن تفاسير الصوفية، ويبقى مفقودا لا أثر له، كما أن النقول منه كانت قليلة جدا، ومعظم من تحدث عنه جعله على منوال كتاب «الإحياء» في الزهد والوعظ والرقائق.

1: حسن بن علي بن محمد المسيلي، أبو علي: فقيه مالكي، حافظ، متكلم، من القضاة. أصله من مدينة المسيلة، نشأ ببجاية. وكان المسيلي قاضيا بها، ثم تأخر عن القضاء وعكف على نشر العلم والتأليف الى أن مات نحو 580هـ ودفن بمقبرة باب أمسيون. ذكره الغبريني في كتابه عنوان الدراية وقال: "جمع بين العلم والعمل والورع، وبين علمي الظاهر والباطن، له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة ". من آثاره "التفكر فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادىء والغايات" "التذكرة في أصول علم الدين ". انظر:"معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:299. "معجم المؤلفين" ج:3، ص: 262.

2: نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، الطاهر بونابي، مجلة: حوليات التراث، العدد:02، سنة: 2004م، ص: 17.

3: عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أبو العباس الغِبْرِيني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:02،ت: 1979م، ج:1، ص: 33-34.

الثالث: يحيي بن أبي علي الزواوي، أبو زكريا[1](ت:611هـ)، ولم يكن تصنيفا بل دروسا في تفسير القرآن الكريم بالجامع، فقد"رتب ميعادا بالقراءة لسماع تفسير القرآن العظيم، وميعادا بعد صلاة الظهر لسماع حديث رسول الله ﷺ ". ويذكر الشيخ أبو العباس ابن الخراط أحد مجالسه واصفا إياها بالقول[2]:"فبينما أنا أقرأ بين يديه بالغداة وقد مرت آيةٌ فَهِمَ منها ما لم نفهم، وعلم من فحواها ما لم نعلم، إذ وثب قائما طيلسانه وطرح رداءه، وحسر رأسه وبسط يديه ومد ذراعيه، فأمسك عن القراءة، فتعوذ بصوت رفيع وبسمل، فافتتح بقول الله تعالى﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: 38] ولم يزل يرددها ويكررها بتحذير وترنين".[3]

كما ذُكر في ترجمة الإمام أبي طالب أحمد بن رجا اللخمي أنه "قرأ عليه وأخذ عنه الأصلين حفظا وإتقانا"[4] والحافظ أبو طاهر السِّلفي الذي "أخذ عنه إعجاز القرآن للخطابي"[5]. وهي دلائل كافية لاشتغال الرجل بالتفسير وعلومه، وبثّه في أوساط الناس في تلك الحقبة الزمنية.

وذكر صاحب الرحلة الورثيلانية أن للشيخ "مجلسان في العلم، مجلس في الحديث ومجلس في التفسير إلا أن التفسير كان يُقرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر لكثرة الناس وازدحامهم عليه إلى يوم موته، فكان يكرر قوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ ﴾ [المائدة: 95].[6]

1: أبو زكرياء يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي وهو عندما يكتب اسمه يكتب الحسني "منسوب إلى بني حسن" من أقطار بجاية، والناس ينسبون فيه الحسناوي. ولد في "بني عيسى" من قبائل "زواوة" وقرأ أول أمره "بقلعة بني حماد" على الشيخ الصالح أبي عبد الله ابن الخراط وغيره ثم ارتحل إلى المشرق، وعاد واستوطن بجاية بعد رجوعه من المشرق، وجلس بها لنشر العلم وبثه وتوفى فجأة من غير تقدم مرض، انظر: "عنوان الدّراية"ج:01، ص: 127-132. و"التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات، ص:428-429.

2: وَهِم الحفناوي صاحب «تعريف الخف برجال السلف» فجعل مقالة ابن الخراط هاته، في ترجمة أبي عبد الله محمد القلعي المتوفى أيضا سنة:611هـ.

3: عنوان الدّراية، أبو العباس الغبريني،ج:01، ص: 128.

4: المرجع نفسه، ج:01، ص: 130.

5: المرجع نفسه، ج:01، ص: 130-131.

6: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج: 1، ص: 38.

الرابع: علي بن عبد الله بن ناشر الوهراني، أبو بكر[1](ت:615هـ)، صنَّف في التفسير، ولا يُدرى حجمه ولا منهجه في تفسيره هذا، لأنه من التفاسير المفقودة. وكل من تطرق لترجمته لم يذكر سوى أنه صنَّف في التفسير دونما أي إفادة أخرى، قال عنه الداودي:"إمام فاضل صنَّف «تفسيرا»"[2]، ولم أجده في كتب الببليوغرافيا أو الفهارس، إلا أن يكون قيِّد على أنه لمجهول.

الخامس: أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني[3](ت: 622هـ)، أُغفل ذكره في كتب الطبقات والرجال المالكية القديمة، لاختلافهم في امتهانه صنعة السحر والشعوذة والكتابة فيها، على الرغم من تصانيفه في التفسير، ولم يُصنِّف تفسيرا كاملا، إلا بعض التصانيف في بعض السور والآي والفضائل عموما، ك: «تحفة الأحباب ومنية الأنجاب فِي أسرار بِسم الله وفاتحة الكتاب»[4]،« خَصَائِص سر الْكَرِيم فِي فَضَائِل بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم »[5]،«شمس المعارف ولطائف العوارف»[6]،« فضل الكريم الوهاب في فضائل البسملة

1: علي بن عبد الله بن ناشر بن المبارك الوهراني، أبو بكر ويقال: أبو الحسن: مفسر نحوي لغوي شاعر من أهل وهران. رحل الى المشرق وسكن مدينة دمشق، وولي الخطابة بجامع داريا من قرى دمشق بالغوطة. سمع منه أبو الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي. من آثاره "تفسير القرآن الكريم" و"شرح شواهد الجمل" للزجاجي، في النحو. انظر:"معجم المفسرين"، ج:1 ، ص:368 "طبقات المفسرين" للداودي، ج: 2ص:408 ." طبقات المفسرين" للسيوطي، ص:24.

2: طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، ج:1، ص:413.

3: أحمد بن علي بن يوسف، تقي الدين، أبو العباس البوني: صوفي، من أشهر المصنفين العرب في العلوم الخفية، كتبه لا تزال مستعملة حتى اليوم لدى المشتغلين بالسحر والتعاويذ، من أهل بونة المعروفة بعنابة، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي، لقي ابن بشكوال، وأبو الفرج ابن الجوزي وغيرهم. له "أسرار الحروف والكلمات" و"إظهار الرموز وإبداء الكنوز" و"نسيم السحر" و"كتاب الميم". انظر: "معجم المطبوعات"ج:1، ص: 607 و"هدية العارفين"ج:1، ص: 90 و"معجم المؤلفين"ج:2، ص: 52.

4: منه نسخة بدار الكتب المصرية، بالقاهرة، برقم: 276/1(99م). وأخرى بمكتبة الفاتيكان بالفاتيكان، برقم: 23/1130.

5: نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث، بالرياض تحت رقم: 12349-27، ونسخة على موقع المصطفى العنكبوتي لتحميل الكتب والمخطوطات.

6: طبع بمصر سنة: 1291هـ، وبالهند سنة: 1318هـ. ونسخ مخطوط الصغرى بالمكتبة الحسنية، الرباط، رقم: 1541مجموع:2. والكبرى بمركز الملك فيصل، الرياض، رقم: 05371- 06157. كما توجد نسخة مخطوطة كاملة بمكتبة الهامل ببوسعادة برقم: 419. قال عنه المقريزي: "عزيز الوجود يتنافس الناس فيه ويبلون الأموال الجزيلة".

مع جملة من الأبواب»[1]، «فصول في التفسير»[2]. وجُلُّ تصانيف أبي العباس في عداد المفقود، ولم تصل إلينا.

السادس: محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري الكومي، أبو عبد الله[3](ت:625هـ)، له كتاب «فرقان الفرقان وميزان القرآن» وهو من التآليف المفقودة، ولم يُشر في ترجمته لاشتغاله بالتفسير تدريسا.

ووهم من جعل تصنيفه «الإقناع في كيفية الإسماع» من كتب علوم القرآن، بل هو برنامج شيوخه الذين تلقى العلم عنهم.

السابع: يحيي بن محمد بن موسى التجيبي المنداسي، أبو زكريا[4](ت:652هـ)، الذي صنَّف كتابا في تفسير القرآن ذكره الداودي[5] والذهبي، وهو من التفاسير المفقودة، كما أن المصادر التي ذكرته لم تبين أكثر من وجوده فقط، ولم نجد نقولات معتمدة للذين من بعده من هذا التفسير.

1: ذكر سركيس أنها طبعت بمصر طبعة حجرية قديمة جدا. انظر"معجم المطبوعات"ج:2، ص: 680.

2: منه نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات، الرياض برقم: 12237.

3: قاض، فقيه، مقرىء، حافظ للحديث، متكلم. من أهل تلمسان وولي قضاءها مرتين ودخل الاندلس وكان وجيها ببلده مكرما عند السلاطين. كان راوية فقيهًا متكلما، متفنِّنًا في علوم جمَّة، بارع الخط، وله مصنَّفات كثيرة أجلُّها "المختار في الجمع بين المُنْتقى والاستِذْكار" "التسلّي عن الرزيَّة والتحلّي برضا باري البريَّة"، "الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم". انظر:"معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:77." تعريف الخلف"ج:2، ص: 392.

4: يحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني، أبو زكريا: مفسر واعظ، من فقهاء تلمسان وعلمائها. قال الذهبي: حج وجاور، وسمع بمكة من أبي الحسن بن البناء، وسكن الاسكندرية ووعظ. من آثاره "تفسير القرآن الكريم" وكتاب في " الرقائق".انظر: "طبقات المفسرين" للداودي،ج:02، ص:376 و"معجم المؤلفين"،13ج، ص: 230. "معجم المفسرين" ج:2، ص: 735.

5: طبقات المفسرين، للداودي، ج:02، ص:376.

الثامن: محمد بن الحسن القلعي، أبو عبد الله[1](ت:673هـ) لم يصنف في التفسير، إنما كان يعقد مجالس وحلقات يُدرِّس فيها مجموعة من الفنون منها علم التفسير، يقول الحفناوي:"كان له درس يحضره من الطلبة فضلاؤهم ونبهاؤهم، وتجري فيه المذاكرة المختلفة في التفسير والحديث وأبيات الغريب وغيرها".[2]

التاسع: أبو إسحاق بن العرافة البجائي[3](ت:675هـ)، لم يكن له تصنيف إلا ما ثبت من تدريسه لفنون العلوم والتفسير بالجامع الأعظم ببجاية كما أشار لذلك الغبريني، ولم أقف على ترجمة أخرى له في كتب التراجم والطبقات، إلا ما ذكره صاحب «تعريف الخلف» من أن الغبريني كان تلميذا لأبي إسحاق بن العرافة.[4]

العاشر: أحمد بن أحمد الغبريني أبو العباس[5](ت: 704هـ)، وكل من ترجم له لم يذكر له تصنيفا في التفسير أو علوم القرآن، أو يذكر حلقات تدريس له في المساجد، بل أشار إلى مشاركته في التفسير والحديث إجمالا،

1: أبو عبد الله، التميمي القلعي: نحوي، عالم بالأدب، له نظم جيد، نسبته الى قلعة بني حماد وكان جده ميمون قاضيا فيها. نشأ بمدينة الجزائر وأخذ عن محمد بن منداس وغيره، وانتقل الى بجاية فاستوطنها، وبها برع واشتهر، أخذ عنه أحمد الغبريني مات ببجاية. له "الموضح في علم النحو" و"حدق العيون في تنقيح القانون" و"نشر الخفي". توفي ببجاية. انظر:" معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:267." تعريف الخلف"ج:2، ص: 357.

2: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01، ت: 2012م، ج:2، ص:358.

3: ابن العرافة أبو إسحاق، الشيخ الفقيه، الخطيب العارف المحصل، كان له منصب وحظ ووجاهة وتخصيص، وولي صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم من بجاية، وكان معتكفا على ما هو بسبيله منزويا عن الناس، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه، وكان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرواية والدراية. انظر: "عنوان الدّراية"ج:01، ص: 256. و" المفسرون الجزائريون عبر القرون"ج:1، ص: 83.

4: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:1، ص:522.

5: أحمد بن أحمد وقيل: محمد بن علي، أبو العباس، الغبريني: قاض، مؤرخ، له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والعربية والمنطق، من كبار فقهاء المالكية. نسبته إلى "بني غبري" بطن من قبائله الأمازيغ في أعلى وادي سباو. نشأ في بجاية وتعلم بها وبتونس، وبلغ عدد الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم نحو السبعين شيخا من أعلام المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس. ولي قضاء بجاية، استوحش منه السلطان وتقبض عليه، ثم أغروه بقتله فقتل بمحبسه سنته تلك، وتولى قتله منصور التركي. من آثاره: "عنوان الدراية". انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:248-249. "معجم المؤلفين"ج: 1، ص: 151.

كعادل نويهض في «معجمه»[1]، فعدّه صاحب «المفسرون الجزائريون»[2] مفسرا وعقد له ترجمة مطولة في كتابه خالية تماما من أي إشارة إلى كون الرجل مفسرا أو صاحب صنعة في القرآن وعلومه.[3]

الحادي عشر: منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي، أبو علي[4](ت:731هـ) تلميذ العز بن عبد السلام[5]والإمام السبكي[6]، لم يصنف في التفسير، إنما كانت له مشاركة كبيرة فيه أشار إليها الغبريني بالقول:"ويتكلم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ فيجيد"[7]. وكانت له مجالس علمية يعقدها للطلبة، يصفها الغبريني –المعاصر له–بالقول:"ودروسه حسنة منقحة".[8]

1: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج:1، ص:248-249.

2: المفسرون الجزائريون عبر القرون، محمد مختار إسكندر، ج:1، ص: 143-144.

3: ذكر صاحب "المفسرون الجزائريون عبر القرون" ضمن المفسرين الجزائريين ابن خميس محمد بن عمر(ت:708هـ)، وهو تكلف عجيب منه، إذ تراجمه لم تذكر له أي اهتمام سوى باللغة والشعر، وهو صنيعه في غالب كتابه من تكلف في جعل بعض الأعلام مفسرين وأصحاب صنعة تفسيرية.

4: المشدالي، ناصر الدين، أبو علي: من أكابر فقهاء المالكية، له مشاركة في علوم العربية والمنطق والجدل. نشأ في بجاية وبها تعلم. رحل إلى المشرق فأخذ عن شمس الدين الأصبهاني وشرف الدين ابن السبكي وقرأ على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيرهم. اثنى عليه الغبريني والعبدري وابن مرزوق وغيرهم. مات ببجاية وسنه مائة سنة. له "شرح " على رسالة أبي محمد بن أبي زيد، لم يكمله. انظر: "عنوان الدراية"ج:1، ص:229. "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:302-303.

5: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه مفسر شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. صاحب "التفسير الكبير" توفي سنة:660هـ. انظر: "الأعلام" للزركلي، ج:4 ص:21.

6: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقيّ الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.توفي سنة: 756هـ. انظر: "الأعلام" للزركلي، ج:4، ص:302.

7: عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أبو العباس الغِبْرِيني، ج:1، ص:229.

8: المرجع نفسه، ج:1، ص:229.

رابعا: المفسرون زمن الزيانيين: وبظهور دولة بني عبد الواد، واتخاذها لمدينة تلمسان عاصمة لها سنة:633هـ، واستتباب الأمر للزيانيين حيث دام حكمهم أكثر من ثلاثة قرون، عرفت الحركة العلمية بحاضرة تلمسان نشاطا متزايدا، بعد انتقال الحاضرة العلمية لها من بجاية، وقصدَها العلماء والفقهاء والصلحاء، وتنافس ولاتها في بناء المساجد والمدارس العلمية والمكتبات العامة وتقريب العلماء من مجالسهم، وتحول التعليم من تعليم مسجدي صرف إلى تعليم يعتمد على المدرسة كمؤسسة جديدة ومهيمنة على التعليم والتوجيه، وهذا ما جعل الإنتاج الفكري والعلمي يتزايد وينمو بشكل كبير.

وكان للحركة التفسيرية بروادها تصنيفا وتأليفا وتدريسا نصيبٌ من ذلك، وإن وصف بالقلة أمام بقية العلوم والفنون[1]، إذ عرف الإنتاج التفسيري في زمن الدولة الزيانية انتعاشا وتطورا إذا ما قورن بماضيه، وقد ظهر من الأعلام والأعمال في تلك الحقبة:

– عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو زيد، ابن الإمام[2](ت:741هـ) ابتنى له السلطان أبو حمو موسى الأول مدرسة يدرس فيها العلوم، في بلدة المطهر من ناحية تلمسان، وكان التفسير أحد تلك العلوم، ذكر الحفناوي في ترجمة الشريف التلمساني[3] أنه حضر مجلس أبي زيد ابن الإمام في تفسير القرآن الكريم وسؤاله لابن زيد عن نعيم الجنة[4]. كما ذكر المقري في «نفح الطيب» أن ابن الإمام ذكر يوما في مجلسه أنه سئل

1: قام الدكتور عبد الجليل قرمان بدراسة التآليف التي صنفها علماء تلمسان زمن دولة الزيانيين، وحكم بغلبة العلوم النقلية وتزايد التآليف التي تعني بالشروح والمختصرات، وتناقص التآليف في العلوم العقلية وقلة الإبداع فيها، وكان التفسير أحد العلوم التي لم تلق الاهتمام المنشود وكان في آخر قائمة الفنون التي صُنف فيها في تلك الحقبة، انظر: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، عبد الجليل قرمان، دار جسور، الجزائر، ط:1، ت:2011م، ص: 335.

2: ابن الإمام، فقيه مالكي، من كبارهم، تلميذ ابن تيمية، أجمع كتاب التراجم والسير بالمغرب العربي الكبير أنه كان من أشهر علماء عصره ولم يكن فيه أعظم رتبة ولا أعلم منه. نشأ في "برشك" ثم انتقل إلى تونس فأخذ عن القطان وغيره. وعاد إلى مدينة الجزائر يبث بها العلم، ومنها انتقل إلى مليانة فتلمسان: فاغتبط به السلطان أبي حمو موسى الأول وابتنى له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ فأدنى مجلسه وخصه بالتكريم والاحترام. وتوفي بتلمسان له: " شرح" على ابن الحاجب الفرعي. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:22-23.

3: ستأتي ترجمته لاحقا.

4: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:1، ص:603.

بالمشرق عن هاتين الشرطيتين﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنفال: 23] فإنهما تستلزمان بحكم الإنتاج، لو علم الله فيهم خيرا لتولوا، وهو محال، ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم[1]. ثم أورد جواب ابن الحكم[2] على هذا الاستشكال.

ولم يصنف ابن الإمام في علم التفسير تأليفا خاصا، إلا ما كان من مشاركته في هذا الفن في حلقات دروسه العلمية.

– محمد بن محمد بن عبد الرحمن المقري التلمساني، أبو عبد الله[3](ت:759هـ)، وصفه ابن الخطيب بالقول:" كان يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث، والأخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين". درَّس في مساجد تلمسان وعقد فيها حلقات للتفسير[4] والحديث، ولم يترك تصنيفا في التفسير أو علوم القرآن، أورد صاحب «البستان»[5] تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ

1: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط:7، ت: 1997م، ج: 5، ص:225.

2: هو أبو إسحاق إبراهيم بن حكم السلوي، ورد تلمسان بعد العشرين، ثم لم يزل بها إلى أن قتل يوم دخلت على بني عبد الواد، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام سبعة وثلاثين وسبعمائة. انظر:"نفح الطيب" ج:5، ص: 224.

3: أبو عبد الله المقري التلمساني، باحث، أديب، قاض، من أكابر علماء المذهب المالكي في وقته، ولد ونشأ بتلمسان وتعلم بها وبتونس والمغرب، ورحل الى المشرق، وحج، فأخذ عن علماء مصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس. وعاد إلى بلده، ثم دخل المغرب وعبر إلى الأندلس، وانتهت به الرحلة إلى غرناطة. وعاد، فانقطع للاقراء وخدمة العلم. انظر:"شجرة النور الزكية"ج:1، ص: 234، و"هدية العارفين" ج: 2، ص:160.

4: وَهِم من ذكر أنه صنّف كتاب «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من معاني السنة والفرقان»، فلم يعلم له تأليف خاص في التفسير أو علوم القرآن عموما، والكتاب للقرطبي المالكي، ولم أستطع تنقيح هذه المسألة والجزم فيها.

5: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص: 309.

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:55].

– أحمد بن العباس النقاوسي، أبو العباس[1](ت:763هـ)، لم يُفرد تصنيفا خاصا بالتفسير ولا بعلوم القرآن، إنما كانت جهودا مبثوثة في الدروس والمجالس التي كان يعقدها بالمساجد والمدارس. وجُلُّ من ترجم له ذكر أنه مشارك في علم التفسير، قال عنه التنبكتي ناقلا عن أحد معاصريه:" فدخل تونس... فهو الآن أحد مدرسيها ... إلى الإحاطة بالتفسير والحديث".[2]

– منصور بن علي الزواوي، أبو عبد الله[3] (ت: نحو 776هـ): تلميذ الإمام أبو عبد الله محمد بن يحي الباهلي المعروف بالمفسّر، وشيخ الإمام الشاطبي، ذكره ابن الخطيب بالثناء الكبير والمشاركة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاعٍ وتقييدٍ ونظرٍ في الأصول والمنطق وعلم الكلام، إلى أن قال:"قدم الأندلس عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة فلقي رحبا وعرُف قدره، فتقدَّم مقرئا بالمدرسة[4] تحت جراية نبيهة، وحلَّق للناس متكلما على الفروع الفقهية والتفسير"[5]. ثم قال:"وهو من حين أُزْعج من الأندلس مقيم بتلمسان يقرئ ويُدَرّس"، ولم يُذكر في ترجمته أنه ألَّف في التفسير أو علومه.

1: أبو العباس، نحوي، من فقهاء المالكية، حافظ، أديب. له مشاركة في علوم التفسير والحديث واللغة والمنطق. رحل من تلمسان قبل الحصار واستقر بتونس واشتغل بالتدريس، له: "الروض الأريض في علم القريض" وتأليفه في الأدب، و"حديقة الناظر في تلخيص المثل السائر" في البيان، و"شرح المصباح" لابن مالك، و"ايضاح السبيل الى القصد الجليل في علم الخليل"، وله تآليف غيرها. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 331-332. و"معجم المفسرين" ج:1، ص: 758.

2: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط: 1، ت:1989م، ص: 95.

3: حافظ للحديث، نحوي، أصولي، من أكابر علماء المالكية في وقته. من أهل زواوة، نشأ في بجاية وأخذ عن أشياخها كوالده وأبي علي ناصر الدين المشذالي وانتفع به وأبي عبد الله الزواوي وعبد المهيمن الحضرمي. رحل إلى الاندلس سنة 753 هـ، فاشتغل بالتدريس وتصدر للفتيا، ثم امتحن بقضية شرعية، فترك الأندلس سنة 765هـ واستقر بتلمسان يقرىء ويدرس. انظر:"شجرة النور" ج:1، ص:336، "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:166.

4: هي المدرسة العجيبة التي بنيت على عهد السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل. انظر: "البستان"، ص: 486.

5: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1424هـ، ج:3، ص: 248.

– محمد بن أحمد بن علي الإدْرِيسي الحسني، الشَّرِيف التِّلِمْسَاني[1](ت:771هـ)، مدرس العلوم بالمدرسة اليعقوبية سنة 765هـ، وأورد بعض طلبته أنه كان يقرأ في التفسير نحو ربع حزب كل يوم[2]، ولما كانت سنة وفاته وصل في التفسير إلى قوله تعالى:﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 171] فمرض نحو ثمانية عشر يوما ثم مات[3]، وفسَّر القرآن الكريم كاملا في خمس وعشرين سنة، وكان مجلسه عظيما يحضر فيه الملوك والحكام والولاة والعلماء والصلحاء[4]، وقد مثَّل صاحب«البستان» لبعض كلامه في التفسير ولم يذكر له تصنيفا واحدا في التفسير أو علوم القرآن.

– عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أبو زيد[5](ت:786هـ)، لم يصِّنف في التفسير، إلا ما ورد من حلقاته التي كان يّدرِّس فيها التفسير وعلوم القرآن، وكان صاحب «الجواهر الحسان» من كبار طلبته، ذكر حضوره لمجالسه التفسيرية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى:53]. وقد خصَّص في آخر مباحث مقدمته المشتهرة بالوغليسية، كلاما عن المواعظ والرقائق والزهد جاءت في نحو أحد عشر مبحثا، فيها بصمة تفسيرية عالية. كما وصفه صاحب «شجرة النور» بأنه:"الفقيه الأصولي المحدّث، المفسِّر، عمدة أهل زمانه وفريد عصره".[6]

1: أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني: باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب. كان من قرية تسمى العلوين من أعمال تلمسان، ونشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس ودعي إلى تلمسان، وزوَّجه " أبوحمو " ابنته، وبنى له مدرسة أقام يدرّس فيها إلى أن توفي. من كتبه:" مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والأصول" و "شرح جمل الخونجي". انظر: "الأعلام"ج:5، ص: 327. " تعريف الخلف"ج:2، ص:341.

2: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص: 327.

3: المرجع نفسه: ص: 330.

4: المرجع نفسه، ص: 323.

5: عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي، أبو يزيد، نسبته إلى بني وغليس، بطن من قبائل البربر في جنوب بجاية بأعلى وادي سمام. نشأ وتعلم في بجاية، وهو شيخ شيوخ الثعالبي صاحب التفسير، أخذ عنه جماعة، كأبي الحسن علي بن عثمان، وأبي القاسم بن محمد المشدالي الفقيه، من آثاره: المقدمة، وفتاوي، توفي ببجاية. انظر: "معجم المؤلفين"ج:5، ص: 123.و"الوفيات" لابن قنفذ، ج: 1، ص: 376.

6: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 376.

– عبد الله بن محمد الإدريسي الحسني التلمساني، أبو محمد[1](ت:792هـ)، والده الشريف التلمساني، وقد حضر مجالسه التفسيرية من سورة النحل إلى الختم، ومن أوله في المرة الثانية[2] إلى قوله تعالى:﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 171] وكان مشتغلا بتدريس العلوم بمدرسة أبيه اليعقوبية، ولم تذكر المصادر أنه ترك تأليفا في التفسير أو علوم القرآن إلا ما كان من مجلس التفسير الخاص به بالجامع الأعظم بتلمسان[3]، وقد أورد الحفناوي نموذجا من تفسيره[4] لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران: 91]

– سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني[5](ت:811هـ)، جمع بين التصنيف في التفسير وبين التدريس، فصنَّف «تفسير سورة الأنعام» و«تفسير سورة الفتح»[6] قال فيهما ابن صعد التلمساني:"أتى فيهما بفوائد

1: عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي الادريسي الحسني التلمساني، أبو محمد من أكابر علماء تلمسان ومحققيهم في وقته، كان حافظا للغة والغريب والشعر وأخبار العلماء ومذاهب الفرق، مشاركا في جميع العلوم، ، وهو ولد الشريف التلمساني الذي انتهت اليه إمامة المالكية في المغرب. تصدر للاقراء وانتفع الطلبة به وارتحلوا إليه من بجاية وتلمسان وغيرها من مدن المغربين الأوسط والأقصى. توفي غرقا في البحر أثناء عودته من مالقة قاصدا بلده تلمسان. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:71.

2: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص: 241.

3: المرجع نفسه، ص: 244.

4: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:239.

5: العقباني التلمساني، قاض، من أكابر فقهاء المالكية. من أهل تلمسان، ولي قضاء بجاية في أيام السلطان أبي عنان المريني كما ولي قضاء تلمسان ووهران ومراكش وسلا، ومدة ولايته نيف وأربعين سنة. قال صاحب نيل الابتهاج: "والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس، أصله منها، تجيبي النسب". من آثاره: "شرح الحوفية"،و"شرح البردة" و"شرح جمله الخونجي"وغيره. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:236-237. و"البستان" ص: 221-222.

6: وقد وهم صاحب "طبقات المفسرين" الأدنه وي، فنسب التصنيفين لابنه قاسم بن سعيد العقباني، وجعل سنة وفاته: 830هـ. وهو وهم كبير لحقه بعض الباحثين فيه دون تنبه.

جليلة"[1]، وقال الداودي في «تفسير سورة الفتح»:" أتى فيه بفوائد جليلة"[2]، ولم تصل إلينا هذه التصانيف فهي من التفاسير المفقودة.

كما كان الإمام العقباني يُدرِّس التفسير بعد توليه القضاء ويبثه في الناس بالجامع الأعظم بتلمسان، كما أخبر تلميذه القلصادي[3]، وهو شيخ ابن زاغو المفسر.

– عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي يحي الحسني التلمساني، أبو يحيي[4](ت:826هـ)، صنَّف ودرَّس في التفسير، له:«تفسير سورة الفتح» قال عنه ابن مخلوف:"على غاية من التحقيق"[5].

وقال عنه أخوه الإمام عبد الله ممتدحا تفسيره هذا:"وقفت على ما أولتموه وفهمت ما أردتموه، فألفيته مبنيا على قواعد التحقيق والإتقان، بعد مطالعة كلام المفسرين ومراجعة الأفاضل المتأخرين".[6]

اعتمد عليه تلميذه ابن زاغو في تفسيره كثيرا، ووصفه التنبكتي بالقول:"الإمام العلامة الأوحد شريف العلماء وعالم الشرفاء، آخر المفسرين ".[7]

1: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص: 222.

2: طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، ج:01، ص:189.

3: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:1، ص:581.

4: أبو يحي، عالم بالتفسير، محدث، حافظ، أصولي، من أكابر فقهاء المالكية، من أهل تلمسان مولدا ووفاة. أخذ عن أبيه الشريف التلمساني وغيره. كان آية من آيات الله في القيام بتحقيق العلوم مع الإتقان حاملاً لواء المعارف والعرفان، قال ابن العباس: "هو شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن". انظر:"معجم المفسرين "ج:1، ص: 70. و"شجرة النور" ج:1، ص:362.

5: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 362.

6: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ص:253.

7: المرجع نفسه، ص:252.

– أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي، أبو العباس[1](ت:830هـ)، له «تقييد في التفسير»[2] قيَّده عن ابن عرفة في دروسه التفسيرية[3]، وأضاف له زيادات، وذكر فيه أنه أول ما حضر عنده سنة:785هـ. قال التنبكتي:"وهو تقييد فيه فوائد وزوائد ونكت ".[4]

ولأبي العباس تقييد ثان، اسمه «التقييد الصغير»[5] ذكره الدكتور المنوني، وأنه يقف في سورة الصف، وأنه" قام بتكميل هذا النقص الواقع في «التقييد الصغير» ابن غازي المكناسي[6] المتوفي سنة 919هـ"[7]. يقول الحفناوي:"... ووقع له فيه قصة، وذلك أنه لما ألّفه سمع بذلك الأمير الفقيه الحسن ابن السلطان أبي العباس الحفصي، فراسله فيه وطلبه منه، فامتنع وماطله أياما، ثم أرسل إليه وأمر رسله لا يفارقوه حتى يسلمه لهم، فلما رأى الشيخ صاحب الترجمة الجد في الأمر أخذ منه من سورة الرعد إلى الكهف ودفع لهم الباقي فمشوا به، فبقي أهل تونس لا شعور لهم به، فلذلك كان أصل نسخه من نسخة السودان ومن هناك انتشر.

1: أبو العباس أحمد المسيلي، قال في "شجرة النور": عمر البسيلي: فقيه، مفسر، من أهل مسيلة، رحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة وأبي مهدي عيسى الغبريني وأبي العباس البطرني وابن خلدون وغيرهم. انظر"معجم المفسرين"ج:1، ص: 71، و"الأعلام"ج:1، ص: 227.

2: مخطوط يقع في مجلدين، منه عدة نسخ في الخزانة العامة بالرباط. والنصف الثاني منه في خزانة تمكروت بسوس بالمغرب، تحت رقم:2862. ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، برقم: 2828.

3: التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، من سورة مريم إلى سورة الفلق، ومعه تفسير ابن عرفة برواية الأبي، دراسة وتحقيق، إعداد الطالب الباحث: بوشعيب متقي، إشراف الدكتور إدريس خليفة، (رسالة دكتوراه)، مؤسسة دار الحديث الحسنية الرباط، نوقشت في: 2011/02/02.

4: وذكره صاحب "كشف الظنون" على أنه تفسير كامل فقال: "تفسير ابن عرفة" ... روى عنه تلميذه: أحمد بن محمد البسيلي. وجمع ما حفظه عنه أو عن بعض حذاق طلبته، زيادة على كلام المفسرين. انظر:"كشف الظنون"ج:1، ص:438.

5: حُقق بعنوان: نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، حققه الدكتور: محمد الطبراني، ونشر بوزارة الأوقاف المغربية بمطبعة النجاح الجديدة، طبعة: 01، سنة: 2008م. في 3 مجلدات.

6: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي. أبو عبد الله: مؤرخ حاسب فقيه. من المالكية، من بني عثمان (قبيلة من كتامة بمكناسة الزيتون) ولد بها وتفقه بها وبفاس، وأقام زمنا في كتامة، واستقر بفاس سنة 891 وتوفي بها. له "الروض الهتون" في أخبار مكناسة، و"الفهرسة المباركة " في أسماء محدثي فاس وكتّابها وغيرها توفي سنة:919هـ. انظر:" الأعلام" ج:5، ص:336.

7: مجلة دعوة الحق، عدد ذي القعدة سنة:1979م/ 1393هـ، العدد الثالث، ص:155.

وقد كان الشيخ لما طولب به اختصر منه تقييدا صغيرا جدا، وهو موجود ببلاد فاس ومراكش بيد الناس".[1]

– محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، أبو عبد الله العجيسي التلمساني الحفيد[2](ت:842هـ)، وهو أحد طلبة سعيد العقباني وابن عرفة الأندلسي المفسِّر، حكي صاحب «شجرة النور» أنه لما دخل لجامع الزيتونة وجد الإمام ابن عرفة يفسر قوله عزّ من قائل:﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[الزخرف: 36] .[3]

ترك أثرين في علم التفسير الأول:«اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة»[4]مسائل في الفقه والتفسير، والثاني:«تفسير سورة الإخلاص». قال عنه التنبكتي مادحا:" إلى ما انضم لذلك من معرفة التفسير ودرره، والاطلاع بحقائق التأويل وغرره، فلو رآه مجاهد لعلم أنه في علوم القرآن العزيز مجاهد، أو لاقاه مقاتل لقال: تقدم أيها المقاتل، أو الزمخشري لعلم أنه كشف النكت على الحقيقة، وقال لكتابه: تنح لهذا الحبر عن سلوك تلك الطريقة، أو ابن عطية لعلمكم الله تعالى من فضل وعطية، أو أبو حيان لاختفى منه إن أمكنه في نهره ولم تسل له نقطة من بحره".[5]

1: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:78.

2: المعروف بالحفيد، فقيه حجة في المذهب المالكي، نحوي، عالم بالأصول، حافظ للحديث، مفسر، ناظم، ولد بتلمسان وبها أخذ عن والده وعمه وسعيد العقباني وغيرهم. رحل الى تونس وفاس ثم دخل القاهرة فلقي بها العلامة ابن خلدون والفيروز آبادي والنويري صاحب النهاية وأخذ عنهم. حج سنة 790هـ رفقة الإمام ابن عرفة وحج ثانية سنة 819 هـ فلقي الإمام ابن حجر وأخذ عنه. مات بتلمسان. له آثار كثيرة. انظر: "معجم المفسرين"ج:1، ص: 290-292. و"شجرة النور" ج:1، ص:364.

3: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 364-365.

4: أطروحة دكتوراه للطالب سقساق أحمد، دراسة وتحقيق، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي، بتطوان، سنة:2008م.

5: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ص:500.

– أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو المغرواي التلمساني[1](ت:845هـ)، ذكره القلصادي فقال: "شيخنا الفقيه الإمام المصنف المدرس، أعلم الناس في وقته بالتفسير وأفصحهم"[2]، درَّس بالمدرسة اليعقوبية علم التفسير، له مصنف في«تفسير الفاتحة» قال عنه ابن مريم:"في غاية الحسن"[3]، والحجوي:" كثير الفوائد"[4]، وله أيضا «مقدمة في التفسير» قال عنه التنبكتي:"في غاية الحسن كثير الفوائد"[5].

وقد أشير إلى مصنف ثالث هو«التذييل على تفسير الفاتحة في ختم التفسير» وهو وهم كبير أورده بعض الباحثين[6]، والعبارة ذكرها تلميذ ابن زاغو القلصادي، حينما ذكر التآليف التي قرأها على شيخه ثم أردفها بالقول "وتفسير الفاتحة، والتذييل عليه في ختم التفسير"[7]، والعبارة مُرادها أن ابن زاغو عمل تذييلا على رسالته «تفسير الفاتحة» بعد ختمه لمجالسه التي عقدها مع طلبته، وهي زيادة توكيد وبيان وإيضاح لما جاء في متن تفسيره.

– محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، أبو الفضل[8](ت:845هـ)، كان صاحب صنعة تفسيرية تأليفا وتدريسا، ذكر تلميذه القلصادي أنه كان صاحب مجالس "وأنه حضر مجلسه"[9]، وأورد صاحب

1: ابن زاغو المغراوي التلمساني: مفسر، محدث، أصولي، منطقي، صوفي، من أهل تلمسان. أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني وأبي يحي الشريف وغيرهما. درَّس في المدرسة اليعقوبية وتوفي سنة:845هـ في الوباء. له: "شرح التلمسانية " في الفرائض، "منتهى التوضيح في عمل الفرائض" "فتاوى " في أنواع من العلوم. انظر: "معجم المفسرين"ج:1، ص: 156-157. و"شجرة النور"ج:1، ص:366.

2: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:117.

3: المرجع نفسه، ص: 116.

4: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار المعارف، الرباط، دط، ت:1340هـ، ج:4، ص: 91.

5: نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكتي، ص: 119.

6: كالباحث بلقاسم أبو محمد في مقالته بجريدة الفجر الجزائرية:"الولي الصالح والصوفي الزاهد العلامة سيدي بن زاغو المغراوي"، والدكتور عبد الحق حميش في مقاله:"تفسير الفاتحة لابن زاغو التلمساني" بجريدة الخبر الجزائرية. انظرهما على الأنترنت.

7: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:118.

8: أبو الفضل التلمساني: عالم بالتفسير والفقه، مشارك في علوم الأدب والطب والتصوف، نشأ وتعلم بتلمسان. رحل الى المشرق، وحج، ودخل القاهرة وبيت المقدس. وهو أول من أدخل للمغرب شامل بهرام، وشرح المختصر له، وحواشي التفتازاني على العضد وغيرها من الكتب الغريبة عن أهل المغرب. انظر: "معجم المفسرين"ج:1، ص: 75. و"شجرة النور"ج:1، ص:366.

9: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 367.

«شجرة النور»كلاما له في تفسير قوله تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ: 28] وذكر ابن مريم تصنيفا له سماه:« أبحاث في التفسير» تكلم فيها مع الإمام المقري في مسائله التفسيرية، وقد نقلها صاحب «المعيار». قال عنها في «نيل الابتهاج»:" مفيدة مع ما كتبت من فوائد تفسيرية".[1]

– إبراهيم بن فايد الزواوي النجار، أبو إسحاق القسنطيني[2](ت:857هـ)، ذكر الداودي أنه" أخذ التفسير عن القاضي أبي عبد الله القلشانيّ، وعمل «تفسيرا»"[3]. وتفسيره هذا في عداد التفاسير المفقودة، فلا يدرى حجمه ولا منهجه ولا أسلوبه، ولم أجد له ذكرا عند من ترجم له، إلا من تتابع النقل من السخاوي عن الداودي، في أنه عمل تفسيرا.

وذكر أبو القاسم سعد الله تفسيره بالقول: وينسب لأبي جميل إبراهيم بن فائد الزواوي تفسير مكتوب للقرآن الكريم، غير أننا لا ندري إن كان هذا العمل قد أنقذ من الضياع".[4]

– عيسى بن سلامة البسكري[5](ت:860هـ)، صنَّف كتابه «اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار »[6] فسر فيه الكثير من السور والآيات التي أوردها في بيان فضائل القرآن وطريقة الاستشفاء بالقرآن الكريم،

1: انظر "نيل الابتهاج"، ص: 305.

2: أبو إسحاق، مفسر، من كبار علماء المالكية في وقته. ولد في جبل جرجرة، وتعلم في بجاية وتونس قسنطينة، وحج مرارا وجاور. واستقر في قسنطينة. من آثاره: "شرح ألفية ابن مالك " في مجلد واحد، و"تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل"، و"تلخيص التلخيص" وغيره. انظر: "شجرة النور"ج:1، ص:378. و"معجم المفسرين"ج:1، ص: 160.

3: طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، ج:01، ص:17.

4: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 121.

5: عيسى بن سلامة البسكري، تتلمذ على يدي صاحب « الجواهر الحسان » وابن مرزوق الحفيد، درَّس بالغرب الجزائري بقلعة هوارة، وخرج لتونس وأخذ عن شيوخ الزيتونة، توفي سنة: 860هـ. انظر" تاريخ الجزائر الثقافي" ج:1، ص: 105.

6: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالحامة برقم: 828(2)، وأخرى برقم: 1767(4)، ونسخة أخرى بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة برقم: 223/3(8/1687). وأخرى بالإسكندرية برقم: 17.

وهو تفسير صوفي، وصفه أبو القاسم سعد الله بالقول:"ولكن اللوامع والأسرار التي أرادها البسكري هي لوامع وأسرار من نوع خاص، وهو النوع الصوفي المختلط بالدروشة والفجاجة والسخف".[1]

– محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي، أبو الفضل[2](865هـ)، تلميذ أبي العباس ابن زاغو المفسر، وأبي القاسم سعيد العقباني المفسر، وأبي الفضل بن الإمام المفسر، لم يصنف في التفسير، وكانت له دروس وحلقات فيه بالجامع الأعظم ببجاية، ذكر السخاوي أنه " درَّس للنَّاس فِي عدَّة فنون فبهر الْعُقُول وأدهش الْأَلْبَاب... انتزع لهُ تدريس التَّفْسِير بقبة المنصورية من المحيوي الطوخي وَعمل لَهُ إجلاسا حَضَره فِيهِ الأكابر وَلم يَجْسُر أحد على التَّكَلُّم مَعَه".[3]

– أحمد بن محمد بن حسن بن علي الشُمُنّي القسنطيني[4](ت:872هـ)، لم يصنف في التفسير، وكانت له دروس فيه، قال عنه السيوطي:" أما التفسير فهو بحره المحيط وكشَّاف دقائقه، بلفظه الوجيز الفائق على «الوسيط» و«البسيط»... وأقرأ التفسير والحديث والفقه والعربية والمعاني والبيان وغيرها، وانتفع به الجم الغفير، وتزاحموا عليه، وافتخروا بالأخذ عنه".[5]

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 105.

2: أبو الفضل، مفسر، عالم بالحديث ورجاله، أصولي، فرضي، فقيه، من أشهر علماء المالكية في عصره. ولد في بجاية وتعلم بها وبتلمسان. ثم تصدر للاقراء والتدريس. دخل عنابة وقسنطينة وتونس، ثم توجه الى المشرق عن طريق قبرص، فدخل بيروت ودمشق وطرابلس الشام وحماه، وسكن بيت المقدس مدة. وحج وجاور، ثم دخل القاهرة، مات غريبا فريدا من آثاره "شرح على جمل الخونجي". انظر: "شجرة النور"ج:1، ص:379. و"معجم المفسرين"ج:1، ص: 301-302.

3: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت،ج:9، ص: 187.

4: أبو العبّاس أحمد الحنفي هو، المالكي والده وجدّه، ولد بإسكندرية في رمضان سنة إحدى وثمانمائة، وقدم القاهرة مع والده، وكان من علماء المالكية وبرع في الفنون، قرأ التفسير، والحديث، والفقه، والعربية، والمعاني، والبيان، ثم ولي المشيخة والخطابة بتربة قايتباي الجركسي بقرب الجبل، وصنّف «شرح المغني» لابن هشام، و«حاشية على الشفا» وغيره مات بالقاهرة. انظر: "شذرات الذهب" ج:9، ص: 464. و"بغية الوعاة"ج:1 ص:375-376 .

5: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط:01، ت:1964م، ج: 1، ص: 377/375.

وجعل له صاحب «المعلمة»[1] تفسيرا بعنوان «الوسيط والبسيط» وهو وهم كبير، والعبارة ذكرها السيوطي في معرض الثناء عليه وعلى علمه في التفسير، ولم يرد بها ذكر تصانيفه، ويحتمل أنه فاق الواحدي المفسر في كتابيه «الوسيط» و«البسيط» ولم يذكر كل من ترجم له أنه ترك تصنيفا في التفسير أو علوم القرآن.

– عبد الرحمن الثعالبي أبو زيد[2](ت: 875هـ)، المفسِّر العلم المشهور، صنَّف في التفسير كتابه الشهير« الجواهر الحسان»[3] اختصر فيه «تفسير ابن عطية» وشحنه بفوائد كثيرة، جمعها من مراجع ومصادر جمة فاقت المئة، جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وأكثر فيه من شواهد اللغة وإعرابها، كما تعرض لآيات الأحكام وأسباب النزول والمكي والمدني منها، وكذا القراءات الواردة في الآية الواحدة، كما احتج في استدلالاته بالشعر والاسرائيليات، وله أيضا «تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن»[4] و«الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز»[5]، كما كان يُدرِّس بمسجد"جنان الطلبة" ويعقد مجالس لقراءة تفسيره على الطلبة.

1: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط:02، ت:2007، ص: 41.

2: عبد الرحمن بن محمَّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري: الإمام، علم الأعلام الفقيه المفسر، أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين المتين أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب وعرف بهم وبنفسه وما له من التأليف في فهرسة كالأبي والولي العراقي والحفيد ابن مرزوق وأجازوه، له تأليف كثير مفيدة منها: "روضة الأنوار" في الفقه وكتاب في معجزاته صلى الله عليه وسلم و"الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة" و"شرح منظومة ابن بري في قراءة نافع" و"الإرشاد في مصالح العباد". مولده سنة 786هـ وتوفي سنة ست أو خمس وسبعين وثمانمائة. انظر: "شجرة النور"ج:1، ص:382. "تعريف الخلف برجال السلف" ج:1، ص:559.

3: طبع أول مرة بالجزائر سنة: 1905م، بعناية مصطفى بن الخوجة، في أربعة أجزاء، ثم اهتم به الدكتور عمار طالبي فطبعه ثانية بمطبعة المؤسسة الوطنية للكتاب في خمسة أجزاء، ثم اهتم به الغماري الإدريسي فطبعه أيضا سنة: 1996م بدار الكتب العلمية ببيروت.

4: أشار له صاحب «هدية العارفين » إسماعيل باشا ج:1، ص: 532، ونويهض في «معجم المفسرين»ج:1، ص: 276، ولكن لم أجد مخطوطاته، ولم يُشر إليه من طرف الباحثين.

5: وهو المعجم الذي طبع بآخر تفسير «الجواهر الحسان» للألفاظ الغريبة في تفسيره.

– إبراهيم بن محمد الصدقاوي، الزواوي البجائي، المصعصع[1](ت:882هـ)، لم يكن له تصنيف في التفسير أو علوم القرآن، إنما أشار إليه السخاوي بأنه"كان ذا إلمام بالتفسير يستحضر من ابن عطِيَّة"[2]، وقوله يستحضر، دليل إقامته على التدريس في الحلقات.

– محمد بن قاسم الأنصاري، الرصاع، أبو عبد الله[3](ت:894هـ)، اشتغل بالإمامة في جامع الزيتونة، وتدريس التفسير للرواد، له تفسير يعتبر في عداد التفاسير المفقودة، ذكره السخاوي بالقول:"بلغنِي أنه شرع فِي تفسير"[4]،كما ألَّف في الشواهد القرآنية من «المغني» لابن هشام ورتبها على السُّور وقام بتفسيرها، وسماه «الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب »[5] أتى فيه على جميع سور القرآن الكريم.

1: إبراهيم الصدقاوي، الزواوي البجائي، فقيه مالكي، له إلمام بالتفسير. نشأ وتعلم في بجاية وإليها نسبته. مِمَّن أَخذ عَن مُحَمَّد بن أبي القاسم المشدالي، ويحضر دروس البرهاني بن ظهيرة، رحل إلى المشرق وسكن بالمدينة المنورة مدة، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها إلى أن مات سنة 882هـ وهو ابن ست وستين سنة. انظر"الضوء اللامع" ج: 1، ص: 149، "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص: 32.

2: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، ج:1، ص: 149.

3: محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع: قاضي الجماعة بتونس، ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس سنة:831هـ، وعاش وتوفي بها. وله فيها عقب إلى الآن. اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، متصدرا للإفتاء وإقراء الفقه والعربية. وعرف بالرصاع لأن أحد جدوده كان نجارا يرصع المنابر. له كتب منها: "التسهيل والتقريب والتصحيح لرواية الجامع الصحيح" ، و "تذكرة المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين" وغيرها. انظر: "الضوء اللامع"ج:8 : ص:287 و "الأعلام"ج:7، ص:05.

4: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، ج:8، ص: 287.

5:وقد حقق منه الطالب: أحمد بن مصلح من سورة إبراهيم على آخر سبأ، كرسالة للماجستير سنة:1430هـ، بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية بالسعودية، وحقق الطالب: أحمد بن مضيف، من أول فاطر إلى آخر الناس، أيضا كرسالة ماجستير بنفس القسم والجامعة سنة: 1429هـ، والطالب: المهدي بن لخضر من سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة، كرسالة دكتوراه بكلية الآداب بتطوان بالمملكة المغربية سنة 2003م، منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بتونس برقم:4115، في 228 لوحة، كما توجد منه نسخة للجزء الأول بالزاوية الحمزاوية بتافيلالت المملكة المغربية، برقم:89، بخط مغربي واضح.

– أحمد بن عبد الرحمن الحسني أبي يحيي التلمساني، أبو العباس[1](ت: 895هـ)، لم يصنف في التفسير ولا في علوم القرآن، وله جهود في تفسير القرآن في مجالس مشيخته، ترجم له صاحب «تعريف الخلف» بالقول: "المحقق المفسر"[2]، وصاحب «شجرة النور» بالقول:"المفسر الفقيه الفهّامة".[3]

– محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني، أبو عبد الله[4](ت:895هـ) تلميذ أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي، فسَّر القرآن الكريم كله في مسجد"درب المسوفة" بتلمسان، وترك تصانيفا في التفسير منها:« تفسير سورة ص» و« تفسير سورة الكوثر»[5] و«مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف».

وقد ذُكر في ترجمته أنه ألَّف تفسيرا للقرآن الكريم وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 5][6] ولا يستبعد أن يكون «تفسير سورة ص» ضمن هذا التفسير الكبير وأن الباقي قد فُقد، خاصة أن صاحب«تعريف الخلف» عند ذكره «تفسير سورة ص» قال:"وما بعدها من السور".[7]

1: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، أبو العباس، وعند السخاوي:أحمد بن يحي، ويقال أبو جعفر، الحسني التلمساني المفسر، قاض، محدث، حافظ، أصولي، من أكابر فقهاء المالكية، وهو حفيد الشريف التلمساني، نشأ وتعلم بتلمسان، ثم رحل إلى الأندلس وولي قضاء الجماعة بغرناطة في أواخر العهد الاسلامي بها. أخذ عنه محمد بن علي بن الأزرق الغرناطي قال السخاوي: إنه ممن عمر، وهو سنة 896هـ من الأحياء" وفي وفيات الونشريسي أنه توفي بتلمسان سنة 895هـ. انظر:"معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 66. و"البستان" ص:120.

2: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:1، ص:101.

3: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 385

4: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني من جهة الأم، كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد. نشأ بتلمسان، أخذ عن الحسن ابركان ونصر الزواوي وغيرهما، أخباره كثيرة، ذكر بعضها تلميذه الملالي في كتابه "المواهب القدسية في المناقب السنوسية" توفي بتلمسان عن ثلاث وستين سنة. له:" عقيدة أهل التوحيد" و"شرح صحيح البخاري" لم يكمله، و"شرح الأسماء الحسنى" وغيرها كثير. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 180. "شجرة النور"ج:1، ص:385.

5: منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان بالمملكة المغربية، برقم: 102.

6: منه نسخة بالمكتبة العامة بتطوان برقم: 826، وأخرى بالمكتبة الوطنية الجزائرية، برقم: 656. وانظر دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت ففيها نسخة برقم: 127. ومنه نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط. أشار صاحب «البستان» أنه في ثلاثة كراريس في القالب الكبير.

7: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:1، ص:667.

كما له أيضا تفسير لكلام ابن البناء(ت:721هـ) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات: 11].

– محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله التنسي[1](ت:899هـ) تلميذ أشهر أعلام المفسرين الجزائريين كابن الإمام وقاسم العقباني، وابن مرزوق الحفيد، لم يترك تصنيفا في التفسير، ولكنه صاحب تأليف«الطرّاز» وهو في رسم الخرّاز للقرآن الكريم، كان صاحب مجلسٍ يُدرِّس فيه التفسير حكى عنه تلميذه أبو عبد الله بن أبي العباس بالقول:"لازمت مجلس الشيخ الفقيه العالم الشهير سيدي التنسي عشرة أعوام، وحضرت لإقرائه تفسيرا وحديثا...".[2]

– أحمد بن محمد ابن زكري، أبو العباس[3](ت:899هـ)، تلميذ أكابر المفسرين كقاسم العقباني والإمام ابن مرزوق وابن زاغو، لم يكن له تصنيف في التفسير أو علوم القرآن، كانت له مدرسة خاصة بحي "باب الحديد" بتلمسان وعين مدرسا في الجامع الكبير، يعقد فيه مجالس ودروس للتفسير وعلومه وبقية العلوم، يقول ابن مريم في وصف درسه:" وكان مشتغلا بالعلم والتدريس يكرر المسألة الواحدة ثلاثة أيام حتى يفهمها الخاص والعام وانتفع به المسلمون كلهم وكل من يحضر مجلسه"[4]، وصفه مترجموه بالمفسر الأبرع.

1: أبو عبد الله التنسي: مؤرخ، أديب، شاعر، من أكابر علماء تلمسان، ورها نشأ وتعلم. وأصله من تنس. اتهم بالتشيع لتأليفه كتابا في إسلام أبي طالب، له "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان" طبع. و"راح الأرواح فيما قاله أبو حمو وقيل فيه من الأمداح"، و"فهرست " بأسماء مشايخه، و"فتاوى" حول مسألة يهود توات وغيرها. انظر:"معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:85." الضوء اللامع"ج:8، ص:120.

2: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:431.

3: أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني: علامة تلمسان ومفتيها في زمنه، أصولي، بياني، من أكابر فقهاء المالكية. رآه العلامة أحمد بن زاغو، فأعجبه ذكاؤه، فقال له: مثلك يشتغل بالعلم. واستمر يشتغل بالعلم الى أن نبغ واشتهر. له: "مسائل القضاء والفتيا" و"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب"ومنظومة في علم الكلام أسماها "محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد" تنيف على 1500 بيت، انظر: "تعريف الخلف"ج:1، ص: 535.

4: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:115.

أورد صاحب «البستان»[1] نموذجا من تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ :[الفتح: ١].

– محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله[2](ت:909هـ) تلميذ أبي زيد الثعالبي وأبي يحيي الحسني التلمساني، ترك في علم التفسير كتابه الشهير «البدر المنير في علوم التفسير»[3]و«تفسير سورة الفاتحة»[4] وكانت له حلقات ومجالس يعقدها في مواطن سفره وترحاله، يدرِّس فيها علم التفسير وبقية الفنون والعلوم.

– محمد بن أبي العيش الخزرجي التلمساني، أبو عبد الله[5](ت:911هـ) نسب له نويهض في«معجم المفسرين»[6] تفسيرا للقرآن الكريم، ولم أجد في ترجمته ما يشير لذلك أو ما يظهر تضلعه في علم التفسير أو علوم القرآن.

وإن كان من وهم فقد يكون في اعتماد نويهض على كلام أبي زكريا ابن خلدون حينما ذكر الخزرجي أبو العيش ونسب له تفسيرا للقرآن الكريم، ولكن الأخير ذكره باسم: عبد الحميد، كما أن ابن خلدون توفي سنة: 780هـ، والمترجم له سنة: 911هـ.

1: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص: 114.

2: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، فقيه، مفسر، متكلم، نسبته الى مغيلة، قبيلة من البربر، نشأ بتلمسان. ناوأ اليهود في توات وكانت له معهم مشاحنات أدت إلى قتالهم وهدم كنائسهم. زار بلاد السودان واجتمع بسلطان "كانو" وكتب له رسالة في أمور السلطنة، ومنها ارتحل الى بلاد التكرور، وكان في سفره ينشر أحكام الشرع ويحض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي في توات. له:"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، وغيرها. انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 308. "شجرة النور"ج:1، ص: 395.

3: ذكر الدكتور محمد بن بريكة أنه في ستين مجلدا، وأنه في الخزانات التواتية بأدرار، وقوله في ستين مجلدة مستغرب جدا.كما أشار صاحب "المعلمة" إلى نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ولم يشر إلى رقمها.

4: حُقق من طرف الأستاذ علال بوربيق طبعة مؤسسة البلاغ سنة: 2013م. وحقق في مجلة رفوف في عددها الثالث الصادر في ديسمبر 2013 من طرف الاستاذ المغيلي خدير، ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان.

5: محمد بن عبد الرحمن بن أبي العيش الخزرجي التلمساني، مفسر، أديب، شاعر، فقيه، أصولي، أصله من أشبيلية بالأندلس. ولد ونشأ بتلمسان، وأخذ عن أشياخها. من آثاره: "شرح الأسماء الحسنى" في جزءين، و "كتاب في أصول الفقه " و"فتاوى" نقل بعضها في "المعيار". انظر: "معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص: 246. "شجرة النور"ج:1، ص:396.

6: معجم المفسرين، عادل نويهض، ج:2، ص: 799.

وبهذا الاستقراء الذي حاولتُ من خلاله جاهدا بيان حركة التفسير بأرض الجزائر، بذكر أعلامه وأهم مؤلفات ومصنفات كل عَلم، وطبيعة مساهمته في هذه الحركة إن تأليفا أو تدريسا، بدءا من الفتح الإسلامي مرورا بالدول المتعاقبة عليها إلى غاية بدايات العهد العثماني في شتى الحواضر العلمية، يمكن القول أن الرصيد العلمي التفسيري لتلك المدة المستقرأة الطويلة زمانيا، يعتبر رصيدا ضئيلا، لا يمثل حقيقةَ قيمة الحواضر العلمية الكبرى بأرض الجزائر، بعد أن كانت في فترات متباينة قبلة يقصدها كل شغوف بالعلم والتعلم، ولا يمكن القول أيضا أن هذا الحكم يشمل كل الفنون والعلوم الشرعية، إذ لوحظ انتعاشٌ كبيرٌ لبقية العلوم كاللغة والفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها، وهي ظاهرة استمرت حتى العهد العثماني، وسنقف على أسبابها بما سنبينه فيما يأتي من فصول ومباحث.

المبحث الثاني: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن العاشر الهجري (900هـ-1000هـ):

في الحقبة الزمنية الممتدة من بدايات الضعف والتعثر الزياني إلى بدايات العهد التركي العثماني الجديد، أسهمت الاضطرابات السياسية والثورات الحربية في التأثير على وضع العلوم والفنون الدينية عموما، وعلى علم التفسير بوجه خاص، خاصة مع تزايد الحملات الإسبانية على السواحل، واحتلال مدينة وهران ومن قبلها بجاية وشن الغارات على تلمسان، وهي مراكز علمية وحواضر ثقافية كبيرة تأثرت بتلك المرحلة من الاضطرابات، وتلك الظروف السياسية التي ألقت بثقلها على العلماء وطلبة العلم الشريف.

وفي تلك الأثناء وصلت الدولة الزيانية إلى مرحلة من الضعف والتقهقر، ورغم ذلك فإنها بقيت محافظة على نوع من التوازن في الجانب العلمي الثقافي، بعد انتشار العلوم العقلية والنقلية وشيوعها بين الطلبة، وتحرك آلة التجديد نسبيا، واعتماد نظام تدريسي محكم من طرف الزيانيين، وهو ما جعل من "سوق العلم حينئذ نافقة، وتجارة المتعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة، وإلى الجد والاجتهاد فيه مرتقبة"[1]، خلافا لبدايات العهد العثماني الذي يعتبر تدريس التفسير والتأليف فيه امتدادا لجهود علماء الدولة الزيانية والحفصية بعلمائها الجزائريين، حيث اتسم بالتراجع والقلة مع تنامي الظواهر السياسية وفشو الصراعات العسكرية، وتباين وجهات النظر في الحكم على هذا الوجود، بين معتبرٍ له فتحا وطرفٍ آخر يراه احتلالا، وهو ما حدا ببعض العلماء إلى هجرة الديار والفرار استنكارا، كرحيل الإمام المفسر ابن الوقاد[2] إلى حاضرة فاس- وهو أحد أبرز أعلام التفسير بحاضرة تلمسان-، وببعضهم الآخر إلى منابذة العثمانيين ومقاتلتهم كثورات زواوة والشيخ محمد السويدي[3]، وبغالبيتهم إلى الانضواء تحت سلطانهم والترويج لفضائلهم.

1: تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، أبو الحسن القلصادي، تحقيق: محمد أبو الجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دط، 1978م، ص: 94.

2: توفي سنة:1001هـ، وستأتي ترجمته ضمن أعلام التفسير في القرن الحادي عشر.

3: انظر أحداثهما في" تاريخ الجزائر الثقافي"ج: 1، ص: 212-213.

ولعل الأمر المشترك في تراث التفسير لدى علماء الجزائر زمن العثمانيين، هو قلة خدمة هذا العلم تأليفا، خاصة إذا ما قورن ببقية العلوم، وأنه قلَّما كان العالم يجمع بين التأليف والتدريس في التفسير وعلومه، لذا فإننا سنجد قرونا مضت دون تسجيل أي تأليفٍ في التفسير أو حتى علومه كالقرن العاشر مثلا، الذي هو قرن الوجود العثماني ببلاد الجزئر.

ويعتبر الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت:909هـ)، حلقة الوصل بين العهد الزياني وبدايات العهد العثماني، بمؤلفاته وجهوده في التفسير وعلومه، وبقائها متداولة منتشرة في تلك الحقبة، إذ لم تعرف الساحة العلمية التفسيرية أي تأليف مستقل بعد وفاة المغيلي، ولا ينسحب الأمر على التلقين والتدريس سواء في المساجد أو المدارس الخاصة والعامة، بل ظهر على الساحة العلمية التفسيرية علماء أقاموا دروسا في التفسير وعلومه ولقنوها للناس، كقاسم بن يحي الفكون بمساجد قسنطينة، وعلي بن يحي السُلكسيني بمساجد وزوايا تلمسان وغيرهم، الذين لم يتركوا تأليفا خاصا في التفسير أو علومه، إنما كانت جهودا مبثوثة في التدريس والتلقين فقط.

ولم يظهر في هذه الفترة من بدايات العهد العثماني أي تأليف خاص بتفسير القرآن الكريم أو علومه عند علماء الجزائر، إلا ما ذُكر من تفسير محمد بن علي الخروبي الطرابلسي[1](ت:963هـ) المسمى «رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن»[2]، والخروبي أحد علماء ليبيا الذين استقروا بالجزائر ولم يكن جزائريا،

1: الطرابلسي أو السفاقسي الجزائري، فقيه الجزائر في عصره، مفسر، محدث من كبار العلماء. ولد في قرية قرقارش من قرى طرابلس الغرب عاش بالجزائر وولي الخطابة بها. وفي سنة 959 هـ دخل المغرب الأقصى سفيرا بين سلطان آل عثمان وبين أبي عبد الله المهدي الشريف الحسني، فزار فاس ومراكش. مات بالجزائر العاصمة وخلف خزانة من كتب العلم. له: "رسالة ذوي الإفلاس الى خواص أهل فاس" و"شرح صلاة ابن مشيش". انظر:"معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص: 132."شجرة النور الزكية"ج:1، ص:411.

2: حقق كرسالة دكتوراه للطالب: إسماعيل إسماعيل الربه، سنة:1996، بجامعة الأزهر الشريف، ونوقشت مجزأة بين مجموعة من الطلبة كرسائل ماجستير بجامعة الأزهر أيضا هم:

1: سورة الصافات إلى آخر غافر، نور محمد علي المكاوي، سنة: 2002. 2: سورة المؤمنون والنور والفرقان، أبو الفتوح عبد ربه إبراهيم، سنة: 2002. 3: سورة الأحزاب وفاطر وسبأ ويسن، رمزي محمد إبراهيم، سنة: 2003. 4: سورتي المائدة والأنعام، جودة محمد أبو=

وهو خارج بهذا الوصف عن دراستنا، وجهوده لا تنكر في خدمة التفسير بدروسه في المساجد والزوايا، خاصة أنه كان من أقطاب الطريقة الشاذلية والمنافحين عنها، أشار محقق «رياض الأزهار» إلى أن الخروبي "جمع في تفسيره هذا بين الشريعة والحقيقة، فأتى فيه بعلوم الظاهر من اللغة والنحو والتفسير والقراءات، والمعاني والفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها، بجانب اشتماله على حقائق ونكت علمية وإشراقات صوفية"[1]، ومَثَّل لاهتماماته بالقراءات واللغة والنحو والحديث في مواطنها عند تفسيره للآيات القرآنية.

وبقي الأمر مثبتا في تلقين التفسير وبثِّه عبر الدروس في المساجد والمدارس والزوايا، دون أن نجد تفسيرا مكتوبا واحدا عبر هذا القرن بأكمله، وقد اقتصر الأمر على **أربعة أعلام** طيلة هذا القرن:

الأول: قاسم بن يحي بن محمد، الفكون (ت: 965هـ):

قاسم بن يحي الفكون المفسِّر الفقيه المشارك في عدة علوم، عالم مدينة قسنطينة وقاضيها، نشأ وتعلم بها، أحد علماء عائلة الفكون العريقة علما وأدبا ونسبا، ترجم له صاحب «منشور الهداية» فقط، ونقل عنه في «معجم أعلام الجزائر»، حلاَّه الفكون بالقول:"كان العمُّ قاسم ممن فاق عصره في علم المعقول، وكان ممن تصدى للتفسير زمن مشيخة عصره"[2]، ووصفه نويهض بالقول:"قاض، مفسر، فقيه، مشارك في عدة علوم"[3]، نبغ بالعقائد والتفسير خاصة، له تقييدات على «أوضح المسالك في ألفية ابن مالك» لابن

=اليزيد المهدي، سنة: 1995. 5: سورة يوسف إلى الحجر، محمد طه دياب علام، سنة: 2003. 6: سورة الذاريات إلى الحشر، محمود أحمد غلوش، سنة: 2003.

1: رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن، سورة الصافات إلى آخر غافر، نور محمد علي المكاوي، ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر الشريف، سنة: 2002. ص: 22.

2: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ص: 43.

3: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج:01، ص: 255.

هشام، ذكر الفكون أنه رأى منها كراريس، وأنه محشو بالتعاليق الرائقة، جمعها من عدة علوم وتصانيف شتى[1]، وله"حواش" على بعض الكتب، توفي بقسنطينة سنة:965هـ.

هاجر لتونس والتحق بالزيتونة طالبا للعلم، تولى الخطابة بجامع البلاط مطولا، ثم رجع إلى مسقط رأسه حيث تولى خطة القضاء، وراح يقيم دروسه بالجامع الأعظم[2] بقسنطينة.

من شيوخه بتونس الإمام محمد بن مغوش[3]، الذي"شهدوا له بالعلم والتحقيق خصوصا في التفسير والعربية"[4]، والذي تدارس التفسير مع الإمام المفسِّر أبي السعود صاحب تفسير «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، كما دَرَسَ بقسنطينة على الإمام الوزان[5] الذي كان يحضر دروسه في التفسير كما ذكر ذلك الفكون في ترجمته إذ يقول في معرض مدحه لحلقته:"وناهيك بهم مشيخة فيهم الشيخ الوزان، وحضره وأثنى عليه".[6]

1: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ص: 43.

2: بني هذا الجامع بقسنطينة سنة:430هـ، بحومة بطحاء ولاد سيدي الشيخ زمن العهد الحفصي، وقد كان منارة كبيرة درَّس فيها الكثير من العلماء وتلقى فيها الكثير من طلبة العلم، تم تشييده على أنقاض معبد روماني. انظر:
Bourouiba, R. : Constantine.- Alger, éd. Ministère de la culture, 1976.

3: محمد بن محمد بن مغوش التونسي، ولي قضاء عسكر تونس، في دولة سلطانها حسن بن محمد الحفصي، ثم قدم من طريق البحر إلى القسطنطينية، والتقى بمفتيها الأستاذ أبو السعود المفسِّر الشهير، ونال حظوة وشهرة بها، له تصانيف منها: الأمالي على شرح الشاطبية للجعبري، ورسالة في الكيمياء وغيره، توفي بالقاهرة سنة 947هـ. انظر:"الكواكب السائرة"ج: 2، ص: 15، و"تراجم المؤلفين التونسيين"ج:4، ص:348.

4: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت:1985م، ج:4، ص: 349.

5: أبو حفص عمر بن محمد الكماد: عرف بالوزان القسنطيني الفقيه العالم الكبير المتفنن،كان آية يبهر العقول في تحرير فنون المعقول والمنقول. أخذ عن أعلام منهم الشيخ طاهر بن زيان القسنطيني وعنه أعلام منهم عبد الكريم الفكون الجد وأبو زكريا الزواوي وأبو الطيب البسكري ويحي بن سليمان. له تآليف كثيرة منها تأليف على طريق المطالع والمواقف سماه "البضاعة المزجاة في غاية التحقيق وتأليف على قول خليل". توفي سنة 960هـ. انظر: "منشور الهداية" ص:35. "شجرة النور" ج:1، ص: 410.

6: منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ص: 43.

من تلامذته يحي بن سليمان الأوراسي[1] الذي حدّث بقصة المفاضلة بين الشيخ مغوش والشيخ الوزان والتي ذكرها صاحب «منشور الهداية»، ولا يعلم غيره.

ولم تسعفنا المصادر التاريخية في التعرف على نماذج من تفسيره في دروسه التي كان يلقيها بالجامع الأعظم ولا منهجه التفسيري وأي طريقة كان يعتمد، وكلام تلامذته عنه، أو حتى بيان من هم طلبته الذين كان يُدرِّسهم باستثناء يحي بن سليمان الأوراسي، غير أن تمكنه من اللغة وشرحه لألفية ابن مالك في النحو[2]، قد يعطي انطباعا عن اعتماده النحو في تحليل وشرح وبيان معاني كتاب الله تعالى في دروسه التفسيرية.

كما يمكن الجزم أنه لم يكن ذا بصمة تجديدية في علم التفسير، ذلك أن الساحة العلمية والعقلية السائدة في تلك المرحلة من مراحل الوجود العثماني بالجزائر، كانت تتسم بالجمود وانتشار التقليد في علم التفسير أو غيره من العلوم الأخرى، وهذا ما جعل أبا القاسم سعد–رحمه الله– يقرِّر أن هذا الحكم ينسحب على تفاسير الجزائر تأليفا أو تدريسا طيلة القرن العاشر، إذ يقول:" فنحن نتصور أن معظم المفسرين للقرآن الكريم في مجالس الدروس، كانوا يكررون في الغالب أقوال المفسرين المتقدمين، وقلَّما يخرجون عليها برأي جديد يتلاءم مع العصر ".[3]

1: يحي بن سليمان الأوراسي، تلميذ الإمام قاسم الفكون والشيخ الوزان، له تقييدات في جملة مسائل فقهية ونحوية وبيانية وغيرها، كان مشاركا في العلوم يخالط بعض سر الحروف، منتهيا للتصوف، تصدى للإفتاء بقسنطينة وأفتى بدار سلطنتها الجزائر، زمان فقهائها، فر من قسنطينة لجبل الأوراس، وقتل إثر الحروب التي قامت بينه وبين عساكر الجزائر، ولم يعلم تاريخ وفاته. انظر: "منشور الهداية" ص: 54.

2: يبقى من الشروح المفقودة، انظر: منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، ص: 43.

3: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص:16/12.

الثاني: علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري[1] التلمساني (ت: 972هـ):

علي بن يحي السُلُكسيني، الفقيه الخطيب المفسِّر، النحوي الفرضي، كان محققا في العلوم، حريصا على العبادة والتدريس، ولد بتلمسان ونشأ بها، وولي إمامة مسجد أجادير[2]، لم يذكر مترجموه سنة ولادته، وتوفي سنة 972هـ. ترجم له صاحب «البستان»[3] وصاحب «مطلب الفوز والفلاح»[4] وكانا من طلبته، وأشارا إلى تمكنه من علوم القرآن والتفسير، فقد كان محققاً ذا دراية فائقة بأحكام القرآن في الحذف والثبت والإعراب[5] ورسم وضبط القرآن وتفسيره.

وصف ابن مريم إقامته على التدريس بالقول "حريص على تدريس العلم، ويدرسه طول نهاره، ولا يفتر عن الدرس إلا في وقت الصلاة والأذان"[6]، أقام دروسا بمسجد أجادير بتلمسان للتفسير وأحكام القرآن وبقية الفنون، وأخذ عنه الطلبة التفسير منهم الشيخ محمد الأدغم السُّويدي[7]، وكان يرافقه الطلبة عند خروجه لواد الصفصيف[8]، فقد كان يُدرِّس العلم في ذهابه ورجوعه في الطريق، ويصف تلميذه ابن مريم

1: ورد اسمه عند عيسى البطوئي في كتابه" مطلب الفلاح" بالجادري لا الجاديري، والصواب ما أثبته.

2: شُيِّد سنة 174 هـ/ 790م، على يد إدريس الأول، قال في" الاستقصا":"وبنى مسجد تلمسان وأتقنه وَأمر بعمل منبر نصبه فيه وَكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أَمر به الإمام إِدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم وذلك فِي شهر صفر سنة أَربع وسبعين ومائة قال ابن خلدون واسم إِدريس مخطوط فِي صفحة المنبر لهذا العهد..". انظر: "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" أبو العباس السلاوي ج:1، ص:213. قلت: وكان منارة لبث العلوم والفنون عبر العصور، ومنه بثَّ أبو جعفر بن نصر الدين الداودي كتابه النّصيحة في شرح صحيح البخاري.

3: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:281-282.

4: مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والفلاح، عيسى بن محمد الراسي البطوئي، تحقيق: حسن الفكيكي، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:1، ت: 2000م، ص: 432.

5: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:281.

6: المرجع نفسه، ص:281.

7: الفقيه الجليل، كان فقيها صوفيا محدثا عروضيا نحويا، أخذ التفسير عن الجاديري يحي، توفي في حدود 980هـ. انظر" البستان" ص: 482.

8: نهر بتلمسان، ينبعث من أسفل جبل البغل ويصب في بركة عظيمة، ثم ينشق منه إلى موضع يسمى المهراز ثم يصب في نهر تافنة. انظر:"المسالك والممالك" ج:2، ص: 746.

طريقته في ذلك فيقول:" ويأخذ الفأس يخدم به في العرصة، والقارئ يقرأ وهو يُفسِّر إلى الزوال، يركب على دابته والقارئ عن يمينه ويساره، هذا دأبه"[1]، وهي واقعة تؤرخ لنهم الطلبة في تلقي علم التفسير واهتمامهم به في تلك الفترة، وقضاء النهار بأكمله رفقة الشيخ في سبيل الظفر بنكتة أو فائدة تفسيرية. أقام دروسه في الحساب والفرائض ومختصر ابن حاجب والرسالة ومختصر خليل وعقائد السنوسي، بمسجده بأجادير، ولم تسعفنا المصادر بتفاصيل أكثر من ذلك.

من شيوخه الذين أخذ عنهم في الحاضرة التلمسانية: أحمد بن ملوكة الندرومي[2] وأحمد شقرون الوهراني[3]، ولم تذكر المصادر التاريخية ماذا أخذ عنهم بالتحديد، خلافا لشيخه محمد بن موسى الوجديجي[4]، الذي كان يحضر مجلسه في شرحه لمختصر ابن الحاجب الفرعي.[5]

1: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:281.

2: أحمد بن أحمد الندرومي التلمساني، المعروف بابن الاستاذ الندرومي، عالم بالمنطق، من كبار المقرئين، فقيه مالكي، من أهل ندرومة، أخذ عن الإمام ابن مرزوق الحفيد وغيره، ورحل إلى القاهرة وتصدر فيها للإقراء، له "كفاية العمل" اختصر فيه شرح شيخه ابن مرزوق على جمل الخونجي في المنطق، كان حيا سنة: 830هـ. انظر: "نيل الابتهاج"ج:1، ص:121، "البستان" ص:120.

3: أحمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني، أبو العباس، فقيه مالكي، حافظ للحديث، من أهل وهران. أخذ عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن غازي وله قصيدة في رثائه، رحل إلى فاس ودرس بها فنالت دروسه إقبالا عظيما، أخذ عنه كثير من العلماء والطلبة في مختلف العلوم الدينية، من آثاره "الجيش الكمين في الكر على من يكفر عوام المسلمين"، اختلف في سنة وفاته، ورجح صاحب "نيل الابتهاج" أنها كانت سنة: 929هـ. انظر:"معجم المؤلفين"ج:10، ص: 71، و"نيل الابتهاج"ج:1، ص:199.

4: أبو عبد الله محمد بن موسى الوجديجي التلمساني: أديب، ناظم، نحوي، محدث، لغوي، فرضي، عالم بالفقه، من أهل تلمسان، تعلم بها وبزواوة. له "قصيدة" في فتح وهران ، وأخذ عنه شقرون بن هيبة والشيخ محمد ابن جلال التلمساني وغيرهما، وكان حيًا قرب 930 هـ، انظر: "شجرة النور الزكية"، ج:1، ص:400، و"نيل الابتهاج"ج:1، ص:508.

5: المرجع نفسه، ص:283.

من تلامذته: ابن مريم التلمساني[1] وسعيد المقري[2] وعبد الرحمن بن محمد الوجديجي[3] وغيرهم.

وجهود الشيخ السُلكسيني مقتصرة على التدريس فقط، إذ لم يترك لنا تأليفا خاصا يمكننا من خلاله دراسة أسلوبه ومنهجه التفسيري، وحتى الذين ترجموا له كابن مريم لم يشيروا إلى ذلك، ولم يوردوا نصوصا ونماذج من تفسيره.

وقد ظهر الشيخ كعَلم من أعلام التفسير وبقية الفنون يقصده الطلبة ويُرتحل إليه في تلك الفترة، فقد تخرج على يديه مجموعة من الطلبة، الذين اعتبروا من أعلام القرن الحادي عشر في شتى الفنون والعلوم.

وليس بين أيدينا من مصادر وكتابات حول حلقته في التفسير وماذا كان يفسر، وأي منهج يعتمد، وهل كان يمارس نظام التحشية على تفسير من التفاسير أم لا؟ وغير ذلك مما لا يمكن الجزم به لندرة المادة العلمية وانعدامها.

الثالث: محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (ت:981هـ):

محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي، الإمام الفقيه، مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم، ولد بتلمسان سنة: 908هـ، ثم رحل منها إلى فاس سنة958هـ، ولما استقر بها قلّده السلطان محمد الشيخ

1: محمد بن أحمد، أبو عبد الله، يعرف بابن أبي مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، مؤرخ، بحاث، مشارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان وتوفي بها، أخذ عن الشيخ سعيد المقري وغير، ألّف "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان"، فرغ منه سنة 1014 هـ، وذكر فيه مشايخه والتآليف التي ألّفها وهي أحد عشر تأليفاً، لم يذكر مترجموه سنة ولادته ولا سنة وفاته، كان حيا سنة:1014هـ. انظر: "شجرة النور الزكية"، 428/1، و"معجم أعلام الجزائر": ج:01، ص:293.

2: سعيد بن أحمد المقَّري، بفتح الميم وتشديد القاف، أبو عثمان، عالم تلمسان في وقته ومفتيها ستين سنة، وخطيب مسجدها الأعظم خمسا وأربعين سنة، وعم صاحب "نفح الطيب"، ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم، أخذ عن والده وعبد الواحد الونشريسي وغيرهما. وأخذ عنه ابن أخيه صاحب " النفح" وابن مريم صاحب "البستان" وابن القاضي صاحب "در ة الحجال". في تاريخ وفاته خلاف بين مترجميه، توفي بعد:1011هـ. انظر: معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص: 311. و"تعريف الخلف" ج:02، ص:157-158.

3: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى، الفقيه العلامة، كان علامة في الفقه والوثائق وعلم الحديث والنحو وعروض الشعر، اتقن علوما عدة، رحل لبلاد زواوة وأخذ على سيدي يحي بن عمر الزواوي، كان مولده في حدود 929هـ، وتوفي سنة: 1011هـ، ودفن بروضة الشيخ سيدي إبراهيم، له نظم أورد ابن مريم بعضه. انظر:"البستان" ص: 259.

الشريف الفتيا بها والتدريس، وخطب بجامع الأندلس ثمان سنين، ثم جامع القرويين ثلاثة عشر سنة، وكانوا يستدعونه في جملة أعيان العلماء إلى مراكش، ويستصحبونه معهم في بعض أسفارهم، توفي سنة: 981هـ.

أحد أعلام الجزائر الذين برعوا في فنون متنوعة، كان علم التفسير أحدها، تنافس الناس في علومه والاقتباس من فهومه، عارفا بالمنطق والعقائد والبيان والفقه والحديث والتفسير وغير ذلك[1]، أدرك مشايخ تلمسان وأخذ عنهم وانتفع بهم كثيرا، وحلاَّه الكثيرون.

من شيوخه في تلمسان محمد بن موسى الوجديجي[2]، فقيه تلمسان، وأبو عثمان سعيد المقري[3]، وأخذ التفسير عن أبي مروان عبد الملك البرجي الأندلسي[4]، والإمام أبو عثمان سعيد المنوئي الكفيف[5] تلميذ أبي العباس ابن زكري (ت:899هـ)[6]، وأبي عبد الله السنوسي(ت:895هـ)[7] –تلميذ أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت:875هـ)[8]– الذي فسَّر القرآن الكريم كله في مسجد"درب المسوفة" بتلمسان، وهي سلسلة مشائخية متينة في علم التفسير.

1: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:410.

2: سبقت ترجمته عند السُلُكسيني.

3: سبقت ترجمته عند السُلُكسيني.

4: أبو مروان، أو أبو عمران، عبد الملك البرجي الأندلسي، الفقيه الرواية، خاتمة العلماء التونسيين، ورد تلمسان وبها استقر إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة، وكان جليل القدر كبير الشأن رحمه الله. انظر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب في القرن العاشر، محمد بن عسكر الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، دط، ت: 1977م، ص:133.

5: ترجم له في «دوحة الناشر» بالقول: أبو عثمان سعيد المنوئي، شيخ شيخنا أبي عبد الله، ومن أصحاب الشيخين وابن زكري، كان من العلماء العاملين والأيمة المهتدين، أخذت عنه بواسطة أبي عبد الله، توفي في العشرة الثالثة. ولم أجد من ذكر ترجمته غيره، إلا إشارة المنجور له في فهرسته أنه شيخ ابن جلال التلمساني. انظر:"دوحة الناشر" ص: 129.

6: سبقت ترجمته في أعلام التفسير قبل العهد العثماني.

7: سبقت ترجمته في أعلام التفسير قبل العهد العثماني.

8: سبقت ترجمته في أعلام التفسير قبل العهد العثماني.

لم يصنف في التفسير، غير أنه كان ذا مجهود كبير في تدريسه له في مساجد تلمسان وفاس، حيث **تتلمذ** على يديه ثلة كبيرة من العلماء كأبي المحاسن يوسف القصري[1]، وابنه أحمد التلمساني[2]، وذكر الحفناوي أن" الشيخ أبا المحاسن لازمه وأخذ عنه وقرأ عليه التفسير"[3]، وذكره المنجور في فهرسته وعدَّه من شيوخه الذين استفاد منهم في العقائد والفقه والحديث والأدب[4]، وهي علوم يظهر أنه كان مقيما عليها بدروس وحلقات في مساجد فاس.

وتبقى منهجية الإمام ابن جلال في التفسير وطريقته في ذلك مجهولة لا نعرف عنها شيئا، لشح المصادر التي تطرقت لذلك، وحتى الطلبة لم يوردوا نصوصا لمنهجية شيخهم التفسيرية وأسلوبه ومدى اعتماده على القراءات واللغة والنحو والحديث وغيرها من العلوم المساعدة في تفسير القرآن الكريم، وإذا ما اعتمد التحشية على أحد التفاسير المشتهرة أم لا؟ وهل حملت دروسه التفسيرية لمسات تجديدية على تفاسير الأقدمين، كل ذلك بقي معدما مبهما.

1: أبو المحاسن يوسف بن محمَّد القصري الفاسي: العالم الفقيه النوازلي أخذ عن ابن جلال وأبي القاسم بن إبراهيم وعبد الوهاب الزقاق وغيرهم، وعنه من لا يعد كثرة، منهم أبناؤه أحمد وعلي والعربي وأخوه عبد الرحمن، وترجم لآل هذا البيت غير واحد منهم المولى أبي الربيع السلطان سليمان سماه "عناية أولي المجد في ذكر آل الفاسي ابن الجد" مولده سنة 937 هـ وتوفي سنة 1013 هـ. انظر: "شجرة النور" ج:1، ص: 428.

2: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، قال صاحب المطمح في "فهرسته" كان من العلماء الأعلام خيرا دينا عارفا بالنحو والفقه أتم معرفة، مشاركا في غيرهما، توفي رحمه الله فجأة سنة 1079هـ. أخذ عن جماعة من الأعلام منه والده ابن جلال. انظر:"تعريف الخلف" ج:2، ص: 66.

3: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:410.

4: فهرس أحمد بن منجور، أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، دط، ت:1976م، ص: 78.

الرابع: عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي القراري (ت: بعد 994هـ):

عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجوزي الوطاسي القراري، نسبة إلى قرارة، الإمام العلَّامة الفقيه اللغوي المفسِّر،[1] أحد أعلام الديار الصحراوية في التفسير، لم تسعفنا المصادر بتاريخ ولادته ولا بشيوخه، يقول تلميذه عبد الكريم أبو المكارم[2]:" ومن جملة من أخذت عنه«الآجرومية» بالكامل، وصدرا من التفسير، والقرآن بحرف نافع إلى أثناء سورة الفرقان"[3]، وذكر أنه أخذ عنه أبوابا من «صحيح البخاري» و«المقدمة» للسنوسي، و«الدرر اللوامع» و«رسالة ابن أبي زيد القيرواني»، وهي حلقات كان يقيمها الشيخ لطلبته.

ولم أجد له من ترجمة سوى ما ذكره صاحب «سلسلة النواة» من ترجمة موجزة، ذكر فيها أنه "كان لا ينام حتى يختم المختصر وكان كثير المطالعة في الكتب"[4]،كما لم يذكر له إلا تصنيفا واحدا هو:«نظم طبقات النسب» قال فيها[5]:

يا سائلا عن طبقات النسب *** خذها على الترتيب عند العرب

أعلاه شعب دونه قبيلـــــة *** ثم عمارة فخذ فصيلـــــــــة

ثمت بطن ثم فخذ بعـــــده *** فصيلة سدسة في العـــــــدة

1: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، دار زمورة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م، ص:432.

2: عبد الكريم بن أحمد بن المسعود الحسني القوراري، قاضي تجورارين، ينتهي نسبه إلى الحسن السبط، متضلع في العلوم، حصل على إجازات مختلفة ثم عاد إلى مسقط رأسه بتازديث، لا يعلم تاريخ وفاته ولا ولادته. انظر: "موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص:432.

3: المرجع نفسه، ص: 433.

4: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، التهامي غيتاوي، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، ط: 1، ت:2001م، ج:1، ص:21.

5: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، ص: 432.

ثمت حي وعشيرة كمـــــا *** نقل نصه الثقات الحكمـــــا

الفاكهاني عليه عمـــــدتي *** فيها ورب الله خير عمـــــدة

وأنجز ذا الأبيات عبد الحكم *** أورثه الله ملاك النعـــــــم

ويظهر من كلام تلميذه أبي المكارم أنه كان مقيما على التفسير بالتدريس، فلم يشر تلميذه ولا مترجمه لأي مصنَّفٍ له في التفسير وعلومه.

ولم تسعفنا المصادر التاريخية وكتب التراجم بما يمكننا بيانه وإبرازه عن أسلوبه التفسيري وعن حلقته في التفسير التي كان يقيمها، بل وعن حياته العلمية عامة، ولعل الخزانات التواتية بما تحمله من مخطوطات في التراجم والسير قد حوت الكثير عن حياته، وهي حبيسة عدم الفهرسة وعدم إخراجها.

ومما ينبغي تسجيله من ملاحظات في نهاية هذا المبحث:

- تَوزع جهود خدمة التفسير بين الحواضر الثلاث، في قسنطينة متمثلة بالفكون، وفي تلمسان متمثلة بابن جلال والسُلكسيني، ثم في حاضرة توات بعبد الحاكم القراري.
- انقضت هذه الفترة من الوجود العثماني في الجزائر في هذا القرن، دون تسجيل أي تفسير مكتوب، واقتصر أمر خدمة التفسير على التدريس فقط مع قلته أيضا.
- غلبة الفنون الأخرى والعلوم المتنوعة على علم التفسير، خاصة علوم اللغة والكلام.
- تأثر الساحة العلمية بالعقلية الجمودية والطرائق الصوفية الدروشية التي كانت حاجزا أمام تطوير الدرس التفسيري أو التأليف فيه.
- أن وجهة الأعلام الأربع في الرحلة لتحصيل العلم وملاقاة الشيوخ والأخذ عنهم، لم تكن بلاد المشرق، بل كانت حاضرة فاس والأندلس والزيتونة.

- انحصر عدد المفسرين الجزائريين في هذا القرن في أربعة، كلهم خدم التفسير بالتدريس.
- أثر الاضطرابات السياسية على الدرس التفسيري ودوره السلبي على العلوم عموما وعلى التفسير خصوصا، حيث كانت سببا في هجرتهم وفرارهم، إما لموقف اعتقدوه، أو فرارا من آثار تلك الاضطرابات.

المبحث الثالث: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الحادي عشر (1000هـ-1100هـ):

بعد ركود الحركة التفسيرية لعلماء الجزائر زمن بدايات العهد العثماني، واقتصار الأمر على الاهتمام بهذا الفن تدريسا دون وجود أي مؤلف فيه أو في علومه، فإن يقظة ضئيلة مست هذا الفن بعد دخول القرن الحادي عشر، ولعل لبداية الاستقرار السياسي واستتباب الأمر للعثمانيين وتدخل العلماء للمصالحة بين القبائل الثائرة وبين السلطة العثمانية[1]، وتحكم نظام البايات في دائرة الحكم خاصة في الحواضر العلمية الكبرى، دورٌ في تلك اليقظة، والتي لا يمكن وصفها إلا بأنها كانت بسيطة جدا، لم تتعد حد وجود تأليفين في التفسير وبروز عالمين أو ثلاث في الساحة التفسيرية، وأعلام هذه المرحلة وتراثهم التفسيري بين التدريس والتأليف أو جمعا بينهما انحصر في التالي:

الأول: محمد أحمد بن الوقاد، أبو عبد الله (ت:1001هـ):

محمد بن أحمد بن محمد المشهور بابن الوقاد، أصله من تلمسان وبها نشأ، لا يعلم تاريخ مولده تحديدا، مفسِّر[2] مشارك في الفنون العديدة، عالم بالتفسير والحديث والفقه والأدب، هاجر من حاضرة تلمسان على إثر الدخول العثماني عليها[3]، ونزل مدينة تودانت[4] بالمغرب الأقصى، ونظرا لاستحكام العجمة في ألسنة

1: كصنيع الفكون الجد ومحمد الخروبي، وسنأتي على بيان ذلك في مبحث دوافع الرحلة لدى علماء الجزائر في الفصل الثالث.

2: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض،ج:01، ص: 343.

3: ولعل هجرته هاته دليل موقفه من الوجود العثماني بأرض الجزائر قاطبة، وذكر نويهض أنه هاجرها بعد الاحتلال التركي لتلمسان(هكذا)، وعدَّ الأمر احتلالا لا فتحا، وتبقى جدلية الفتح والاحتلال للعهد العثماني بالجزائر قائمة قابلة للنقاش والخوض فيها.

4: تارودانت من أعرق المدن المغربية بمنطقة سوس، أسستها الأميرة الأمازيغية تارودانت في القرن الثالث قبل الميلاد، وبذلك يرجع تاريخها إلى العهود القديمة (الفترة الفينيقية) حيث اشتهرت كمركز حضر وتجارة. اكتست أهمية بالغة خلال الفترتين المرابطية والموحدية، حيث اعتمدت قاعدة عسكرية لمراقبة منطقة سوس وضمان استقرار الطرق التجارية الصحراوية.

انظر الموقع الرسمي للبلدية: http://www.taroudannt.ma

السوسيين، اضطر إلى الذهاب إلى سجلماسة فمكناس ففاس، ثم عاد إلى ترودانت، فولي التدريس والفتوى والإمامة والخطبة بجامعها الكبير[1] إلى أن توفي بها سنة: 1001هـ ودفن في قبلة الجامع.

من **شيوخه** الإمام التنسي[2] الذي ختم عليه «صحيح البخاري» ست عشر مرة قراءة بحث وتحقيق[3]، والمفسِّر أبي عبد الله محمد ابن جلال التلمساني[4]، أحد أعلام التفسير في القرن العاشر، ومحمد شقرون بن وهيبة مفتي مراكش.[5]

تولى تدريس التفسير وبقية الفنون في الجامع الأعظم بتلمسان قبل هجرته منها، وكان حينها خطيبا بالجامع، ودرَّس التفسير والحديث والفقه أيضا بجامع الأندلس بفاس لسنوات طوال، فقد **تتلمذ** الإمام التمنارتي أبو زيد عبد الرحمن[6] صاحب«الفوائد الجمة» على يديه، وأخذ عنه جملة من العلوم منها علم التفسير إذ يقول:" لازمته عشر سنين وسمعت منه «صحيح البخاري» مرارا عديدة، وقرأت عليه «رسالة

1: ذكر موقع البلدية على الشبكة العنكبوتية أن المسجد مغلق حالياً بسبب تعرضه لحريق كبير وهو الآن في طور الترميم.

2: سبقت ترجمته في أعلام التفسير قبل العهد العثماني.

3: تعريف الخلف برجال السلف، ج:2، ص: 349.

4: مرت ترجمته في المبحث السابق.

5: وهو غير أحمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني، قال المنجور في فهرسته: محمد بن شقرون بن هيبة الوجديجي، كان فقيها علامة مشاركا، ترب الفقيه ابن جلال ومشاركه في الشيوخ، نافذا في الفروع منطبعا معها، مشاركا في الفرائض والحساب والبيان والمنطق، توفي سنة:983هـ، عن خمس وسبعين سنة، له شرح على التلمسانية. انظر:"نيل الابتهاج" ج: 1، ص: 599،و"فهرس المنجور"ص:78.

6: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الجزولي التمنارتي (بفتح التاء والميم والنون، وسكون الراء) ثم الترودنتي (بفتح التاء وضم الراء وفتح الدال وسكون النون) أبو زيد: فقيه مالكي. أصله من تمنارت –قاعدة بلاد جزولة، بسوس، في المغرب– ومنشأه ووفاته في ترودنت. ولي بها القضاء والإفتاء مدة حمدت فيها سيرته. له كتب:منها "الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة". انظر" الأعلام" ج: 3، ص: 332. "طبقات الحضيكي" الحضيكي، ص: 399-401.

أبي محمد»[1] و«مختصر خليل» و« الشامل» لبهرام إلى قرب نصفه قراءة بحثٍ وتحقيقٍ، وحضرت عنده «مختصر ابن الحاجب الفرعي»، و«عقائد السنوسي»، والتفسير والعربية وكان حسن العبارة".[2]

وصفه بالاشتغال بالتدريس في علوم عدة منها علم التفسير إذ يقول:" الشيخ الصالح الفقيه العلامة، الخطيب المنشئ البليغ، مفتي المسلمين والإسلام، وأحد العلماء الأعلام شيخنا أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد التلمساني... مشاركا في عدة فنون من سواه، مواظبا على التدريس والتفسير والحديث بالجامع المذكور"[3]، وذكر الحضيكي أنه كان مقيما على ثلاثة دروس هي: الفقه والتفسير والحديث إذ يقول:"وكان عارفا بالمذاهب مقيما على التدريس للفقه والتفسير والحديث بالاعتناء التام"[4]، ثم يقول:"وكان -رضي الله عنه- من أولياء الله العارفين، ولما قربت وفاته، خطب خطبة بليغة ودّع فيها ونعى فيها نفسه ودعا، ومن جملة دعائه فيها: اللهم أسعدنا بلقائك وطيبنا للموت واجعل فيه راحتنا، وذكر من مآل نفسه، ونسق به قوله تعالى: ﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: 88]. وأكثر فيها من البكاء خلاف عادته".[5]

ويظهر أن الإمام ابن الوقاد قد مارس التفسير تدريسا لا تأليفا، ولم يترك لنا مصنفا في التفسير أو علومه، كما أن طلبته لم يذكروا عنه نماذج من تفسيره يمكن اعتمادها في تحليل ودراسة أسلوبه التفسيري وطريقته في ذلك، إلا ما أشير إليه من مزاولة تدريس التفسير وأخذ التفسير عنه من طرف تلميذه التمنارتي، وإيراد الحضيكي للآية القرآنية﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ

1: أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني.

2: الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تحقيق: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:02، ت:2007م، ص:87.

3: المرجع نفسه، ص:86/237.

4: طبقات الحُضيكي، محمد الحضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:01، ت: 2006م،287.

5: المرجع نفسه، ص: 287.

﴿ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: 88]. والتي ذكرها تلميذه التمنارتي أيضا وجاءت في آخر خطبة له بالجامع وهو في مقام المناجاة لربه وهو يستحضر قرب الرحيل، دون أن نستشف منها أي نفس تفسيري.

ويمكن تلمس همة الإمام ابن الوقاد في تدريس التفسير وبقية الفنون من خلال رحلاته المتوالية والمتتابعة ووصفِ تلميذه له بأنه كان مواظبا على التدريس والتفسير، فقد تنقل من منابر وكراسي دروس العلم من تلمسان إلى سوس فسجلماسة فمكناس ففاس، ليختم رحلته التعليمية الطويلة هاته بترودانت والتي توفي بها، وتبقى قلة المصادر التاريخية حجرة عثرة في إبراز جهود ابن الوقاد في التفسير وبيان أسلوبه في ذلك.

الثاني: محمد بن علي أبهلول المجاجي (ت:1008هـ):

محمد بن علي أبهلول المجاجي، أحد علماء التفسير والشعراء والمتصوفة، صاحب زاوية مجاجة الشهيرة، وكانت مجاجة كما يقول ابن سليمان دار علم وتقوى بفضل هذه الزاوية[1]، قتل سنة 1008هـ بزاويته حين طعنه أحدهم من بني نائل، بسبب فتوى الشيخ بعدم جواز تزوج المحرض على القتل من سيدة.[2]

خصَّه أبو حامد العربي المشرفي[3] بترجمة مطولة بعنوان «ياقوتة النَّسب الوَهَّاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة»[4]، وحلَّاه بالقول:"كان إماما هُماما عالما زاهدا عابدا، تفرد بهذه الأوصاف الشريفة

1: تاريخ الجزائر الثقافي: ج: 1، ص: 359.

2: المرجع نفسه، ج:1، ص: 359.

3: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، أبو حامد: مؤرخ، أديب، نسابة، من أهل قرية "الكرط" من ضواحي معسكر. تعلم بوهران، وهاجر إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، فأخذ عن جماعة من كبار العلماء. من آثاره: " اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة". و"نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار" وغيرها كثير، توفي سنة: 1313هـ. انظر" معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:303-304. وهو الوحيد الذي وصلت لنا ترجمة الشيخ أبهلول عن طريقه، وقد أشار إلى أنه أخذ عن صاحب «سمط اللآل في معرفة الآل» وصاحب «كمال البغية»، وكلاهما لا تعرف نسبتهما وهما في عداد المفقود.

4: مخطوط «ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة» منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط، برقم حفظ: 1534. ومنه نسخة مصورة عنها بالمكتبة الوطنية الحامة بالجزائر. و كل من ترجم له أخذ من هذا التصنيف، كالحفناوي الذي نقل منها في كتابه «تعريف الخلف برجال السلف » ج: 2، ص: 437/427.

على سائر علماء وقته"، تُشدُّ إليه الرِّحَال طلبا للتفسير[1] وبقية العلوم ولشهرته في تلك الفنون، وهو شيخ أبي زكريا الشاوي المفسِّر صاحب كتاب «المحاكمات»[2]، وسعيد بن قدورة[3]، وقد رثاه الأخير ونصها في «ياقوتة النَّسب الوهاجة»[4]، وذكر الكتاني أن ابن أبي محلي[5] زكاه في كتابه «منجنيق الصخور» بالقول:" ما في وقتنا هذا من يقتدى به إلا أربعة، وذكر الرابع فقال: وسيدي محمد بن عليّ أبهلول بأفريقية".[6]

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن **شيوخه**، وذكرت أن من **تلامذته** أبو زكريا يحي الشاوي، وسعيد قدورة، كما لم تتناول الحديث عن مؤلفاته، إنما ذكرت أن الشيخ كان يزاول التدريس في زاويته قائما على

1: ذكر ذلك تلميذه سعيد قدورة. انظر:"تاريخ الجزائر الثقافي"ج: 1، ص: 359.

2: ستأتي ترجمته.

3: ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه عثر على أوراق كتبها سعيد قدورة بنفسه ترجم فيها لحياته، وقد ذكر فيها أنه سافر إلى الحج مع أبي علي أبهلول المجاجي وهو في سن المراهقة سنة:993هـ، كما ذكر أن والديه توفيا سنة:1001هـ، ولا يفصل بين تاريخ وفاتهما أكثر من أسبوعين، وأنه سافر بعدها إلى زاوية الشيخ "العارف بالله" كما يسميه محمد وأخيه أبي علي بن ابهلول المجاجي الواقعة قرب مدينة تنس، وقد ذكر في أوراقة أن ابني ابهلول علي ومحمد، كانا شديدي الاعتناء بالعلم وفنونه كالتفسير والحديث والأصول والمنطق والبيان والفقه والتوحيد غيرهما. انظر:"تاريخ الجزائر الثقافي"ج:1 ص:358-359.

4: ذكر منها الحفناوي (ج2، ص:429) بعض أبياتها وفي مطلعها يقول:

مصاب جسيم كاد يصمي مقاتلي*** ورزء عظيم قاطع للمفاصل

ألمت دواهي أذهلت كل ذي حجى*** وأي أمرئ من مذهل غير ذاهل

فلم أر خطبا كافتقاد أحبة*** ثووا في الثرى ما بين صم الجنادل

ونحن نيام غافلون عن الذي*** يراد بنا فويح نومان غافل

إلى قوله:

ومن لفنون العلم نحوا ومنطقا*** وفقها وتوحيدا وفتوى لسائل

لمنزله كانت تشد رحالنا*** فمن راكب يسعى إليه وراجل

5: أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن محلى: ثائر متصوف، من العلماء، ادعى أنه المهدي المنتظر، حج وتصوف وكثر أتباعه. وذهب إلى جنوب المغرب، زحف إلى مراكش واستقر بها ملكا ونسي النسك والتصوف، هاجمه متصوف آخر من العلماء اسمه يحيى بن عبد الله الحاحي، وأصيب ابن محلى برصاصة قتلته، وعلق رأسه مع رؤوس بعض أنصاره على سور مراكش نحو اثنتي عشرة سنة. وكان فقيها أديبا بليغا، له تآليف. انظر" الأعلام"ج:1، ص:161. و"معجم المؤلفين"ج:1، ص:300.

6: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت: 1982م.ج:1، ص: 285.

علوم وفنون كثيرة منها علم التفسير، وذكر المشرفي أنه وقف له على قصيدة "طنانة سالمة من عيوب الشعر، توسل فيها للمولى جل وعلا، مفوضا أمره إليه في المبغضين له والحاسدين من أهل زمانه، أولها: أفوض أمري للذي فطر السماء، احتوت على أمثال وحكم".[1]

كان اعتناء الشيخ أبهلول بالتفسير مقتصرا على تدريسه فقط دون التأليف فيه، فقد ذكر تلميذه سعيد قدورة أن شيخه كان يُدرِّس التفسير، وأنه وصل في تفسيره إلى سورة الإسراء قبل أن يقتل غدرا سنة 1008هـ.[2]

ولا نملك من الوثائق ما يبين أسلوب الشيخ أبهلول في التفسير، وكيف كان منهجه في ذلك، وهل كان يقوم بقراءة أحد التفاسير المشتهرة ويقوم بشرحها، أم أنه كان يفسر القرآن بأدواته العلمية الخاصة دون الرجوع لأي تفسير سابق، كما لم ينقل عنه تلامذته أي نص نستلهم منه طريقة تفسيره.

وبمنهج التخمين الذي اعتمده الدكتور أبو القاسم سعد الله في الحكم على أسلوب المفسرين الذين لم يصل لنا من أعمالهم أو دروسهم أي وثيقة، يقول في أسلوب الشيخ أبهلول التفسيري:" والظاهر أن الشيخ كان يفسر باللسان ولا يسجل بالقلم، ذلك أن الذين ترجموا له تحدثوا عن براعته في عدة علوم أخرى ولكنهم لم يتحدثوا عن كتب أو تقاييد له، فهو إذا من المدرسين في التفسير وليس من المؤلفين فيه. ولا نتوقع أن يكون تفسير أبهلول تفسيرا حيا أو مبتكرا، وإنما نتوقعه تقليديا منقولا عن السابقين مع قليل من ذلاقة اللسان وبيان العبارة، لأن الشيخ كان مشهورا أيضا بحذق العروض والمنطق والنحو وهي علوم تساعد على فهم القرآن وجودة تفسيره".[3]

1: تعريف الخلف برجال السلف، للحفناوي، ج:2، ص: 428.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 13. ويظهر جليا أن الدكتور اطلع على نسخة «ياقوتة النسب الوهاجة» وقد أشار لذلك حينما ذكر المخطوط وكتب: مخطوط مصور شخصي. ج:1، ص:202.

3: المرجع نفسه، ج:2، ص: 13.

الثالث: أحمد بن محمد المقري شهاب الدين، أبو العباس (ت:1041هـ):

إمام الدنيا في زمانه، المفسر المؤرخ الأديب الحافظ، المحقق المدقق في العلوم، وصفه صاحب «الإعلام» بالقول:"حافظ المغرب جاحظ البيان، ومن لم يُر نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوة البديهة ... كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات"[1]، وكان يلقب "بالشيخ البركة شيخ الإسلام"[2]، ولد بتلمسان وبها نشأ، ولا يعلم تاريخ ولادته، توفي بمصر ودفن في مقبرة المجاوري، وقيل: توفي بالشام مسموما، عقب عودته من إسطنبول.

ذكر أنه تتلمذ على شيوخ تلمسان في بداياته وأن أول **شيوخه** بتلمسان عمه أبو عثمان سعيد المقري[3]، إذ يقول:"وقطعنا نبذة من الشباب في مواطن الأحباب ما بين دراسة ودراية ورواية ... وملازمة دروس بين يدي أشيخ مجالستهم نامية الغروس، وخصوصا شيخهم الذي فضله لا يفترق إلى دلال عمنا فتينا سيدي سعيد أحمد المقري "[4]، كما تتلمذ على يد الشيخ محمد القصار[5]، والشيخ أحمد بابا التنبكتي[6] الذي لقيه

1: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، الرباط، ط: 02، ت: 1993م، ج:02، ص: 308.

2: المقري صاحب نفح الطيب، محمد عبد الغني حسن، الدار القومية للنشر والطباعة، القاهرة، دط، دت، ص: 82.

3: سبقت ترجمته.

4: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد المقري، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، ت:1939م، ج:1، ص: 10.

5: محمد بن قاسم بن علي القصار القيسي، أبو عبد الله، ولد سنة: 940هـ، تولى خطة الفتيا والإمامة والخطابة لفترة ثم عزل منها، له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الإطالة والإصابة، أخذ عن جملة من الأعلام، حلاه المقري بالقول: الشيخ المفتي العلم المتفنن الأدرى المنتصر للعلوم كل الانتصار، من تصانيفه:" حاشية على شرح الكبرى" للسنوسي، توفي سنة: 1012هـ. انظر: "روض الآس" ص:332/316. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 86.

6: أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس: مؤرخ، أصله من صنهاجة، كان عالما بالحديث والفقه، وعارض في احتلال المراكشيين لبلدته (تنبكت) فقبض عليه وعلى أفراد أسرته، وظل معتقلا إلى سنة 1004 وأطلق فأقام بمراكش إلى سنة 1014 وأذن له بالعودة إلى وطنه. وتوفي في تنبكت سنة:1036هـ، من تصانيفه:"غاية الأمل في تفضيل النية على العمل" و"نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وغيرها كثير. انظر: "روض الآس" ص: 315/303، و" شجرة النور" ج:1، ص: 569.

بحاضرة فاس، والشيخ علي بن عمران السلاسي[1] وأحمد التادلي[2] شيخ الزاوية التادلية ببلاد المغرب، وغيرهم كثير فقد جمع كثيرا منهم في تصنيف خاص سماه «روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام الحضرتين مراكش وفاس». تنوع **تلامذته** بين حواضر مشرقية ومغربية كان يحل بها، وقد أجاز للعشرات منهم، كيحي بن أبي الصفا ابن محاسن[3]، وحسن البوريني[4]، وعمر القاري[5] وغيرهم كثير، وكل من ذكرت لهم إجازات خاصة[6] من شيخهم في فنون متنوعة.

1: علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي، أبو الحسن، ولد سنة: 960 هـ، قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها، حلاه المقري بقوله: الفقيه القاضي المفتي العلامة المتفنن أعجوبة الزمان، مشارك في التفسير والأصلين والبيان والمنطق والنحو، تلميذ الأستاذ الزموري ولازمه كثيرا، كما ولي قضاء الحضرة المراكشية، توفي مسموما في جامع المشور، سنة:1018هـ . انظر:"روض الآس" ص: 332/ 335. و"نشر المثاني"ج: 01، ص: 148-149.

2: أبو العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي، شيخ زاوية تادلة ببلاد المغرب، حلاه المقري بالقول: آية من آيات الله في المجاهدة، لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا، شاهدته وكثير من تآليفه يقرأ بين يديه، قصده الناس من البلاد الشاسعة، له دروس بجامع الكتبيين، من تآليفه:"سراج الباحث في شرح المباحث" و"الدرة النفيسة في فضائل الأدعية الشريفة" و"لباب اللباب في معاملة الملك الوهاب" وغيرها. انظر: "روض الآس" ص: 303/300. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 113.

3: يحيى بن أبي الصفا أحمد، المعروف بابن محاسن: دمشقي المولد والوفاة، الفاضل الأديب، كان أحسن آل بيته فضلا وكمالا وأبرعهم استيلاء على المعارف واشتمالا، قرأ وحصَّل وفرَّع وأصَّل، ونَظَمَ فأجاد وأقرأ فأفاد، وقد أخذ جملة العلوم من منطوق ومفهوم عن جماعة أجلا وأشياخ، له "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية " و" مجموع " ذكر فيه كثيرا من أمالي شيخه أبي العباس المقري. توفي سنة: 1053هـ. انظر: :"خلاصة الأثر"ج:2، ص:463، و"الأعلام"ج:8، ص: 151.

4: الحسن بن محمد الصفوري البوريني، بدر الدين، مؤرخ، من العلماء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق. ولد في صفورية من بلاد الأردن سنة:963هـ، وانتقل صغيرا مع أبيه إلى دمشق. فنشأ ومات فيها سنة:1042هـ، وكان يجيد الفارسية والتركية. من تصانيفه "تراجم الأعيان من أبناء الزمان "، و"حاشية على أنوار التنزيل". انظر:"خلاصة الأثر"ج:2، ص:51، و"الأعلام"ج:2، ص: 219.

5: عمر بن محمد بن أحمد وقيل عبد القادر بن أحمد بن عيسى الملقب زين الدين القاري الشافعي الدمشقي، رئيس أجلاء الشيوخ بالشام وكبير العلماء، ولد سنة: 958هـ، وتوفي سنة: 1046هـ، قرأ العربية والمعاني والبيان على العماد الحنفي والأصول على أبي الفداء إسماعيل النابلسي وتفقه على جماعة منهم النور النسفي. ودرس بالمدرسة الشامية الجوانية وكان له بقعة تدريس بالجامع الأموي. انظر: "خلاصة الأثر" ج:3، ص: 223.

6: أوردها محمد عبد الغني حسن صاحب كتاب: المقري صاحب نفح الطيب، في مبحث: منح الإجازات العلمية، ص: 60.

ترك العشرات من التصانيف والتآليف في فنون شتى وعلوم متنوعة، منها:«نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، و«أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، و«النفحات العنبرية في وصف نعال خير البرية» وغيرها كثير.[1]

هاجر إلى فاس واشتغل بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها بجامع القرويين، وكانت له مجالس خاصة في التفسير وبقية العلوم، وقد دام على ذلك لأكثر من أربعة عشر سنة، جمع فيها مكتبة ضخمة غنية من شتى الفنون والعلوم، قال الكتاني يصف مكانته ومكتبته:"ومن المكاتب التي كانت في زمن السعديين يشار لها، مكتبة مفتي فاس الحافظ أبي العباس أحمد المقري التلمساني أصلا دفين مصر، وهو بيت عريق في المجد تعدد فيه الفطاحل بتلمسان الذين أشغلوا فراغا في تاريخ الأمة العربية".[2]

ثم قصد القاهرة وأقام دروسه بجامع الأزهر الشريف، وكان من **تلامذته** الشهاب أحمد العجمي[3]، الذي أجازه الشيخ المقري[4]، ويذكر أنه أخذ عنه التفسير وأن المقري كان يشرح تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل»، إذ يقول بعد ترجمته لشيخه:"وحَضَرْتُهُ بجامع الأزهر ثم سمعتُ عليه الكثير من «الصحيحين» و«الشّفا»...، و«تفسير البيضاوي» مع حواشيه، بمنزل الأستاذ أبي الإسعاد يوسف بن وفا[5] بحضور جمعٍ من الأعلام".

1: ذكرها محمد عبد الغني حسن صاحب كتاب: المقري صاحب نفح الطيب، ص:82.

2: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، عبد الحي الكتاني، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط:2، ت: 2005م، ص: 95.

3: أحمد بن إبراهيم العجمي الشافعيّ الوفائي المصري الأزهري، شهاب الدين: فاضل من المشتغلين بالحديث، ولد سنة1014هـ، ومات سنة:1086هـ، تلميذ المقري الشهاب، والنور علي الحلبي، له "مشيخة " في رسالة عدَّد بها مشايخه، ذكرها الكتاني، ورسالة في "الآثار النبويّة" و"ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب ". انظر: "الأعلام"،ج:1، ص: 92." فهرس الفهارس" الكتاني، ج:1، ص: 115.

4: إجازة المقري للمؤلِّف مؤرّخة في جمادى الأخيرة سنة 1033هـ ، ذكر نصّها المقري في "رسائله" ص367-368.

5: يوسف بن عبد الرزّاق الاستاذ أَبو الاسعاد بن أبى العطاء بن وفاء المالكي المصري كان علامة زمانه فى التحقِيق وَله الشهرة التامة وَله الشعر الحسن والنثر الذى يعجز عن محاكاته أرباب الفصاحة واللسان، أَخذ العلوم عن أَبى النجَاء السنهوري وأبى بكر الشنوان=

ثم يبين تلك الحواشي في موضع آخر بالقول:"وسمعتُ عليه في منزله السّعيد، الكثيرَ من «صحيح البخاري»، وشرحه «فتح الباري»، من لفظ المحدث المعمّر محمد المدعو حجازي الأنبابي[1]، وسمعتُ عليه أيضاً من أول تفسير القاضي البيضاوي إلى انتهاء الحزب الأول من سورة البقرة، مع النّظر في «الكشّاف» وحواشي «السّعد»[2] و«السّيد»[3]، و«شيخ زاده»[4]، و«شيخ الإسلام زكريا الأنصاري»[5]"[6].

وهذا النص يُثبت أن الشيخ كان يعقد دروسه في التفسير وبقية العلوم بجامع الأزهر الشريف، وببيته الذي كان يقطن به في القاهرة، كما كان يعقد أيضا مجالسه التفسيرية ببيت صهره أبي الإسعاد يوسف بن وفا.

ومما يروى عنه في بدايات مَقدمه للقاهرة أنه "دخل بها يوما سوق الكتب فوقع على تفسير غريب، فنظر فيه مسألة فقهية في سورة النور، وحفظ ما نُقل فيها وحرَّر، ثم اتفق أن اجتمع الفقهاء في دعوة، فلما

=وعن الدنوشرى، كانت وفَاته في مرجعه من الحج غرة صفر سنة احدى وَخمسين وَألف وَصلى عليه بالجامع الازهر فى محفل لم ير مثله ودفن فى زاويَة سلفه السادات بنى الْوَفَاء ورثاه الشهَاب الخفاجي. انظر:"الضوء اللامع" ج: 4، ص: 503.

1: محمد بن حجازي بن أحمد بن محمد الرقباوى بفتح الراء والقَاف الأنبابي أحد شعراء العصر وأدباء الدهر ولد بانبابه ونشأ بِمصر واشتغل برهة من الزمان بعلوم الأدب حتى فاق أقرانه فنظم ونثر ورحل الى الحرمين وتوطنها مدة ثم توجه الى اليمن فمدح الائمة بنى القَاسم وانثالت عليه جوائزهم وكان له اختصاص بِمحمد بن الحسن وله فيهِ مدائح كثيرة وله باليمن شهرة عظِيمَة. وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين وألف بِمدينة أَبى عريش من اليمن. انظر: "الضوء اللامع" ج: 43، ص: 415.

2: يريد بها حاشية سعد الدين التفتازاني (ت:791هـ) على الكشاف للزمخشري.

3: يريد بها حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ) على الكشاف للزمخشري.

4: يحتمل أنه يريد حاشية باره باره زاده: أحمد جلبي البرسوي المعروف بطاشكبري زاده (ت 986هـ) على الكشاف للزمخشري. أو أنه يريد حاشية الشيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي.

5: حاشية بعنوان "فتح الجليل ببيان خفيّ أنوار التنزيل" منها نسخة مخطوطة برقم188 بالمكتبة التيمورية. وقد حققت كرسالة ماجستير من أول الفاتحة إلى آخر سورة النساء للطالب: الحسن ابن خلوي وعبد الله سلقيني، كلية أصول الدين: قسم القرآن وعلومه/ جامعة الإمام محمد بن سعود سنة:1406هـ. وقد أكمل الباقي كرسالة ماجستير أيضا بنفس الكلية والقسم والجامعة من طرف: سليمان ابن إبراهيم وعبد الله سلقيني، سنة: 1406هـ.

6: مخطوط، مشيخة شهاب الدين أحمد بن أحمد العجمي، منه نسخة بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية وزارة الأوقاف بمصر، ضمن مجموع، الرقم العام:(1779)، الرقم الخاص :(1238) رسالة رقم 1/13. عدد الأوراق:(35)-غير مرقمة-.

جلسوا واطمأنوا سألهم رجل عن تلك المسألة، ودفع قرطاسه للأول من أهل المجلس، فنظر فكأنه لم يستحضر الجواب، فدفعه للذي يليه ثم دفعه هذا لهذا إلى أن بلغ الشيخ المقري، فأخذه وكتب الجواب كما حفظ، فجعلوا ينظرون إليه ويتعجبون، فلما نظروه قالوا: من ذكر هذا؟ فقال لهم: فلان في تفسير سورة النور، فأُحضر التفسير في الحين فإذا الأمر كما قال"[1]، وهو مؤشر على سرعة بديهته وحفظه وإلمامه بالتفسير والفقه.

ثم قصد الإمام المقري بلاد الشام، وأصبح خطيبا ومدرسا بجامع الأمويين لفترة وجيزة جدا، حيث قرأ «الجامع الصحيح» للبخاري تحت قبة النسر بالجامع، ثم خرج منها قاصدا بلاد مصر من جديد، ولم تذكر المصادر ولا طلبته أنه درَّس غير «الجامع الصحيح» أثناء إقامته بدمشق.

وعلى الرغم من التآليف الكثيرة والكبيرة[2] التي قام بها الإمام المقري، إلا أنه لم يؤلف في التفسير أو علومه إلا مصنفا واحدا هو «إعراب القرآن الكريم»[3]، الذي هو أحد فروع علم التفسير.[4]

وقد أشار إلى هذا المصنف بروكلمان في تاريخه، ووصف دوسلان نسخة منه في مكتبة باريس، وقال أنها مبتورة البداية وناقصة، ويبدأ بالآية 254 من سورة البقرة، وهو مخطوط مؤرخ في تونس سنة :1071هـ، عدد لوحاته:229 لوحة.

قام الطالب أحمد فراجي بالعمل على تحقيقه وإخراجه لنيل درجة الدكتوراه، بقسم اللغة جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، وتمثل جهده في إعادة نسخ المخطوط وإعادة كتابته رقنا وصفا فقط، ويكفي إضراره

1: طبقات الحُضيكي، محمد الحضيكي، ص: 58.

2: أشار محقق "طبقات الحضيكي" الأستاذ: أحمد بومزكو أن قائمة بأسماء تآليف الإمام المقري موجودة بمكتبة الزاوية الدلائية بالمغرب ولم يشر إلى كونها مخطوط أو مطبوع، ومن صاحب هذا العمل.

3: منه نسخة ثانية قد تكون مصورة عن المكتبة الوطنية الفرنسية، بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، برقم: 0670، فب. رقم تسلسلي: 24929. فن: تفسير.

4: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، ج:2، ص: 380. وقد جعل له اثني عشرة ضابطا يجب مراعاتها عند إعراب القرآن الكريم، أكان إعراب كلمة كلمة أو إعراب إرادة بيان المعاني.

بالعمل أن الدراسة كاملة جاءت في 09 صفحات فقط، دون تطرق منه للنسخ المعتمدة ولا لتصوير نماذج من المخطوط المعتمد، ولا لصحة نسبة الكتاب لصاحبه[1] ولا لأي مبحث مهم في عملية التحقيق، سوى قيامه بترجمة موجزة للمقري لم تتعد السطور وذكر آثاره وبعض أعماله.

ولأنه أغفل ذكر النسخ المعتمدة في التحقيق، فقد اعتمدت على ما نسخه وكتبه من متن المخطوط، مع التنويه أنه لم يعتمد فروق النسخ في هامشه، مما يؤكد اعتماده على نسخة وحيدة وهي النسخة التي وصفها دوسلان، فعَملُ الطالب بدأ من حيث بدأت نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية.

قام الإمام المقري بإعراب القرآن الكريم في مصنفه هذا، وقصد إلى الكتابة فيما يُشكل من إعراب القرآن الكريم، وليس إلى إعراب القرآن كلمة كلمة، إذ لم يتطرق للمعاني بقدر تطرقه للناحية الإعرابية من الآية فقط.

وبدأ من أول سورة البقرة منتهيا بسورة الناس، ولم يكن منتقيا من السور كصنيع ابن خالويه[2] مثلا في كتابه «إعراب ثلاثين سورة من القرآن» حيث انتخب ثلاثين سورة وأعربها، كما لم يكن أيضا في عمله هذا منتقيا للغريب وإعرابه كصنيع أبي البركات ابن الأنباري[3] في كتابه «البيان في غريب إعراب القرآن»،

1: لأن كل كتب التراجم والببليوغرافيا التي ترجمت للمقري لم تذكر له هذا التأليف، بما في ذلك شيوخه أو طلبته أو معاصروه، وهو تفرد يتطرق له بالشك، خاصة وأن المخطوط مبتور الأول.

2: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغويّ، من كبار النحاة أصله من همذان. زار اليمن وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب سنة:370هـ. من كتبه: "شرح مقصورة ابن دريد" و "مختصر في شواذ القرآن". انظر: "الأعلام" ج:2، ص:231.

3: عبد الرحمن أبو البركات، كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. كان زاهدا عفيفا، خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئا. سكن بغداد وتوفي فيها سنة: 577هـ. من كتبه: "نزهة الألباء في طبقات الأدباء " و "الإغراب في جدل الإعراب" "الإنصاف في مسائل الخلاف " في نحو الكوفيين والبصريين. انظر: "الأعلام" ج:3، ص:327.

بل يمكن القول أن صنيع المقري شبيه بصنيع مكي بن أبي طالب[1] في كتابه «مشكل إعراب القرآن» الذي قصد فيه إعراب المشكل من آيات القرآن الكريم، فقد أشار-المقري- في عناوين بعض السور أن عمله:"شرح مشكل إعراب" ثم يسمي السورة، كعبس مثلا. [2]

ومن نماذج إعرابه لألفاظ القرآن المشكلة، قوله في قوله تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ ﴾[البقرة: 253] ابتداء و ﴿ ٱلرُّسُلُ ﴾ عطف بيان، و﴿ فَضَّلْنَا ﴾ وما بعده الخبر.

ثم يمر مباشرة لآية أخرى فيقول: ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ كل هذه الجمل في موضع النعت المكرر لـ﴿ يَوْمٌ ﴾ والفتح والرفع في هذا جائز بمنزلة ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ إذ هو كله أصله الابتداء والخبر والجملة في موضع النعت لـ﴿ يَوْمٌ ﴾.

ثم ينتقل لآية الكرسي إذ يقول في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ابتداء وخبر، وهو بدل من موضع ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ وحقيقته أن ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأ، و﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ ابتداء ثانٍ وخبره محذوف أي: الله لا إله معبود إلا هو. و﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ بدل من موضع ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ والجملة خبر عن ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ،كذلك قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ﴾ في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف و﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ بدل

1: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده وأقرأ بها. ثم سكن قرطبة وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها سنة:437هـ. له كتب كثيرة، منها "مشكل إعراب القرآن"، و"الكشف عن وجوه القراءات وعللها". انظر:"الأعلام" ج:7، ص:286.

2: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: أحمد فراجي، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2005 /2006م. ص: 459.

من موضع ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ أو صفة له على الموضع، وإن شئت جعلت﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ خبر ﴿ لَآ إِلَٰهَ ﴾ ويجوز النصب على الاستثناء.[1]

وقد كان الإمام المقري في إعرابه هذا مهتما بإيراد أقوال المدارس الكوفية والبصرية وأعلام كل مدرسة، مرجحا لأحكام بعضها على بعض، ليس في النحو فقط بل حتى في الصرف أيضا، كما في قوله تعالى:﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ : وزنها فَوْعَلة وأصلها وورية مشتقة من وري الزند، فالتاء بدل من واو، ومن ورى الزند قوله ﴿ تُورُونَ ﴾ وقوله: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾، فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون: وزنها تفعلة من وري الزند أيضا، فالتاء غير منقلبة عندهم من واو أصلها عندهم تورية، وهذا قليل في الكلام، وفوعلة كثير في الكلام، فحمله على الأكثر أولى.[2]

ومن أمثلته أيضا قوله عند إعراب قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ [الزمر: 9]: " مَن خفَّف ﴿ أَمَّنْ ﴾ جعله نداء ولا حذف في الكلام، ويجوز عند سيبويه حذف حرف النداء من المبهم وأجازه الكوفيون، وقيل هو استفهام بمعنى التنبيه وأضمر معادلا الألف، تقديره: أمن هو قانت لفعل كذا وكذا كمن هو بخلاف ذلك؟ ودلَّ على المحذوف قوله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا أقوى".[3]

بل يظهر تعمق الإمام المقري في معرفة المدارس النحوية بذكر حتى ما لا يعرف فيها، إذ يقول عند قوله تعالى:﴿ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[عبس: 4]: من نصبه جعله جواب لعل بالفاء، لأنه غير موجب فأشبهه التمني والاستفهام، وهو غير معروف عند البصريين، ومن رفعه عطفه على﴿ يَذَّكَّرُ ﴾.[4]

1: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، ص: 3.

2: المرجع نفسه، ص: 13.

3: المرجع نفسه، ص: 238.

4: المرجع نفسه، ص: 459.

واعتمد المقري ترجيحات بعض القراء عند ذكره لبعض ترجيحات النحويين استئناسا في بعض المسائل كالوقف والابتداء وغيرها، كما في قوله تعالى:﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: 3] إذ يقول:﴿ وَّلَاتَ ﴾ عند سيبويه مشبه بليس ولا تستعمل إلا مع الحين... والوقف عليها عند سيبويه والفراء وأبي إسحاق وابن كيسان بالتاء، وعليه جماعة القراء وبه أتى خط المصحف، والوقف عليها عند المبرد والكسائي بالهاء.[1]

كما كان يورد بعض الآثار عن السلف التي تشرح معنى الآية بعد إعرابها، وإن كان مقلا جدا من ذلك، كقوله في إعرابه لقوله تعالى:﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة: 258]: تعود على ﴿ ٱلَّذِى ﴾ وهو النمرود، كذا قال مجاهد، وقوله:﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من ﴿ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ وهي: لا إله إلا الله، في قول ابن عباس.[2]

وقد سار الإمام المقري في مصنفه هذا غالبا على هذا النهج والأسلوب، ولم يُدخل أي فن أو علم من علوم التفسير المشتهرة.

ولا يمكن تلمس اهتمام وعناية الإمام المقري بالتفسير كتابةً في غير مصنفه «إعراب القرآن»، إلا من خلال كتابه «نفح الطيب» الذي أبان فيه عن اهتمام بالغ بأعمال وآثار السابقين في المذهب أو غيره في التفسير أو أحكام القرآن، وتفسيره لبعض الآيات القرآنية المبثوثة في بعض تصانيفه، خاصة وأننا بيّنا أنه لم يصنف في التفسير استقلالا إنما في فرع من فروعه بمصنفه «إعراب القرآن»، وأن غالب جهده في هذا الفن كان دروسا وحلقات يقيمها في مساجد وجوامع تلمسان وفاس والقاهرة ودمشق وغيرها من البلدان التي كان يهاجر إليها.

1: إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، ص: 322.

2: المرجع نفسه، ص: 4.

فمما وقعتُ عليه من تفسيره للآيات القرآنية في كتابه: «فتح المتعال» قوله تعالى:﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: 38] عند ذكره لمقولة اليهود أن الله استراح يوم السبت فقال:﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: 38] أي تعب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، إذ لا يُتصور التَّعب إلا من حادث مفتقر للغير في الأسباب والله تعالى بخلاف ذلك،﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: 40] أي أن نوجده فورا فلا يتخلف عن الإرادة، فقول﴿ كُن ﴾ كناية عن ذلك".[1]

ويمكن ملاحظة أن تفسيره هذا لم يعتمد فيه على المنقول من الآثار، كما لا يمكننا تصنيف تفسيره هذا لعدم إمكانية استخلاص ذلك من نص واحد أو نصين.

أما في كتابه «نفح الطيب» فقد أورد في ترجمته لابن العربي المالكي[2] جملة من آيات الأحكام التي بيَّن فيها علمه وبديع استنباطه كإيراده لكلامه حول تفسير قوله تعالى:﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: 44] واستنباطه من أن الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة".[3]

1: فتح المتعال في مدح النعال، أحمد المقري، تحقيق: علي عبد الوهاب، عبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، ط:1، ت: 1997م، ص:76-77.

2: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس سنة:456هـ، ودفن بها. انظر" الأعلام"ج:6، ص: 230. "الديباج المذهب" ج:2، ص: 252.

3: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، ج:2، ص: 39-40.

وكلامه عن تفسير محي الدين ابن عربي[1]، بعد أن أورد جملة من أقوال المشايخ في تزكيته والذب عنه، وإيراده لكلام الإمام الشعراني[2] إذ يقول:" منها «التفسير الكبير» الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ **[الكهف: 65]** وتوفي ولم يكمله، وهذا التفسير كتاب عظيم، كل سفر بحر لا ساحل له، ولا غرو فإنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى، فيما نعتقد وندين الله تعالى به، وثمَّ طائفة في الغي حائفة، يُعظمون عليه النكير، وربما بلغ بهم الجهل إلى حد التكفير، وما ذاك إلا لقصور أفهامهم عن إدراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها، ولم تصل أيديهم لقصرها إلى اقتطاف مجانيها".[3]

ويقول في تفسير الإمام الحرالي[4]:"وأقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يلقي في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، حتى منَّ الله تعالى ببركاتٍ ومواهب لا تحصى، وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه «مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل» وهو ممن جمع العلم والعمل".[5]

1: محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية وانتقل إلى إشبيلية، زار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة:638هـ، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة. انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 281. "سير أعلام النبلاء"ج:23، ص:48.

2: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. الفقيه المحدث، ولد في قلقشندة بمصر وتوفي في القاهرة سنة:973هـ، له تصانيف منها: "أدب القضاة " و" إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين ". انظر:"الأعلام"ج:4، ص:180.و"هدية العارفين"ج:1،ص:641.

3: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري،ج:2، ص: 177.

4: علي بن أحمد بن الحسن الحرالّي التجيبي، أبو الحسن: مفسر من علماء المغرب، أصله من حرالة من أعمال مرسية، ولد ونشأ في مراكش، ورحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية. وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر. وتوفي في حماة بسورية سنة:638 هـ، من كتبه:" مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل". انظر:"الأعلام"ج:4، ص:256.و"سير أعلام النبلاء"ج:16، ص:309.

5: المرجع نفسه، ج:2، ص:187-188.

وقال عنه أيضا:"وظاهر كلام الغبريني أن تفسير الشيخ الحرالي كامل، وقال بعضٌ: إنه لم يكمل، وهو تفسير حسن، وعليه نسج البقاعي مناسباته، وذكر أن الذي وقف عليه منه من أول القرآن إلى قوله في سورة آل عمران ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ [آل عمران:37].[1]

كما تحدث مطولا عن نكت وفوائد من تفسير أبي الحسن الشاذلي[2] حيث يقول:" وله كلام بديع في تفسير القرآن العزيز، فمن ذلك أنه قال: قال الله سبحانه وتعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ عَلِم الله عجز خلقه عن حمده، فحمد نفسه بنفسه في أزله، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده، فقال﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: الحمد الذي حمد به نفسه بنفسه هو له، لا ينبغي أن يكون لغيره، فعلى هذا تكون الألف واللام للعهد. وقال في قوله تعالى﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إياك نعبد شريعة عبادة، وإياك نستعين عبودية، إياك نعبد فرق وإياك نستعين جمع".

ثم يعلق عليه بالقول:"وله في هذا المعنى وغيره كلامٌ نفيسٌ يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية".[3]

ثم يقول المقري:" وقال –رضي الله تعالى عنه– في قوله تعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل. وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره، وبسطه الشيخ –رضي الله تعالى عنه– فقال: عموم المؤمنين يقولون﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين، والصالحون

1: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، ج:2، ص: 189.

2: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة، ولد في بلاد غمارة بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون)، تفقه وتصوف بتونس، وسكن"شاذلة" قرب تونس فنسب إليها. رحل إلى بلاد المشرق ثم سكن الإسكندرية. وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة:656هـ. انظر: "الأعلام"ج: 4، ص:503.

3: المرجع نفسه، ج:2، ص: 191.

يقولون﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، لأنهم حصل لهم الصلاح، وفاتهم درجات الشهداء، والشهيد يقول ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ حصل درجة الشهادة وفاته درجة الصديقية، والصديق كذلك يقول﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ إذ حصلت له درجة الصديقية، وفاتته درجة القطب، والقطب كذلك يقول﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فإنه حصلت له رتبة القطبانية، وفاته عِلمٌ إذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه".[1]

كما تحدَّث عن تفسير ابن عطية فقال مزكيا له:" ألَّف كتابه «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار".[2]

ويروي المقري المجلس التفسيري الذي جمع أبا الوليد ابن هانئ[3] وابن الحكم[4] وابن فرحون[5]، حيث يقول الأخير:"ولما اجتمعنا بأبي الوليد ابن هانئ مقدمه علينا من غرناطة سأل ابن حكم عن تكرار "مَنْ" في قوله تعالى﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۢ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: 10] دون ما بعدها، فقال: لولا تكررها أولا لتوهم التضاد بتوهم اتحاد الزمان، فارتفع بتكرار

1: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، ج:2، ص: 191-192.

2: المرجع نفسه، ج:2، ص: 526.

3: إسماعيل بن محمد ابن هانئ الغرناطي، اللخمي، المالكي، (أبو الوليد) نحوي. ولد سنة708هـ بغرناطة، وأخذ عن جماعة من أهل بلده ، وقدم القاهرة فذاكر أبا حيّان، ثم قدم الشام، وولي قضاء المالكية بحماة وهو أول مالكي ولي القضاء بها، ثم قضاء الشام، ثم دخل مصر وأقام يسيرا، توفي سنة:771هـ. انظر:"معجم المؤلفين" ج:2، ص: 294. "شذرات الذهب"ج:8، ص:378.

4: أبو إسحاق إبراهيم بن حكم السلوي، ورد تلمسان بعد العشرين، ثم لم يزل بها إلى أن قتل زمن بني عبد الواد، وذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان عام 737هـ. انظر:"نفح الطيب"ج:2، ص:227.

5: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري: عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة. وهو مغربي الأصل، رحل إلى مصر والقدس والشام سنة 792 هـ. وتولى القضاء بالمدينة سنة 793 ثم أصيب بالفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته عن نحو 70 عاما. وهو من شيوخ المالكية، له: "الديباج المذهب" في تراجم أعيان المذهب المالكي، و "تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام " وغيره. انظر: "الأعلام" ج:1، ص:52.

الموضوع، أما الآخر فقد تكرر الزمان، فارتفع توهم التضاد، فلم يحتج إلى زائد على ذلك، فقلت[1]: فهلا اكتفى بسواء على تكرار الموضوع، لأن التسوية لا تقع إلا بين أمرين؟ وإنما الجواب عندي أنها تكررت أولا على الأصل لأنهما صنفان يستدعيهما كل واحد منهما أن تقع عليه، ثم اختصرت ثانيا لفهم المراد من التفصيل بالأول مع أمن اللبس، وقد أجاب الزمخشري بغير هذين فانظره".[2]

والقصد من إيراد كل هذه النماذج، بيان تمكن الرجل من علم التفسير وسبر أغواره وفنونه، وباعه الطويل في هذا العلم، وتبقى هذه الدلائل غير كافية لبيان منهج الإمام المقري في التفسير أو منهجه وأسلوبه في التعاطي مع الآي الكريم.

الرابع: أحمد الجَزيري، أبو العباس[3](ت قبل:1073هـ):

الفقيه أبو العباس أحمد الجزيري، لا يُعلم تاريخ ولادته ولا وفاته بالتحديد، ذكره الفكون في «منشور الهداية» فحلَّاه بالقول:"وممن لقيناه الفقيه المسن أبو العباس أحمد الجزيري، كان –رحمه الله–مدرسا من أهل الفتوى والدخول في الشورى، تولى النيابة في القضاء عن قضاة العجم، وكان يصلي بقواد المدينة، في رحيلهم عن البلد بمحلتهم، وكان لا تشاء تراه مدرسا إلا رأيته... وكان يتعاطى التفسير والفقه ويدَّعي الأستاذية في السبع ومعرفة أحكام القرآن".[4]

1: ابن فرحون.

2: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، ج: 5، ص: 227.

3: ليس هو أبو العباس أحمد بن عليّ بن زرقون المرسي الجزيري أحد علماء القرن السادس، ولا أبو العباس أحمد بن سيدي عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزيري الذي يعتبر أحد علماء الحديث في القرن الثالث عشر. وقد تحدث عنه الدكتور أبو القاسم في تاريخه، وذكر أنه شيخ المؤرخ الجبرتي. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 430.

4: منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، ص: 69-70.

وذكر الفكون أنه أدرك الشيخ عبد الله بن غرارة المشهور بابن ثلجون[1]، ولم يذكر تتلمذ عليه، فلم تسعفنا المصادر التاريخية بسلسلة مشايخه ولا تلامذته.

ويظهر من كلام الفكون أنه كان يقوم بالتدريس، ولم يبين هل كان بالجامع الأعظم أو بمدارس أخرى، وقوله يتعاطى التفسير دليل على تدريسه لهذا العلم وبثه له في دروسه مع طلبته، ولم أجد من تطرق لهذا العَلَم غيره، والذي لم يذكر له تأليفا في التفسير أو علومه، ولم يبين أكثر من أنه كان يتعاطى علم التفسير، وهو بهذا من أعلام الجزائر الذين خدموا التفسير تدريسا لا تأليفا، ولعل كلام الفكون في أنه كان يدَّعي الأستاذية في السبع، دليل على اهتمامه في التفسير بالقراءات، وليس بين أيدينا ما يمكن إثباته غير ذلك.

الخامس: محمد بن خليفة، أبو عبد الله (ت:1094هـ):

الإمام الشيخ محمد بن خليفة، أبو عبد الله، فقيه فاضل، رحالة علامة، مشارك في عدة علوم، من أهل مدينة الجزائر، وبها مولده، ولا يعلم تاريخه، حلَّاه ابن زاكور الفاسي بالقول:" الشيخ المسن البركة، الحائز قصب السبق في فنون مشتركة"[2]، وكان للتفسير منها وافر نصيب، إذ كان مقيما على التفسير بالجامع الأعظم بالجزائر، أين التقى به تلميذه ابن زاكور الذي حدَّث عن شيخه أنه وعده بإجازة خاصة بعد إتمامه لتفسير القرآن الكريم بالجامع، إذ يقول:"فوعدني –رضي الله عنه–بالإسعاد في رغبتي والإسعاف في طلبتي حين يختم تفسير القرآن المجيد، وكان من ذلك الغرض غير بعيد".[3]

1: عبد الله بن غرارة المشهور بابن ثلجون، كانت له معرفة بالعزائم والتخديم، ذا حكمة ظاهرة فيه، له كتاب في الأسماء والطلاسم، نسخه الطلبة بعد اختلاس ابنته له في قصة يرويها الفكون، لا يعلم تاريخ ولادته ولا وفاته. انظر: "منشور الهداية" ص:70.

2: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ت:2011م، ص: 71.

3: المرجع نفسه، ص: 74.

لم تذكر المصادر التاريخية أحدا من **شيوخه ولا تلامذته**، إلا ما عُلم من صاحب رحلة ابن زاكور الفاسي[1] أنه تتلمذ عليه، كما لم تشر المصادر إلى تصانيفه وكتبه التي ذكر تلميذه أن لشيخه مجموعة منها إذ يقول: "وندبني إلى كتبه فشوَّق"[2]، وذكر له تأليفا واحدا هو شرح على سلم الأخضري[3] في المنطق المسمى «السلم المرونق».

درَّس الشيخ ابن خليفة علوما كثيرة، وصنَّف في بعضها، والظاهر أنه لم يصنِّف في التفسير بل كان مقيما عليه بالتدريس فقط مواظبا عليه دون أن يؤلف فيه، ويصف تلميذه ابن زاكور تلك المواظبة بأن الشيخ لم يتركها حتى عند وفاة ابنه عبد الله إذ يقول:" فُجِع بموت ولده، وخيف من ذلك تصديع كبده، فلم يجزع لمماته ولم يضجر لفواته، واستعان على رزيته بالصبر، ابتغاء الثواب وحصول الأجر، ما كان إلا قدر ما أدرجه في كفنه وأضجعه في مدفنه، حتى أقبل إلى حلقته وما حبسه عنها أوار حرقته، فقيل له في ذلك، تعجبا من فرط صبره على ذلك الهالك، فقال –رضي الله عنه–: لا أصطلي نار حرقتين، ولا أجمع بين مصيبتين، فجعل من أرزائه ترك إقرائه، وسوَّى ثكل ابنه بعدم الإفادة في ذلك اليوم بعينه".[4]

توفي الشيخ ابن خليفة بعد ختمه لتفسير القرآن الكريم مباشرة سنة:1094هـ، بعد مواظبة على تدريسه بالجامع لسنوات طوال، يقول تلميذه ابن زاكور:" فلما أورده أمله منهله، حضره أجله وما أمهله فاقتطفته المنية إثر بلوغ تلك الأمنية"[5]، والأمنية المشار إليها هنا إتمامه لتفسير القرآن الكريم.

1: محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور، أبو عبد الله، ولد بفاس سنة:1060هـ، نظم الشعر صغيرا وبرع فيه، ويحفظ عدة تآليف منها "جمع الجوامع" للسبكي، و"مختصر خليل" وكافية ابن حاجب وتسهيله، تتلمذ على سعيد قدورة وعمر المانجلاتي الجزائري، له إجازات عدة من مشايخ من فاس وتطوان والجزائر، تصدر للتدريس بحاضرة فاس، من تصانيفه:"المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب" و"الاستشفاء من الألم" وغيره، توفي سنة: 1120هـ. انظر: "فهرس الفهارس"ج:1 ، ص:185، و"الأعلام"ج:7، ص:7 .

2: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، ص: 72.

3: المرجع نفسه، ص: 72.

4: المرجع نفسه، ص: 75.

5: المرجع نفسه، ص: 74.

وكغالب المفسرين الجزائريين الذين مضوا، لم نجد من طلبته من يتحفنا بنموذج من تفسيره أو مثال عن ذلك، نستطيع من خلاله بيان أسلوبه ومنهجه في التفسير، وكيفية تعاطيه مع الآي الكريم، وهل كان مقيما على شرح أحد التفاسير المشتهرة أم لا؟

بل لم نجد من ترجم له سوى تلميذه ابن زاكور الفاسي، ولولا رحلته المسماة بـ «نشر أزاهر البستان» لما استطعنا أن نقطف زهرة من حياة هذا العلم الجزائري، ولكان خبرا ونسيا منسيا كبقية الأعلام في التفسير، بالرغم من وصفه "بشيخ المشايخ"[1]، وكل من ترجم له كالحفناوي في «تعريف الخلف برجال السلف» ونويهض في «معجم أعلام الجزائر» اعتمدوا في ترجمته على هاته الرحلة، إلا أن يكون قد تُرجم له في بعض الآثار التي لازالت مخطوطة ولم تخرج للنور بعد.

السادس: يحي بن محمد الشاوي[2]، أبو زكريا (ت:1096هـ):

يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو زكرياء الشاوي المليانى الجزائري، من فقهاء المالكية، ولد بمليانة[3] وتعلم بالجزائر، وأقام مدة بمصر في عودته من الحج سنة 1074هـ وتصدر للإقراء بالأزهر، ثم رحل إلى سورية والروم ومات في السفينة راحلا للحج، ونقل جثمانه إلى القاهرة سنة:1096هـ.

1: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، ص:72.

2: ذكر الكتاني أن لقب الشاوي كان تسمية لا نسبًا فأصله ملياني، وأن الشيخ محمود بن سعيد مقديش الصفاقسي ذكر في ترجمته في كتاب «نزهة دائرة الأنظار في علم التواريخ والأخبار»: أنه ولي مشيخة الجامع الأزهر. انظر:"فهرس الفهارس"ج:2، ص: 1132/ 1134.

3: مِلْيَانَةُ: بالكسر ثم السكون، وياء تحتها نقطتان خفيفة، وبعد الألف نون: مدينة في آخر إفريقية، بينها وبين تنس أربعة أيام، وهي مدينة رومية قديمة فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحى جددها زيري ابن مناد وأسكنها بلكّين. انظر:"معجم البلدان"ج:5، ص: 196.

حلَّاه صاحب «خلاصة الأثر» بالقول:" الشيخ الإمام العمدة الرِّحلة المُـفَسِّر، آية الله تعالى الباهرة فى التفسير والمعجزة الظاهرة فى التَّقرِير والتحرير[1]، وهو في الفقه إمامه ومن فمه تؤخذ أحكامه [2]، وذكره أبو المواهب في مشيخته بـ"المفسِّر الجامع بين العلوم النافعة".[3]

تتلمذ على **شيوخ** كثر في غالب الحواضر العلمية التي زارها كالشيخ محمد أبهلول المفسِّر[4] بزاويته بمجاجة، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي[5]، وسعيد قدورة بالجزائر[6]، وأخذ عن الشمس البابلي بالقاهرة وغيرهم[7]، ولم تذكر المصادر التاريخية أي علوم أخذها عن مشايخه هؤلاء، ومن أشهر من

1: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، دار صادر، بيروت، دط، دت، ج:2، ص: 138.

2: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 677.

3: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، أبو المواهب الحنبلي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، سوريا، ط:1، ت: 1990م، ص:91.

4: سبقت ترجمته في أعلام التفسير في هذا القرن.

5: علي بن عبد الواحد بن محمد، أبو الحسن، الأنصاري السجلماسي الجزائري، من سلالة سعد بن عبادة الخزرجي: فقيه مالكي، من العماء ولد بتافلات، ونشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدة واستقر بفاس، فنصب مفتيا في الجبل الأخضر، وتوفي في الجزائر. من كتبه: "المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية " وغيرها. انظر:"الأعلام"ج:4، ص: 309.

6: سبقت ترجمته.

7: محمد بن علاء الدين البابلي، شمس الدين، أبو عبد الله، فقيه شافعيّ، من علماء مصر، ولد ببابل من قرى مصر ونشأ وتوفي في القاهرة سنة:1077هـ. كان كثير الإفادة للطلاب، قليل العناية بالتأليف. له كتاب:"الجهاد وفضائله" ألجئ إلى تأليفه. وعمي في منتصف عمره. ولتلميذه عيسى بن محمد المغربي كتاب"منتخب الأسانيد" وهو فهرست لمرويات صاحب الترجمة وشيوخه وسلسلاته. انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 270، و"فهرس الفهارس"ج:3، ص: 337.

تتلمذ على يديه، المحبي[1] صاحب «خلاصة الأثر» وأبو المواهب الحنبلي[2] وأحمد قاسم البوني[3] أحد أعلام التفسير في القرن الثاني عشر الذي كان يشيد بشيخه أبي زكريا في مؤلفاته.

له تصانيف وتآليف بين حواش وشروح منها: «توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد»[4] وحاشية على «شرح أم البراهين»[5] للسنوسي، ورسالة في «أصول النحو»[6]، و«شرح التسهيل لابن مالك»[7]، وحاشية على «شرح المرادي»، و«رسالة في المصافحة»[8]، و«لامية»[9] منظومة في إعراب الجلالة جمع فيها أقاويل النحويين، وغيرها كثير أتى على ذكرها نويهض في معجمه[10]، وقد تولى التدريس والإقراء بالأزهر

1: محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي، الحموي الأصل، الدمشقيّ، مؤرخ، باحث، أديب. عني كثيرا بتراجم أهل عصره، فصنف"خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، ولد في دمشق وسافر الى الأستانة وبروسة وأدرنة ومصر، وولي القضاء في القاهرة، عاد إلى دمشق فتوفي فيها سنة:1111هـ. انظر:"الأعلام" ج: 6، ص: 41.

2: محمد بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي الدمشقيّ، أبو المواهب، مفتي الحنابلة بدمشق، مولده ووفاته بها. زار مصر سنة 1072هـ أصله من بعلبكّ، له ثبت في أسماء مشايخه وتراجمهم سماه "فيض الودود" ورسائل في تفسير بعض الآيات، وكتابة على صحيح البخاري. توفي سنة: 1126 هـ. انظر: "خلاصة الأثر" ج:1، ص: 146، و"الأعلام" ج:6، ص: 184.

3: ستأتي ترجمته في أعلام القرن الثاني عشر.

4: منه نسخة بالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة بتونس، برقم حفظ: 1305/14/3-1306. ونسخة ثانية بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ:3962.

5: منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس برقم حفظ: 4582، وذكروا أنها تقييد على صغرى السنوسي.

6: منه نسخة بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ: 4492 عن شستربيتي.

7: ورد في فهرس الأزهرية أن نسخة معنونة بحاشيه الشاوي على توضيح مقاصد الالفية برقم الحفظ:[463]..2987. قلت: قد تكون هي.

8: منه نسخة بمكتبة الدولة بألمانيا، برقم حفظ: 1607-1608.

9: منه نسخة بمكتبة الدولة بألمانيا، برقم حفظ: 6753، ونسخة ثانية بالمملكة العربية السعودية، بالمكتبة المركزية، برقم: 4492 عن شستربيتي.

10: انظر: معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ج: 1، ص: 186.

الشريف وبمدرسة الأشرفية[1] والسليمانية[2] والصرغتمشية[3] وغيرها بالقاهرة التي أقام فيها حلقاته في «مختصر خليل» و«شرح الألفية للمرادي»، و«عقائد السنوسي» و«شرح جمل الخونجي» لابن عرفة في المنطق[4]، ثم بالجامع الأموي بدمشق[5] الذي دَّرس فيه التفسير حيث يقول تلميذه أبو المواهب في ترجمته:" فمرَّ على دمشق وألقى فيها العلوم من الحديث والتفسير والتصوف وعلوم العربية من الدروس العامة والخاصة ".[6]

كما درَّسَ بالآستانة ببلاد الروم، فقد ذكر تلميذه المحبي في «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»[7] أنه أخذ عنه العلوم بالروم –اسطنبول–حين وردها ثانيا، وأنه دَرَسَ عليه سورة الفاتحة من تفسير «أنوار التنزيل» للبيضاوي وأنه أجازه بها، ثم أورد نص الإجازة إذ يقول:

وقد كتب لي إجازة بخطه، هاهي مزينة بضبطه: الحمد لله الحميد، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد، وعلى آله أهل التمجيد:

1: تقع المدرسة الأشرفية بشارع المعز لدين الله الفاطمي في قلب القاهرة، وتسمى بالمدرسة الأشرفية نسبة إلى صاحبها السلطان الأشرف برسباي الدقماقي الظاهري، الذي أمر بإنشائها في شارع المعز لدين الله الفاطمي، بالقرب من حي الصاغة، على أنقاض بعض الحوانيت، وكانت من ورائها ساحات هدمت لإنشاء هذه المدرسة، وتعتبر من أعظم المدارس المملوكية. انظر: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي، ج:4، ص: 146.

2: عمَّرها الأمير سليمان باشا عام 920هـ-1543م. استعملت هذه التكية للقادرية وبها ضريحان لبعض شيوخهم في القرن العاشر، أحدهما الشيخ إبراهيم، والآخر للشيخ عبد الرسول، والتكية: عمائر دينية خاصة لإقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة ومساعدة عابري السبيل، وتعتبر التكية من المنشآت الدينية التي حلَّت محل "الخنقاوات" المملوكية في العصر العثماني.

3: كانت بناياتها عبارة عن عدّة مساكن، فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصريّ وهدمها، وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة 756، وانتهت في جمادى الأولى سنة 57، وقد جاءت من أبدع المباني وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا. انظر: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" للمقريزي،ج:4، ص: 264.

4: تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج:1، ص: 678.

5: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، ج: 4، ص: 487.

6: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، أبو المواهب الحنبلي، ص: 91.

7: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين المحبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:01، ت:1971م، ج:5، ص:47-48.

أجَزْتُ الإمامَ اللَّوْذَعِيَّ المعبّرَا *** أمِينا أمينَ الدِّين رُوحاً مُصـــوَّرَا

سلِيلُ مُحِبِّ الدِّين بيتُ هدايةٍ *** وبيتُ مَنَارِ العلم قِدْماً تقـــرَّرَا

بإقْرائه متنَ البُخارِي الذي به *** تقاصَر عنه مَن عَداهُ وقَصَّـــرَا

مُوَطَّا شِفاءٌ والشِّفاءُ كمُسْلِمٍ *** إذا مُسْلِماً تُقْرِيه حَقّاً تصـــدَّرَا

وباقي رجالِ النَّقْلِ حَقّاً مُبَيّناً *** وتفسيرُ قَوْلِ الله في الكُلِّ قدَّرَا

خدم التفسير وعلومه بمؤلفه المشهور «المحاكمات»[1]، الذي جعله في المحاكمة بين أئمة التفسير الثلاث، أبو حيان الأندلسي وابن عطية والزمخشري، وذكر فيه اعتراضات أبي حيان على ابن عطية والزمخشري.[2]

وله «تعليقة على آية التنزيه»، وهو تعليق على طريقة المتكلمين في شرح وتفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. ولم يذكرها كل من ترجم له وذكر أعماله، وقد عثرتُ عليها وعلى نسختها الوحيدة بزاوية العائلة العثمانية بطولقة ولاية بسكرة[3]، وتقع ضمن مجموع فيه خمسة عناوين، جاءت عدد لوحاتها في 13 لوحة، كُتب في لوحتها الأولى تعريفٌ موجز بالإمام الشاوي بخط محمد مرتضى الزبيدي صاحب «القاموس»، ولقَّبه فيها بشيخ مشايخنا.

1: أخرجه الأستاذ محمد عثمان، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت، والكتاب يحتاج لإعادة إخراج، فلم تكن الطبعة المشار إليها علمية بقدر ما كانت تجارية صرفة، يكثر فيها التحريف والتصحيف للألفاظ والمعاني. وقد قام الباحث عبد القادر مغدير، بتحقيق الكتاب رسالة دكتوراه، بقسم اللغة العربية بجامعة السانية بوهران سنة:2006م، تحت إشراف الدكتور: المختار بوعناني. كما أعد الباحث: مصطفى الغماري بجامعة الجزائر المركزية السور الخمس الأولى من المحاكمات للشاوي، كرسالة دكتوراه، أجيزت سنة : 2000م.

2: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب المصرية، بيروت، ط:1، ت:2009م، ج:1، ص: 17.

3: ساهم في هذا التنبيه لهاته المخطوطة الأستاذ الكريم: سعد عثماني، القائم بشؤون المكتبة والذي يعمل حاليا على فهرست مخطوطاتها والتي تقدر بأكثر من 1600 مخطوط، فله كل الشكر والتقدير.

وجاء هذا التعليق على آية التنزيه مصبوغا بصبغة أهل الكلام والمنطق، مكثرا من مصطلحاتهم وأقوالهم وشروحاتهم الكلامية الفلسفية، خائضا في مسائل الاعتقاد والفرق، وهو بهذا الوصف تأليفٌ في التوحيد والاعتقاد لا في التفسير.

ومن خلال كتابه «المحاكمات»[1] الذي اعتبره البعض حاشية على تلك التفاسير الثلاث[2]، يمكن إدراج هذا التصنيف ضمن التفاسير النحوية، حيث اعتمد صاحبه الصناعة النحوية أساسا لتبيين المعاني، والتي قد يتغير المعنى فيها أو يُثبت بحسب إعراب الآية وبنيتها النحوية، على قاعدة أن تفسير المعنى يستلزم إيضاح المبنى، وهو استلزام ليس بمطرد[3]، إذ قد "يقع في كلامهم، هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك".[4]

وقد عمد الإمام الشاوي لاعتراضات أبي حيان النحوية على الزمخشري وابن عطية[5] في تفاسيرهم، فكان يورد الآية القرآنية الكريمة فالشاهد منها، ثم كلام الزمخشري وابن عطية، ثم اعتراض أبي حيان عليهما في تلك المسألة النحوية ويقوم إما بالموافقة أو المعارضة.

1: اعتمدتُ في الإحالة على المطبوع، ولكثرة التصحيف والتحريف الواقع فيه، اضطررت للرجوع إلى المخطوط في أغلب المواضع، والمخطوط المعتمد هو نسخة الأزهرية رقم: 340244 عدد لوحاته :316.

2: كالحضيكي إذ يقول:" له حاشية على التفسير سماها المحاكمة". انظر "طبقات الحُضيكي"، ص: 609.

3: يقول السيوطي في معنى ذلك: "قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر والإعراب يمنع منه، والمتمسَّك به صحة المعنى، ويؤول لصحة المعنى الإعراب، وذلك كقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ فالظرف الذي هو ﴿ يَوۡمَ ﴾ يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو رجع، أي أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، لكن الإعراب يمنع منه، لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل فيه فعلا مقدرا دل عليه المصدر". انظر:"الإتقان في علوم القرآن" ج: 2، ص: 320.

4: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط:1، ت: 1394هـ/ 1974م، ج:2، ص: 320.

5: أشار للزمخشري بحرف "ز"، وابن حبان بحرف "ح" ، وابن عطية بحرف"ع" ولكلامه هو بحرف"ت".

وقد وصف الدكتور إبراهيم رفيدة عمل الشاوي بالقول:"كما كان يبدي فيه كثيرا من النقاش والملاحظات القيّمة حول ردود أبي حيان عليهما، وهو منصف في موقفه منهم، يبدو عليه الانتصار في كثير من المواضع لابن عطية والزمخشري خصوصا الأول منهما، وهو كتاب لطيف واضح".[1]

قلت: وليس كما زَعم من انتصار الشاوي في غالب الكتاب للزمخشري خصوصا وابن عطية عموما، بل كان متقاربا جدا في اعتراضاته بين الثلاث، يبرِّر لابن حيان بعض اعتراضاته على الزمخشري وابن عطية موافقة منه عليها، كما قد يخالفه موافقة للزمخشري وابن عطية، ويخالف الزمخشري وإن وافقه ابن حيان وابن عطية، وعلى هذا النهج سار غالب الكتاب.

ومن أمثلة مناصرته للزمخشري والرد على اعتراضات ابن حيان عليه، ما ذكره عند الكلام في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2] إذ يقول:" قوله تعالى:﴿ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾

-ز-: لم يقدم الخبر كما في قوله تعالى:﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ ﴾ لئلا يوهم أن غير القرآن فيه ريب كما هو المقصود في﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ ﴾ أي: في خمر الجنة، بخلاف خمر الدنيا.

-ح-: انتقل -ز- من الاختصاص بتقديم المفعول إليه بتقديم الخبر، ولا نعلم فارقا بين ليس رجل في الدار وعكسه، على أن العرب وصفت خمر الدنيا بالاغتيال. قال علقمة بن عبيدة:

يشفي الصداع ولا يؤذيك جالبها *** ولا يخالط بها في الرأس تدويم

-ت-: لم ينفرد الزمخشري بما في ذكر الخبر، وكل من رأينا كلامه من البيانيين على هذا، ومن ثَمَّ كان عند ابن مالك مسوغا، فلا محل للرد عليه في مثل هذا".[2]

1: النحو وكتب التفسير، إبراهيم رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط:3، ت: 1990م، ص: 946.

2: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص:19.

ومن أمثلة انتصاره للزمخشري ورده على اعتراض ابن حيان عليه واتهامه بالاعتزال، مع الإقرار بفساد كلام الزمخشري، كلامه في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم: 47] إذ يقول:"قوله تعالى:﴿ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾: -ز-: قدَّم المفعول الثاني ولم يقل مخلف رسله وعده، بل قدم الوعد ليُعلم أنه لا يخلف الموعد أصلا كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: 9] ثم قال:﴿ رُسُلَهُۥٓ ﴾ ليعلم أنه لم يخلف وعده أحدا، وليس من شأنه إخلاف المواعيد، كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته!؟ .

-ح-: هذا جواب على طريقة الاعتزال في أن ما وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلا، ومذهب أهل السنة أن كل ما وَعَدَ من العذاب للعصاة المؤمنين مشروط إنفاذه بالمشيئة[1].

-ت-: قول -ز- إذا كان لا يخلف وعده أحدا فاسد، لأن تقديم الثاني لا يجعل الأول المذكور بعده نسيا، حتى يجعل في قوة عموم مترقيا منه إلى أخروية الخاص، وقول -ح- هو جارٍ على طريقة الاعتزال غير مسلم، لأن سياق الآية في وعد الرسل بالانتقام من مخالفهم ممن كفر بهم، والإجماع على عدم إخلاف الوعد للرسل بوعيد الكافرين، ثم إن إخلاف الوعد محال في حق الله حيث تحتم، والمقيد بالمشيئة، حيث لم يشأ لا يعد إخلافا فلا إخلاف وعد أصلا، فكيف يقال أن عدم إخلافه طريقة إعتزالية إذ يقتضي كلامه بالصريح أن طريقة أهل السنة صحة إخلافه، وذلك مستحيل عقلا وشرعا فتأمله ".[2]

1: في المطبوع: بشروط إنفاذه بالسيئة، والصواب ما أثبته من المخطوط.

2: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص: -197-198.

ويتعرض الإمام الشاوي لمذهب الزمخشري الإعتزالي ذما وقدحا وتشهيرا وتحذيرا، إذ يقول:" وهذه الدسائس البعيدة الفور توجب النفرة عن كتابه، والسير فيه كالماشي في أرض الأفاعي، يبعد سلامته مع شدة البصيرة والحفظ، ولا أقل من المخافة في كل محل وسلوك طريق إلا من متعين".[1]

ومن أمثلة رده على الزمخشري وموافقته اعتراض ابن حيان، كلامه في قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [المائدة : 4] إذ يقول:"قوله تعالى: ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ -ح-: اشتقاق هذه الحال من الكلب، وإن كانت الجوارح أعم تغليبا لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلب، فاشتقت من لفظه لكثرة ذلك في جنسه، وقيل لأن الغالب من صيدهم أن يكون بالكلاب، أو اشتقت من الكَلَبِ وهو الضَّرَاوة يقال: هو كَلِبٌ بكذا أي ضاريا به.

-ز-: أو لأن السَّبُعَ يسمى كلبا ومنه قول عليه الصلاة والسلام: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فأكله الأسد.

-ح-: لا يصح هذا الاشتقاق، لأن كون الأسد كلبا هو وصف فيه، والتكليب من صفة المعلِّم والجوارح[2] هي سبَاعٌ بِنفسها لَا بِجعل المعَلِّم.

-ت-: معنى كلام -ح- أن الكلبية غير التكليب، فالتكليب بفعل فاعل بخلاف الكلبية، وأيضا يبطل كلام -ز- من وجه آخر وهو تسمية الأسد كلبا لا يوجب الاشتقاق للجوارح ولو بالتغليب لأنه ليس ما يصطاد به، فتأمله فإنه عجيب".[3]

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج:2، ص: 198.

2: في المطبوع: الجوار، دون تتمة كلام ابن حيان، والصواب ما أثبته من تفسير «البحر المحيط»، ج: 4، ص: 179.

3: المرجع نفسه، ج: 1، ص: 224.

ومن أمثلة عدم موافقته لرأي ابن حيان وانتصاره لابن عطية كلامه في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: 43] إذ يقول:" قوله تعالى: ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾

-ح-: الكتابُ اللوحُ المحفوظ، ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قيل هو الله تعالى، قاله الحسن، قال: لا والله ما يعني إلا الله، وقاله ابن جبير والزجاج، والمعنى :كفى بالذي لا يستحق العبادة إلا هو، وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني وبينكم.

-ع-: فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز، إنما نعطف[1] الصفات بعضها على بعض.

-ح-: ليس كما زعم، لأن من لا يوصف بها ولا بشيء من الموصولات إلا الذي والتي وفروعهما وذو وذات الطائيتين[2].

-ت-: هذه مغالطة أو غلط، لأن -ع- لم يجعله صفة صناعية، لتصريحه بأنه معطوف والمعطوف ليس نعتا بل مراده الصفة المعنوية، وقصده الإشارة إلى أن العطف لا بد فيه من المغايرة، والصفة لا تغاير الموصوف من حيث ذاته فلا يعطف عليه، فلا يقال جاء زيد والطويل ونريد بالطويل زيدا، لأن ذلك مغايرة بين زيد والطويل، بخلاف ما إذا ذكرتَ الأول موصوفا بصفة ما نحو غافر الذنب وقابل التوب، والله لا يغاير من عنده علم الكتاب إذ هو هو، والصفة لا تغاير الموصوف من حيث ذاته، نعم إن قُيِّد الموصوف بوصفٍ منطوق به أو منوي صحَّ العطف، كأن يقال هنا باعتبار الألوهية التي هي استحقاق العبادة،

1: في المطبوع: إنما نقطف، والصواب ما أثبته من المخطوط.

2: في المطبوع: وذوو ذات الطافية، والصحيح ما أثبته من المخطوط.

فتلخص فيه معنى الوصف فيصح العطف، أي كيف بمستحق العبودية ومن عنده علم الكتاب كما قدره به الشيخ صح العطف فالجواب إنما يكون عن إشكال".[1]

بل ويبيّن تناقض ابن حيان في بعض اعتراضاته، كما في كلامه عند قوله تعالى:﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف : 18] إذ يقول:" قوله تعالى:﴿ لَّمَن تَبِعَكَ ﴾: -ح- : قرأ الحجدري وعصمة عن عاصم بكسر اللام، -ع-: أي لأجل من تبعك ﴿ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ -ح-: ظاهره تعليق المجرور ب﴿ لَأَمْلَأَنَّ ﴾ ومذهب الجمهور منعه لأن ما بعد لام القسم لا يعمل فيما قبلها -ت-: تأمل حين ذكره -ز- عارضه بعدم التسليم لأنه مختلف فيه وحين أوهمه كلام -ع- أشار لمذهب الجمهور كما قاله -ز-، والله أعلم.

بل تعجبه منه في وقوفه أمام الألفاظ دون اعتبار للمعاني إذ يقول عند الكلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : 104] :" والتوقيف على الفعل مذكور في كلام النحويين كثير وكيف ينكر، وغاية ما فعل إضافة المعنى الدال عليه، وعجبت من الشيخ -ح- يقع منه كثيرا إنكار التسمية الواضحة، وذلك من الوقوف دون اعتبار المعاني، وهو جمود مع المعتاد".[2]

وبهذا النَّسق سار الإمام الشاوي في كتابه «المحاكمات»، ولم يتطرق لبقية فروع علم التفسير أو علوم القرآن كالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وغيرها من العلوم، وكان لا يتطرق لها إلا في مسارها النحوي وإرادة الجانب النحوي منها، فلم يكن في كتابه هذا ممارسا لتفسير الآيات القرآنية بقدر ما كان مبينا لمبانيها النحوية، لذا فإنه لم يكن حافلا بمسائل التفسير وعلومه،كصنيعه في القراءات مثلا، حيث أورد

1: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج: 1، ص:435.
2: المرجع نفسه، ج: 1، ص:119.

قراءة عامة القراء لقوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ بالرفع في السارق والسارقة على الرغم من قراءة عيسى بن عمر[1] و[2] بن أبي عبلة[3] بالنَّصب على الاشتغال وهو ترجيح سيبويه لها، ثم يقول: والوجه في كلام العرب النصب، ثم أورد اعتراض الرازي على كلام سبيويه وأنه خروج عن قراءة متواترة[4]، ولم يزد في القراءات عن هذا الحد، وهو أسلوب غالب الكتاب مع علوم التفسير.

ويمكن إجمال وتلخيص ملامح هذه المرحلة من التراث التفسيري لعلماء الجزائر في هذا المبحث فيما يلي:

- تميزت هذه المرحلة من القرن الحادي عشر بظهور التأليف في علم التفسير بعد انقطاعه طيلة قرن من الزمن ومن الركود في التفسير تأليفا.
- ظهر التأليف في التفسير بعلمين بارزين على مستوى العالم الإسلامي، هما الإمام المقري والشاوي، وتميز تصنيفاهما بأنهما لم يكونا في التفسير قصدا، بل في أحد مسائله كالمحاكمة بين المفسرين أو إعراب القرآن.
- ارتقى عدد المفسرين الجزائريين في هذه المرحلة إلى ستة مفسرين، أربعة في التدريس فقط، واثنان في التأليف.

1: الإمام، المقرئ، العابد، أبو عمر الهمداني، الكوفي، عرف: بالهمداني، وإنما هو من موالي بني أسد. وثقه: ابن معين، وغيره. وكان مقرئ الكوفة في زمانه بعد حمزة ومعه. قال الثوري: ما بها أقرأ منه. قال مطين: مات سنة ست وخمسين ومائة. انظر: "سير أعلام النبلاء" ج:7، ص: 199-200.

2: ما وجدته في المطبوع: عيسى بن عمر بن أبي عبلة، والصواب أنه عيسى بن عمر وابن أبي عبلة وأنهما شخصيتان مختلفتان.

3: إبراهيم بن أبي عبلة، الرملي المقدسي، ولد بعد 60هـ ومات سنة 152هـ. يقول ابن عبد البر:" واسمه شمير بن يقظان بن المرتحل، معدود في التابعين رأى ابن عمر وأدرك أنس بن مالك وأبا أمامة وروى عنهم، سكن الشام وعمر طويلا ومات في خلافة أبي جعفر، وكان ثقة فاضلا له أدب ومعرفة وكان يقول الشعر الحسن ". انظر:"الاستيعاب" ابن عبد البر، ج:1، ص: 115.

4: المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، ج:1، ص: 232.

- مما تميزت به هذه المرحلة، ممارسة عَلمين من أعلامها للتدريس والتأليف جمعا بينهما، أعني المقري والشاوي.
- بعكس وجهة أصحاب المرحلة الأولى، فإن وجهة المفسرين الجزائريين في هاته المرحلة عرفت تحولا نحو المشرق وبلاد الروم، وذاك ما أدخل ثقافة التأليف في التفسير وعدم الاكتفاء بالدرس التفسيري فقط.
- بقاء الصراع السياسي وقيام الثورات ومدى تأثير ذلك على الساحة التفسيرية والعطاء والإنتاج العلمي عموما والتفسيري خصوصا.
- ظهرت حاضرة قسنطينة في التفسير بعلميها الشاوي المليانى وأحمد الجزيري، وحاضرة تلمسان بالمقري وابن الوقاد، وبروز مجاجة كمركز للتفسير بزاوية الشيخ محمد أبهلول، والجامع الأعظم بالجزائر الذي يُقصد أيضا للتفسير بحاضرة الجزائر، وهو انتشار مليح ينم عن بداية ازدهار هذا الفن.
- بقاء سيطرة العلوم اللغوية والحديثية على الساحة الثقافية والعلمية، وازدياد انتشار ثقافة التحشية على المتون، مما كرَّس لبقاء العقلية الجمودية في العلوم والفنون على الساحة العلمية بالجزائر.

الفصـل الثاني:

التراث التفسيري زمن العثمانيين في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري.

الفصل الثاني:

التراث التفسيري زمن العثمانيين في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري.

المبحث الأول:

التراث التفسيري الجزائري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الثاني عشر الهجري(1100هـ-1200هـ).

المبحث الثاني:

التراث التفسيري الجزائري وأعلامه في القرن الثالث عشر الهجري(1200هـ-1245هـ).

المبحث الأول: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الثاني عشر (1100هـ-1200هـ):

عرف القرن الثاني عشر تنامي الاهتمام بعلم التفسير وفنونه، إن على مستوى التدريس أو التأليف أو الجمع بينهما، ولعل في حادثة دخول الإمام المفسر الورزازي التطواني[1] التي أوردها ابن حمادوش في رحلته والذي كان أحد طلبته، دليلا على هذا التنامي والاهتمام، فقد توافد الطلبة[2] على الإمام الورزازي الزائر لهم من حاضرة تطوان العلمية "ليريهم كيف يبتدئ الناس التفسير، فاجتمعوا له ضحى في مسجد المدرسة[3] وأخذ يشرح بما طالع في «الكشاف»".[4]

وهو حدث يظهر حرص الطلبة والعلماء بعلم التفسير، وسعي الطلبة للأخذ عن علماء هذا الفن ومعرفة كيفية تناول المدرس درس التفسير وطريقة تدريسه للناس، وهو ما جعل من هذا القرن وتراثه التفسيري يجاوز ويفاوت القرون الماضية في هذه الدراسة زمن العثمانيين، كمًّا ونوعا، كمًّا بظهور أعلام مفسرين جدد، ونوعا بظهور التأليف في بعض مسائل التفسير أو ظهور التفسير الآيي.

وبمنهج التتبع والاستقراء في حدود ضوابط المفسِّر الجزائري التي أوردتها، انحصر الأمر في هذه المرحلة في الأعلام الآتية ذكرهم:

1: أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس الورزازي الدرعي التطواني: محدث، فاسيّ الأصل، قال تلميذه ابن عجيبة: كان شديد الشكيمة على أهل البدع لا يبالي بولاة زمانه. اتهم بالاعتزال وسجن وأطلق فازداد شأنه وحج وجاء من الحرم المكيّ وحده على رجليه إلى بيت المقدس، توفي بتطوان سنة:1179هـ. انظر: "فهرس الفهارس"ج:2، ص:1111. و"موسوعة أعلام المغرب" ج:7، ص: 2385.

2: يريد بالطلبة هنا العلماء، انظر: "تاريخ الجزائر الثقافي" ج:2، ص: 12.

3: المدرسة تابعة للجامع الكبير بالجزائر العاصمة. تعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله. رحلة ابن حمادوش، ص: 263.

4: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المشهورة برحلة ابن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق بن حمادوش، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ت:1983م، ص: 263.

الأول: علي بن أحمد[1] بن محمد بن الفيرم بن البكاي، الرقادي (ت:1120هـ):

علي بن أحمد الرقادي، من أعلام الزاوية الرقادية الكنتية، فقيه فرضي مفسِّر، ولد بالزاوية الرقادية سنة:1008هـ، التي كان والده شيخها ومؤسسها، نشأ بتوات، ثم رحل إلى السودان والنيجر ومالي للدعوة والتدريس، كما رحل إلى فاس وأخذ عن علمائها، توفي بالزاوية بعد عودته لها سنة:1120هـ.

أول **شيوخه** والده أحمد بن محمد الرقاد[2]، الذي أخذ عنه «مختصر الأخضري»، و«رسالة ابن أبي زيد» و«مختصر خليل» و«مختصر الإمام البرادعي»، و«بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد، وعلوم النحو والصرف وقواعد التجويد[3]، كما أخذ عن الشيخ الجعفري المعروف بأحمد الإمام[4] الذي تتلمذ بدوره على الرقاد الوالد.

وأخذ بحاضرة فاس عن الشيخ محمد المنساوي الدلائي[5] وأبو علي بن رحال المعداني المكناسي[6]، وأجازوه.

1: أحمد بن محمد الرقاد، مؤسس المدرسة الكنتيه الرقادية، أشار له الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي-معاصر-بأنه مفسر، وأن له تآليف في علوم التفسير وفنونه، فلم أجد في ترجمته عند الآخرين ما يقوي هذا الزعم، ولم يذكروا له أي تصنيف في التفسير، وهو بهذا خارج عن نطاق الدراسة لعدم شهادة اثنين له بالتفسير أو وجود مؤلف واحد معلوم النسبة والعنونة.

2 : أحمد بن محمد أول من عرف بالرقاد، لكرامة صدرت منه في نومه، الإمام العلامة المتفنن في المعقول والمنقول، مؤسس الزاوية الكنتية التي أصبحت فيما بعده تعرف بالمدرسة الرقادية، ولد سنة: 968هـ، بواد نون، له من الأبناء سبعة، جلهم من المشايخ بعده، أخذ عن والده محمد وعم أبيه سيد المختار بن عمر الشيخ، كان يقيم في زاويته حلقات يقرئ فيها الخلاصة بشرح المكودي، وشرح ابن هشام، ويقرئ العقائد والحديث والفقه وغيرها، لا يعلم تاريخ وفاته. انظر:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 527-528.

3: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، ص: 534.

4: لم أجد ترجمته وليس هو الإمام أحمد بن محمد الملقب بزروق الجعفري، فالأخير توفي سنة: 1245هـ.

5: محمد بن أحمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله الدلائي: فقيه مالكي، من علماء المغرب. مولده بالزاوية الدلائية سنة:1072هـ، وحكى صاحب «الإعلام بمن حل» أنه ولد بالزاوية البكرية بعد الاستيلاء على زاويتهم الدلائية، وكانت إقامته ووفاته بفاس، وولي بها الإفتاء مدة. له كتب منها: "نسب الأدارسة الجوطيين "، و"نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق" توفي سنة:1146هـ. انظر: "الإعلام بمن حل"ج:6، ص: 26. و"الأعلام" ج:6، ص: 13.

6: الحسن بن رحال بن أحمد التدلاوي، أبو علي، يدعى بصاعقة العلوم، من فقهاء المالكية، من أهل المغرب الأقصى، ولي قضاء فاس ونحي عنه، ثم ولي في آخر أمره قضاء مكناسة واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه"شرح مختصر خليل"، و"حاشية على شرح الخرشي"، توفي سنة: 1140هـ. انظر: "الأعلام"ج:2، ص: 170، و"معجم المؤلفين"ج:3، ص: 224.

كما أخذ عن مشايخ وعلماء المدرسة الدلائية[1] الشهيرة، فقد كان أحد طلبتها.

تتلمذ على يديه جمع غفير من بلاد السودان وتمبكتو التي مكث بها أكثر من عشر سنين[2]، وأخذ عنه أخوه محمد بن علي بن أحمد الرقاد[3] بالزاوية بعد رجوعه إليها، لم يُعلم من تصانيفه إلا تفسيره:«زاد المسافرين وغاية الموردين في تفسير القرآن بسنة سيد المرسلين وما ثبت من أقوال المهتدين».

أحد أعلام الزاوية الكنتية الرقادية وأحد شيوخها الذين حافظوا على سيرها بعد والده، حلَّاه الشيخ المختار الكبير[4] بالقول: كان آية في علوم الحديث والتفسير بحيث لا يعرف له نظير في هذه الفنون بالقرى التواتية في زمانه".[5]

لازم التدريس بالزاوية والمدرسة الكنتية طويلا، ويصف الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي[6] طريقة تدريسه بالقول:" ومنذ عيَّنه أبوه مدرسا بالزاوية الرقادية في مظاهر العلوم التي كان يدرِّسها وهو مشغل نفسه بأمور نافعة ... فإذا صلى الفجر والصبح جلس مشغولا بأوراده وأحزابه إلى أن يصلي الضحى ثم يخرج إلى بيته ويجلس مع الناس ويجيب أهل المسائل عن أسئلتهم ، وكانوا يرصدونه في هذا

1: ذكرها الكتاني فقال:"أبي بكر الدلائي شيخ زاوية الدلاء التي هي أعظم زاوية كانت بالمغرب، وموقعها بآيت إسحاق بزيان، إحدى قبائل جبل درن بالمغرب الأقصى، انتشر منها العلم وانتعش بعد أن أضمحل بالمغرب أو كاد، وفي " نزهة الأخيار " للمفتي أبي محمد عبد الودود بن عمر التازي فيهم: " هم أحبوا العلم وأظهروه بعد أن كان بالمغرب دُرس وضاع، فصار غيرهم إن ذكر بفاس إنما يذكر بعدهم بحسب الاتباع". انظر:"فهرس الفهارس"ج: 1، ص: 394.

2: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، ص: 535.

3: محمد بن علي بن أحمد الرقادي، ولد بزاوية والده سنة: 1050هـ، وتوفي بها سنة: 1125هـ، لم تسعفنا المصادر التاريخية بأكثر من هذا. انظر:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص:535-536.

4: أبو الفضل المختار بن أحمد بالمبروك ينتهي نسبه إلى عقبة ابن نافع الفهري، ولد سنة: 1142هـ، شمال مالي الحالية، لأبوين معروفين بالرئاسة والعلم، رحل في طلب العلم، وصفه ابن ماء العينين بالقول: العلامة الوحيد، له معرفة بعلوم الشرائع من الحديث والتفسير والفقه، توفي سنة: 1226هـ، له تآليف كثيرة منها :"الذهب الإبريز" في علوم القرآن، و"تفسير البسملة". انظر: الوسيط في تراجم أعلام شنقيط، أحمد بن الأمين الشّنْقِيطي، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ط: 5، ت: 1422هـ، ص: 356.

5: المرجع نفسه، ص: 534.

6: صاحب كتاب «بيضة الأنوار في سيرة النبي المختار» وهو شيخ الزاوية الكنتيه الرقادية بأدرار حاليا، لم أجد له ترجمة.

الوقت ويتناول ما تيسر من الفطور، ثم يخرج للتلاميذ ومازال معهم في حِصَص الدروس المختلفة في الفنون المتباينة إلى أن ينتصف النهار ثم يقيل، وكان من عادته رضي الله عنه الانفراد بعد العصر للمطالعة ولا يزوره في هذا الوقت إلا ذو حاجة مستعجلة لابد منها، وكان ينقطع غالبا في هذا الوقت عن البعيد والقريب حتى يصلي المغرب، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن فردا أو جماعة، وربما كان له اشتغال بالدروس بين العشاء والمغرب في ليالي الشتاء الطويلة، ثم بعد صلاة العشاء يخرج لمقابلة الضيوف والتلاميذ وملزماتهم إلى أن يتفرقوا إلى النوم أو غيره".[1]

ولم أجد غير هذا النص في تدريسه، وهو نص خال من نوع الحلقات والدروس التي كان يقيمها والتي لم يكن للتفسير فيها أي إيراد أو ذكر.

خدم التفسير بالتأليف فيه، فقد صنَّف «زاد المسافرين وغاية الموردين في تفسير القرآن بسنة سيد المرسلين وما ثبت من أقوال المهتدين» قال عنه الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي:" وجدناه مخطوطا قديما عند السيد العالم السوقي المعروف بإنارة قرية قرب قاوة في دولة مالي، لما كنا نبحث عن تاريخ الشيخ محمد بن عبد الكريم".[2]

وهو مخطوط في التفسير مفقود، لم أجد له أثرا بعد طول بحث، ويظهر من كلام الشيخ محمد أن تلك النسخة التي أشار إليها فريدة ووحيدة، والله أعلم.

ويبقى تراث وتراجم علماء العائلة الرقادية ضمن المخطوطات المفقودة أو التي في الزوايا والمكتبات البعيدة التي ربما لم تفهرس بعد، وقد كتب أحدهم مصنفا خاصا بعنوان: « التبر الوقاد في ذكر مشايخ بني الرقاد» لا يعلم مؤلفه، وهو شبيه بمؤلف الشيخ المختار بن الكبير الموسوم: «الكوكب الوقاد في ذكر فضائل

1: من مقاله: تأسيس الزاوية الرقادية الكنيتية ومن أسسها –هكذا– المنشور على الشبكة العنكبوتية:
http://www.hadaik.com/vb/showthread.php?p=94702

2: من مقاله: تأسيس الزاوية الرقادية الكنيتية ومن أسسها –هكذا– المنشور على الشبكة العنكبوتية:
http://www.hadaik.com/vb/showthread.php?p=94702

المشايخ وحقائق الأوراد» والذي يحتمل أن يكون نفسه، منه نسخة بخزانة الطالب التهامي بدائرة أولف ولاية أدرار.

الثاني: أحمد قاسم بن ساسي التميمي البوني (ت:1139هـ):

البوني، أحمد بن قاسم بن ساسي، أحد أعلام بونة والمشاركين في العلوم، ولد ببونة المعروفة بعنابة شرقي الجزائر حوالي سنة:1063هـ، وتوفي بها سنة:1139هـ، من كبار فقهاء المالكية وعلمائها بالبلدة وما جاورها، أحد رجالات العلم والتدريس في القرن الثاني عشر، وهو بمقام الإمام المقري الشهاب في القرن الحادي عشر، مشاركٌ في فنون عديدة، قائما عليها بالتدريس في المساجد والزوايا والمدارس، مؤلفا فيها نثرا ونظما، ومن تلك الفنون والعلوم التفسير وعلومه.

وصفه الكتَّاني بالقول:"الإمام العلامة المحدث المسند الجماع المطلع، صاحب التآليف العديدة والأنظام الكثيرة"[1]، وحلَّاه ابن مخلوف بالقول:"الإمام العلامة، المحقق الفهامة، المحدث الرواية، المسند الواعية".[2]

تتلمذ على يدي **شيوخ** كثر، تنوعوا بتنوع الحواضر التي دَرَسَ ودَرَّسَ بها، كشيخه أبي زكريا يحي الشاوي[3] المفسِّر صاحب «المحاكمات» الذي أخذ عنه بعد عودته من الحج وتصدره للإقراء بالأزهر، وكان يحلِّيه بالقول:" وسمعت الشيخ سيدي يحي الشاوي"[4] ويذكر مجالسه معه بالقول:"وقد ذكرتُ له يوما".[5]

1: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 236.

2: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 475.

3: سبقت ترجمته.

4: الدُّرَّة المصونة في علماء وصلحاء بونة، أحمد بن قاسم البوني، تحقيق: محمد بوبكر، سعيد دحماني، دار الوسام العربي، الجزائر، ط:1، ت:2011م، ص: 31.

5: المرجع نفسه، ص: 31.

وجدُّه ساسي البوني[1]، وبركات بن باديس القسنطيني[2]، وأبي عبد الله محمد الخراشي[3]، وعبد الباقي الزرقاني[4] وغيرهم كثير، وله مؤلف خاص سماه: «الروضة الشهية في الرحلة الحجازية» ذكر فيه 22 شيخا من مختلف الأقطار، **تتلمذ** عليه ابنه أحمد زرُّوق[5]، وعبد القادر الراشدي[6] وغيرهم كثير في الحواضر العلمية التي طاف بها، قال في «شجرة النور»:"له تآليف تنيف عن المائة بين مختصر ومطول نظماً ونثراً"، منها: «فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق»، و«فتح الباري في شرح غريب البخاري»، و«تليين القاسي من نظم الإمام الفاسي»، و«نظم الخصائص النبوية» وغيرها.

قام برحلات علمية وسفريات طويلة، لعدد من الحواضر والعواصم العلمية، فقد دخل بلاد المغرب وتونس ومصر والحجاز، طالبا للعلم في بعضها وباذلا له في بعضها الآخر، فكما أخذ عن مشايخ القاهرة، فقد درَّس في الأزهر الشريف، وهي رحلات كان لها الدور الكبير في صقل مواهبه واشتهار مجالسه، وكثرة تآليفه.

1: أبو عبد الله، محمد ساسي بن إبراهيم بن محمد بن سيدي بلعيد بن ضيف الله، بلغ رتبة القطبية، وقد كان له شأن وحظوة لدى السلطة العثمانية، خاض أفانين العلوم والمعارف العقلية والنقلية، تصدى للإقراء بجامع بلدته ببونة، حكى عنه صاحب منشور الهداية مجموعة من الآثار والحكايات استنكارا، تخرج على يديه طائفة من العلماء كأحمد بن مصطفى ابن الشيخ الإمام العناب، والشيخ الصديقي المفتي. توفي بعد:1016هـ. انظر:"منشور الهداية" ص: 164، و"الدرة المصونة"ص: 126.

2: لم أجده، وليس هو أبو محمد بركات القسنطيني تلميذ الفكون الجد، فقد توفي الأخير سنة:982هـ، وترجم له الفكون في«منشور الهداية»، والحفناوي في «تعريف الخلف».

3: محمد بن عبد الله الخراشي المالكي أبو عبد الله، نسبته إلى قرية يقال لها أبو خراش من البحيرة بمصر، ولد سنة: 1010هـ، أول من تولى مشيخة الأزهر، كان فقيها فاضلا ورعا. أقام وتوفي بالقاهرة سنة: 1101هـ، من كتبه:"الشرح الكبير على متن خليل" في فقه المالكية، و"منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة". انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 240، و"شجرة النور"ج: 1، ص: 459.

4: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله، ولد بالقاهرة سنة:1055هـ، وتوفي بها أيضا سنة1122هـ، خاتمة المحدثين بالديار المصرية. ونسبته إلى زرقان من قرى منوف بمصر، من كتبه "تلخيص المقاصد الحسنة" في الحديث، و"شرح البيقونية". انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 184، و"شجرة النور" ج:1، ص: 460.

5: ابن أحمد بن قاسم البوني، تتلمذ عليه وأجازه إجازة خاصة ذكرها الكتاني وأنه وقف عليها، وقد كتبت سنة 1140هـ، توفي بعد هذا التاريخ بقليل. انظر: الدرة المصونة" ص: 135.

6: ستأتي ترجمته في أعلام القرن الثاني عشر.

أقام في بونة آخر حياته يُدرِّس في مساجدها ومدارسها النظامية زمن الدولة العثمانية، وهو العَلَمُ الذي جمع بين كثرة التدريس وكثرة التأليف، فقد بلغت تآليفه نحوا من 175 مصنفا، علَّق عليها أبو القاسم سعد الله بالقول:" ومن هذه التآليف ما كمل ومنها ما لم يكمل، ومنها الشعر والنثر، كما أن منها ما يدخل في باب الحديث والسنة وما يتناول غير ذلك. وقد اطلعنا على بعض أعماله فكان منها القصير الذي لا يتجاوز الكراسة ومنها الوسط والطويل".[1]

أما عن التفسير وعلومه، والقرآن الكريم وفنونه، فقد بلغت مؤلفاته وتصانيفه فيها 15 مؤلفا وعنوانا، بقيت جميعها دون استثناء في عداد المخطوط والمفقود التي يصعب حتى فهرستها وبيان مواطن تواجدها، فقد ألَّف في التفسير «إرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾» وهو مخطوط مفقود لا نعلم له تواجد في كتب التراجم والفهارس والببليوغرافيا.

كما ألَّف «الفتح القدسي بتفسير آية الكرسي» أشار الحفناوي أنه لم يكمله[2]، وهو أيضا من مؤلفاته المفقودة، ولا يُعلم هل عبارة الحفناوي: لم يكمله، قالها بعد رؤيته للمخطوط، ويصح بعد ذلك الجزم بوجود نسخة من «الفتح القدسي» في منتصف القرن الرابع عشر، أو أنها عبارة البوني نفسه، لأن الحفناوي أشار إلى أنه طالع تأليف البوني «التعريف بما للفقير من التواليف» وقال:"وعنَّ لنا أن نأتي على مؤلفات سيدي أحمد البوني تبركا بآثاره، واعتمدنا في أخذها على رسالة «التعريف بما للفقير من التواليف»[3]، ثم ذكرها.

كما ألَّف الإمام البوني «تحفة الأريب بأشرف غريب» اختصر فيه غريب العَزِيزي للقرآن العظيم، ويظهر من خلال عنوان هذا التأليف أنه اختصار لكتاب «نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 62.
2: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص: 514.
3: المرجع نفسه، ج:2، ص: 511.

»[1] للإمام أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني[2](ت:330هـ)، الذي يعتبر من أقدم العناوين في غريب القرآن الكريم، وقد قام المؤلف –ابن عزيز– بترتيب كتابه على حروف المعجم ألف بائيا، ويذكر تحت كل سورة الألفاظ التي سيفسرها حسب موضعها من السورة، وكان كثير الاستشهاد بالشعر وبمنثور كلام العرب، مكثرا من رواية الأحاديث التي يفسر بها أو يرجح، كما كان مهتما بالوجوه والنظائر في تفسيره هذا، ولا يُدرى هل اتبع الإمام البوني ابن عزيز في منهجيته هاته أم كان مخالفا له، ومدى التزامه بأسلوب صاحب الكتاب.

وقد قام الإمام البوني بنظم هذا المختصر وسماه «نظم غريب العزيزي في القرآن العظيم» قال عنه الحفناوي:" في نحو 4000 بيت".[3] وهو ما يرجح وجود نسخة منه في منتصف القرن الرابع عشر زمن الحفناوي.

ويظهر اهتمام البوني بعلم غريب القرآن بنظمه أيضا لغريب مفردات القرآن الكريم من خلال تفسير ابن جُزَيّ الكلبي[4](ت:741هـ) «التسهيل في علوم التنزيل»، فقد ذكر الحفناوي أيضا أنه اطلع في كتابه «التعريف» على تصنيف لنظم غريب القرآن لابن جُزَي الكلبي، وقد اعتمد ابن جُزَي في الترجيح بين الألفاظ الغريبة الواردة في القرآن الكريم على ثنتي عشر مرجحا جاء ذكرها في مقدمة كتابه.[5] فهل اعتمدها

1: قد حُقق من طرف الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط.01 ت: 1990م.

2: الإمام أبو بكر محمد بن عزيز وقيل عزير، السجستاني المفسر، مصنف "غريب القرآن". كان رجلا فاضلا خيرا. ألَّف "الغريب" في عدة سنين وحرره، وراجع فيه أبا بكر بن الأنباري وغيره، كان مقيما ببغداد، لم يذكر له ابن النجار وفاة. انظر: "سير أعلام النبلاء"ج:11، ص:456. "الأعلام" ج:6، ص:286.

3: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص: 516.

4: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه: "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية "، و"الأنوار السنية في الألفاظ السنية " و" فهرست "كبير اشتمل على ذكر كثيرين من علماء المشرق والمغرب، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. قال المقريزي: فُقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف. انظر:" الأعلام" ج:5، ص:325. و"معجم المؤلفين" ج:9، ص:11.

5: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط:1، ت:1416هـ، ج:1، ص: 19.

الإمام البوني بتمامها أم أنه زاد فيها، وهل عقب عليها أو على بعضها، كل ذلك مما لا يمكن الحديث عنه لفقد المخطوط.

ومن مصنَّفات الإمام البوني نظم في غريب القرآن للإمام ابن عباس، ذكره في«التعريف بما للفقير من التواليف»، كما ذكره الحفناوي[1] عند ذكره لقائمة كتبه الطويلة، وهو من تصانيفه المفقودة التي لا أثر لها.

كما ألَّف الإمام البوني «إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن» وهي مسائل يكتنفها الغموض من جهة كونها في علوم التفسير أو القرآن، وهل قام بتفسير بعض سور القرآن من خلالها أم لا؟ ذلك أن مسائل القرآن قد تشتمل على تفسير بعض سور القرآن وقد تتطرق للناسخ والمنسوخ والقراءات ووجوهها وبعض مباحث علوم القرآن، وهو مخطوط مفقود لم أجد له أثرا في الفهارس والمكتبات.

وللإمام البوني تصنيفٌ بعنوان «التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير»، ويظهر أنه نظمه أيضا، فقد أشار الحفناوي إلى أنه رأى من بين تآليفه:"نظم في إسناده لخمسة وعشرين تفسيرا"[2]، ويمكن القول من خلال العنوان أنه تأليف في سند قراءته على مجموعة من المشايخ لمجموعة من كتب التفاسير عدّدها الحفناوي بخمسة وعشرين، وهو ما يوحي برؤية الحفناوي للمخطوط دون الجزم بذلك، ذلك أن كل من ترجم للإمام البوني وذكر له هذا التصنيف لم يذكر هذا العدد، ولم يشر الحفناوي ولا غيره إلى تلك العناوين ولا إلى أصحابها، ويبقى هذا العنوان من أهم كتبه المفقودة التي يمكن من خلالها معرفة تكوينه في علم التفسير وشيوخه الذين أخذ عنهم في هذا الفن، وما هي الكتب التي تزود منها ودرسها أو قام بتدريسها.

كما ألَّف في تفسير آية البسملة وأنها آية من كل سورة أو لا، ذكره الحفناوي بـ «نظم في الاختلاف في البسملة وأنها آية من كل سورة أم لا»، ويظهر أن صاحبه الإمام البوني قد جعل عنوانه بهذه التسمية، وأن الحفناوي كان ناقلا لما رآه من مخطوط «التعريف».

1: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص: 516.

2: المرجع نفسه، ج: 2، ص: 516.

كما ألَّف البوني نظما في التوسل بسور القرآن ذكره في «التعريف» بلفظ «نظم في التوسل بسور القرآن» ثم شرحه بتأليف آخره سماه «كشف الرَّان عن قلب قارئ قصيدة سور القرآن» ويظهر أنه شرح للقصيدة والنظم الأول، يبين فيه آداب التوسل والدعاء بذكر أسماء سور القرآن الكريم، وهما في عداد المفقود أيضا.

وقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– لمؤلَّفٍ آخر للإمام البوني هو«الدُّر النظيم في فضل آيات من القرآن العظيم»[1] ثم علَّق عليه بالقول:" يبدو من خلال هذا العنوان أن البوني لم يتناول التفسير بالمعنى المتعارف عليه، وإنما خصَّ بعض الآيات من القرآن مستخرجا منها المعاني التي تناسب التصوف والآداب العامة".[2]

كما ألَّف الإمام البوني تصنيفا آخر بعنوان:«التيجان المكللة بدرر فصول التعوذ والبسملة» ذكره في «التعريف»، وذُكر في فهرس المكتبة الأمريكية برنستون مخطوط بعنوان: «فضائل البسملة وشرحها»[3] للبوني، يحتمل كونه «التيجان المكللة».

كما وجدتُ مخطوطا بعنوان «جواب الشيخ أحمد البوني على تفسير بعض آيات التوحيد» بمكتبة المخطوطات بالكويت[4]، نُسب لابن الشيخ، أحمد بن أحمد البوني، ويظهر من خلال العنوان أنه تأليف نَقل فيه ابن الشيخ البوني تفسير والده لبعض الآيات القرآنية المتعلقة بمسائل الاعتقاد والتوحيد، كما يظهر أنها جواب من سائل عن تلك الآيات، ويتطرق الاحتمال إلى كونها منقولة من تدريس الشيخ، وكان الابن ناقلا لها من مجلس شيخه.

1: أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى أن المخطوط كان معروضا ضمن فعاليات المعرض الخامس لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة: 1973م. انظر:"تاريخ الجزائر الثقافي" ج:2، ص :18.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 18.

3: نسخة برقم: 4465، ضمن مجموع أشير إليه برقم: 20. ونسخة ثانية بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم حفظ: 6090.

4: نسخة برقم حفظ: 1283 م ك / 51 م خ عن ابراهيم الشطي.

ولعل من أبرز ما يمكن التنويه عليه في تراث هذا العَلم أنه لم يترك تحشية على أيٍّ من أمهات التفاسير التي كانت رائجة مشتهرة تلك الفترة كـ«الكشاف» و«أنوار التنزيل» و«الوجيز» وغيرها من التفاسير التي كانت التحشية عليها أبرز سمات التراث التفسيري للقرون الماضية.

وفَقد هذا التراث لهذا العَلَم عثرة كبيرة في دراسة أسلوبه ومنهجه في التفسير، وكيفية تعاطيه مع الآيات القرآنية الكريمة وهو يفسرها كتابة أو تدريسا، كما أن تلاميذ الإمام البوني لم يتطرقوا لنماذج من تفاسيره في حلقاته التي كان يقوم بها في المساجد والمدارس والزوايا، ولم يتركوا أثرا بذلك إلا ما ذُكر من نقل ابنه لتفسيره لبعض آيات التوحيد، والذي لم أتمكن من الحصول على نسخة من مخطوطه.

الثالث: حسين بن محمد ابن العنابي (ت:1150هـ)[1]:

الفقيه الحنفي حسين بن محمد العنابي، ذكره ابن المفتي في تقييداته في قسم العلماء الذين ترجم لهم، وذكر أنه كان مفتي المذهب الحنفي بالجزائر، وأنه تولى ذلك المنصب أربع مرات، كان آخرها لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وتوفي وهو في هذا المنصب[2]، زاول التدريس بالجامع الجديد[3]، فقد كان هذا الجامع جامع التدريس لكل من يتولى خطة الفتوى[4]، وقد كان من أبرز علماء الحنفية، وإذا كانت حياته في الوظيفة معروفة من سجلات الإدارة العثمانية، فإن حياته العلمية ما تزال غير معروفة، ولا نكاد نعرف عنها أكثر مما ذكره حفيده محمد بن محمود بن العنابي الذي ذكر في تأليفه أن لجده تفسيرا للقرآن الكريم.[5]

1: لم أقف له على ترجمة، سوى ما ذكره ابن المفتي في تقييداته في قسم العلماء الذين ترجم لهم، وأنه كان مفتى المذهب الحنفي بالجزائر، وأنه تولى ذلك المنصب أربع مرات، كان آخرها لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وتوفي وهو في هذا المنصب، "تقييدات ابن المفتي"، ص:92. وذكره أيضا أبو القاسم سعد الله في "تاريخ الجزائر الثقافي"، ج: 02، ص: 19.

2: تقييدات ابن المفتي، ابن المفتي حسين بن رجب، ص:92.

3: بشارع باب البحر بالجزائر، أول من قام بالتدريس فيه هو قرباش أفندي التركي. ويظهر أنه غير الجامع الأعظم المشهور. انظر: "التقيييدات" ابن المفتي، ص: 88.

4: المرجع نفسه، ص: 88.

5: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 18.

ولا ندري هل قام الشيخ بشرح هذا التفسير وبثّه تدريسا في المساجد وحلقات العلم أم لا؟ كما لا ندري سبب غياب شهرته وقد ألَّف تفسيرا كاملا في فترة قلَّ فيها التأليف في هذا الفن ممن تقلدوا المناصب السياسية؟ بل إننا لا نجد له ترجمة في كتب القرن الثاني عشر والثالث عشر وهو ما جعل الغموض يكتنف هذه الشخصية التي ألَّفت في التفسير.

وقد تتبعتُ نقولات ابن العنابي الحفيد عن جده من مخطوط «السعي المحمود في نظام الجنود»[1]، فوجدت أنه اقتبس منه في أربعة مواضع:

الأول: في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: 4] بعد أن أورد تفسير الإمام البغوي لها قال:" قال مولانا الجد الأكبر –رحمه الله– في تفسيره: وذلك أن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات، وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير، فنهاه عن تطويل الثوب، وأمره بتقصيره لذلك، وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة".[2]

الثاني: في تفسير قوله تعالى﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: 125] إذ يقول منبها على اسمه: قال مولانا الجد الأكبر حسين بن محمد –رحمه الله– في تفسيره: من السومة وهي العلامة، تكون على الشاة وغيرها يجعل عليها لون فيخالف لونها فتعرف، فبفتح الواو معلَّمين، وبكسرها معلِّمين أنفسهم أو خيلهم قال: رُوي أن الملائكة كانت بعمائم بيض إلا جبريل فبعمامة صفراء كالزبير، قاله ابن إسحاق والزجاج، وقيل بعمائم صفر كالزبير،

1: مخطوط: السعي المحمود في نظام الجنود، محمد بن العنابي، مكتبة الإسكندرية، نسخة رقم: 4562ج. 77 لوحة. وقد اعتمدت المخطوط والمطبوع الذي حققه الشيخ محمد بن عبد الكريم. وطبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب، ت: 1983م.

2: «السعي المحمود في نظام الجنود»، لوحة رقم: 20. في المطبوع ص: 100.

قاله عروة وعبد الله ابنا الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير والكلبي، وزاد مرخاة على أكتافهم، وقيل كانت خيلهم مجززة النواصي والأذناب فعلمتها بالصوف والعهن، قاله مجاهد".[1]

ثم قال في تفسير نفس الآية: في الآية دليل على جواز العلامة للقبائل والكتائب، لتبين كل قبيلة وكتيبة عند الحرب".[2]

الثالث: في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: 152] إذ يقول:" قال مولانا الجد الأكبر في تفسيره: وكانوا قتلوا من المشركين اثنين وعشرين رجلا وقوله﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ غاية في القتل، والفشل الجبن والضعف، والتنازع التجاذب في الأمر، والمراد به ما وقع من الرماة وعصيانهم لمخالفتهم أمر رسول الله إياهم بملازمة المركز".[3]

الرابع: أتى عند كلامه عن موت العشرة الذين تركهم النبي ﷺ مع بن جبير فوق قمة الجبل، وامتثلوا أمره، بعد إيراده لتفسير ابن حيان إذ يقول: قال أبو حيان في تفسيره: وجاءت المخاطبة للجميع على طريقة العرب في نسبة ما يقع من بعضهم للجميع على سبيل التجوز، سترا لمن فعل وزجرا لمن لم يفعل أن يفعل وقوله ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ أي من الظفر والغلبة على المشركين، وجواب إذا محذوف أي أمتحنكم، والذين يريدون الدنيا هم التاركون للمركز والدنيا الفنية، والذين يريدون الآخرة الثابتون في مركزهم مع أميرهم عبد الله بن جبير في نفر دون العشرة، قتلوا جميعا، كما ذكره مولانا الجد في تفسيره".[4]

1: «السعي المحمود في نظام الجنود»، لوحة رقم: 18. في المطبوع، ص: 93

2: «السعي المحمود في نظام الجنود»، لوحة رقم: 18.المطبوع: ص: 94.

3: «السعي المحمود في نظام الجنود»، لوحة رقم: 24. في المطبوع ص: 109/108.

4: «السعي المحمود في نظام الجنود» لوحة رقم: 24. في المطبوع: 109.

وموضع خامس أورده الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– إذ يقول:" ولم يصل تفسير حسين العنابي إلينا، ولكن عبارة حفيده تدل على أن العمل كامل فهو يقول: قال مولانا الجد الأكبر حسين بن محمد – رحمه الله– في تفسيره، ومما نَقل عنه تفسيره لقوله تعالى ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ ﴾ [فصلت: **31**] حيث قال حسين العنابي: أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم للبشرى﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ ﴾ أي أنصاركم وأحباؤكم ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فنلهمكم الحق ونحملكم على الخير﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ بالشفاعة والكرامة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة".[1]

قلت: ولم أجد هذا الموضع الذي أشار إليه ونقله الدكتور –رحمه الله–، وحتى في المطبوع الذي قام الدكتور محمد عبد الكريم بتحقيقه، ولعل التبرير لهذا وجود نسخة ثالثة اطلع عليها الدكتور ونقل منها كلام العنابي في تفسير جده لهذه الآية الكريمة ولم أتحصل عليها.

ويمكن بعد هذه النقولات القول بأن هذا التفسير كامل، قد أتمه صاحبه ابن العنابي، ذلك أن هذه الاقتباسات كانت موزعة بين سور متناثرة من الأحزاب كالمدثر وفصلت وآل عمران، كما أن عبارة حفيده موحية بتمامه إذ ينقل عن تفسير جده قائلا:" قال مولانا الجد الأكبر حسين بن محمد –رحمه الله– في تفسيره"، وفي بعض المواطن دون ذكرٍ لاسمه ويكتفي بعبارة:" قال مولانا الجد الأكبر في تفسيره".

غير أنه أبهم اسم هذا التفسير ولم يذكره، وغالب الظن أنه لم يكن يحمل عنوانا محددا، ذلك أن الحفيد في نقولاته كان غالبا ما يذكر أسماء التفاسير والكتب التي يقتبس منها، كصنيعه مع ابن جرير والبغوي وابن كثير وغيرهم، يقول أبو القاسم سعد الله:" ولم يذكر ابن العنابي عنوانا لتفسير جده ولا حجما، ولكن

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 18.

عبارته تدل على أنه كان يملك نسخة منه يستعملها عند الاستشهاد، ولم نطَّلع نحن على عمل آخر لحسين العنابي حتى يساعدنا في الحكم على تفسيره، والظاهر أنه تفسير ديني بالدرجة الأولى".[1]

ولم أجد تبريرا مقنعا للفظة الدكتور –رحمه الله– حين وصف هذا التفسير بأنه تفسير ديني، وهل يكون تفسير القرآن الكريم تفسيرا لا دينيا!!!

ومن خلال هذه النقولات المقتضبة من تفسير حسين العنابي يمكننا ملاحظة تفسيره بالمأثور من أقوال السلف كما في تفسيره لقوله تعالى﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: 125] واعتماده أقوال ابن إسحاق والزجاج و عروة ومجاهد، وروايته لقصة المخالفين لأمر رسول الله في غزوة أحد، وحديثه عن عمائم الملائكة في الغزوة حيث أورد الأثر بالقول: رُوي أن الملائكة كانت بعمائم بيض إلا جبريل فبعمامة صفراء كالزبير.

واستعماله للنحو والصرف في تفسيره لقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ قال: أي من الظفر والغلبة على المشركين، وجواب إذا محذوف أي أمتحنكم. وعند تفسيره قوله تعالى ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ إذ يقول بعد تفسيره لها بأنها العلامة: فبفتح الواو معلَّمين، وبكسرها معلِّمين.

ولا يمكن الجزم بنوع تفسير الشيخ حسين العنابي وأنه تفسير بالمأثور أو تفسير أدبي بلاغي أو غيره، ذلك أن استخدام المفسر لبعض أنواع التفسير مشتهر بين رواد هذه الصنعة، ولا يمكن الجزم إلا بعد فحص التفسير كاملا.

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 18.

كما يمكن ملاحظة الأسلوب التفسيري الذي سلكه العنابي في تفسيره هذا وأنه أسلوب تحليلي بالدرجة الأولى، كما لم نقف له في هاته المواضع التي تطرقنا لها على جملة علوم القرآن التي استخدمها في تفسيره هذا ومنهجه في إيرادها، وموقفه منها كعلم الإسرائيليات والناسخ والمنسوخ والقراءات وأسباب النزول وغيرها.

ولم يكن الشيخ العنابي في تفسيره هذا مجرد ناقل لا رأي له، بل كان يفسر القرآن الكريم ويدلي بدلوه تحليلا وشرحا، كما في تفسير لقوله تعالى ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: 4] إذ يقول: وذلك أن المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات، وفي الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير، فنهاه عن تطويل الثوب، وأمره بتقصيره لذلك، وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة.

وفي الجملة يبقى الغموض يكتنف هذا التفسير، لعدم شهرته وتداوله بين الطلبة والعلماء زمن تلك المرحلة، وقد وقعتُ على ثلاث لوحات من مخطوط كتب فيه تفسير آيات منتقاة من سورة البقرة كانت كل لوحة منها تنتهي بقول ناسخه:"من تفسير سيدي مصطفى العنابي نفعنا الله ببركته وبركات أمثاله آمين آمين آمين".[1]

ولا يمكن الجزم بكونها لحسين العنابي إذ الاسمان مختلفان، كما أنها انتقاءات لمجموعة من الآيات من سورة البقرة وليست تفسيرا كاملا للقرآن الكريم، وبالمقارنة بينها وبين أسلوب العنابي وجدت البون بينهما كبيرا، إذ لم يكن الإمام حسين موردا لاختلافات الفقهاء في المسائل الفقهية مثلا في تلك النماذج التي أوردها حفيده، خلافا لهاته الورقات المنسوبة لمصطفى العنابي الذي أكثر من ذلك، كصنيعه في تفسير قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم

1: مخطوط: لوحات من تفسير مصطفى العنابي. لوحة: 01.

﴿ مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 223] حيث أورد أقوال الفقهاء والاختلاف في مسألة إتيان المرأة في الدبر، بل وأورد أقوال فقهاء الشيعة في المسألة، كما كان مكثرا من مسائل الناسخ والمنسوخ وإيراد أسباب النزول لكل آية انتقاها وفسرها، وهو خلاف صنيع حسين العنابي.

ويبقى البحث جاريا في المكتبات والزوايا للظفر بهذا التفسير، ولعل عامل الزمن يخرج لنا نسخة منه، والباحث يزعم أن هذا التفسير غير البعيد زمنيا عنا، قد قُيِّد لمجهول، والدراسات حول المخطوطات المقيدة للمجاهيل تكاد تنعدم في تراثنا الجزائري.

الرابع: عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، أبو زيد (ت:1160هـ):

عبد الرحمن بن الفقيه إبراهيم الجنتوري القراري، أصل أسلافه من بلدة تيطاف بتوات، ثم انتقلوا إلى عين صالح، ثم انتقل جده على لجنتور من بلاد تجورارين، أحد أعلام الديار التواتية ومشائخها ومجتهديها قام برحلات عدة إلى بلاد الحجاز ومصر وفاس وغيرها طالبا للعلم، من شيوخه: والده إبراهيم الجنتوري القراري[1]، وابن عمه عبد العلي بن أحمد بن عبد الرحمن[2]، وعمر أبو حفص بن عبد القادر التنلاني[3]، وذكر تلميذه عبد الرحمن التنلاني في فهرسته شيوخ شيخه الجنتوري ورحلاته شرقا وغربا.[4]

كان ملازما للتدريس طيلة عمره مقرئا للحديث والتفسير والموطأ وعمدة الأحكام وبقية العلوم، عقد حلقاته في «ألفية بن مالك» و«المرشد المعين» و«القرطبية» و«الأجرومية»، و«الأربعين النووية»، و« مختصر القلصادي» في علم الحساب وغيرها.

1: لم أجده.

2: عبد العلي بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري الجراري التواتي، الفقيه المشارك، عاش خلال القرن 12هـ، ولا يعلم تاريخ مولده ولا وفاته بالتحديد، وهو ابن عم الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الجنتوري المترجم له. انظر: "موسوعة تراجم علماء الجزائر"، ص: 622.

3: عمر الأكبر بن عبد القادر بن أحمد الملقب بأبي حفص الأموي التنلاني، ولد سنة:1098هـ بتلان، كان عالما بالنحو والفقه والحديث واللغة والعروض، تتلمذ على يد سيدي محمد السالم البرباعي، وأحمد السقاط، ارتحل لفاس سنة 1117هـ، ومكث بها سنين ونال الشهادات العليا من أكابر العلماء، ثم رحل منها واستقر بزاوية تنلان، تولى خطة القضاء، له تقييدات على المختصر، وفهرست لشيوخه، توفي سنة 1152هـ. انظر: "موسوعة تراجم علماء الجزائر"، ص: 386/382.

4: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص: 22.

تتلمذ على يديه ثلة من علماء الحاضرة التواتية كعبد الرحمن بن عمر التنلاني صاحب «مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون» للسَّمين[1]، ومحمد عبد الجبار التنكرامي[2]، والشريف محمد عبد العالي بن عبد الحكيم[3].

من تصانيفه: «حاشية على الزرقاني على المختصر»، و«لامية» في العقائد، و«منظومة» في التصوف، وكتاب «النوازل» وهو أول من أَلَّفَ فيه في القطر التواتي، «منظومة الغريم»، وغيره.

ذكر تلميذه عبد الرحمن أنه أخذ عنه التفسير تدريسا، وأنه أجازه فيه وبقراءته عليه تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل»، وأورد الشيخ محمد باي بلعالم نص الإجازة.[4]

لم يؤلف في التفسير، خلافا لبقية الفنون التي أكثر التأليف فيها، وقد أشار الشيخ محمد باي بلعالم إلى أنه كان مقيما على تدريس التفسير وبعض الفنون[5]، ويظهر من خلال ترجمة تلميذه التنلاني أنه كان صاحب حلقة في تفسير وشرح «أنوار التنزيل» للبيضاوي، وهو بهذا من خدمة التفسير بالتدريس لا التأليف.

ولم أجد في كتب التراجم أزيد من هذا، كما لم أجد في تراث طلبته من أشار له أو لجهده أو نماذج من تفسيره وأقواله كالتنلاني في اختصاره «الدر المصون»، إذ لم يشر له مطلقا، على الرغم من أنه عمل فهرسا خاصا بشيخه، وترجم له في قرابة عشرين صفحة، ذكر فيها رحلاته إلى الحجاز ومصر وغيرهما، وذكر العلماء الذين اجتمع بهم وأخذ عنهم وأخذوا عنه.

1: ستأتي ترجمته.

2: لم أجده.

3: لم أجده.

4: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص: 34.

5: المرجع نفسه، ص: 22.

والظن أن مخطوطات تراجم علماء وتاريخ توات، قد حوت ترجمته وتراجم شيوخه وطلبته، خاصة أنه بقي منها الكثير حبيس الرفوف والمكتبات والزوايا، دون فهرسة فضلا عن تحقيق أو طبع.

الخامس: محمد بن محمد الحسني البَليدي[1] (ت:1176هـ):

محمد بن محمد بن محمد الحسني المالكي المعروف بالبَليدي، عالم بالعربية والتفسير والقراءات، الثبت الحجة المتقن المتفق على جلالته، ولد سنة 1096هـ، سكن القاهرة وتوفي فيها سنة: 1176هـ، صاحب المجالس بالأزهر الشريف، حلَّاه الحسيني بالقول:"خاتمة المحققين، صَدرُ المدققين، الثَّبت الحجة المتقن، المتفق على جلالته، صاحب التصانيف الشهيرة"[2]، مفسرٌ عالمٌ بالعربية[3]، كانت له يد طولى في علم القراءات.[4] من **شيوخه:** أحمد بن غانم النفراوي[5] وإبراهيم بن موسى الفيومي[6] ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني[7] ومحمد

1: يقول الزركلي: قلت: سبقت الإشارة إلى البليدي مضبوطا بصيغة التصغير، ورأيت بعد ذلك ما نبَّه إليه تيمور باشا في الخزانة 3/ 39، ورود نص في «سلك الدرر»4: 105 وهو: البَليدي، بفتح الباء ورجح تيمور أن يكون المقصود صاحب الترجمة. واطلع الأستاذ السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي على هذه الكلمة فكتب: الصواب ما قاله تيمور. انظر:"الأعلام"، ج: 7، ص: 68.

2: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، دار ابن حزم، بيرت، ط: 3، ت: 1408 هـ، ج:4 ص:110.

3: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج: 7، ص: 68. ومعجم المؤلفين، رضا كحالة، ج:11 ص:275.

4: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، ج: 4 ص:111.

5: أبو العباس أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، قرأ على الشهاب اللقاني ولازم الشيخ عبد الباقي الزرقاني والشيخ الخرشي وتفقه بهما وأخذ الحديث عنهما وعن يحيي الشاوي وغيرهم، وعنه أبو العباس أحمد بن مصطفى الصباغ وغيره. انتهت إليه الرئاسة في المذهب، له مؤلفات منها "شرح على الرسالة" و"رسالة على البسملة". توفي سنة 1125هـ. انظر:"شجرة النور"ج:1، ص:460. و"سلك الدرر"ج:1، ص:148.

6: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الفيومي، مولده سنة 1062هـ، الفقيه الثقة الفاضل الإمام العمدة العالم الكامل شيخ الأزهر، تفقه بالشيخ الخرشي وأخذ عن الزرقاني وعبد الرحمن الأجهوري وإبراهيم البرماوي وغالبهم أجازه، له تصانيف منها"شرح على العزية" في مجلدين. وتوفي سنة 1137هـ. انظر:"شجرة النور"ج:1، ص:460.

7: أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عبد الباقي الزرقاني، مولده سنة 1055هـ. الإمام العلامة الفقيه الفهّامة المتفنن المحدّث الراوية المسند المؤلف المتقين. أخذ عن والده والنور الأجهوري والخرشي وأجازوه وغيرهم، وعنه جماعة منهم الشيخ محمَّد زيتونة وأجازه له تأليف منها "شرح على المواهب اللدنية" و"شرح على الموطأ " رزق فيه القبول، واختصر "المفاسد الحسنة" للسخاوي. توفي سنة 1122 هـ. انظر:"شجرة النور" ج:1، ص: 460، و"سلك الدرر"ج:4، ص:32

بن القاسم بن إسمعيل البقري[1] سمع منه في سنة عشر ومائة قبل وفاته بسنة وهو أعلى ما عند المترجم من مشايخه.

و**تتلمذ** عليه العشرات وأجازهم في كثير من علومه كعبد الرحمن الأجهوري[2] الذي ذكر الكتاني أنه رأى سند إجازة القرآن التي أجازها له شيخه البَليدي[3]، وأبو العباس أحمد بن جاد الله الحناني[4] الذي لازم البَليدي وذكر صاحب «شجرة النور» أنه "انتفع به انتفاعاً كلياً وانتسب إليه وأجازه إجازة مطلقة بخط يده ونوّه بشأنه"،[5] ولازمه عبد الوهاب العفيفي[6]، والسنباوي الأمير الذي أجازه إجازة عامة.[7]

1: محمد الشافعي، ابن إسمعيل الملقب بشمس الدين الضرير الأزهري البقري المصري الشافعي شيخ القراء بالجامع الأزهر الفقيه المقرئ قرأ عليه القرآن بالروايات من لا يحصى عددهم، عمَّر كثيراً واشتهر إنه جاوز مائة عام، وكان ملازماً للأقراء والتدريس بالجامع الأزهر وألف مؤلفات جمة كان يمليها على الطلبة، مات بمصر سنة 1107هـ وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله تعالى. انظر:"سلك الدرر"ج:4، ص:35.

2: عبد الرحمن بن حسن بن عمر الأجهوري: فقيه مالكي، من أهل مصر. دخل الشام وزار حلب، وعاد إلى مصر، فدرّس في الأزهر إلى أن توفي. له:"مشارق الأنوار في آل البيت الأخيار"، وشرح على "تنشيف السمع" للعيدروس وغير ذلك، توفي سنة: 1198هـ. انظر:"الأعلام" ج:3، ص: 304.

3: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:2، ص: 739.

4: أبو العباس البرهاني: الإمام العلامة المتفنن في العلوم، نشأ في طلب العلم وحضر أشياخ الوقت ولازم البليدي وانتفع به انتفاعاً كلياً، ولما توفي شيخه المذكور تصدَّر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني، واجتمع عليه الناس وحضره مَن كان ملازماً لحضور شيخه وواظب على الإقراء بالأزهر وانتفع به الطلبة، مات سنة 1207 هـ. انظر:"شجرة النور الزكية" ج:1، ص: 518.

5: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، ج: 01، ص: 518.

6: القطب المعمر أبو محمَّد عبد الوهاب بن سليمان بن حجازي بن عبد القادر المرزوقي العفيفي البرهاني، الإمام العلامة القدوة الفهّامة، نشأ بعفيف إحدى قرى مصر. أخذ عن الشيخ سالم النفراوي والشيخ أحمد الصباغ لازمه وانتفع به، وأجازه مولاي أحمد التهامي حين قدم مصر بالأحزاب الشاذلية والشيخ مصطفى البكري بالخلوتية وحج ولقي بمكة الشيخ إدريس اليماني وأجازه، توفي في صفر سنة 1172 هـ. انظر:"شجرة النور" ج:1، ص: 488.

7: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 134. وستأتي ترجمته في أعلام القرن الثالث عشر.

من تصانيفه:«نيل السعادات في علم المقولات»[1] و«حاشية على شرح الألفية للأشموني»[2] و«رسالة في المقولات العشر»[3] و«تهاني الأماني»[4] غيرها.

يعتبر البليدي من أعلام الجزائر القلائل الذين قاموا بالتفسير تدريسا وتأليفا، فقد ذُكر في ترجمته أنه كان "يقرأ «تفسير البيضاوي» في الجامع الأزهر ويحضر درسه أكثر من مائتي مدرِّس ومفيد".[5]

أما في التأليف، فقد كتب البَليدي تأليفين في التفسير، أولهما مفقود ذكره صاحب «سلك الدرر» بالقول:" وله في طريق الجمع مؤلف كبير في كل آية يذكر كيفية الجمع فيها من أول القرآن العظيم إلى آخره"[6]، والجمع في الآيات القرآنية الكريمة يشتمل على أربعة طرائق، الأول: الجمع التفسيري والذي يراد به كشف المدلول الحقيقي للآية القرآنية من خلال آية أخرى تتعرض إلى الموضوع ذاته، وهو ما يطلق عند بعضهم بتفسير القرآن بالقرآن.

والثاني: الجمع الترتيبي، والذي يراد به فرز مجموعة من الآيات، وترتيبها ترتيباً يتناسب ومحل البحث كترتيب آيات الخمر لفهم مرحلية هبوط الأحكام الإلهية.

الثالث: الجمع الموضوعي، والذي يراد به فرز الآيات القرآنية التي تتحدث حول موضوع معين، وتصنيفها إلى مجموعات، وترتيب هذه المجموعات حسب تسلسلها المنطقي، ومن ثم استخراج الحكم القرآني النهائي حول ذلك الموضوع.

1: منه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم حفظ: 258/1، ونسخة ثانية بالمكتبة الوطنية الجزائرية، برقم حفظ: 1/1432. ونسخه متوفرة بالمكتبات.

2: منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة، بتونس، برقم:4080، ونسخة ثانية برقم[749]5453 بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة.

3: منها نسخة نفسية بمكتبة بانكيبور بالهند بمدينة بتنه برقم حفظ:1319/18. وفي المكتبة الوطنية بالجزائر نسخة معنونة برسالة في المقولات، للبليدي، برقم: 1/1432.

4: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 184/2، ونسخة ثانية بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام بالسعودية برقم حفظ: 7683.

5: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، ج:4، ص:111.

6: المرجع نفسه، ج:4، ص:111.

الرابع: الجمع الاستنباطي، والذي يراد به الجمع بين آيتين من القرآن الكريم لاستنباط حكم تشريعي معين، أو بيان فكرة معينة، وهو جمع يختلف والموضوعي من حيث أن الأول يتم عادة ضمن آيتين أو ثلاث فهو جمع محدود، بينما الجمع الموضوعي يتم عادة ضمن مجموعة كبيرة من الآيات.

والجمع الاستنباطي تكون نتيجته غالباً حكماً شرعياً بينما تتسع آفاق الجمع الموضوعي لتشمل كافة القضايا السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، وغيرها.

ولا يمكننا بيان أي جمع أراده الإمام البليدي في مخطوطه هذا لفقد نُسخه، وقد يشتمل مخطوطه هذا على أنواع عدة من هذا الجمع بين الآيات القرآنية الكريمة.

الثاني من تآليفه: «حاشية على أنوار التنزيل»[1] للإمام البيضاوي، والتي لا يُعرف لها عنوانٌ محددٌ، وكل من ترجم له ذكر أن له حاشية على «أنوار التنزيل» للبيضاوي دون ذكر لعنوانها، وهي في عداد المخطوطات التي لم تطبع بعد.[2]

وقد تحصلتُ- بعد جهد جهيد- على نسخة منها، هي نسخة دار الكتب المصرية، والتي جاءت في 73 لوحة، من أول غافر إلى سورة الناس، يمكن من خلالها معرفة أسلوب ومنهج الإمام البليدي في تفسير القرآن الكريم.

وتعتبر حاشية البَليدي على «أنوار التنزيل» للبيضاوي من أهم الحواشي والتي تذكر جنبا إلى جنب مع حاشية القاضي زاده وأبي السعود والكازروني وغيرها من الحواشي المهمة، ولعل تأليف البليدي لهذا العمل

1: منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ45/1 (58)، ونسخة ثانية بالمكتبة الخديويه بالقاهرة أيضا برقم حفظ 164/1 (ن ع 58)، ومنه نسخة بالمكتبة الأزهرية في ثلاث أجزاء، ونسخة مصورة عنه بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكه المكرمة برقم حفظ 208/ 210/209 . ونسخة بالمكتبة الحسنية بالرباط تحت رقم: 8948.

2: قمت بالاتصال بالطالب مصطفى حمدان المصري، وأثبت لي أنه يقوم بتحقيقها كرسالة ماجستير بالأزهر الشريف.

جاء بعد قيامه بشرح تفسير البيضاوي في حلقاته ودروسه بالأزهر الشريف، والذي كان يحضره أكثر من مائتي مدرس ومفيد، لذا فأرجح تأليفه لهذه الحاشية بالقاهرة ببلاد الأزهر الشريف أثناء تدريسه فيه.

وتندرج حاشية الإمام البليدي تحت قسم التفسير بالرأي، وإن كانت متوفرة على بعض ملامح التفسير بالمأثور، كمنهج البيضاوي في أنواره الذي صنفه الباحثون تحت قسم التفسير بالرأي، وقد كان البليدي تابعا للبيضاوي في طريقة التفسير.

غير أن الإمام البليدي كان يعترض على بعض ترجيحات وأقوال البيضاوي، كاعتراضه في أن سورة غافر مكية النزول، فقد ذكر أنها مسألة مختلف فيها، ثم أورد الخلاف في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [غافر: 56]، وهو دليل على حضور شخصيته وأنه لم يكن مقلدا تابعا فقط.

وقوله في كلام الإمام البيضاوي حول تسبيح الملائكة:"وجعل التسبيح أصلاً والحمد حالاً لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح"[1]، في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ [غافر: 7] " قلت: يظهر للفقير أن إيراد الحمد بِبَاء الملابسة للتنبيه على أنه كالجزء من الحامد فهو ملتبس به".[2]

وأكثر الإمام البليدي من تعرضه للمسائل اللغوية والإعرابية، ونقله عن أئمة اللغة من البصريين والكوفيين في حاشيته هاته، فقد كان واضحا استعماله لفن البلاغة والنحو واللغة والمعاني في تفسيره للآيات القرآنية، بل كان يذكر أقوال المدارس كالكوفية والبصرية ويبين أوجه الخلاف فيما بينهما ثم يقوم بالترجيح، كصنيعه في شرحه لكلام البيضاوي عند قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي

1: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، ت: 1418هـ، ج:5، ص: 52.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة دار الكتب المصرية، لوحة رقم: 04.

ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: 3]، قال البليدي:" قوله: والإضافة فيها حقيقة، نص سيبويه أن كل ما إضافته لفظية يجوز أن يقوى بإضافة التمحض، إلا الصفة المشبهة فلا تتعرف بالإضافة أبدا، وحكى صاحب «المقنع»[1] عن الكوفيين أنها كغيرها تتعرف بالإضافة، وهو خطأ عند البصريين، قلت إن الفرق على ما لسيبويه أن اسم الفاعل يدل على التجدد، فإذا لوحظ فيه الحدوث والدوام دون التجدد كانت إضافته محضة، إذ لا بد لكونه مقارنا للزمن دالا على الحدوث بخلاف الصفة المشبهة، فليست بمعنى الحدوث ولا يشترط في عملها الزمن، فلما فقد شرط عمله من الدلالة على زمن مخصوص، لم يكن مضافا لمعموله، فتكون إضافته معنوية بخلاف الصفة المشبهة، انتهى".[2]

وأيضا عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ ﴾ [غافر: 10]، قال البليدي:" قوله: فيقال لهم: الفاء سببية هذا على مذهب البصريين، وعند الكوفيين لا تقدير، لأن ما هو بمعنى القول كالقول".[3]

وكان الإمام البَليدي مكثرا من استخدام علم البلاغة بأقسامها في بيان مراد الآية، كقوله في شرحه لكلام البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: 9]، "المراد من الأرض ما في جهة السُّفل من الأجرام البسيطة، ومن خلقها فِي يومين أنه خلق لها أصلاً مشتركا"[4]، قال:"فيكون مجازا مرسلا والعلاقة اللزوم، لأن الأرض ملزومة بالسفل".[5]

1: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ).

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة دار الكتب المصرية، لوحة رقم: 03.

3: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 04. ولا يقال في نسخ المخطوط: المرجع نفسه.

4: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، ج:5، ص: 67.

5: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 12.

وكما في شرحه لكلام البيضاوي عند قوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: 30]:"سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير". قال البليدي: "قوله: للتخييل، أي المجاز بطريق الاستعارة بالكناية، تشبيه النار بمن يخاطب، والأول أمس لأن التمثيلية منار فرسان البلاغة فهي أبلغ."[1]

وعن استخدامه علم النحو في تفسيره، فيظهر جليا كما في شرحه لكلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الزخرف: 36،37]:"وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له. ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الضمائر الثلاثة الأول له والباقيان للشيطان"، قال البليدي:" قوله: والضمائر الثلاثة الأول، الضمائر مبتدأ أول، وقوله: الأول بتشديد الواو مبتدأ ثان، وله أي من يعش خبر الثاني والجملة خبر الأول، وجملة والباقيات إلى آخره عطف على الأول له، يعني أن ضمير يحسنون للعاشي ، وضميري أنهم مهتدون، أي المنصوب في أنهم والمرفوع في مهتدون، لكن قال السمرقندي: الضمائر الثلاثة للعاشي يعني أن العاشين يحسبون أنهم مهتدون بإغواء الشياطين، وعليه الشيخ القرطبي، وهو أسلم من تفكيك الضمائر وعلى الأول المعنى العاشي يحسب أن إغواء الشياطين هدى".[2]

كما استخدم الصرف في مواطن عدة، كما عند قول البيضاوي:"ومنه السجير للصَديق" في تفسير قوله تعالى:﴿ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: 72]، قال البليدي:"ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾[الطور: 6]، والسَّجور بالفتح ما يُسجر به وبابه نصر، وقوله بوزن فعيل بمعنى مفعول، كما في القاموس".[3]

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم:38.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم:27، 28.

3: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم:10.

وقد أبان الإمام البَليدي عن مشاركة في علم الحديث وفنونه، غير أنه لم يكن صاحب صنعة حديثية، وغالب الأحاديث التي أوردها لم يقم بتخريجها إلا ما ندر، ككلامه عن حديث:{التائب من الذنب كمن لا ذنب له} إذ يقول:"أي في الجود، والحديث أخرجه ابن ماجة والطبراني وهو كما قال الحافظ ابن حجر:حسن، قال تلميذه السخاوي: أي حسن لغيره، لأن فيه انقطاع، وقال في الميزان: ضعيف".[1] وكلامه عن حديث:{الدعاء هو العبادة}، حيث يقول:"أخرجه أبو داود والترمذي، قال: وهو حسن صحيح... وحديث {الدعاء مخ العبادة} قال-الترمذي-: غريب".[2]

وفي مواضع عديدة يكتفي براوٍ واحد فقط، كصنيعه في حديث:{ أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من الأمم السابقة} إذ يقول في تخريجه له:" قال الإمام الترمذي حديث حسن".[3] وحديث:{ ألظوا بياذا الجلال والإكرام} إذ يقول:" أخرجه الإمام الترمذي"، ويقوم بشرح لفظة ألظوا بالقول: الزموا".[4]

أما عن منهجيته في النقول، فقد كان الإمام البليدي مكثرا من النقول في حاشيته هاته، وكان يفصل بين قوله وقول غيره بالقول: انتهى كاتبه، ويصرح باسمه غالبا بالقول: انتهى كاتبه محمد البليدي عفا الله عنه، آمين. ويختم نقولات غيره بذكر اسمه كقوله: انتهى زاده، يريد حاشية الشيخ زاده، وقد اعتمد كثيرا على هاته الحاشية ونقل منها الكثير من الآراء والتصحيحات والترجيحات، وكان يكثر له من الدعاء بالقول:" الشيخ زاده، زاده الله رفعة في الجنان".

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم: 03.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 10.

3: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 56.

4: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 51.

وقد ظهر الإمام البَليدي في حاشيته هاته متخصصا في علم القراءات، مصدقا بذلك تزكية صاحب «سلك الدرر» حينما وصفه بالقول:"كانت له يد طولى في علم القراءات".[1]

فنراه يبيّن سر تقديم البيضاوي بعض القراءات على بعض إذ يقول في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: 10] :" قراءة يعقوب بالجر: أي من العشر، وقوله: وقرأ بالرفع: هذه أيضا عشرية لأبي جعفر، قلت: لعل وجه التلوين أن يعقوب، كان أولا هو السابع، انتهى كاتبه"[2]. وبيان هذا الكلام هو ما نقله الشيخ طاهر بن عاشور من كلام ابن العربي المالكي إذ يقول:" أول من جمع القراءات في سبع ابن مجاهد، غير أنه عدَّ قراءة يعقوب سابعا ثم عوَّضها بقراءة الكسائي، قال السيوطي وذلك على رأس الثلاثمائة. وقد اتفق الأئمة على أن قراءة يعقوب من القراءات الصحيحة مثل بقية السبعة، وكذلك قراءة أبي جعفر".[3]

ومن نماذج تضلعه في القراءات قوله في شرح كلام البيضاوي عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ [الحديد: 11]:" قوله: قرأ عاصم، حاصله على المد والتخفيف، قراءتان بالنصب كما لعاصم والرفع كما لغيره ممن وافقه على ذلك، وعلى القصر والتشديد لذلك الوجهان الرفع و النصب لابن عامر فهي أربعة سبعية".[4]

1: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، ج:4، ص:111.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم: 12.

3: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ت:1984 هـ، ج: 1، ص: 59.

4: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 60.

قلت: وهو يريد كلمة ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ ﴾ وأوجه قراءتها الأربعة وهي: يضاعفَهُ، يضاعفُهُ، يضعِّفَه، يضعِّفُهُ. ففي الأولى والثاني يريد المد والتخفيف، وفي الثالثة والرابعة يريد القصر والتشديد، وهو ما لم يتناوله البيضاوي بالتفصيل واكتفى بذكر قراءة عاصم.

مع التنويه إلى أن الإمام البليدي كان يسهب كثيرا في مواضع القراءات التي أوردها البيضاوي في تفسيره باقتضاب، وكان يقوم بشرح ما يورده مع الزيادة والترجيح، وهو دليل على يده الطولى في هذا العلم من العلوم المساعدة في التفسير.

ومن علوم القرآن التي ذكرها البليدي ولم يكن مكثرا منها، علم الناسخ والمنسوخ، وقد أتى عليه عند كلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم: 39]:" فقيل إن الآية منسوخة لأنه شريعة من قبلنا".[1]

كما اعتمد أسباب النزول في تفسيره لبعض الآي الكريم في مواضع معدودة، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[الشورى: 23]، إذ يقول:"وأن المعنى إلا أن يؤذونني لقرابتي، لابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو مالك والشعبي وغيرهم، لأن سبب الآية قول قريش: لعله ﷺ يطلب أجرا، قال الثعلبي: وهو الأشبه بالآية لأن السورة مكية، وكون المراد آل البيت لعلي بن حسن وعمرو بن شعيب ولسعيد بن جبير، فقال له ابن عباس: عجلت إلى آخره".[2]

ولم يكن البليدي في حاشيته هاته مكثرا من التفسير بالمأثور، وكان متطرقا لها بقدر تطرق البيضاوي لها في تفسيره، فقد كان تابعا للماتن في إيراده لبعض الآثار والأقوال، وكان يتوسع فيها أحيانا كما في كلام البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر: 28]، من أن

1: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم: 48.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، لوحة رقم: 20.

الرجل هو أحد أقارب فرعون[1]، فأورد الإمام البليدي مجموعة من أقوال السلف في التعريف بهذا الرجل، إذ يقول:"كان ابن عمه قاله المهدوي، وقيل أجنبيا منه، وقيل من بني إسرائيل قيل اسمه حبيب وقيل سمعان وقيل حزقيل، قال السَّدي: فهو الذي نجا مع موسى صلى الله تعالى وتبارك على نبينا وعليه وعليهم وسلم تسليما، وهو المراد بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [القصص: 20]، وهذا قول مقاتل، وعن ابن عباس رضي الله سبحانه وتعالى عنهما وعنهم، هو غيره، انتهى"[2]. قلت: وفي قوله:"وهو المراد بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾"

نوع تفسير للقرآن بالقرآن حيث فسَّر قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾.

وقد اعتمد الإمام البليدي مجموعة كبيرة من المصادر في حاشيته، والتي كان ينقل عنها مشيرا إلى نهاية النقل بذكر اسم المصدر أو اسم صاحبه، وأحيانا يورد النقل بالمعنى مشيرا على ذلك بالقول: كما في زاده بالمعنى.

ولعل أبرز من اعتمد عليهم الإمام البليدي في حاشيته هاته هو الشيخ محي الدين زاده صاحب الحاشية المشهورة على «أنوار التنزيل»، كما اعتمد على حاشية المحشي، وهو سنان الدين يوسف بن حسام الدين بن إلياس الأماسي الرومي الحنفي الشهير بسنان المحشي (ت:986) وكان مكثرا من النقل منها، كما اعتمد على تفسير «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، وعلى «الكشاف» للزمخشري خاصة في المسائل اللغوية والبلاغية، وغيرها من المصادر.

1: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، ج:5، ص: 56.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، للبليدي، لوحة رقم: 06.

وتحقيق هذه الحاشية وإخراجها لرفوف المكتبات والمطبوعات، بصمة علمية رفيعة تضاف لرصيد المكتبة العلمية الجزائرية في علم التفسير.

السادس: عبد الرحمن بن إدريس بن أحمد المَـنْجري[1] التلمساني، أبو زيد (ت:1179هـ):

عبد الرحمن بن إدريس بن أحمد المَنْجري، الإمام العلامة المتفنن، من عائلة تلمسانية عريقة قدمت فاس أواسط القرن التاسع الهجري، ولد بحومة المخفية من عدوة فاس الأندلس سنة: 1111هـ، أحد فقهاء المالكية بالحاضرة الفاسية، تولى الإمامة والتدريس بمسجد الشرفاء عام: 1164هـ وعقد فيه حلقته الشهيرة في شرح «صحيح البخاري» وبعد الفجر له حلقة سماع «المختصر»، ثم إماما بالحرم الإدريسي وخطيبه لسنوات طويلة، توفي سنة 1179هـ بفاس وصلي عليه بمسجد القرويين.

من عائلة المَنْجرة الشهيرة التي دخلت فاس وزادت حاضرتها رفعة وعلوا بقدومها، إمام في القراءات، مفسرٌ[2]، لقَّبه صاحب «سلوة الأنفاس» بشيخ جماعة القراء بفاس وإمام الحرم الإدريسي وخطيبه.[3]

من **شيوخه** أبو العباس المسناوي الدلائي[4]، ووالده المنجرة[5] الذي أخذ عنه القراءة وأجازه فيها وله تصنيف في الأسانيد[6]، له فهرسة ذكر فيها شيوخه.

1: ضبطها الزركلي بكسر الحاء وسكون النون، خلافا لأبي عبد الله الكتاني الذي ضبطها على صيغة مَفْعَلة، بفتح الحاء وسكون النون. انظر: "الأعلام"ج:1 ص:280. و"سلوة الأنفاس"ج: 2، ص: 366.

2: معجم المفسرين، عادل نويهض، ج:1، ص: 263.

3: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، ج: 2، ص: 362.

4: أبو العباس أحمد بن محمد المسناوي، بن محمد بن أبي بكر الدلائي، كان من الأولياء الأكابر والعلماء المشاهير، المحدث الفقيه، حافظ للقراءات السبع، ولد بالزاوية الدلائية البكرية، وبها نشأ وأخذ العلم عن والده وأعمامه، ودرَّس بالزاوية وخطب وأم، انتقل لفاس، وأقبل على تدريس العلوم، توفي سنة: 1117هـ. انظر:"سلوة الأنفاس" ج:2، ص: 466، و"شجرة النور"ج:1، ص: 476.

5: أبو العلاء إدريس بن محمد بن أحمد الحسني، الإدريسي المعروف بالمنجرة، ولد سنة:1076هـ، كان عالما ماهرا في علم القراءات، وشيخ المقرئين بفاس والمغرب، كان يجلس للقراءة عليه بعنزة القرويين، له تآليف شتى وتقاييد في علم القراءة نظم ونثرا مع مشاركة في سائر العلوم الشرعية، توفي سنة: 1137هـ. انظر: "سلوة الأنفاس"ج:2، ص: 364، و"الأعلام" ج:1، ص:280.

6: منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: 2125-11-ف.

ممن **تتلمذ** عليه وأخذ عنه محمد بن عبد السلام الفاسي[1]، ومحمد بن عبد الرحمن التادلاوي،[2] ومحمد بن أحمد الهبطي[3]، والعربي بن أحمد الدرقاوي[4] الذي عدَّه في رسائله من جملة شيوخه الذين قرأ عليهم القرآن.

من تصانيفه: «حاشيه على كنز المعاني في شرح حرز الأماني»[5]، و«المقاصد النامية في شرح الدالية»[6] لابن المبارك وهي نظم في التجويد، و«حاشيه على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام»[7] وغيرها.

لم أجد من أشار إليه بالتضلع وممارسة التفسير غير الكتاني صاحب «سلوة الأنفاس» الذي ذكر في ترجمته أنه كان متفننا في التفسير، وأنه كان يجلس أول النهار بعد صلاة الصبح لتدريس التفسير بمسجد الشرفاء بفاس، ثم ينتقل لمسجد القرويين لأجل مجلس إقراء القراء وسماع القرآن.[8]

1: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي، الإمام الفقيه النظار، أخذ عن الشيخ أحمد بن ناصر وأذنه في التلقين وعن الشيخ ميارة الصغير وأبي سالم العياشي وغيرهم، ورحل للمشرق وأخذ عن أعلام منهم الخرشي وعبد الباقي الزرقاني وله عنهم إجازات، له تآليف منها "شرح لامية الزقاق" و"شرح الاكتفاء للكلاعي" في ستة أسفار، وله أولاد وأحفاد فضلاء أعلام منهم ابنه عبد الكريم. توفي سنة 1163 هـ عن سن عالية. انظر: فهرس الفهرس"ج:1، ص: 224، و"شجرة النور"ج:1، ص:508.

2: لم أجد ترجمته، وقد ذكره الدرقاوي في رسائله، وحلاه بالقول: الأستاذ الأكبر المحقق الأشهر تلميذه الشريف، وحكى بعض أخباره مع شيخه ابن المنجرة التي عدّها من كراماته. انظر:" مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي" ص:382.

3: لم أجد ترجمته، وليس هو المقرئ محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي المتوفى سنة 930هـ، ولا الولي الكبير محمد الهبطي، الذي ذكره في سلوة الأنفاس(300/1) وترجم له وللآخر، وغالب الظن أنه خطأ من صاحب الترجمة في عدِّ تلامذته.

4: العربيّ بن أحمد ابن الحسين بن علي، أبو عبد الله الدرقاوي الحسني، أول من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب. وهي فرع من الشاذلية، كان من الفضلاء مولده ووفاته في قبيلة بني زروال التي قرأ بها، وتفقه وتصوف بفاس. تخرج على يده كثيرون قيل: خلف نحو أربعين ألف تلميذ. له:"رسائل " في التصوف، و"بشور الطوية في مذهب الصوفية"، توفي سنة:1239هـ. انظر:"الأعلام"ج:4، ص: 223، و"شجرة النور"ج:1، ص:546.

5: منه نسخة بالخزانة الملكية الحسنية بالمغرب، رقم الحفظ: 6468.

6: منه نسخة بالمكتبة المركزية بالمملكه العربية السعودية، برقم حفظ: 2/111 مجاميع، ونسخة ثانية بمكتبة عبد الله بن العباس بالطائف، رقم الحفظ:1/72 3 م، وثالثة بمكتبة القرويين بفاس المغرب، رقم الحفظ:858/2.

7: منه نسخة بالخزانة الملكية الحسنية بالمغرب، رقم الحفظ: مجموع(2)10416.

8: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، ج: 2، ص: 362.

ولم يتطرق طلبة الشيخ ولا من عاصروه لنماذج من تفسيره، إلا ما ذكره مولاي العربي الدرقاوي (ت:1293هـ) تلميذ الشيخ من أنه قرأ عليه من أول الفاتحة إلى قوله تعالى:﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:48][1]، ولم يفصح هل هي قراءة إجازة أم قراءة تفسير، أو قراءة إجازة فيها تفسير، وكله محتمل.

ولشحّ المصادر التي تكلمت عن هذا العَلَم، لا يمكننا معرفة أسلوبه ومنهجه في التفسير، على الرغم من شهرة مجالسه التفسيرية والإقرائية التي كان يعقدها بالقرويين ومسجد الشرفاء الذي مارس فيه التدريس زهاء الخمسة عشر عاما، كما لا يمكننا معرفة إذا ما كان يفسر القرآن في تلك المجالس من عنديته أم أنه كان معتمدا على تفسير من التفاسير المشهورة ويقوم بشرحه لطلابه، كصنيع الإمام البليدي والإمام المقري الشهاب وغيرهم، وهل كان في تفسيره معتمدا على التفسير الإشاري الصوفي باعتباره أحد أقطاب الطريقة الشاذلية في زمانه والمروجين لها أم لا ؟

وما يمكن قوله، أنه اعتمد على القراءات كأحد أبرز علوم القرآن في التعاطي مع الآي الكريم، ذلك أنه متخصص في هذا الفن والذي ألَّف فيه مصنَّفَين، الأول: «حاشية الجَعبري الكبيرة» وهي حاشية على شرح الجَعبري لمتن «الشاطبية».[2]

1: مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، العربي الدرقاوي الحسني، تحقيق، بسام محمد بارود، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات المتحدة، ط:1، ت:1999م، ص:381-382.

2: وهو المسمى «كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني»، وقد حقق من طرف الدكتور أحمد اليزيدي، وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالرباط، طبعة أولى، سنة:1419هـ/1998م. والجَعبري هو إبراهيم بن عمر الخليلي، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة، وتعلم ببغداد ودمشق، توفي عام:732هـ. انظر:"الأعلام"، ج:1، ص: 55.

والثاني: «شرح الدالية»[1] لابن المبارك وهي نظم في التجويد، ولن تخلو مجالسه التفسيرية التي كان يعقدها من درر في هذا الفن، وإسهابات كونه صاحب صنعة في القراءات.

السابع: يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي، أبو يعقوب (ت: 1187هـ):

يوسف بن محمَّد المصعبي، ولد ببلدة مليكة بميزاب سنة 1079هـ، من عائلة آل ويرو، أحد أعلام الجزائر في التفسير من الإباضيين، سافر إلى جربة مع والده الشيخ محمد المصعبي سنة 1103هـ واستقرَّ بها، أخذ العلم عن **شيوخ** كثر كسعيد بن يحي الجادوي[2] وسليمان بن محمد الباروني[3]، وعمر بن علي السدويشكي[4]، وفي سنة 1112هـ سافر إلى تونس ليستزيد من العلم، ثم إلى مصر حيث حضر دروسًا بالأزهر، ثمَّ عاد إلى جربة ليصبح مفتي الجزيرة وكبير علمائها ورئيس مجلس الحكم فيها، وله مجالس للتدريس بمساجدها، ولكنَّه كان أكثر ملازمة للجامع الكبير.

1: «الدالية» قصيدة من البحر البسيط، عدد أبياتها 144، رويها دال، نظمها صاحبها لتوضيح أحكام تخفيف الهمزة لحمزة هشام، وناظمها هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن مبارك السجلماسي المغراوي(ت:1092هـ) دفين روضة الشرفاء بفاس، انظر: مجلة: دعوة الحق، العدد 272 ربيع 1 و2/ نونبر-دجنبر 1988م.

2: أبو عثمان، يحي بن سعيد الجادوي، كان حيا بين 1103-1147هـ، من مشايخ جزيرة جربة بتونس، قال عنه تلميذه الباروني: "الفائق في العلوم المعقولة والمنقولة". أخذ العلم عن شيوخ زمانه، كأبي الربيع سليمان بن أبي ستة، وبلغ فيه شأناً عظيماً، فتصدَّر للتعليم والتأليف، له تصانيف منها: "جواباً فقهياً حول الحبس"، و"فتاوى في الأحكام"، وغيرها، توفي بجربة. انظر:"معجم أعلام الإباضية" ج:1، ص:186، و"تاريخ بني ميزاب" ص: 107.

3: لم أجده، وليس هو سليمان بن محمَّد الباروني الوالغي، فهو تلميذ ابنه الشيخ محمَّد بن يوسف المصعبي.

4: عمر بن علي بن ويران السدويكشي، أبو حفص، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، اشتهر باسم عمر الويراني، من مشايخ جربة، من حومة سدويكش، درس في جبل نفوسة، وأخذ العلم عن الشيخ محمَّد بن زكرياء الباروني، وقد تخرَّج على يد أبي حفص عدد من العلماء، له مؤلَّفات عديدة منها:"كتاب مناسك الحجِّ" و" العقيدة المباركة" وغيرها. انظر:"معجم أعلام الإباضية" ج:1، ص: 311، و"تاريخ بني ميزاب" ص: 107.

كان آية في العلوم، له معرفة جيّدة بعلم الفلك والخطِّ والكيمياء، **تتلمذ** على يديه ثلة من أعلام الإباضية كابنه محمد بن يوسف المصعبي[1] وأبي زكريا يحيى ابن صالح الأفضلي[2]، وسليمان بن محمَّد الشمَّاخي[3]، وعمر بن أحمد البغطوري[4]، وغيرهم كثير.

صنَّف تآليفا مفيدة، وحواش عديدة، كلُّها مخطوطة منها:«تحفة الألباب في عذر أولي الألباب»، و«حاشية على أصول الدين»، و«حاشية على شرح الجهالات»، لأبي عمَّار عبد الكافي[5]، في التوحيد وعلم الكلام، وغيرها.

خدم التفسير تأليفا، وكان مكثرا من التدريس، غير أن أحدا لم يشر إلى أنه كان مقيما على تدريس التفسير في حلقاته، وهو ما لا أستبعده، خاصة أنه كان صاحب حلقات متنوعة في كثير من المساجد.

1: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن محمد المصعبي، المليكي أصلا، الجربي مولدا ونشاة ووفاة، أخذ العلم عن والده العالم، وعن غيره من مشايخ عصره، كان من الأقطاب الذين تدور عليهم أمور عصرهم في جربة، تولَّى منصب والده في جميع المهامّ بالجزيرة من رئاسة مجالس التعليم، والحكم، والتدريس، والفتوى بالجامع الكبير. له تآليف عديدة، كلُّها مخطوطة، منها:"شرح لقصيدة تحريض الطلبة" و"حاشية على الإجارات" المنسوب ليحيى الجناوني وغيرها، توفي سنة: 1207هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:1، ص: 406.

2: أبو زكريا، يحيى بن صالح ابن يحيى الأفضلي، ولد سنة: 1126هـ، من العلماء الأعلام، وكبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، بل هو باعثها الأوَّل. هو من بني يسجن بميزاب، سليل بيت العلم، تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة فأخذ في البداية من مجموع مشايخها، ثمَّ انقطع للشيخ أبي يعقوب يوسف المصعبي، ثمَّ عاد إلى وطنه ميزاب حوالي سنة1157هـ، ترك ما لا يقلُّ عن 20 نصا بين رسالة وحاشية. توفي سنة: 1202هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:1، ص: 460.

3: أبو الربيع، سليمان بن محمَّد بن عمر الشمَّاخي أحد العلماء الزهَّاد في جربة بتونس، أخذ العلم عن الشيخ محمَّد ابن يوسف المصعبي، وذلك بمدرسة الجامع الكبير بالجزيرة. تولَّى رئاسة مجلس التدريس بالجامع المذكور بوصية من شيخه وتخرَّج على يديه تلاميذ كثر، في عهده وردت إلى جربة أوَّل نسخة من كتاب النيل للثميني، فنسخها ابنه قاسم فانتشرت النسخ في الآفاق. توفي بمكَّة في موسم الحجّ سنة 1234هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:1، ص: 212.

4: أبو حفص، عمر بن أحمد البغطوري، من علماء أسرة البغطور بجزيرة جربة، أخذ العلم بها عن الشيخ أبي عثمان سعيد بن عيسى الباروني، والشيخ يوسف بن محمَّد المصعبي، ثمَّ انتقل للاستزادة من جامع الزيتونة بتونس، وبعد عودته تولَّى التدريس بمساجد الجزيرة، وأكثر دروسه كانت بالمسجد الكبير. ولتضلُّعه في العلم خلف شيخه يوسف المصعبي في المشيخة العلميَّة، وتولَّى رئاسة العزَّابة بجربة. توفِّي سنة 1280هـ، وهو آخر علماء أسرة البغطور. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:1، ص: 301.

5: عبد الكافي بن أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن محمد التناوتي الوارجلاني، أبو عمار، عالم شهير من علماء عصر الازدهار العلميّ بوارجلان – القرن السادس –، صنَّفه الدرجيني في الطبقة الثانية عشرة، ولد بقرية تْنَاوْتْ من قرى وارجلان وإليها ينسب، وتتلمذ في موطنه على مشايخ أجلاَّء منهم: أبو زكرياء يحي بن أبي زكرياء (571هـ)، وأبو سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي وغيرهم، توفي قبل سنة:570هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية" ج:1، ص: 259.

له في التفسير حاشية كبيرة جدا على «تفسير الجلالين» للسيوطي والمحلي، وهي مخطوط بالمكتبة البارونية بجربة بتونس، احتوت المكتبة على نسختين منها: **الأولى**: برقم:13، بها 730 لوحة، جاءت مبتورة وناقصة غير كاملة، وخطها مغربي دقيق يصعب قراءته، مجهولة الناسخ، تراوحت مسطرتها بين 16 إلى 21.[1] **والثانية** برقم:94. وبها 1352 لوحة، وهي في مجلدين ضخمين، كل مجلد يقرب من 700 لوحة. بخط مغربي قديم، بدأت الأرضة تنهش منها ومن لوحاتها، حتى طمست بعض الجمل بسببها، وهي نسخة مكتوبة زمن المؤلف دون ذكر لاسم الناسخ، جاء في ورقة الكولوفون: وفرغت من تسويدها آخر شهور:1181هـ. جاء في خِتامها: واعلم أيها الواقف على هذه الحاشية، أن تفسير ذي الجلالين من أجلِّ التفاسير تحقيقا واختصارا، وأسرع في الإيصال إلى الوقوف على فهم كتاب الله بخلاف غيره من التفاسير.[2]

وقد اعتمدتُ في بيان منهج الإمام المصعبي وأسلوبه التفسيري على النسختين معا.

وقد استعمل المصعبي في حاشيته هاته أسلوبا متقنا في العرض، فقد كان يستفتح كلامه بذكر الآية القرآنية بقوله: "تعالى" ويريد بها: قال تعالى، وهي لفظة تظهر انتقاله لتفسير الآيات اللاحقة، ثم يبيّن كونها مدنية النزول أو مكية، ويورد الخلاف في ذلك أحيانا لا دوما.

ثم ينقل كلام الجلالين، ثم يتبعها بكلام البيضاوي، ثم الزمخشري أو التفتزاني أو هود بن محكم، ثم يعقب على أقوالهم ردا تارة، وسكوتا تارة أخرى، وموافقة في مرات عديدة.

كما كان مكثرا من أسلوب الفنقلة في إيراد بعض المسائل والتطرق إليها، فيكثر من قوله: فإن قالوا، والجواب الصحيح أن يقال، بعد أن يورد الشبهة، أو فإن قالوا قلنا، وهي كثيرة في حاشيته لا يمكن حصرها.

1: فهرس مخطوطات مكتبة الباروني بجربة، سعيد بن يوسف الباروني، تونس، دط، ت: 1998م، ص:13-14. محمل من موقع المكتبة البارونية التونسية على الرابط:http://elbarounia.com

2: المرجع نفسه، ص: 14.

وبالرغم من تمذهب الإمام المصعبي بالمذهب الإباضي ومنافحته عنه[1]، إلا أن ذلك لم يمنعه من اعتماد كتب المخالفين في حاشيته هاته على الجلالين، فقد اعتمد كثيرا على تفسير الإمام البيضاوي «أنوار التنزيل» وعلى «الكشاف» للزمخشري خاصة في ترجيحاته اللغوية والنحوية، وعلى حاشية التفتزاني عليه، وعلى كثير من كتب المخالفين، ويتطرق للخلاف فيما بينهم في المسألة الواحدة، وهو دليل على عدم تعصبه، كتفسيره لآية البسملة واعتداده بالقول بأنها آية من كل سورة إذ يقول:

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:1]، هي آية من أول كل سورة، كما أنها آية من الفاتحة، قال البيضاوي: وعليه قُراء مكة والكوفة وفقهاؤها، وابن المبارك والشافعي، وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي، ولم ينصّ أبو حنيفة فيه شيء فظُنّ أنها ليست من السورة عنده.[2]

ولم يمنعه هذا التنوع في طرح آراء ومسائل المخالفين من عرض العقيدة الإباضية بأصولها وفروعها والذب عنها، كمسألة الكبائر، إذ يقول عند قوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:44]: المعتمد عندنا أن الكبائر لا تُغفر إلا بالتوبة، وأما الصغائر فتغفر بأشياء منها اجتناب الكبائر، لقوله تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:31]، ومنها ما بين الصلاة والصلاة وغير ذلك كما هو مذكور في محله ما لم يُصرَّ عليها، لأنهم قالوا: الإصرار على الصغائر كبائر كما هو معلوم، ومما اتفق لي حين كنت بمصر أن وُضع لي كلامٌ مع بعض الطلبة الشافعية في شأن الصغائر فقلت له: إنها تُغفر باجتناب الكبائر بناء على ما هو مذكور عندنا، فقال لي: إن هذا هو مذهب المعتزلة. فقلت له: قال الله تعالى: ﴿

1: يذكرون في ترجمته أن له رسالة كتبها إلى علي باشا ابن محمَّد باي تونس، لما بلغه أن أحد التونسيّين يشتم الإباضيَّة، ويردُّ شهادتهم، فبيَّن له الشيخ حقيقة الإباضيَّة ومذهبهم، كتبها سنة 1153هـ. انظر: معجم أعلام الإباضية، ج: 2، ص: 491.

2: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، نسخة البارونية اللوحة الأولى من المخطوط. جاءت غير مرقمة.

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ الآية، واستمر على قوله ولم يجب الآية، والله أعلم.[1]

ويُظهر قول من وافقه من أصحاب المذاهب الكلامية الأخرى ويشير إلى أنه موافق للمعتقد بحسب تعبيره، كصنيعه عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [التوبة:28] إذ يقول بعد كلام مطول للإمام البيضاوي: قال في «الكشاف»: أي جمعوا بين الكفر والمعاصي، أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين أصحاب الكبائر، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة، انتهى، وهو كما ترى موافق لما هو المعتقد عندنا، وأما البيضاوي فيحمل الكل على الكفر، لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار، وخالدين حال مقدرة.[2]

وفي موضع آخر يورد كلام البيضاوي وغيره في جواز الاستغفار للكافر والعاصي وتأويلهم للفظة الاستغفار بأنها طلب التوفيق للهداية، ثم يقوم بالرد عليهم، إذ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:113]: قوله: بأن ماتوا على الكفر، قال البيضاوي: وفيه دفع النقض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر، انتهى. هو كذلك لكنه منسوخ أو مؤول، فإن المراد بالاستغفار التوفيق والإصلاح هنا يشير إليه بقول: لأنه طلب توفيقهم للإيمان، انتهى. أقول: مقتضى ما هو المعتقد عندنا منع هذا التأويل أيضا، فإن الكافر لا يدعى له بدعاء الآخرة مطلقا لا بتوفيق ولا غيره، كما هو معلوم من قواعد المذهب والله أعلم. أقول أيضا: فإذا فهمت ما ذكرنا أُشكل عليك ما ذكره الشيخ هود

1: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، يوسف المصعبي، ج:1، لوحة: 253.

2: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، ج:1، لوحة:178.

في هذه الآية، في قوله: ... وتفسير ابن عباس والحسن ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ [التوبة:114]، وكان إبراهيم يرجوه ما كان حيًّا، فلما مات تبيَّن له أنه عدو لله، لأنه مات على الكفر إلى آخره... ما ظاهره يقتضي جواز الاستغفار له ما دام يرجو إسلامه، وهو غير مناسب. ويدل لما قلنا قول البيضاوي فيما تقدم قريبا من قولنا فيها، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:{استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن لي}[1] وهذا هو الموافق لما هو المعتقد عندنا للقواعد والله أعلم. فلينظر في ذلك فإنه في غاية الإشكال.[2]

ولم يكن الإمام المصعبي في رده هذا متعصبا للمذهب وإن رجَّح قوله، ذلك أنه ردَّ حتى قول الإمام هود بن محكم الذي يُعتبر أهم رموز المذهب، وأظهر أن الناظر قد يستشكل قوله، ثم ختم المسألة بأنها في غاية الإشكال وهذا دليل سعة صدر منه وعدم تعصب.

وفي القراءات القرآنية اعتمد الإمام المصعبي على هذا العلم وأظهر قدرته فيه، فكان يورد مواطن الخلاف في القراءات ويقوم بعرض الخلاف في اللفظة الواحدة كما في تفسيره لقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة:02] إذ يقول: وجملة النفي خبر مبتدؤه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، إيضاح ذلك وبيانه أن يقال: لا نافية للجنس على سبيل التنصيص واسمها مبني على الفتح لتضمنه معنى مَنْ الاستغراقية، على هذه القراءة المشهورة، وأما على قراءة الرفع وهي قراءة أبي الشعثاء، فمرفوع بلا التي بمعنى ليس، قال زكريا: الفرق بينها وبين التي لنفي الجنس أن تلك توجب الاستغراق وهذه تجوزه، قال الرازي: لأن نفي الجنس نفي للماهية.[3]

1: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل، حديث:1674. وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، حديث:1567.

2: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، يوسف المصعبي، ج:1، لوحة: 232.

3: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، لوحة: 02.

وكان ناقلا لأقوال بعض الأئمة في القراءات وترجيحاتهم، كصنيعه في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:128]، إذ يقول: قال البيضاوي: من جنسكم عربي مثلكم، وقرئ من أَنْفَسِكم أي أشرفكم، أقول: قال المفسر في كتابه «الإكليل في استنباط الأحكام من التنزيل»[1]: على قراءة فتح الفاء يستدل به على أن العرب أفضل من العجم وأن قريشا أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش[2]، انتهى.[3]

وقد اتسمت حاشية المصعبي بكثرة النقل والإسهاب فيه، فكان يورد أقوال الأئمة من كتب التفسير والحواشي واللغة والفقه وغيرها من الفنون، وقد ينقل في المسألة الفقهية الواحدة العشرات من الأقوال، كصنيعه في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام:118]، حيث أورد كلام الجلالين في حكم ترك التسمية على الأكل، ثم أعقبه بقول البيضاوي ثم الصفوي، ثم تعرض لأقوال المذاهب الفقيهة فيه، ويختمها برأيه منتصرا لمذهبه إذ يقول: قال البيضاوي: مسبب عن إنكار أتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام، والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه، انتهى. قال محشيه: ظاهر الآية تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانا، وهو مذهب بعض السلف وإليه ذهب داود الظاهري وعن أحمد مثله. قال الصفوي:"وعند كثير من السلف وهو المشهور من مذهب مالك وأحمد وعليه أبو حنيفة وأصحابه. وقيل الإجماع منعقد على ذلك، وأن ترك التسمية نسيانا لا يضر، وأما عمدا الذبيحة حرام". انتهى، وأقول: وعندنا الحكم كذلك، وعليه الشافعي.[4]

1: طُبع ويطبع بعنوان: الإكليل في استنباط التنزيل. والمفسر هنا هو الإمام السيوطي صاحب الكتاب.

2: الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، :1981 م، ص: 146.

3: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، للمصعبي، ج:1، لوحة: 234.

4: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، ج:1، لوحة: 213.

ومن العلوم التي تطرق لها المصعبي واعتمدها في حاشيته هاته علم اللغة والإعراب فقد كان مكثرا منها، معتمدا بالخصوص على كلام الزمخشري وتقريراته واختياراته الإعرابية والنحوية، كصنيعه عند تفسير أوائل سورة هود إذ يقول: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:01] سورة مكية، وهي مائة وثلاث وعشرون آية، هذا كتاب: أشار به إلى أن كتاب خبر مبتدأ محذوف، وجوَّز فيما بعده صاحب «الكشاف» أوجها من الإعراب حيث قال في إعرابه وإعراب ما بعده ما نصه: و﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿ أُحۡكِمَتۡ ﴾ صفة له، وقوله: ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ صفة ثانية، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبرٍ، وأن يكون صلة لأحكمت، و﴿ فُصِّلَتۡ ﴾ أي من عنده، إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عليم بكيفيات الأمور، انتهى. أي بأن جعل أن مصدرية فلذلك مقدر قبلها الباء، وزاد البيضاوي احتمال كونها كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد.[1]

وأسهب في الحديث عن إفادة المبتدأ والخبر عند شرحه لكلام البيضاوي: من أن فائدة الإخبار عنه – الوارث– باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر. في قوله تعالى:﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ [النساء:176]، إذ يقول: ما يقال لا بد أن يفيده الخبر ما لم يفده المبتدأ، وهنا ليس كذلك إذ ما أفاده الخبر هنا مفاد من ضمير كانتا، وحاصل الجواب أن اثنتين يستحقان الثلثية بمجرد هذا العدد من غير اعتبار تقييد بصغر أو كبر أو غيرهما من الأوصاف،

1: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، للمصعبي، ج:1، لوحة: 273.

ورُدَّ بأن هذا القدر مُفاد من ضمير كانتا أيضا، ومن ثم أجيب بأن ضمير كانتا للوارثين، وأن الاثنتين صفة محذوفة، ليس يفيد الخبر ما لم يفده الضمير، والتقدير فإن كانتا الوارثتان اثنتين من الأخوات، انتهى.[1]

ومن علوم القرآن التي اعتمدها المصعبي في حاشيته علم الناسخ والمنسوخ، ولم يكن متطرقا له بإسهاب غير أنه تطرق لمواطن ذكرها صاحب الجلالين، كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر:85]: قوله: هذا منسوخ بآية السيف، الإشارة على قوله ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾، قال في كتاب «الناسخ والمنسوخ» في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ :هذا محكم، والمنسوخ ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ إلى﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ إلى هاهنا منسوخ وما قبلها محكم، قال: وذلك أن الخطيم واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل البكري أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اعرض علي أمرك، فعرض عليه الدين، فقال: أرجع إلى قومي فأعرض عليهم ما قلته فإن أجابوني كنت معهم وإن أبوا علي كنت معهم، فقال النبي ﷺ:{لقد دخل علي بوجه كافر وخرج بعقبي غادر} فمرَّ بسرح لرسول الله ﷺ فاستاقه، خرج المسلمون في إثره فأعجزهم فلما كانت عمرة القضاة وهو العام السابع سمع المسلمون تلبية المشركين وكانت كل طائفة من العرب تلبي على حدتها، فسمعوا بكر بن وائل تلبي ومعهم الخطيم فقالوا: يا رسول الله لا يذهب أو تغير عليه فأنزل الله عز وجل[2] ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ إلى﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾يعني الفضل في التجارة ﴿ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ وهو لا يرضى عنهم، فصار ذلك منسوخا بآية السيف.[3]

1: مخطوط: حاشية المصعبي على الجلالين، للمصعبي، ج:1 لوحة: 179.

2: أخرج الأثر الطبري في جامعه في تفسيره لسورة المائدة، باب القول في تأويل قوله تعالى: ولا آمين البيت الحرام، حديث: 9981. وورد في هذا الأثر أن اسمه: الحَطْمُ.

3: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة البغدادي المقري، تحقيق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 1404هـ، ص:80.

ويمكن القول بعد هذا البيان لأسلوب الإمام المصعبي أن هاته الحاشية والتي لا تحمل عنوانا معينا، ذات قيمة علمية كبيرة، وأنها حاشية جامعة لمجموعة من التفاسير كتفسير البيضاوي والزمخشري والسعد والتفتزاني وغيرهم، مع اختلاف مناهج ومعتقدات أصحابها، وهو بها يفتح باب التأليف في التفسير الواحد الجامع لعدة معتقدات ومذاهب، وهي بعد هذا بحق ثلمة كبيرة في تاريخ الجزائر العلمي التفسيري إن استمرت الأرضة في نهش لوحات هذا المخطوط، خاصة أن نسختها المعتمدة وحيدةٌ في مكتبة البارونية بتونس.

الثامن: عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني، أبو زيد (ت:1189هـ):

عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني التواتي، أبو زيد، ولد بتنلان بين سنتي: 1119هـ و1129هـ، أحد أعلام الجزائر بالديار التواتية الصحراوية، كان من مجتهدي وقته في المذهب المالكي، شيخ الشيوخ وبقية الرسوخ[1]، رحل أولا إلى التكرور[2]، ثم قصد سجلماسة، ثم رحل رابعا لأداء فريضة الحج، حيث توفي بمصر أثناء عودته من رحلة الحج سنة: 1189هـ، وعمره بضع وسبعون سنة، ودفن بالقرافة الصغرى بمصر. فتنوع **شيوخه** وأخذ عن جملة كبيرة منهم صنوفا من الفنون والعلوم، كسيدي بن سعيد العميري[3] الذي قرأ عليه بمكناس الزيتون[4]، كما أخذ تفسير البيضاوي عن الشيخ المفسر عبد الرحمن الجنتوري[5] وذكر ذلك في

1: موسوعة تراجم علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش ومحفوظ بن ساعد، ص: 394.

2: تَكْرُورُ: براءين مهملتين: بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه الناس بالزنوج. انظر:"معجم البلدان"ج:2، ص:38.

3: قاضي مكناس العلاّمة الأديب ولد بمكناس سنة 1103هـ، ومات سنة 1178هـ، عن خمس وسبعين سنة، أخذ عن أبيه وغيره من شيوخ فاس ومكناس، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ سيدي المعطي بن صالح الشرقي، له فهرسة التنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام، وغير ذلك من التآليف، دفن بضريح المولى أحمد بن خضراء بمكناس. انظر:" فهرس الفهارس" ج:2، ص:813. و" موسوعة أعلام المغرب" ج:7، ص: 2382. له فهرسة في مجلد وسط، وهي أشبه بديوان أدبي منها بثبت، وقد اشتملت على فوائد وتراجم نفيسة، وهي عندي.

4: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، ص: 14.

5: مرت ترجمته.

إجازته له[1]، وتتلمذ على يد الشيخ أحمد بن صالح[2] وذكر في إجازته أنه أخذ عنه علم التفسير[3] وعلوما أخرى، كما أخذ تفسير الجلالين من الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم من بني القاضي الدرعي[4]، وذكر ذلك في إجازته أيضا التي أجازه بها،[5] كما تتلمذ على الشيخ محمد بن أب المزمري التواتي[6]، وغيرهم.

تتلمذ على يديه أعلام كثر كمحمد الزجلاوي[7] المفسِّر صاحب «ألفية التفسير» و«ألفية الغريب في القرآن» وعمر التنلاني المعروف بعمر الأصغر[8]، وعبد الحق بن عبد الكريم البكري[9]، وعبد الرحمن بن العالم الزجلاوي[10] وغيرهم.

1: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، ص:34.

2: لم أجد له ترجمة.

3: المرجع نفسه، ص:35.

4: لم أجد له ترجمة.

5: المرجع نفسه، ص:37.

6: محمد بن أب بن أحميد المزمري التواتي منشأ وموطنا ووفاة، المكنى بأبي عبد الله، ولد بعد 1090هـ بقرية أولاد الحاج بضواحي آولف، كان متقنا مجيدا فطنا عارفا، أخذ عن عمر بن مصطفى الرقادي وأحمد التوجي وغيرهم، له تصانيف عديدة منها:"نظم الآجرومية" وله آخر بعنوان"نزهة الحلوم نظم ابن آجروم"، وأرجوزة في التصريف سماها"روضة النسرين في مسائل التمرين" وغيره. توفي سنة: 1160هـ بتيميمون. انظر:"موسوعة أعلام الجزائر" ص:583/573.

7: ستأتي ترجمته.

8: عمر وقيل عومر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني المعروف بعمر الأصغر مؤسس المهدية، ولد سنة 1152هـ، المشارك الفهامة، ارتحل من تنلان ليؤسس الزاوية المهدية وهو قائد ركب الحجيج في توات مدة سبع سنين، أخذ عن احمد بن عبد الله الونقالي غيره، توفي سنة 1221هـ بصحراء الفلاة التي بين تطاف وأولف ودفن ببلدية مهدية. انظر:"موسوعة أعلام الجزائر" ص: 394/391.

9: عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري، الملقب بأبي الفتح الأمريني، لم يكن في عصره من يستحضر الفروع الفقهية مثله، أخذ عن والده وعبد الرحمن الجنتوري، وأخذ عليه الفقيه الطالب العابد بن أحمد، له تصانيف منها نظم من المعرب والملحون ونثرا في الصلاة على النبي، وتآليف صغيرة في علم الأدب، ومقيدات في الفقه والنحو. توفي سنة: 1210هـ. انظر:"موسوعة أعلام الجزائر" ص: 329.

10: عبد الرحمن بن أحميد العالم الزجلاوي، ولد قبل 1175هـ، من شيوخه محمد بن عبد الله الونقالي وأخوه محمد الزجلاوي، رحل لمركز أنزجمير، وله ولأولاده الفضل في انتشار العلم بها وبمناطقها، لا يعلم تاريخ وفاته. انظر:"موسوعة أعلام الجزائر" ص: 424.

لم يُذكر في تراجمه أنه قام على تفسير القرآن بالتدريس، غير أنه ألَّف في التفسير باختصاره تفسير الإمام السَّمِين[1] الموسوم «الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون»، وسمَّاه «مختصر الدُّر المصون للسَّمين في إعراب الكتاب المبين»[2]، وذكر أن اختصاره هذا اقتصر فيه على فنون ثلاثة وهي: الإعراب واللغة والتصريف لشدة الحاجة إليها وأنه أسقط الرابع لقلة من يتعاطاه من طلبة العصر، كما اقتصر أيضا في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه، لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب.[3]

ولهذا المختصر نسخة نفيسة[4] بخزانة الشيخ باي بلعالم بآولف ولاية أدرار، وهي نسخة كاملة عدد لوحاتها 211 لوحة، غير أنها صعبة القراءة خاصة بعد تصويرها لرداءة الخط وطمس الكثير من الكلمات والجمل فيها، وقد ذكر الشيخ باي بلعالم نموذجا من مقدمتها وخاتمتها في كتابه «الغصن الداني»[5]، وقد اعتمدتها لدراسة أسلوب ومنهج الإمام عبد الرحمن التفسيري وطريقة اختصاره لكتاب «الدر المصون» للسَّمِين.

افتتح الإمام التنلاني مختصره بمقدمة ذكر فيها تحصيله وتمكنه من علوم اللغة كالإعراب والغريب والبديع والبيان، وأنه شُغف بكتاب «الدر المصون» للسَّمين لأنه مؤلَّفٌ حافلٌ لاحتوائه تلك الفنون، إذ يقول:" لـمَّا منَّ الله تعالى عليَّ بحفظ كتابه العزيز، وتحصيل ما تيسر من علومه كإعرابه وغريبه وبديعه وبيانه، وكان من أجلِّ ما أُلِّف في هذه الفنون الكتاب المسمى «الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون ».." ثم أبان عن

1: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسَّمِين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعيّ، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه: تفسير القرآن، عشرون جزءا، والقول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، توفي بالقاهرة سنة: 756هـ. انظر: "الأعلام" ج:1، ص: 274. و" طبقات الشافعية" ج:3، ص:18.

2: لا يزال في عداد المخطوط، ويعمل الأستاذ أبو عبد التواب عبد المجيد رياش الجزائري عليه تحقيقا ودراسة، ذكر ذلك الشيخ محمد باي بلعالم في «الغصن الداني»، ص:81.

3: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، خزانة الشيخ باي بلعالم بآولف، لوحة:2.

4: ذكر صاحب «المعلمة» كتاب: المختصر الثمين في معرب القرآن" شرح في معاني مفردات القرآن، وذكر أن نسخة منه توجد عند الشيخ بن الكبير بأدرار. ربما تكون نفسها، ولم أستطع التأكد من ذلك لعدم الحصول عليها.

5: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، ص:53-54.

منهجه في العلوم التي سيتناولها في هذا المختصر بأنه اقتصر:" على الفنون الثلاث- الإعراب والغريب والبديع- لشدة الحاجة إليها، وأسقطت الرابع- البيان- لقلة من يتعاطاه من طلبة العصر".[1]

ثم ذكر علم القراءات وأنه اقتصر على رواية ورش إذ يقول:" اقتصرت في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه، لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب".[2]

وقد التزم هذا القيد في سائر تلخيصه، فكان لا يورد أقوال بقية القراء، ويكتفي بذكر قراءة نافع فقط، كصنيعه عند قوله تعالى:﴿ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾[البروج: 22]، حيث أورد الإمام السَّمين بقية القراءات بقوله:"قرأ نافع بالرفع نعتا لـ﴿ قُرۡءَانٞ ﴾ ، والباقون بالجر نعتا لـ﴿ لَوۡحٖ ﴾. والعامة على فتح اللام، وقرأ ابن السميفع وابن يعمر بضمها"[3]، وعند الإمام التنلاني ذكرها بالقول:" نعتٌ لـ﴿ قُرۡءَانٞ ﴾".[4]

وكان يُغفل ذكر قراءة نافع وبقية القراءات مطلقا ولا يتطرق لها، كصنيعه في قوله تعالى:﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ﴾ [الغاشية: 11] حيث أورد السَّمين أقوال القراء فيها بالقول:" قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله،﴿ لَٰغِيَةٗ ﴾ رفعا لقيامه مقام الفاعل. وقرأ نافع كذلك، إلا أنه بالتاء من فوق، والتذكير والتأنيث واضحان؛ لأن التأنيث مجازي. وقرأ الباقون بفتح التاء من فوق ونصب ﴿ لَٰغِيَةٗ ﴾، فيجوز أن تكون التاء للخطاب، أي: لا تسمع أنت، وأن تكون للتأنيث أي: لا تسمع الوجوه. وقرأ المفضل والجحدري: ﴿ لا يسمع ﴾ بياء الغيبة مفتوحة، ﴿ لَٰغِيَةٗ ﴾ نصبا، أي: لا يسمع فيها أحد،

1: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:2.

2: مخطوط: مختصر الدر المصون، لوحة:2.

3: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط:1، ت: 1406هـ، ج:10، ص:750.

4: مخطوط: مختصر الدر المصون، لوحة:395.

ولاغية يجوز أن تكون صفة لكلمة على معنى النسب، أي: ذات لغو أو على إسناد اللغو إليها مجازا، وأن تكون صفة لجماعة، أي: جماعة لاغية، وأن تكون مصدرا كالعافية والعاقبة ".[1]

غير أن التنلاني يعرض عن كل ذلك بالقول:" أو جماعة لاغية، أو نفس لاغية أو كلمة ذات لغو".[2]

وهو دليل على تدخله أحيانا في متن السَّمين، بإضافة لمفهوم النفس اللاغية هنا.

ولعل تبريره هنا أنه لا يورد القراءات واختلافها ولا حتى رواية نافع عندما لا يترتب على اختلافها تغير في المعنى، فيسمع أو تسمع لا تغيير للمعنى فيها، بخلاف الموضع الأول في لوحٍ محفوظٍ أو لوحٍ محفوظٌ برجوع الحفظ على اللوح أو القرآن.

كصنيعه أيضا في قوله تعالى:﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب: 10]، حيث أورد السَّمين قراءة نافع وابن عامر وأبو بكر وغيرهم بإثبات ألف بعد نون في ﴿ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ إذ يقول:" قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون ﴿ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ ولام ﴿ ٱلرَّسُولَا۠ ﴾في قوله:﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ ولام ﴿ ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ في قوله:﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ وصلا ووقفا موافقة للرسم؛ لأنهن رسمن في المصحف كذلك. وأيضا فإن هذه الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت تثبت وقفا، للحاجة إليها. وقد ثبتت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف كما تقدم في البقرة والأنعام، فكذلك هذه الألف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين؛ لأنها لا أصل لها".[3]

1: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:10، ص: 769.

2: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:397.

3: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:9، ص: 98.

ولم يذكر كل ذلك الإمام التنلاني، ملتزما بضابط ما لم تكن القراءة محل خلاف في توجيه المعنى فلا يتطرق لها، إذ يقول في اختصاره لكلام السمين في الآية:" ثبت وصلا ووقفا تبعا لخط المصحف، فهي في الرسول والسبيلا، وهي تشبه هاء السكت في ﴿ يَتَسَنَّهْ ﴾ و﴿ ٱقْتَدِهْ ﴾ لبيان الحركة، وثبتت وصلا إجراء للوصل مجرى الوقف".[1] وزيادته التمثيل بـ﴿ يَتَسَنَّهْ ﴾ و﴿ ٱقْتَدِهْ ﴾ مع عدم ورودها في كلام السَّمين، دليلٌ أيضا على زياداته وتدخله في المتن، وإن وصف بالقلة.

وعرَّف كتاب السَّمين «الدر المصون» بأنه ردود على اعتراضات شيخه أبي حيان على الزمخشري، بل انتصر له في كثير من المواضع، بعد أن جمع فيه بين الإعراب واللغة والتصريف والبيان.[2]

وعلى الرغم من هذا التعريف إلا أنه أغفل مواضع انتصار السمين للزمخشري، وكان يمر بها دون ذكرها، كصنيعه عند قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[آل عمران: 1-2] حيث دافع الإمام السَّمين عن الزمخشري بتبرئته من القول بالوقوف على ميم قوله تعالى﴿ الٓمٓ ﴾إذ يقول:" قلت: ومتى ادعى الزمخشري أنه يوقف على ميم من: ألف لام ميم وهي متحركة، حتى يُلزمه بمخالفة إجماع العرب والنحاة، وإنما ادعى الرجل أن هذا في نية الموقوف عليه قبل تحريكه بحركة النقل، لا أنه نقل إليه، ثم وقف عليه، وهذا لم يقله البتة ولم يخطر له".[3]

فلم يتطرق الإمام التنلاني لدفاع السَّمين عن الزمخشري، وكان لا يورد مثل هاته المواضع تماما، واعتبرها -بزعمي- زيادات وإسهابات خارجة عن أصل الكتاب وتلخيصه، على الرغم من إشارته في المقدمة إلى أن الكتاب حوى العديد من المواضع في الدفاع عن الزمخشري من تهم شيخه أبي حيان.

1: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:306.

2: مخطوط: مختصر الدر المصون، لوحة:2.

3: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:3، ص: 9-10.

وقد كان التنلاني في كتابه هذا، مقلًّا من النقول التي أسهب السَّمين في نقلها ولا ينسب الأقوال لأصحابها، بل كان يذكر خلاصتها فقط، كصنيعه في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: 10]، حيث أورد السَّمين كلام الزمخشري والواحدي والزجاج والفراء في عود ضمير الهاء في ﴿ جَعَلَهُ ﴾ واختلافهم في ذلك إذ يقول:" قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ﴾: الهاء تعود على الإمداد أي: وما جعل الله الإمداد. ثم هذا الإمداد يحتمل أن يكون المنسبك من قوله:﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾ إذ المعنى: فاستجاب بإمدادكم. ويحتمل أن يكون مدلولا عليه بقوله ﴿ مُمِدُّكُم ﴾ كما دلَّ عليه فعله في قوله:﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ ﴾وهذا الثاني أولى، لأنه متأت على قراءة الفتح والكسر في ﴿ أَنِّي ﴾ بخلاف الأول، فإنه لا يتجه عوده على الإمداد على قراءة الكسر إلا بتأويل ذكره الزمخشري وهو أنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول. وقيل يعود على المدد قاله الزجاج. قال الواحدي: وهذا أولى لأن بالإمداد بالملائكة كانت البشرى. وقال الفراء: إنه يعود على الإرداف المدلول عليه بمردفين. وقيل: يعود على الألف. وقيل: على الوعد المدلول عليه بـ﴿ يَعِدُكُمُ ﴾. وقيل: على جبريل أو على الاستجابة، لأنها مؤنث مجازي، أو على الإخبار بالإمداد". [1]

في حين أورد الإمام التنلاني الأقوال ملخصة دون ذكر لأصحابها إذ يقول:" تعود على الإمداد المنسبك من أن ﴿ يُمِدَّكُمۡ ﴾ إذ المدلول ممدكم، وقيل على المدد، وقيل على الإرداف المدلول عليه بـ ﴿ مُرۡدِفِينَ ﴾. يعدكم، وقيل على الاستجابة، وقيل على الإخبار بالمراد، وجعل هنا بمعنى صيَّر".[2]

1: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:5، ص: 572.

2: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:178.

وفي ترجيح أقوال السَّمين في المسائل الخلافية، التزم التنلاني اختيارات السَّمين دون الإشارة إليه بأنه هو الراجح عنده، على الرغم من تنويه السَّمين إلى ذلك، كصنيعه مثلا في تفسير قوله تعالى:﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٍ ﴾[الحجر: 79] حيث أورد الخلاف في ضمير التثنية في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ بالقول:"في ضمير التثنية أقوال، أرجحها: عوده على قريتي قوم لوط وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب لتقدمهما ذكرا. وقيل: يعود على لوط وشعيب، وشعيب لم يجر له ذكر، ولكن دل عليه ذكر قومه. وقيل: يعود على الخبرين: خبر إهلاك قوم لوط، وخبر إهلاك قوم شعيب. وقيل: يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين؛ لأنه مرسل إليهما فذكر أحدهما مشعر بالآخر".[1]

غير أن التنلاني لخَّص الكلام في الآية على النحو التالي:" التثنية عائدة على قرى لوط وأصحاب الأيكة، وهم قوم شعيب وقيل يعود على الخبرين، خبر إهلاك قوم لوط، وخبر إهلاك قوم شعيب، وقيل يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين، لأنه مرسل إليهما"[2]، وهو بهذا الصنيع يورد ترجيح الإمام السَّمين بالجزم مصدرا به كلامه، ثم يورد بقية الأقوال بصيغة التمريض –قيل– وهو منهج مطرد في تلخيصه هذا.

أما ما يتعلق بالاستشهاد بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، فلم يكن مكثرا منها على منهج صاحب «الدُّر المصون»، بل كانت شبه منعدمة في اختصاره ولا يذكرها إلا نادرا، ونفس الأمر في الشواهد الشعرية عند الإعراب، فلم يكن ناقلا لها على الرغم من كثرة نقل السَّمين لها وكثرة استشهاده بها، مع قلة اهتمامه بالمعاني اللغوية للفظة القرآنية والعلل الصرفية والأوجه الإعرابية، بل كان يوجز فيها غالبا كصنيعه عند قوله تعالى:﴿ إِمَّا شَاكِرٗا ﴾ [الإنسان: 3]،إذ يقول السَّمين في تفسيرها:" نصب على الحال،

1: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:7، ص: 178.

2: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:229.

وفيه وجهان، أحدهما: أنه حال من مفعول﴿ هَدَيْنَٰهُ ﴾أي: هديناه مبينا له كلتا حالتيه. قال أبو البقاء: وقيل: هي حال مقدرة. قلت: لأنه حمل الهداية على أول البيان له، وهو في ذلك الوقت غير متصف بإحدى الصفتين. والثاني: أنه حال من ﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾على المجاز. قال الزمخشري: ويجوز أن يكونا حالين من﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي: عرَّفناه السبيل إما سبيلا شاكرا، وإما سبيلا كفورا كقوله:﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10] فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا، والعامة على كسر همزة ﴿إِمَّا ﴾وهي المرادفة لـ أو، وتقدم خلاف النحويين فيها. ونقل مكي عن الكوفيين أنها هنا إن الشرطية زيدت بعدها ما، ثم قال: وهذا لا يجيزه البصريون، لأن إن الشرطية لا تدخل على الأسماء، إلا أن يضمر فعل نحو:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ ﴾. ولا يصح إضمار الفعل هنا؛ لأنه كان يلزم رفع ﴿ شَاكِرًا ﴾وأيضا فإنه لا دليل على الفعل، انتهى. قلت: لا نسلم أنه يلزم رفع﴿ شَاكِرًا ﴾مع إضمار الفعل، ويمكن أن يضمر فعل ينصب﴿ شَاكِرًا ﴾تقديره: إن خلقناه شاكرا فشكور، وإن خلقناه كافرا فكفور. وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها. وفيها وجهان، أحدهما: أنها العاطفة، وإنما لغة بعضهم فتح همزتها، وأنشدوا على ذلك:

تُلَقِّحُها أمّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ *** وأمَّا صبا جنْح العشيّ هَبُوبُ

فتح الهمزة. ويجوز مع فتح الهمزة إبدال ميمها الأولى ياء، قال: أيما إلى جنة أيما إلى النار، وحذف الواو بينهما. والثاني: أنها أما التفصيلية، وجوابها مقدر. قال الزمخشري: وهي قراءة حسنة والمعنى: أما شاكرا فبتوفيقنا، وأما كفورا فبسوء اختياره، انتهى. ولم يذكر غيره".[1]

1: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:7،ص: 178.

كل ما ذكر من الشواهد الشعرية وخلافات النحويين والقراء، اختصره التنلاني بالقول:"نصب على الحال من مفعول ﴿ هَدَيْنَٰهُ ﴾أو من﴿ ٱلسَّبِيلَ ﴾مجازا، أو عرَّفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا".[1]

وتبعا لصاحب «الدُّر المصون» فإن الإمام التنلاني لم تكن له عناية بالنواحي العقدية والفقهية والسلوكية في مختصره هذا، ولم يتطرق لها في مواضعها القرآنية، كما لم تكن له عناية واضحة بالناحية الأثرية في مختصره، على الرغم من ورود إشارات ووقفات تفسيرية هامة في تفسير القرآن بالقرآن، وبيان سر خواتيم الآيات، التي أظهرها السَّمين وأغفلها التنلاني، كما في تفسير السمين لقوله تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 185] إذ يقول في سر ختمها بطلب الشكر:" وختمت هذه الآية بترجي الشكر لأن قبلها تيسيرا وترخيصا، فناسب ختمها بذلك. وختمت الآيتان قبلها بترجي التقوى، وهو قوله:﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ وقوله:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ لأن القصاص والصوم من أشق التكاليف، فناسب ختمها بذلك، وهذا أسلوب مطرد، حيث ورد ترخيص عقب بترجي الشكر غالبا، وحيث جاء عدم ترخيص عقب بترجي التقوى وشبهها، وهذا من محاسن علم البيان"[2]، ولم يتطرق الإمام التنلاني لهذا المعنى أصالة، وأوجز في تفسير الآية كعادته.

1: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:386.

2: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:2، ص: 289.

ونفس الأمر في تفسير قوله تعالى:﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: 34]، فقد تطرق السَّمين لسر ختم هاته الآية بوصف الإنسان بالظلم والكفر، ولم يتطرق التنلاني لذلك مطلقا، وغيرها من المواضع.

وقد اتسم اختصاره لـ «الدُّر المصون» بالوجازة الشديدة، فكان يختصر الكلام الكثير الذي يصل حد الصحفة والصفحتين والثلاث لسطر أو سطرين، كما لم يلتزم بلفظ المؤلف في اختصاره، إنما كان يركب الجمل أحيانا بأسلوبه الخاص، ككلامه عن الاستعاذة، فقد أسهب صاحب «الدُّر المصون» الكلام فيها، وفي تعريفها وكيفيتها وتعريف العوذ وتصريف فعلها، وشاهدها من كلام العرب والشعر، فاختصرها التنلاني في سطر واحد إذ يقول دون التزام بنص السَّمين:" ليست من القرآن إجماعا، وإنما أمر بالابتداء بها وجوبا أو ندبا"[1]، وجاء كلام السَّمين في باب الاستعاذة في سبعة صفحات[2]، واختصره التنلاني في سبعة أسطر، وهو اختصار شديد تميز بأنه لم يكن مخلا بالمعنى، إنما كان مختزلا للإسهابات وكثرة الأمثلة والشواهد والوجوه.

وقد نظم الشيخ محمد الأمين الأنصاري التادمكي[3] سنة: 1414هـ «مختصر الدُّر المصون» لأبي زيد التنلاني، وأتي النظم في 224 بيت، وقام الدكتور علي بن سلطان الحكمي[4] بشرحه، وسمى الشرح «القواعد النفيسة المعروفة بنظم المشكل في قواعد المعرب».[5]

1: مخطوط: مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، لوحة:3.

2: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، ج:1، ص: 7 -12.

3: لم أجد ترجمته.

4: الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ولد بالمضايا إحدى مدن منطقة جازان عام1360هـ اتجه إلى مدينة مكة المكرمة للإلتحاق بالدراسات العليا فحصل على شهادة الماجستير سنة:1400هـ من جامعة جامعة أم القرى، ثم رحل إلى المدينة النبوية وبها حصل على درجة الدكتوراه عام 1402هـ، من قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية كانت له العديد من التكليفات الإدارية والعلمية، وله مؤلفاته وتحقيقاته كثيرة، توفي يوم الاثنين 1429/11/26هـ.

5: قد طبع الكتاب بدار البخاري بمكة المكرمة، سنة: 1416هـ، طبعة أولى.

وبانتظار خروج هذا العمل الكبير والمختصر الفريد لنور الطباعة، فإن التراث الجزائري ليفخر به ويعتد به كأحد مفاخر التراث التفسيري لعلماء الجزائر.

التاسع: عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني (ت:1194هـ)[1]:

عبد القادر بن محمد الراشدي، نسبة للرواشد من فرجيوة، القسنطيني نشأة، مفتي الحنفية بقسنطينة، أصولي متكلم، تولى قضاء قسنطينة مرارا، لا يعلم تاريخ مولده، قام برحلات عديدة وأخذ عن شيوخ كثر، فمن **شيوخه** محمد المنور التلمساني[2]، الذي أخذ عنه "الكثير من الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو والبيان وأجازه"، وابن الدين الأصغر[3]، والمكودي الشهاب[4] وغيرهم،كما **تتلمذ** عليه ثلة من أعلام الجزائر كأبي راس الناصري[5]، وأحمد بن عمار.[6]

1: وهم الحفناوي فجعل وفاته " أوائل العشرة الثانية من القرن الثاني عشر"، وهو ممتنع لأن مجالس صالح باي التي قال عنها أن الراشدي كان يقوم بتفسير بعض السور فيها–وذكر أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– أنها بجامع سيدي الكتاني ومدرسته– لم يأمر صالح باي ببنائها إلا سنة 1190هـ. ولم يتطرق لسنة وفاته غير صاحب «شجرة النور الزكية» والزبيدي في «تاج العروس» وجعلاها سنة: 1194هـ، وهو ما يتناسب مع ما رجحته.

2: محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بالمنور التلمساني دفين مصر، العلاّمة الأديب المسند الرحالة، أخذ عن أبي عبد البر محمد بن محمد المرابط الدلائي ومحمد بن عبد الرحمن بن زكري، ذكر الورثيلاني أنه كان يقوم بالتفسير بالأزهر الشريف، حلاّه الزبيدي بالقول: شيخنا العلامة الشهيد، توفي سنة: 1172هـ بعد رجوعه من الحج. انظر:"فهرس الفهارس"ج:2، ص: 570، و"تاج العروس"ج: 14، ص:314.

3: ذكر ذلك أبو راس وحكى قصةً وقعت للراشدي مع شيخه المذكور. انظر: "فتح الإله ومنته" ص:54. لم أجد ترجمته.

4: المكودي، هو الشهاب أحمد بن الحسن بن محمد المعروف بالورشان الملقب بالمكودي منشأه بفاس وبها قرأ، وحج ونزل تونس، واعتمده أهلها وإليه مرجع أسانيدهم، وولي الفتيا بها ومات سنة 1169هـ، حلاّه تلميذه مفتي تونس الشيخ بيرم الثاني بقوله: حافظ المغرب في عصره الشيخ الإمام مفتي الأنام العلاّمة المحقق البحر. انظر:"فهرس الفهارس" ج:2، ص: 558.

5: ستأتي ترجمته.

6: أحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الجزائري، أبو العباس، من أعلام زمانه في العلوم النقلية والعقلية، له اشتغال بالحديث والتاريخ. من أهل مدينة الجزائر، حج في أوائل سنة 1166هـ وجاور بمكة إلى ما بعد 1172هـ. كان مفتيا سنة 1180هـ. من آثاره "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" وتعرف بالرحلة الحجازية، و"لواء النصر في علماء العصر" على نهج قلائد العقيان. توفي نحو سنة :1205هـ. انظر:"معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:97، و"تعريف الخلف"ج:2، ص: 88.

وقد أجاز دون ملاقاة[1] مرتضى الزبيدي[2] صاحب «تاج العروس» الإمام العَلم المشهور.

له تآليف ومصنفات ككتاب «مباحث الاجتهاد» و«حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية»، وتأليف صغير تعرض فيه لكثير من عائلات قسنطينة وقبائلها وبيان الشريف منهم والعربي والبربري، و«قصيدة» في مدح النبي عليه الصلاة والسلام، و«متسعات الميدان في إثبات وجه الوزن وآلات الميزان»[3].

أحد رجالات العلم القائم على العلوم تدريسا وتأليفا، خدم التفسير وقام عليه تدريسا لا تأليفا، اجتمع به الورثيلاني صاحب الرحلة عند دخوله لقسنطينة ووصفه بالقول:" المفسر، صاحب الأبحاث الشريفة والفوائد المنيفة سيدي عبد القادر الراشدي"[4]، كانت مجالسه التفسيرية تقام بجامع سيدي الكتاني ومدرسته[5] وصفها الحفناوي بالقول:" وله تعليقات جمة وفتاوى ومسائل ابتكارية جليلة، وتفسير عدة آيات وقعت بمجالس صالح باي"[6]، وكلاهما من آثار صالح باي.[7]

1: يقول الكتاني: "وعبد القادر الراشدي المذكور هو شيخ السيد مرتضى الزبيدي، أجازه مراسلة من قسمطينة، ترجمه في معجمه وحلاه بشيخنا الإمام المحدث الصوفي النظار". "فهرس الفهارس"ج:1، ص: 239.

2: محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، أصله من واسط في العراق ومولده بالهند ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، اشتهر فضله وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدي ويصله بشيء لم يكن حجه كاملا، توفي سنة:1205هـ بالطاعون في مصر. من كتبه:"تاج العروس في شرح القاموس". انظر:"الأعلام"ج:7، ص:70، و"معجم المؤلفين"ج:11، ص: 282.

3: منه نسخة نفسية ووحيدة بمكتبة خدابخش بالهند بمدينة بتنه، برقم حفظ:574/10. غير أن المفهرس جعل وفاته في القرن 11هـ.

4: نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج: 2، ص:798.

5: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 14.

6: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:221.

7: صالح باي أحد بايات بايلك الشرق .ولد بإزمير تركيا سنة 1725م عيَّنه باشا الجزائر العاصمة بايا على بايلك الشرق1771 م – 1792م. شهدت فترت حكمه عدة إنجازات وعرفت منطقة بايلك الشرق ازدهارا اقتصاديا واجتماعيا مما أدى إلى ازدياد نفوذه وولاء الشعب له. أدى كل هذا إلى غيرة باشا الجزائر العاصمة وخوفا على منصبه خطط لقتله وتم له ذلك سنة 1792. أدت هذه الحادثة إلى موجة حزن عبر كافة بايلك الشرق وكتعبير عن ألم الأمة ارتدت النسوة وشاحا أسودا يسمى بالملاية ما زالت تستعمل حتى اليوم. انظر ترجمته كاملة في: الجزائر خلال الحكم التركي، صالح عباد، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:1، ت: 2013م، ص: 277.

يقول أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–عن هذه الشخصية العلمية:"ورغم شهرة الراشدي في وقته فإن حياته ما تزال غامضة، وليس لدينا منها سوى نبذ متفرقة هنا وهناك، والذي يهمنا هنا ليس حياته وإنما مساهمته في تفسير القرآن الكريم، ذلك أن مترجميه قد تحدثوا عن أنه كان يعقد مجالس للفتوى والتفسير، غير أننا لا نعرف ما إذا كانت هذه المجالس للتدريس أو مجالس اجتماعية يحضرها الوالي والعلماء. والمعروف أن الراشدي كان قد تولى الإفتاء والتدريس بجامع سيدي الكتاني ومدرسته وكلاهما من آثار صالح باي، كما أن للراشدي بعض التآليف ولكننا لا نعرف ما إذا كان تفسيره قد جُمِع في كتاب، فلعله لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة وإنما كان يتناول بعض الآيات في المناسبات المعينة ويعرضها ويحللها".[1]

تولى الإمام الراشدي التدريس في الجامع الكتاني ومدرسته، وكان يصبغ تلك المجالس صبغة التخصيص للطلبة لا صبغة المجالس العامة التي يحضرها الوالي وغيره، ولم يشر كل من ترجم له أنه جمع تأليفا خاصا في التفسير إنما أشاروا إلى بثِّه لتفسير القرآن الكريم في تلك المجالس، وأنه كان قائما على التدريس لهذا الفن في حلقاته، وكلام الحفناوي موح بأنه لم يفسر كل القرآن بل بعض الآيات على حد قوله.

ويتصور أنه كان إلى حد ما متحررا في فتاويه وآرائه، ذلك أن سيرته تشير إلى أنه قد واجه بعض التحدي نتيجة آرائه، فقد قيل عنه أنه كان يقول بالتجسيم، ما يجعلنا نتصور أنه كان في تفسيره شيء من الخروج عن المألوف وعدم التقيد الرتيب بنصوص وآراء الأقدمين.

ولقصة اتهامه بالتجسيم دلائل على منهج وأسلوب تفسيره للقرآن الكريم، يورد الورثيلاني تلك القصة كاملة فيقول:"وهذه المسألة قوله تعالى﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: 75]، فقال هو في اليد: إنها حقيقة، ومع ذلك إنها ليست جارحة ولا جسما بل يستحيل ذلك، لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان، وقَدَحَ في التأويل لها بقدرة أو صفة زائدة يخلق الله بها الأشراف من الخلق، لأن التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد لله، ج:2، ص: 14.

إلى نوع من المجاز، فلم يكترث بالتأويل إذ البقاء مع الحقيقة هو الأصل، ولأن التأويل وإن كان صحيحا ففيه ابتغاء الفتنة، وإنما تنتفي على التسليم في صحة التأويل، وإن كان في علم الله كذلك لأن المصيب في العقائد واحد، فقد اتفق أهل النسة قاطبة على نفي الجارحة وما يؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم، فمن قائل: أن له يدا حقيقة والعلم بها موكل إلى الله تعالى فلا يستلزم هذا التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جل جلاله، فأنى له أو كيف ومتى يلزمه؟".[1]

ثم يبرر هاته التهم بأنها "تحامل عليه سببه الحسد والبغض والتنافس، وإنما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم، بل وقد نسبوا إليه كثرة الرشوة وغير ذلك مما لا يناسبه، بل سمعت من بعضهم أنه قال صرح بالتجسيم غير ما مرة".[2]

وهي دلائل على اهتمامه بظواهر النصوص وتفسيره لها بما حوته من ظاهر دون تأويل، وهو منهج تعتمده المدرسة الظاهرية –غالبا– في التعامل مع نصوص الوحي.

ومما حُفظ لنا من تراث الإمام الراشدي، والذي يمكننا من خلاله الاستدلال على أسلوبه ومنهجه التفسيري، مخطوط لقصيدته الشعرية حول التأويل[3] والتي قام أيضا بشرحها، وقد نشرها المؤرّخ سليمان الصيد[4] ضمن مجموعٍ يحوي رسائل أخرى للرّاشدي في كتابه «نفح الأزهار»، وهذا نص القصيدة والشرح:

خبرا عني المؤول أنـــــــــــي *** كافر بالذي قضته العقــول

ما قضته العقول ليس من الدين *** بل الدين ما حوته النـقــول

1: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج: 2، ص: 804-805.

2: المرجع نفسه، ج:2، ص: 805.

3: منها نسخة بدار الكتب القطرية، تصنيف تفسير، رقم حفظ: 363.

4: سليمان بن بلقاسم الصيد الطولقي القسنطيني ولد سنة:1929م، مدرّس مصلح كاتب مؤلف مؤرخ محام، ولد ببلدة طولقة ببسكرة، تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى جامع الزيتونة أين حصل على شهادة التحصيل سنة 1951م، واصل دراسته بالمغرب فنال شهادة الليسانس في القانون من جامعة الرباط سنة 1966م. من آثاره: تاريخ الجزائر القديم، الشخصية الجزائرية عبر التاريخ، وغيره. انظر: معجم أعلام بسكرة، عبد الحليم صيد، دار الهدى، الجزائر، دط، ت:2012م، ص: 143-144.

أتقولان إن ذا أكثر النـــــــا *** س عليه وإنه لعـــــــدول

شرعوا لهم من الدين مـــــا لم *** يأذن الله أو يقله رســـــول

فاحذراهم ومن تلاهم إذا قيـل *** اتبعوا منزل الكتاب يقـــول

بل هنا نتبع الآباء والأشيـــاخ *** كما قال كافر وضلـــــــول

ليس قولهم أئمة ديـــــــنٍ *** نافعًا كلهم بكفرٍ يصـــــول

قال ربي في أئمة كفـــــــرٍ *** قاتلوهم لينتهوا أو يزولـــــوا

بينوا ما به البيان بجهـــــــلٍ *** كذبوا كذبوه صدق فصـــول

أضلال أو انتفاء لحـــــــقٍ *** قال يهدي وشبهه يا جهــول

ونفى باطلاً وأثبت حقًـــــا *** ضمن نطقٍ خطاب كلٍ يهـول

ونفى أن يكون مع حكمـــه *** حكم كذاك معقب وفلـــول

بعد هذا أفيه أخذ بكفـــــرٍ *** بئسما نطقوا وبئس النـــــزول

الشرح:

أي: يا صاحبي [خبرا عني المؤول] للمتشابه بلا دليلٍ له، سوى أوهام عقله [أني كافر بالذي قضته العقول] أي: أوهامها، لأنها توهمت أن ما ورد من يدٍ وعينٍ وما بقي مثل ما للآدمي حصر لها بهذا الوهم في الجارحة، مع أن قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: 11] كفيل بمنعه، فكيف يصح الحصر فيها حتى يحتاج إلى التأويل، ويقدم فيه دليل العقل على النقل، فالحق البقاء مع الظاهر وتفويض علم حقيقته إلى الله تعالى، والعجب أنهم بعد تفريعهم التأويل المذكور على أوهام عقولهم، فرَّعوه أيضًا على علمي المعاني والبديع كالأصول، وهذا في غايةٍ من الصعوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: 78] وقوله: [أتقولان] هو استفهام بمعنى الإنكار، سواء أبقي القول على بابه أو جعل بمعنى الظن، والمعنى: أتقولان أيها الصاحبان ذلك والحال أنه عدول عن طريق الحق الآتي به الكتاب والسنة،

وهو شأن المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: 1]، لذا بيَّنه الناظم بقوله: [شرعوا لهم من الدين] إلخ، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: 21]، وإنما كان ذلك لإيجابهم الإيمان بما قضت به العقول، ومنعهم الأخذ بما دلت عليه النقول، وقوله: [فاحذراهم] أي: أيها الصاحبان، هو إشارة إلى ما رواه البخاري وغيره من حديث عائشة –رضي الله عنها–:{إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم}.[1] وقوله:[ومن تلاهم] أي: تبعهم، أي: احذر من تلاهم، ووجه الحذر منهم هو قوله: [إذا قيل اتبعوا منزل الكتاب]... إلخ، وقوله: [كما قال كافر وضلول] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة: 170]، من ثم أعرضوا عنه كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: 61] ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور: 48]، وقد أخذ معنى ما في الأول، وقوله: [كلهم بكفرٍ يصول]، أي: على الدين، لتقريره غير الحق فيه وتعديه عليه، حيث عقد عهد النطق بكلمة الإخلاص والتزم ما تحتها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ودعائم الإسلام كلها، وهي أيمان بالغة، ثم أعرض بعد ذلك عن الأخذ بالكتاب والسنة، وآمن بما قضى به عقله، وهو نكث للأيمان المذكورة وطعن في الدين وإبطال لليقين، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: 12]، وهذا ما أشار إليه بقوله: [قال ربي]... إلخ، وقوله: [ترى الله أكمل الدين]...

1: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، حديث:4924. وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم ذكر الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن للمرء المسلم، حديث:73.

إلخ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: 3] أي: أترى الله أكمل الدين تصديقًا للآية، أم قد أكمله أشياعك بتبيين ما يؤول إليه عندهم، فإن قلت بالأول بطل التأويل، وبالثاني لزمك تكذيب الآية وهو ظاهر.

وقوله: [بينوا ما به البيان بجهلٍ]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89] ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، وهؤلاء أحوجوه بزعمهم إلى البيان، علمهم به هو نفس الجهل، وجعلوه مفرطًا كذبًا منهم على الله تعالى، وتكذيبًا لقوله فيهما، كما أشار إليه بقوله: [كذبوا كذبوه]، وأن هذا أعظم ظلمٍ عنده، على ما قال سبحانه: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [الزمر: 32] ، وقوله: [فصول] مبالغة في الفصل بين الحق والباطل، ثم استفهم ما موجب تكذيبهم له وأخذهم بالتأويل بقوله: [أضلال أو انتفاء لحقٍ]... إلخ، وقابل بينهما وإن كان أحدهما يستغني به عن الآخر، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: 32]، إظهارًا للتطبيق بين الدال والمدلول، فإن زعموا الأول رد بقوله تعالى: ﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9]، ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [الجن: 2]، ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 30]، ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2]، ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: 185]، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ [النحل: 89] وهو معنى قوله: [قال يهدي وشبهه]، وإن زعموا الثاني رد بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ [فصلت: 42]، وبقوله سبحانه: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون: 62]، و ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: 39]، هذا معنى قوله: [ونفى باطلاً وأثبت حقًا]... إلخ.

وقوله: [خطاب كلٍ يهول] أي: خطاب كلٍ من الأدلة السابقة هائل تجل منه القلوب، وتخضع لعلام الغيوب، ولم يفد هؤلاء لقساوة قلوبهم وغلبة الشك عليهم، وقوله: [ونفى أن يكون مع حكمه حكم]،

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: 57] وإلى قوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: 10]، وإلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:3]، وفحوى الآيتين أنه لا حكم لغيرهما، بل هو من حكم الطاغوت، كما أفاده بعد الثانية قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴾ [النساء:60]، وإشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة:49]، وقد أمره بعد بنبذه عقولهم فيما يعارضون به بعض ما أنزل الله، حيث قال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة:49]، وهو نص في أنه لا تحكم للعقل على النقل، لأنه فتنة في الدين وتشكيك في اليقين، فلا يسمع حتى يبني عليه إيراد الرد، ويفرع عليه أن الإيمان والمعرفة دون تصديق النبي ﷺ، والعجب أنها عقلية لما يجب عقلاً، فكيف وكَّلها الله إليهم وأوجبها عليهم، ولكونها عندهم عقلية امتنع التقليد ووجب النظر، وعنهما تؤول المتشابه، وقسمت العقائد إلى أربعةٍ: ما يستدل عليه بالعقل والنقل، والعقل فيه أقوى، وهو الوحدانية، وما يستدل عليه أيضًا بهما، والنقل فيه أقوى، وهو السمع والبصر والكلام، وما لا يستدل عليه إلا بالعقل، وهو القدرة والإرادة والعلم والحياة وما لازمها، وما لا يستدل عليه إلا بالنقل، وهو ما يرجع إلى وقوع جائزٍ من أحوال الآخرة، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء:9]، وإذا قيل بأن العقل يهدي دونه أو أهدى منه، كان هذا لا محالة كفر لذا قال سبحانه: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:50]، فكيف يقدم عليه، وكذا قال سبحانه: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الأعراف:3]، وقوله: [كذلك معقب]، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ ﴾ [الرعد:41]، وإلى قوله عز وجل: ﴿

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50]، لأنه استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا أحسن من الله حكمًا، فيفيد أنه لا يتعقب بوجهٍ، وقوله:[وفلول] مبالغة في الفل وهو الثلم في الدين والطعن فيه.

وقوله:[بعد هذا] أي: بعد هذا الاستدلال المذكور، سيما ما أثبت الهداية والحق ونفى الباطل، أفيه أخذ بكفرٍ،كما زعموا الحصر بفهم الظواهر في الجارحة،[بئسما نطقوا] به من الكفر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ،[وبئس النزول] من درجة الإيمان إلى درك الكفر، وقد قال تعالى:﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج:31]. انتهى ما بُيِّن به النَّظم.[1]

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن عصر الراشدي كان مشحونا بالصراعات العقائدية والمذهبية، التي أرخت بظلالها على منهج التفسير وكيفية التعاطي مع آيات الذكر الحكيم، ويظهر أنه كان يتعامل مع الآيات القرآنية بأسلوب التحليل فقد أورد مثلا قوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ محللا بها انتفاء كون اليد المرادة هي جارحة اليد عند الإنسان ونافيا بها تقدم دليل العقل على النقل، وقد أكثر من هذا الأسلوب في هذا النص.

وعلى الرغم من كون النص شرحا لقصيدة فإنه اعتمد على تحليلها وشرحها بآيات قرآنية كثيرة جدا، دليلا على اصطباغه بفن التفسير، كشرحه لقوله: [كافر وضلول] بقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ ، وبقوله تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

1: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، سليمان بن بلقاسم الصيد، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر، ط:1، ت: 1994م، ص: 48-52.

لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ في بيان معاني الضلال والكفر وأسبابهما. وكذا شرحه لقوله في النظم:[ترى الله أكمل الدين] بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾

وغالب تفسيره في هذه الآيات التي اعتمدها في هذا النص كان بالمأثور واستخدامه لطريق تفسير القرآن بالقرآن،كصنيعه في بيان مفهوم الهداية وأنها مشتملة على معان كثيرة جاء على ذكرها من القرآن، في قوله تعالى:﴿ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾، حيث قال: ﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ ﴾،﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾،﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ ،﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾،﴿ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ﴾ ثم قال: وهو معنى قوله:[قال يهدي وشبْهُه].

وتفسيره القرآن بالسنة النبوية، عند حديثه عن النهي من اتباع الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، مفسرا قوله تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾

بما رواه البخاري من حديث عائشة –رضي الله عنها–:{إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم}.

كما يظهر استنباطه لبعض الأحكام والأصول والقواعد من القرآن الكريم، كاستنباطه لقاعدة:" لا تحكم للعقل على النقل، لأنه فتنة في الدين وتشكيك في اليقين" من الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾.

ومن جملة علوم القرآن التي اعتمدها، الاقتباس، فقد أشار إلى أنه اقتبس قوله في النظم [شرعوا لهم من الدين] من قوله تعالى:﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾. ثم بيَّن ذلك بالقول: وهذا اقتباس.

ولم نجد في هذا النص أي إشارة إلى علم القراءات أو الناسخ والمنسوخ أو الإسرائيليات أو بقية فنون علوم القرآن، أو حتى علم اللغة والنحو والبلاغة وغيرها من العلوم المساعدة في التفسير، ولا يمكن الجزم باعتماده عليها من عدمه في أسلوبه ومنهجه التفسيري، لأن النص الذي اعتمدناه كان يتعامل معه الراشدي على أنه نص في تقرير مسائل الاعتقاد لا مسائل التفسير.

وتظهر نزعة الراشدي السلفية بإنكاره للتأويل على مذهب المدرسة السلفية، وخوضه للصراعات العقائدية مع المدرسة الأشعرية التي كانت منتشرة تلك الحقبة، واتهامه بالتجسيم، وهي دلائل تجعلنا نتصور أنه كان في تفسيره للقرآن الكريم ثائرا على التفسير الصوفي الدروشي الذي ضرب بأطنابه في تلك المرحلة، وأنه كان في تفسيره شيء من الخروج عن المألوف وعدم التقيد الرتيب بنصوص وآراء الأقدمين، على ما ذكره أبو القاسم سعد الله[1] -رحمه الله-.

عاشرا: ابن لَلُّو التلمساني (ت: أواخر ق 12هـ)[2]:

لم يرد له ذكر في كتب التراجم والببليوغرافيا، إلا ما وجدته من ترجمة موجزة في «ذخيرة الأواخر والأول»[3] لأبي حامد المشرفي[4]، الذي ذكر أن والده أخبره أن من مفسري القرآن الكريم بالجامع الأعظم بتلمسان الشيخ ابن لَلُّو التلمساني، وأنه ختم القرآن الكريم كله تدريسا بالجامع.

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 115.

2: لم أقف له على ترجمة.

3: مخطوط «ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط برقم2659. ونسخة ثانية مصورة ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية بالجزائر.

4: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، أبو حامد: مؤرخ، أديب، نسابة، من أهل قرية "الكرط" من ضواحي معسكر. تعلم بوهران، وهاجر إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، فأخذ عن جماعة من كبار العلماء. من آثاره: " اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة". و"نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار" وغيرها كثير، توفي سنة: 1313هـ. انظر" معجم أعلام الجزائر"ج:1، ص:303-304.

يقول أبو القاسم سعد الله:" ونحن لا نستغرب أن يعمد ابن للو إلى تفسير القرآن الكريم ويتصدى لذلك حتى يختمه بالجامع الأعظم، فقد عُرف عنه أيضا أنه كان من الأدباء الحاذقين، حتى أن أبا حامد المشرفي جعله خاتمة أدباء تلمسان المتأخرين"[1].

ويعتبر ابن لَلُّو أحد شيوخ القرن الثاني عشر في التفسير، وقد استمر في التدريس إلى أن توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وقد **تتلمذ** عليه محمد الزجاي[2] رئيس مدرسة تلمسان الرسمية الذي توفي بعد النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وهو بهذا الصنيع من خدمة التفسير تدريسا لا تأليفا.

كما أن طلبة الشيخ والذين تتلمذوا عليه لم يحفظوا لنا نصوصا من تفسيره للآيات القرآنية، يمكننا من خلالها استقراء منهجيته وأسلوبه في التفسير، غير أن أبا القاسم سعد الله يشير إلى منهجه التفسيري بالقول:" ولعل منهج ابن للو في تفسير القرآن كان يعتمد على المعاني الظاهرية، كما كان يعتمد طريقة القدماء في الاستدلال والاستنتاج".[3]

ولنا أن نتساءل: كيف استنبط هذا الحكم، وتنبأ -ولو بالتخمين- على أسلوبه الإجمالي في التعاطي مع الآي القرآنية الكريمة ؟

يظهر أن أبا القاسم -رحمه الله-ربط بين موقف الشيخ ابن لَلُّو من الحُكم العثماني بالجزائر، وموقفه الصارم من القائد التركي حفيظ، أحد باشوات تلك المرحلة، الذي شدَّه الشيخ من لحيته حتى نتفها له، ورد له الهدايا التي جلبها، ولم يكن مهادنا مسالما خانعا كبقية العلماء الذين مورس عليهم "الإرهاب

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 2، ص: 13-14.

2: ستأتي ترجمته في أعلام التفسير في القرن الثالث عشر الهجري.

3: المرجع نفسه، ج:2، ص: 14.

والتخويف"[1]، وبين طريقته الظاهرية في تفسير الآيات القرآنية واعتماده المعاني الظاهرة، أخذا بظواهر الآيات والأحاديث التي تحرم إتيان أبواب السلاطين والتحذير من الدخول عليهم أو مخالطتهم.

ذلك أنني لم أجد ما يشير إلى هذا الكلام في مخطوط «ذخيرة الأواخر والأول» أو من صاحبه أبي حامد المشرفي، لأنه لم يقم بتقييم تفسير ابن لَلُّو بالمرة بل أشار له فقط، وذكر رحلته لواد غريس ومعسكر وبعض أحداثها، وحلاَّه بالقول:"خاتمة أدباء تلمسان المتأخرين".[2]

الحادي عشر: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي، البهلول (ت: ق12هـ)[3]: [4]

لم أقف له على ترجمة، وكان رجلا مبهما في كتب التراجم والأعلام، ذكره أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– كأحد الشيوخ الذين فسروا القرآن الكريم كاملا إذ يقول:" كما أن الشيخ عمر بن محمد المحجوب المعروف بالبهلول الزواوي قد كتب تفسيرا للقرآن، يبدو أنه انتهى منه حتى أصبح يعرف بتفسير البهلول، وقد قيل عن البهلول وتفسيره هذه العبارة: وكان رجلا عاميا كتب في التفسير بما عنَّ له من عبارات وكلام، بعضه لا صلة له بالتفسير وإنما هو جمعٌ لأقاويل فقهية وحديثية ".[5]

قلت: قوله:" قيل عن البهلول وتفسيره هذه العبارة"، هي عبارة تيمور باشا الذي كان يملك نسخة من هذا التفسير والتي قام بتقييمها وتحليلها ووصفها، ونعتُه بالعاميِّ قد يكون سببا بأن لا يُجعل له مكانة

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 418.

2: مخطوط «ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول» أبو حامد المشرفي، لوحة رقم: 12.

3: لم أقف على تاريخ وفاته، إلا أن أبا القاسم سعد الله –رحمه الله– جعله من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ولم يجزم بذلك، إذ يقول:"ولم نعرف إلى الآن عصر البهلول ولعله من أهل القرن الثاني عشر". انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، ص: 20

4: لم أقف على ترجمة له، ووقفت على مخطوط لمجهول بالمكتبة القطرية معنون بـ:شرح منظومة عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي برقم حفظ: التسلسل 03.

5: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص:20.

في وسط الأعلام المترجم لهم، لذا لم أجد من ترجم له في كتب الأعلام والتراجم في القرن الثاني عشر ولا الثالث عشر الهجري.

ثم فسر الدكتور كلمة العامي بالقول:"والظاهر أن كلمة عاميا إنما تعني أنه قد أملى تفسيره على تلاميذه بشيء من البساطة في العبارة، أو أنه كان غير عميق في معانيه، فظهر لمن اطلع عليه أن صاحبه عامي الثقافة".[1]

قال الباحث: ليس بالضرورة أنه أملاه، ومع بساطة المعلومات التي كانت في هذا التفسير فقد جمع معها الأخطاء الإملائية والنحوية، فالنسخة الثانية من هذا التفسير والتي هي بدار الكتب الظاهرية بدمشق، علَّق عليها مفهرسها بالقول:"كُتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء نحوية وإملائية".[2]

وفي موضع آخر قال فيه: كتبت النسخة بلغة عامية، فيها أخطاء كثيرة، نحوية وإملائية"، وهي نسخة كتبها المؤلف بيده كما أشار المفهرس.

ولفقد المخطوط وعدم إمكانية الحصول عليه، فإنه يظهر من هاته الفهرسة التي أورد المفهرس بعض كلام المحجوب فيها، أنه كتب تفسيره هذا وهو بدمشق مهاجرا إليها، فقد كان يختم آخر أجزاء مخطوطته[3]

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 20.

2: فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، ت: 1983م، ج:3، ص: 159.

3: منها ثلاثة أجزاء وحيدة بدار الكتب الظاهرية، جاء ترقيمها ووصفها كالتالي:

1: أول يس إلى الآية 60 من سورة الزمر، جاءت في 49 لوحة، نسخة ممزقة من القرن الثالث عشر الهجري خرمت من آخرها مقدارا كبيرا ولا ندري مقدار الخرم، كتبت بخط مغربي معتاد، فيه أخطاء إملائية ونحويّة، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم ورءوس الفقر مكتوبة بالأحمر، كتب التفسير في الأوراق الأولى على وجه واحد وترك الوجه الثاني فارغا. المخطوط مصاب بالرطوبة وغلافه ممزق.(ق 49/ م 31* 5، 22/ س 18) نسخة رقم: 5317.

2: من الأعراف إلى أواخر الكهف، جاءت في 332 لوحة، نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربيّ معتاد وهو خط المؤلف. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية فيها أخطاء نحوية وإملائية، وقد أصابتها الرطوبة وبدأت أوراقها تتكسر نتيجة جفافها، الغلاف ممزق.(ق 332/ م 24* 18/ س 13). نسخة رقم: 7122.

بالقول: "كمل بحمد الله وحسن عونه ربع الثاني من تفسير القرآن العظيم على يد شارحه ومفسره عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي البهلول المغربي الجزائري، المهاجر إلى دمشق الشام الشريف".[1]

كما يظهر أن تفسيره هذا لم يكن يحمل عنوانا محددا ولا اسما معينا، بل كان يُطلق عليه تفسير البهلول، ولم يشر صاحبه إلى تسمية معينة في آخر ورقة الكولوفون والتي جاء فيها:"كَمُل بحمد الله وحسن عونه ربع الثاني من تفسير القرآن العظيم، على يد شارحه ومفسره"، ثم ذكر اسمه كاملا، مغفلا اسم أو عنوان تفسيره هذا.

وقد أورد المفهرس نماذج من تفسيره، كما في قوله تعالى:﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس:1-6] إذ يقول:"واتقوا الله واعلموا أن الله قد أنعم على نبيه بسورة يس، وهو اسم من أسمائه تعالى وأقسم به لعبده، يعني: وحقّ يس وكتابه القرآن الذي أنزلته على قلبك من لدن الحكيم العليم، إنك يا محمد لمن المرسلين".[2] وقال في أولها معرفا بالسورة: سورة يس مباركة بنور الله العظيم.

ثم قال في آخرها: ثمّ بيَّن الله مقام الكافرين بقوله تعالى ﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى ﴾ للكاذبين المشركين المكذبين الظالمين بكل حال، وأمّا الذين جاءوا بقول الحق الصادق من عند الله وعملوا بما فيه من أمر

3: أولها سورة مريم، مختومة بالآية 45 من سورة فاطر، جاءت في 284 لوحة، نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط مغربي معتاد وهو خط المؤلف، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر. كتبت النسخة بلغة عامية، فيها أخطاء كثيرة نحوية وإملائية. أصيبت الأوراق بالرطوبة ثم الجفاف وقد تمزقت أطرافها. (ق 284/ م 24* 18/ س 13). نسخة رقم: 5324.

1: فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، ج:3، ص: 159.

2: المرجع نفسه، ج:3، ص: 157.

ونهي، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الذين قالوا ربنا الله الذي لا إله إلا هو، ولا يفيد إلا إياه ولو كره المشركون. ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

كما أورد بعض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:1-2] إذ يقول مستفتحا سورة الأعراف: اعلم أن الله أراد أن يرسل رسولا، ونوّر قلب محمد ﷺ وبصَّره إلى مكنون علمه سبحانه وتعالى، و﴿ الٓمٓصٓ ﴾هذا ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾بالحق ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ ﴾وقلبك منه ﴿ حَرَجٌ ﴾ وأنزلته إليك لتنذر به أمّتك بالحق ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ وأنا دائما معك. وقال في التعريف بالسورة: سورة الأعراف مكيّة مباركة بنور الله.

وقال في قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: 110]:" ثم أخبر الله نبيه بنتيجة الكلام بعدما حدَّث الناس وجادلوا بالكلام، ثم قال الله ورسوله ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ولكن ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾من عند الله ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾وهو رب العالمين، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ ﴾ ويطمع رضا ورحمةً من ﴿ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾. وقال في أول كلامه عن السورة: سورة مريم عليها السلام، مكية حفظها الله دائما[1]، وجاء في آخر النسخة تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ

1: فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، ج:3، ص: 159.

﴿أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: 45] إذ يقول:"والحال، إن الله كان دائما متصفا بالعلم والحلم على عباده".[1]

وبملاحظة هاته النماذج والمواضع من تفسير البهلول للقرآن الكريم، نلحظ غيابا كليا لعلوم القرآن من استخدام القراءات والناسخ والمنسوخ والإسرائيليات وغيرها من العلوم المساعدة على تفسير القرآن الكريم، ولم نجده إلا في موضعٍ أول سورة مريم يبيّن أنها مكية النزول، دون أن يذكر الخلاف فيها وفي بعض آياتها من أنها كانت مدنية النزول.

ولا يمكن الحكم على نوعية تفسيره هذا، إلا بالقول أنه كان يفسر القرآن الكريم تفسيرا مُبسَّطا "عاميا"، لا مسحة للعِلمية فيه، ودون خوض في المسائل التفسيرية والمسالك القرآنية التيُ تظهر هذا التفسير وتبرزه بين بقية التفاسير الأخرى.

إلا أن يقال أنه كان قاصدا هذا النوع من التفسير العامي للقرآن الكريم، وأنه كان يقصد به طبقة العوام بالخصوص، الذين يستصعبون المسائل التفسيرية والخوض فيها، وينشدون المعنى العام للآية بطريقة عاميَّة سهلة، وهو واضح في تفسيره مثلا لقوله تعالى: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ بـ:"يعني: وحقّ يس وكتابه القرآن الذي أنزلته على قلبك من لدن الحكيم العليم، إنك يا محمد لمن المرسلين". وهو تفسير مبسط موجه للعوام، وقد يُردُّ هذا القول بالأخطاء الإملائية والنحوية التي كانت في نسخة المؤلف المكتوبة بيده، والتي تظهر عدم أهليته للخوض في هذا الفن العظيم.

وللأوضاع المأساوية التي تعيشها بلاد سوريا، لم أتمكن من الحصول على نسخة من هذا المخطوط، بالرغم من المحاولات المتكررة، ولعل قادم الأيام يُفرج عن بلاد سوريا، فيُفرج بها عن مخطوط في التفسير لأحد أعلام الجزائر.

1: فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، ج:3، ص: 160.

وفي نهاية هذا المبحث يمكن إبراز أهم ملامح هذا الفترة بالقول:

- بالضوابط والشرائط التي وضعها الباحث في مسمى المفسِّر، ارتفع عدد المفسرين الجزائريين إلى أحد عشر مفسرا، بين مفسرٍ بالتأليف أو بالتدريس أو جمعا بينهما.
- يظهر تنامي التفسير بالتأليف على حساب التدريس، حيث ظهر في هذا القرن أكثر من سبعة تصانيف في التفسير.
- تنوع التأليف في التفسير زمن القرن الثاني عشر، حيث ظهر التفسير الآيي، خاصة عند البوني، وظهور التأليف في سند التفاسير التي درسها المفسر كصنيع البوني أيضا في مصنفه: «التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير».
- ظهور العامل السياسي "العثماني" كأحد أهم عوامل بروز أو خفاء مصنفات التفسير، كصنيع حسين العنابي ومصنفه في التفسير الذي كاد أن يخلو التاريخ من ذكره لولا حفيده ابن العنابي الذي أورده في كتابه «السعي المحمود».
- ظهور بصمة تدريس التفسير لعلماء جزائريين في حواضر علمية كبيرة كالمنجري بفاس، والبليدي بالأزهر الشريف والذي كان يحضر درسه أكثر من 200 مُدرِّس وطالب.
- ظهور تفسير للإباضية، متمثلا في «حاشية على الجلالين» للإمام المصعبي، وهو ما لم نجده في التراث المالكي الذي كانت غالب تحشياته على «أنوار التنزيل» و«الكشاف» و«الوجيز» وغيرها من كتب التفاسير المشتهرة آنذاك.
- ظهور الصراع العقائدي الفرقي في التفسير تدريسا أو تأليفا بين الأشاعرة ومدرسة الظاهرية السلفية والإباضية.
- تناثرت جهود علماء التفسير في هذا القرن بين الحواضر العلمية في الجزائر غالبا، بتلمسان وتوات وقسنطينة وبونة.

- اشتهار بعض علماء التفسير في هذا القرن بالإكثار من التأليف في هذا الفن، كصنيع أحمد قاسم البوني الذي أحصيت له أكثر من عشرة تصانيف في التفسير وعلومه، ولعل أبرز ما يُنتبه له في تصانيفه هذه أنه لم يُقدم على تفسير القرآن الكريم كاملا، أو حتى على وضع حاشية على أحد التفاسير المشتهرة.
- ظهور التأليف بالعامية كصنيع المحجوب في تفسيره، وهي دلائل على تطور هذا الفن وتنامي الاهتمام به ومحاولة بثه بين العامة من الناس.

المبحث الثاني: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الثالث عشر (1200هـ-1246هـ):

بالرغم من قصر زمانية الدراسة في هذا المبحث الذي تراوح البحث فيه عن التراث التفسيري لعلماء الجزائر نصف القرن، إلا أن تنامي الاهتمام بالتفسير وعلومه في الحواضر العلمية الجزائرية وبمختلف أماكنها شرقا وغربا، كان في تزايد مطرد، إن على مستوى التأليف والتدريس، أو على مستوى طرق التفسير وأنواعه من الآيي فالسوري فالكلي.

ولم يكن العامل السياسي في هذه المرحلة بعد بداية أفول القوة العثمانية وكثرة الثورات على الحكم العثماني بعامل سلبي في هذا التنامي والاهتمام بالتفسير لدى علماء الجزائر، ولم يكن بضده عاملا إيجابيا في ذلك، إنما عدم مساس تلك الاضطرابات على العلوم بصفة عامة وعلى علم التفسير خاصة كان هو الصفة التي امتازت بها هاته المرحلة، مع شهود مواقف متباينة بين تأييد للعثمانيين في آخر رمق لهم لدى علماء التفسير الجزائريين ممثلا في شخص أبي راس الناصري مثلا، وتأييد للثورات ضد العثمانيين ممثلا في شخص المفسر محمد الزجاي.

وقد انحصر التراث التفسيري لعلماء الجزائر زمن هاته المرحلة في:

الأول: عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد (ت: أوائل ق 13هـ):

أحد رجالات التفسير المغمورين ببلاد مستغانم، لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والببليوغرافيا ولا في كتب السير والتاريخ، ولم يذكره[1] غير صاحب «معجم المفسرين» إذ يقول:" عثمان بن سعيد المالقي

1: اعتمد في ترجمته على بحث منشور في مجلة: الجمعية الجغرافية بوهران عدد يونيو 1929. ولم أستطع الحصول عليه.

المستغانمي، أبو سعيد: مفسر، نحوي، من فقهاء المالكية، ولد بمستغانم وبها نشأ وتعلم. من آثاره: تفسير القرآن الكريم، كبير وصغير".[1]

وهو بهذا الوصف أحد أعلام الجزائر الذين صنَّفوا في التفسير بمؤلفين، **الأول**: التفسير الكبير، **والثاني**: التفسير الصغير، ويحتمل كون الثاني تلخيصا للأول، أو أن الثاني كان للمبتدئين، على عادة بعض الشيوخ في اختصار بعض كتبهم للطلبة المبتدئين.

ولا يُعلم مزاولة الشيخ لتدريس التفسير بمساجد ومدارس مستغانم، وما نظام حلقاته التفسيرية، وإذا ما كان في حلقاته يفسر متن هذا التفسير "المفقود" أو معتمدا على تفسير آخر لشرحه للطلبة، كل ذلك مما لا يمكن الإجابة عليه، لندرة المصادر التاريخية التي تعرضت لهذه الشخصية، وفقد كلا المصنفين.

الثاني: محمد بن أحمد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي، أبو عبد الله (ت:1212هـ):

محمد بن أحمد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي، من آل سدي علي بن حنيني الأنصاري نسبا التواتي منشأ وادارا، ولد بزاجلو ولا يعلم تاريخه، وأخذ العلم بها ثم انتقل إلى تنلان، أين أخذ عن **شيوخها** كعبد الرحمن بن عمر التنلاني[2]، ووالده أحمد بن أحميد الأنصاري[3] الذي قرأ عليه القرآن والفقه وجل العلوم، و**تتلمذ**

1: معجم المفسرين، عادل نويهض، ج: 2، ص: 786.

2: مرت ترجمته، وهو صاحب «مختصر الدُّر المصون للسَّمين في إعراب الكتاب المبين».

3: لم أجده.

عليه خلق كثير كابنه الحسن بن محمد بن أحميد الزجلاوي[1]، وأخوه عبد الرحمن بن أحميد العالم الزجلاوي[2]، وعبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني[3] وعبد الرحمن بن إدريس الأموي[4] وغيرهم.

كان من الأربعة الذين اعتمدهم القاضي عبد الحق بن عبد الكريم[5] في مجلس شوراه، له من التصانيف: «ألفية الغريب» و«الوجيز شرح لمختصر خليل»[6]، و«شرح على التلمسانية في الفرائض»، و«كتاب النوازل»، و«شرح الأخضري» و«شرح المرشد المعين» وغيرها كثير.[7]

أحد أعلام الديار الصحراوية ببلاد توات، لُقِّب بمفتي الأنام[8]، قائم على التفسير تدريسا وتأليفا، حتى قيل عنه أنه:"مدرسة يحجّ إليها ويقصدها كل من يطلب العلم".[9]

له في التفسير ألفية، تعرف بـ «ألفية التفسير»[10]، ولم أجد من قام بالتعليق عليها، ويظهر أنها منظومة في مسائل التفسير وعلومه وفنونه، وأنه أسهب في بيان هذا العلم وفروعه كأسباب النزول والقراءات والناسخ

1: الحسن بن محمد بن أحميد الزجلاوي، ولد قبل 1212هـ، كان إماما حافظا متقنا، تتلمذ على والده الزجلاوي، انتهى إليه علو الإسناد بالديار التواتية، وكان يتحرز في الفتوى، لا يعلم تاريخ وفاته. انظر:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 425.

2: مرت ترجمته.

3 : مرت ترجمته.

4: عبد الرحمن بن إدريس بن عمر الأموي التنلاني، ولد سنة 1181هـ بتنلان، كان من غرائب الدهر في الحفظ، أخذ عن عبد القادر بن شقرون بفاس، و محمد أحميد الزجلاوي وغيرهم، سافر لفاس وأخذ عن أعلامها، من تصانيفه مرثية رثا بها الشيخ ابن عمر التنلاني، و"الرحلة" التي ذكر فيها حوادث دخول الإنجليز للجزائر وغيرها، توفي سنة:1233هـ، بمدينة سوى بالسودان حاليا. انظر:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 374.

5: مرت ترجمته عند عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني، أبو زيد (ت:1189هـ).

6: منها نسخة مخطوطة بمكتبة الشيخ باي بلعالم بأولف.

7: انظر بقيتها في عنوان: مؤلفاته، في:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 421.

8: مخطوط، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، محمد باي بلعالم، ج:2، ص: 184، منه نسخة بمدرسته بأولف، وهو أحد كتب الشيخ التي تقوم إحدى دور النشر على طبعه الآن.

9: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، ص: 423.

10: المرجع نفسه، ص: 422.

والمنسوخ وطرق التفسير والتفسير بالرأي والمأثور وغيرها من المسائل التي لا أشك في إيراده لها في هذا النظم الذي حوى ألف بيت، وله «ألفية في غريب القرآن»[1] قال الشيخ محمد باي بلعالم[2] في وصفها: تشتمل على ألف بيتٍ، وقد مدح ألفيته هذه صديقه العلامة سيدي عبد الكريم بن بابا حيدا التمنطيطي[3] فقال فيها في سنة 1183هـ:

إذا رُمتَ ذوقا كالعسل حـــلاوةً *** عليك بنظمٍ كالجواهر رُصَّعَـــــا

وهذا على التَّقريب والحـــقُّ أنه *** من الشَّهد والياقوت قد بَان أنفعا

وكيف وقد أبدَاه فكرُ ابن عالمٍ *** بالشَّرح فبيَّن لُبَّه بالشَّرح تبرُّعـــــا

وقد استمال اللُّبَّ إلى صنيعــه *** بألفية الغريب لا زِلتُ مُولعـــــــا

فللَّـــه درُّه وعليــه أجـــــرُه *** وبالله أَرقيه لعافيةٍ أودعـــــــــا [4]

وقد تتبع الإمام الزجلاوي غريب ألفاظ القرآن الكريم في هذا النظم، فجعل لكل سورة أبياتا يذكر فيها ألفاظ الغريب ومفرداته فيها، وكان أحيانا يمزج بين السورة والسورتين والثلاث في أبيات واحدة، كما فعل في مفردات الحواميم وسورة القتال والفتح وغيرها.

1: منه نسخة بخزانة الشيخ محمد بن الكبير بأدرار.

2: الشيخ الجليل، ولد سنة: 1930م، في قرية ساهل من بلدية أقبلي دائرة أولف ولاية أدرار، كان والده السيد الحاج محمد عبد القادر من كبار علماء تلك الجهات، أخذ على والده المبادئ النحوية والفقهية، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ أحمد السباعي وتعلم بها، له إجازات عدة داخل الوطن وخارجه، أسس مدرسة مصعب بن عمير لتدريس العلوم الشرعية، له العديد من المؤلفات والشروح والحواشي في كل الفنون تقريبا، توفي سنة:1430. انظر: مقال الأستاذ: يوسف بن حفيظ، رجال صدقوا، بجريدة البصائر، عدد شهر سبتمبر 2006م. وله ترجمة في كتابه «إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فُلَّان في جنوب الجزائر»، ص: 72.

3: عبد الكريم بن أحمد الملقب ببابا حيدة، كان عالما صالحا، له اعتناء بالمذاكرة والحرص على أمور الخير والموعظة البليغة، مع التخلي والانقطاع عن الناس، تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن بن عمر، من آثاره: حاشية على ألفية الغريب، لمحمد بن العالم الزجلاوي. انظر: "موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 650-651. ومخطوط "الرحلة العلية"ج:2، ص: 187.

4: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، محمد باي بلعالم، ج:2، ص: 151.

ويقوم بتفسير وشرح المفردة غالبا بكلمات موجَزة وبشرحٍ لغوي أدبي، مع إيراده أحيانا لأوجه الخلاف فيها –إن وجد– بقوله: وقيل، كما في سورة الواقعة إذ يقول في ألفاظ الغريب التي أحصاها فكانت ثلاث عشرة مفردة هي: مَوضُونة، رَجًا، البَسُّ، مخضُود، ثُلَّة، صُدَاع، الطَّلح، مَسكُوب، العُرْبُ، اليَحمُوم، الهِيْم، الحِنْثُ، مُقْو:

مَوضونَةِ منسوجةٍ بالذَّهـــــب *** والدُّرُّ والياقوت في التَّرَكُّـــــبِ

وقيل بل مصفوفةٌ في الرُّتَـــبِ *** رجًّا تحركًا لوَقعِ الغَضَـــــــب

والبَسُّ فَتٌّ بوقوعِ الزَّلزلـــــةِ *** مخضودٍ أي لا شَوكَ فيما حَمَـله

وثُلَّةٌ جَماعَة الأشيـــــــــاء *** وَوَجَعُ الرَّأس صُداعٌ جَـــــائِي

والطَّلحُ مَوزٌ دائمُ الأثمـــــار *** ووصفُ مَسكُوبٍ بمعنى الجـَار

والعاشقاتُ العُرْبُ في التَّبعُّـل *** المتحبّباتُ في التَّشَكُّـــــــــل

ثمَّ الدُّخانُ الأسودُ اليَحْمُـوم *** والإبلُ العِطَاشُ ذَاكَ الهِيْـــــمُ

والحِنثُ هَاهُنا ذُنُوبُ الكُفر *** مُقْوٍ من القوى بمعنى القِفْـــــرِ

وقد يجعل الإمام الزجلاوي صدر البيت لشرح مفردة غريبة في سورة، وشطره لمفردة أخرى من سورة أخرى، كما في قوله:

مِن وُجْدِكم سَعَتِكم في المـال *** والـمَنكِبُ الجانِبُ في الأحــوالِ

ولفظ الوَجد في صدر البيت الأول من قوله تعالى: ﴿ **أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ** ﴾ وهو من سورة الطلاق، ولفظ المنْكِب في شطره من قوله تعالى في سورة الملك: ﴿ **فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن**

﴿ رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾، وهو بذلك يجمع غريب سورة وأخرى في بيت واحد حينما يقرر أن غريب السورة فيها مفردة واحدة، كما يجمع غريب العديد من السور في أبيات معينة، كصنيعه في مفردات غريب سورة الطلاق وما بعدها إلى سورة المدثر، إذ يقول:

مِن وُجْدِكم سَعَتِكم في المـال *** والـمَنكِبُ الجانِبُ في الأحـــوالِ

وصارمين من صَرامِ النَّخــل *** قَطعٌ أو انفَاضٌ لرأي اللَّيــــــلِ

دَعيُّ قَومٍ زايدٌ فيهم زنيْـــم *** عُتِّل أي جافٍ غليظٍ في العمــومِ

والحردُ مَنعُ طارئٍ مسكيـنٍ *** غُسَالة الأجْوافِ في غِسليــــــنِ

وقل حُسومٌ متتابعـــــات *** أطوارا أحوالا من الصِّفـــــــاتِ

واهيّةٌ ضعيفةٌ بالانشقـــــاق *** وجانبُ الشَّيء رَجَاهُ باتِّصـــاقِ

وجِلدةُ الرَّأس الشَّوى المنتابة *** والزَّلْقُ والإزلاقُ في الإصابـــــــةِ

وأقربُ العشيرةِ الفصيلـــةُ *** والعزُّ الجماعة المفصــــــــــولةِ

ثم جعل الإمام الزجلاوي في آخر ألفيته أبياتا حول علم الوجوه والنظائر[1]، قال في فضل هذا العلم ومراده من إيراده، دون التطرق للخلاف في التعريف بالمصطلحين:

1: يقول ابن الجوزي في التعريف بهذا العلم:" واعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى، هذا ما يسمى الوجوه، أما النظائر فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه اسماً للمعاني، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر". انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط:01، ت: 1404هـ ، ص:83.
وقد ضعَّف الإمام الزركشي هذا التعريف فقال:"فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضُعِّفَ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك=

معرفةُ الوجُوه والنَّظائـــــرِ *** نتيجةُ استنارَةِ البصائـــــــرِ

إذ جَاء لا يَبلُغ كل الفقـــه *** حتى يَرَى للَّفظِ غير وجـــــهِ

إذ اشترط في استنارة البصائر العلم بهذا الفن، وأن الفقيه لا يبلغ درجة الفقه الحقة إلا على أعتاب المعرفة بهذا الفن، معتمدا في ذلك على حديث:{لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يَرى للقرآن وجوها كثيرة}[1]، ومعنى يرى أي يعلم أن اللفظ يحتمل معان متعددة فيحمله عليها.

ثم أتى على ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن مرتبا إياها ترتيبا أبجديا، بدءا من سورة البقرة إلى آخر الناس، كما في قوله في حرف الألف:

واحدُ آيَاتِ الكتابِ آيَةٌ *** وعِبْرَةٌ عَلاَمَةٌ كالرَّايَـــــة

وهو يريد آيةَ الكتاب الذي هو القرآن، وعبرةٌ: أي وتأتي الآية بمعنى العبرة كما في قوله تعالى:﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ** ﴾ [آل عمران:13] قد كان لكم آيةٌ أي عبرةٌ، ودليل ورودها بمعنى علامة قوله تعالى﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ** ﴾[البقرة:248] أي علامة كونه ملكا.

وهي نكتٌ في النظائر بما اختاره ابن الجوزي، وفي الوجوه كما في حرف الخاء المعجمة إذ يقول:

خَشَعَ في الأصوَاتِ بالسُّكُوتِ *** وفي شُخُوصِ البَصَر الممقُوتِ

وفي النُّفوسِ بانكِسارِ الحـــالِ *** والأرْضِ بالجدْبِ بِلا إشْكَـالِ

=الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر كالأمثال". انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، ج:1، ص: 102. وهذا الذي مال له الشيخ محمد باي بلعالم ورجحه في شرحه لهاته الألفية، ج:2، ص: 70.

1: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال: اعلموا بالقرآن، حديث:29557. وأبو داود في الزهد باب: من خبر أبي الدرداء رضي الله عنه، حديث:233، وجعله موقوفا عليه.

يريد وجوه لفظة خَشَعَ، أي أن لفظة خشع تأتي لوجوه، بمعنى السكوت والهمس بصوت غير معلن كما في قوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾[طه:108] والأبصار بمعنى خفضت لهيبته وجلاله وقيل ضعفت، وفي النفوس ذلَّت، وقيل في الأرض سكنت لقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت:39].

وقد شرح الشيخ محمد باي بلعالم –رحمه الله– هذا النظم، وسماه «ضياء المعالم شرح ألفية الغريب لابن العالم»، جاء في جزئين، قدَّم للكتاب بتعاريف عديدة للتفسير وعلومه، ثم يبتدأ الشرح بعنونة الأبيات بقوله مثلا: غريب سورة مريم، ثم يقدم لها بعدد الكلمات الغريبة الواردة في السورة، فيقول: وتشتمل على اثنى عشر كلمة من الغريب وهي: فانتبذت، فأجاءها، المخاض، سميا، سريا، إدا، وردا، حنانا، زكزا، أزا، رءيا، وفدا ، ثم يذكر الأبيات من الألفية ويقوم بشرح المفردة بعد أن ينوه على مكانها في السورة القرآنية، كصنيعه عند قول الإمام الزجلاوي:

فانتبذَتْ فاعتزلَتْ مـــــكانًا *** أَجَاءَهَا ألجَـــــأَهَا زمانَـــــا

وَوَجَعُ الوَضعِ المخَاضُ يُسَمَّى *** سَمِيًّا أي مُماثـــــلاً في الإسمَا

نَهرًا سريًّا كان عَذبًا انقطـــع *** أو المسيحُ عيسى شأنُه ارتفع

أدًّا فَريًّا واحدٌ في المعـــــنى *** وهو عظيمُ القُبح فيما يُعـنى

وِردًا عِطَاشًا وحنانا رُحمَـــا *** وركزًا أي صَوتا خفيًّا يُنْمـــــا

إزعَاجًا إزًّا منظرا ورَءيـــــا *** وفدًا على الإبل بين الأَحْيـــَا

إذ يقول في شرحه لصدر البيت الأول المشتمل على مفردة فانتبذت: فانتبذَتْ فاعتزلَتْ مـــــكانًا، من قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾ أي اعتزلت وانفردت به. قوله: أجاءها ..ألخ،

من قوله تعالى:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ أي ألجأها واضطرَّها يقال أجأته إلى كذا، أي ألجأته واضطررته إليه، ووجع الوضع المخاض من قوله تعالى:﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ المخاض أي وجع الولادة يقال مخضت المرأة تمخضُ إذا أخذها الطلق".[1] ثم يكمل بهذا النسق غالبا في شرحه لكامل النظم.

وقد كان الشيخ يتوسع أحيانا في شرحه لبعض ما اقتضبه الزجلاوي موسعا في بعض المسائل، كصنيعه في شرحه لأبيات الوجوه والنظائر والتي لم يتطرق الناظم للتعريف بهذا الفن ولا بالخلاف الموجود في بيان المراد من الوجوه الذي قصره بعضهم على المعاني والنظائر على الألفاظ، إذ يقول بعد إيراده للأبيات الأولى من هذا الموضوع والتي جاء فيها:

معرفةُ الوجُوه والنَّظائـــــرِ *** نتيجةُ استنارَةِ البصائـــــــرِ

إذ جَاء لا يَبلُغ كل الفقـــه *** حتى يَرَى للَّفظِ غير وجـــــهِ

من المكرَّرِ أو المحتَمَـــــــل *** ومقصَدُ البَاب بيـــــانُ الأوَّلِ

وأن يكون آيةَ القـــــــرآن *** فَخُذ عيونًا منه من بيـــــانِ

إمَّا على طريقةِ المشاركـــة *** أو المواطَاة والمشـــــــاكَكَةِ

أو الحقيقةِ مع المجـــــــاز *** أو الكناياتِ بلا امتيـــــــازِ

وزدتُه الأضدادَ في التَّصريف *** على الطريقِ الواضحِ المألـوفِ

وبعضَ ما عُدَّ من الأفـــراد *** أو المناسبات باستطـــــــرادِ

1: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، محمد باي بلعالم، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، دط، دت، ج:2، ص: 69-70.

يقول الشيخ بلعالم:" قوله معرفة الوجوه والنظائر، كنا قد تكلمنا في المقدمة على معنى الوجوه وهو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وضُعِّفَ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في ألفاظ مشتركة وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعا والأقسام والنظائر نوعا آخر، قال في الإتقان"[1]، ثم يورد كلام السيوطي ويتوسع في بيان تعريف كلٍّ من الوجوه والنظائر وبيان فضل هذا الفن والعلم.

الثالث: محمد بن محمد السَّنْباوي المازوني الأزهري، الأمِير (ت: 1232هـ):

محمد بن محمد السَّنْباوي، المازوني الأصل، الأزهري التحصيل والعطاء، الفقيه المالكي، عالم بالعربية والتفسير، اشتهر بالأمير لأن جده أحمد كانت له إمرة في الصعيد، ولد سنة 1154هـ في ناحية سنبو من أعمال منفلوط بمصر، توفي سنة: 1232هـ، ودفن بالصحراء قرب عمارة السلطان قايتباي، "برع في الحديث وجميع فنون العلم، وانتهت إليه الرحلة، وحاز الرئاسة والسياسة بدوام الدراسة، وقصده الأكابر وخطباء المنابر، فكان –رحمه الله– محطَّ الرحال لا يخلو منهم في كل حال، أتاه الرفاق من كل الآفاق وطار صيته في المغرب والشام والعراق".[2]

1: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، محمد باي بلعالم، ج:2، ص: 3. وهو كلام مقتبس بحروفه من كلام الإمام الزركشي في كتابه البرهان.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 60.

أخذ عن **شيوخ** أعلام كمحمد البليدي[1] وهو أعلى شيوخه إسنادا[2]، والتاودي ابن سودة[3]، وعبد الرحمن العيدروس[4] وغيرهم.

وقد ذكر في ثبته[5] مجموعة من مشايخه وطريقه في التفسير إليهم، وإجازاتهم له، فذكر طريقه لتفسير ابن عطية، ثم الزمخشري، ثم البيضاوي، ثم ابن جرير وسائر مؤلفاته، ثم تفسير الثعلبي وسائر مؤلفاته، ثم تفسير الواحدي وسائر مصنفاته، ثم تفاسير أبي حيان، ثم تفسير الماوردي وسائر مصنفاته، ثم «حقائق التفسير» للسلمي وسائر مصنفاته، بهذا الترتيب المذكور، وهو شيخ أبي راس الناصري[6] الذي حلَّاه بالقول: "إن أخذ في التفسير كلَّ عنه «الكشاف» واختفى".[7]

1: مرت ترجمته.

2: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص:134.

3: محمد التاودي بن محمد الطَّالِب ابن محمد بن علي، ابن سَوْدَة المرّي الفاسي، ولد سنة:1111هـ، فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس. ذاعت شهرته بعد رحلة قام بها إلى مصر والحجاز. له:"زاد المجد الساري" حاشية على البخاري، و"تعليق على صحيح مسلم" و"الفهرسة الكبرى" في من لقيه من الصالحين، توفي سنة: 1209هـ. انظر:"الأعلام"ج:6، ص: 62.

4: عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسيني: فاضل، من أهل حضرموت، ولد بها في تريم سنة:1135هـ وبها نشأ، وقرأ وارتحل إلى مصر وتوطنها واستقبله أهلها ثم قدم دمشق، وعاد لمصر وتوفي بها سنة:1192 هـ، له:"لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود"، = =و"تنميق الأسفار" جمع فيه ما جرى له مع بعض الأدباء في أسفاره. انظر: "الأعلام" ج:3، ص:338، و"سلك الدرر"ج:2، ص: 328.

5: مخطوط أسانيد الشيخ محمد الأمير، نسخة الأزهرية، رقم: 48166/667. لوحة: 39/37. ونسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، برقم حفظ:04122.

6: ذكر أبوراس أن شيخه الإمام السّنباوي حدثه بأصوله المازونية الجزائرية. انظر:"فتح الإله ومنته" ص: 60.

7: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 60.

من تصانيفه الكثيرة: «حاشية على مغني اللبيب»[1]، و«حاشيه على الفوائد الشنشورية[2]»[3]، و«شرح قصيدة غرامي صحيح»[4]، و«تقييدات على الحكم العطائية»[5] وغيرها.

خدم التفسير وعلومه واشتهر بذلك تأليفا وتدريسا، وكان مقيما على قراءة وشرح تفسير «الكشاف» للزمخشري بالأزهر الشريف، وكان أبو راس الناصري أحد طلبته في تلك الحلقات، وقد عرف بكثرة ممارسة التدريس بالأزهر الشريف وبقية المدارس إذ يقول الجبرتي عنه:" وتصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه ونما أمره واشتهر فضله ... ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه، وتوجَّه في بعض المقتضبات إلى دار السلطنة، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماؤهم وشهدوا بفضله".[6]

له في خدمة التفسير تأليفا أربعة أعمال جليلة هي:

الأول: «شرح رسالة الصبان في جملتي البسملة والحمدلة»[7]، وهي رسالة في تفسير وشرح آية البسملة والحمدلة.

1: منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ: 01604.

2: هي الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية لعبد الله بن محمد بن عبد الله، الشنشوري المتوفى سنة:999هـ. منها نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم: 10115.

3: منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ: 01019.

4: منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ: 00222-1.

5: منه نسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض، رقم الحفظ: 01224.

6: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، ج:4، ص: 442.

7: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بمكة المكرمة، رقم الحفظ: 1761. ونسخة ثانية بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم الحفظ:[503]9201,[687]10278,[2420]43140,[3079]امبابي 49070,[3402]53721. ونسخة ثالثة: بمكتبة برنستون، بالولايات المتحدة الأمريكية، رقم الحفظ : h 5156,308. ونسخة رابعة، بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية رقم الحفظ : 972.

الثاني: «تفسير المعوذتين»[1]، رسالة في تفسير سورتي الفلق والناس.

الثالث: «تفسير سورة القدر».[2]

الرابع: «الربح المؤبد في الصلاة على سيدنا محمد»[3]، رسالة في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:56].

ولم يُشر في ترجمته إلى أنه فسَّر القرآن الكريم كاملا، بل فسَّر بعض السور فقط، ولعله اكتفى بتفسير «الكشاف» وبعض كتب التفسير تدريسا وفي حلقاته.

وقد اخترتُ «تفسير سورة القدر» بعد الحصول على نسختها المخطوطة، لبيان منهجه التفسيري وكيفية تعاطيه مع الآي القرآني وأسلوبه في ذلك، والمخطوط نسخته المعتمدة بالمكتبة الأزهرية، عدد لوحاته 11، ومسطرته 23، كُتب بخط نسخي واضح، بيد ناسخه معوض بن سلام المالكي، سنة:1303هـ.

يندرج تفسير الإمام السَّنباوي ضمن التفسير بالرأي، فقد كان مقلا من النقول الأثرية ومن الآيات والأحاديث، معتمدا على رأيه وترجيحاته في كثير من تفسيره لآيات سورة القدر، كصنيعه في تفسير قوله تعالى:﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ إذ يقول:" أي ذات سلامة من الآفات لا يُقدَّر فيها إلا الخير، والتَّوقع

1: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بالسعودية، رقم الحفظ: 3327. ونسخة ثانية بمكتبة المخطوطات بالكويت رقم الحفظ: 809. مصورة عن الظاهرية:4488. ونسخة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم الحفظ:[315 مجاميع]10180,[403 مجاميع] 16284,[1409 مجاميع] 22358. ونسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ : 105/2 (1424).

2: مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، برقم حفظ:00205. ونسخة بالملكية "مكتبه الدولة" ببرلين بألمانيا برقم حفظ: 968. ونسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ: 40/1. ونسخة بالمكتبه المركزيه بجامعه الملك سعود بالرياض، رقم الحفظ : 2281. وقد قام الأستاذ أحمد أزهر بتحقيق هذه الرسالة، وطبعت بمركز الدراسات القرآنية التابع للرابطة المحمدية للعلماء، بالرباط بالمغرب، ولم أتحصل عليها مطبوعة.

3: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ : 1270. ونسخة ثانية بدار الكتب الوطنية التونسية، رقم الحفظ: 1091.

بأن يقع فيها آفات لا بد من تقديرها مردود بما علمتَ أن التقدير اللازم العام أزلي، والمراد هنا إظهار المقادير في مواكب الملأ الأعلى، وجاز تخصيصه بأنواع النعم والخيرات وبدائع التفضل وعظائم النفحات، ويُحتمل ربط ﴿ هِيَ ﴾ بما بعده، وربط ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بما قبله".[1]

وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: 02]إذ يقول:" أي ما مقدار شرفها، بدليل ما بعدها لا ما حقيقتها، فإن حقيقتها مدة مخصوصة من الزمن، وفي حقيقة الزمن خلاف مشهور".[2]

وهو دليل ظهور شخصيته التفسيرية، بالإضافة إلى قلة اعتماده على بقية التفاسير والحواشي وأقوال أصحابها التي كانت منتشرة تلك الحقبة، كـ«أنوار التنزيل» و«الكشاف» و«مفاتيح الغيب» وغيرها من التفاسير المشتهرة، فقد أورد ذكر البيضاوي مرتين، كلاهما عند قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ إذ يقول:"كما قال البيضاوي في كون ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم السورة"[3]، والثانية في أن الإضمار في ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ دون تقدم ذكرٍ دليلٌ على "عِظَم قدره وشهرة أمره"[4]، أي القرآن. وذكر حاشية الشيخ زاده مرة واحدة أيضا، عند ذكر بيت العزة وموضعه وأنه في السماء السابعة. واعتمد على قول صاحب «الدر المنثور» في مواضع متعددة، كما نقل عن الرازي في موضع واحد فقط عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾.

وقد افتتح تفسير السورة بكونها مدنية النزول، ثم أورد الخلاف وذكر القول بمكيتها، دون أن يورد أصحاب تلك الأقوال وأدلتهم، ثم نقل تفسير آية البسملة، وهو بصنيعه هذا يعتد بها كآية قرآنية من كل سورة، وذكر في أول تفسيرها أنه"يؤتى بها للتأكيد ردا على منكرٍ أو شاكٍ".[5]

1: مخطوط: تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، مخطوط الأزهرية، لوحة رقم: 11.

2: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 08.

3: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 04.

4: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 03.

5: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 02.

وفي علم القراءات، اعتمد الإمام السَّنباوي هذا الفن ولم يكن مكثرا من إيراده، بل ذكره في مواضع محددة فقط من كامل تفسيره لسورة القدر، كصنيعه في تفسير قوله تعالى: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾، إذ يقول:"قرئ شاذا من كل امرئٍ، أي من أجل شأن كل إنسان، وما قدِّر له".[1]

وعند قوله تعالى:﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إذ يقول:"والبزّي راوي ابن كثير من السبعة، يشدِّد بإدغام التاء إذا وصله بما قبله، فيلزم التقاء الساكنين مع تنوين﴿ شَهْرٍ ﴾، ويُجْرِي قول صاحب «حرز الأماني»:

و إدغام حرف قبله صحَّ ساكنٌ *** عسيرٌ وبالإخفاء طِبّق مَفْصِلا

أي إخفاء السكون حتى كان هناك حركة حقيقية".[2]

وعن تعرضه للأحكام الفقهية، فلم يكن مكثرا من إيرادها أيضا، وقد تعرَّض لها مرة واحدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾، بعد أن أورد مسألة الطلاق المعلَّق بليلة القدر إذ يقول:" لو عَلَّق طلاق امرأته أو عتق عبده على ليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلفه، يروى ذلك عن أبي حنيفة، انتهى، قلت: المالكية لا يوافقون على ذلك في الطلاق، لأن قاعدة مذهبهم تنجيز ما عُلِّق على مستقبل محقق الوقوع، لئلا يكون كنكاح المتعة".[3]

وفي تحاكمه للمصطلحات النحوية واللغوية والبلاغية في بيان معاني الآية الكريمة، لم يكن مكثرا منها أيضا، ولا يوردها إلا بقدر حاجته لذلك دون توسع منه، كصنيعه في تفسير قوله تعالى:﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ حيث استدل على أن الأصل في كلمة تنزَّل هو تتنزل بقول صاحب «الخُلاصة الألفية»[4]:

1: مخطوط: تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، لوحة رقم: 11.

2: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 10.

3: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 07.

4: الخُلاصة والمسمَّاة بالألفيَّة: لابن مالكٍ الأندلسي (ت672هـ).

وما بتائين ابتدئ قد يقتصر*** فيه على تاء كتبيَّنُ العبر[1]

واستعمل المجاز عند حديثه عن دخول الملائكة في إنزال القرآن وأن الله أثبت ذلك لنفسه بقوله:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إذ يقول:"وعلى فرض أن الإسناد للملائكة مجازي فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز العقلي في الإسناد كأن يقال: بنى الأمير المدينة والمراد عملته".

وتجدر الإشارة إلى أن نزعة هذا التفسير كانت عقائدية صرفة، إذ طغت المسائل الكلامية والاعتقادية في تفسير غالب آيات سورة القدر، كتطرقه لأمر صفات الأفعال الحادثة عند الأشاعرة في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾إذ يقول:"كما أجاز الأشاعرة وصفه تعالى بصفات الأفعال الحادثة، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء مع أن اتصافه بالحوادث محال، لكن هذه أوصاف اعتبارية لا صفات حقيقية قائمة بالذات حتى يلزم المحذور"[2]، بعد أن أورد قضية التشبيه والكلية والجزئية بين الاعتبار والحقيقة في حقه تعالى، وقياسها على صفات الأفعال الحادثة التي يثبتها السادة الأشاعرة، وأنهم أجازوها بوجه كونها اعتبارية لا حقيقية.

كما تطرق لمسألة إنزال القرآن الكريم وكيفية ذلك، وأسهب القول فيها، إذ يقول:"إن كان إنزاله في صحفٍ مطهرة منسوخةٍ من اللوح المحفوظ بأيدي سفرة كرام بررة من الملائكة، حتى وُضع في بيت العزة في سماء الدنيا جملة واحدة فظاهر، وما ذكرناه من أن بيت العزة في سماء الدنيا هو ما في «الدر المنثور » وغيره"[3]، ثم تطرق لنزوله مفرقا ومنجما بحسب الوقائع وغير ذلك من المسائل.

1: مخطوط: تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، لوحة رقم: 10.

2: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 03.

3: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 04.

كما تطرق لمسألة النزول بالقرآن الكريم، وأن النزول "وإن استعمل في الأجسام والأعراض لا توصف به الألفاظ إلا باعتبار محالها، والقرآن من الأعراض الغير القارَّة فلا يتصور إنزاله ولو بتبعية المحل، فهو مجاز متعارف على مبلغه، كما يقال: نزل بكم حكم الأمير من القصر، أو التنزيل مجاز عن إيحائه من الأعلى رتبة إلى عبده تدريجا".[1] ثم يخلص إلى تعريف القرآن بالقول:"والذي يظهر أن تقول كلام الله تعالى مقروء بالألسنة محفوظ في الصدر...".[2]

وقد اعتمد الإمام السَّنباوي في تفسيره هذا قول أهل الكشف كأحد الأقوال المعتمدة والمشار إليها، كصنيعه في إيراد قولهم عن تحديد ليلة القدر وأنها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، إذ يقول: وأيَّده بعضهم بطريق الإشارة، بأن كلمات السورة كأيام رمضان، واتفق أن كلمة ﴿ هِيَ ﴾ تمام سبعة وعشرين، وأراد الكلمات الأدائية التي يتكلف بها في أداء التلاوة دفعة وإن احتوت على كلمات كـ ﴿ أَنزَلْنَاهُ ﴾، وطريق آخر هو أن حروف ليلة القدر تسعة، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات وثلاثة في تسعة سبعة وعشرين، ونُقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بضبط أول الشهر من أيام الأسبوع، ومع كونه لا مستند له في الحديث قد اضطربت أقوالهم فيه أيضا".[3]

واتسم منهج السَّنباوي في الاستدلال بالأحاديث النبوية بإيرادها دون سندٍ ولا راوٍ، فقد كان يذكر المتن دون ذكر حتى للصلاة على النبي ﷺ، بل يذكره في كل رسالته بالقول: وفي الحديث أو وورد أو وقد ورد وغيرها، كحديثه عن آية الكرسي وبيان فضلها بالقول:"فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن"، وعن فضل أواخر سورة البقرة بالقول:" فقد ورد من قام بهما في ليلة كفتاه"، وعن سورة الزلزلة إذ يقول:"ورد أنها تعدل نصف القرآن"، وعن تحديد ليلة القدر إذ يقول:"وليلة القدر باقية على الصحيح خلافا لمن قال برفعها، لحديث: خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت"، وعن فضل ليلة القدر إذ يقول:"وقد

1: مخطوط: تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، لوحة رقم: 05.

2: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 05.

3: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 08.

ورد من قال: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر"، وهكذا في سائر تفسيره.

وقد أشار السَّنباوي في تفسيره هذا لمؤَلَّفه في تفسير سورة المعوذتين، ورسالة شرح البسملة، دون أن ينقل منهما، وجاء ذكر تفسير المعوذتين عند كلامه عن الليل في قوله تعالى:﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إذ يقول:"وقد تعرضنا لذلك في تفسير الفلق مما كتبناه للمعوذتين".[1]

وذكر رسالته في البسملة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ﴾ إذ يقول:" قد تعرضنا في شرح رسالة البسملة لتصريف كلمة رب، وما يتعلق بها".[2]

ويمثل الإمام السَّنباوي بتفسيره هذا استمرارا للمدرسة التقليدية التفسيرية التي لم تمارس التجديد في طرحها، بل اصطبغ تفسيره بالنسق العام الذي تمثلته ورسمته كل التفاسير السالفة، دون الخروج عن مألوف المدرسة التقليدية، إلا ما كان من عدم اعتماده على مشهور الحواشي وكتب التفاسير والتقيُّد بآرائها واختياراتها بل وترجيحاتها.

الرابع: إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد، الثميني اليسجني (ت:1232هـ):

إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجني، من علماء بني يسجن البارزين، كان مؤلفا وشاعرا جليلا وعالما حكيما وأديبا فيلسوفا ورحالة، وممن تولى رئاسة مسجد بني يزقن، وهو من أنصار النهضة الإسلامية الحديثة، والدعاة لها بالخطب والوعظ والإرشاد، فكان يتنقَّل بين مدن وادي ميزاب يدعو إلى العلم ويحارب الجهل والبدع، له صلات وثيقة بعلماء الجزائر والمغرب وعُمان،

1: مخطوط: تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، لوحة رقم: 08.

2: مخطوط: تفسير سورة القدر، لوحة رقم: 11.

من **شيوخه** الشيخ عبد العزيز الثميني[1]، والشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي[2] وغيرهم، له **تلاميذ** كثيرون[3]، من آثاره:«شرح موازين القسط»، و«بيان جملة التوحيد»، و«الرحلة الحجازية» نثرًا ونظمًا، «تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية»، و قصائد عديدة منها «قصيدة البردة في مدح خير البرية» وغيرها[4]، وقد كان يملك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات، اِنتقلت بعد وفاته إلى حفيده عبد الله بن محمد بن إبراهيم.[5]

أحد الأعلام المزابيين والمشايخ الإباضيين الذين خدموا التفسير تأليفا، إذ لم تشر المصادر التاريخية وكتب التراجم إلى العلوم التي كان يقوم بتدريسها لطلابه، وهل كان التفسير أحد تلك الدروس أم لا؟ وهذا ما لا يُستبعد، كونه ذا اهتمام كبير بالتفسير وعلومه.

له في التفسير مجموعة من التآليف والتصانيف غالبها في عداد المخطوط الذي لم يطبع، وهي:

الأول: «تفسير آيات النور من سورة النور» مخطوط، أشار الشيخ يوسف بن بكير أنه ألَّفه في محرم سنة: 1221هـ.[6]

1: عبد العزيز الثميني، علم من أعلام الإباضية، ولد ونشأ بها، وحفظ القرآن ببلدته، رحل إلى وارجلان. أسندت إليه مهمَّة مشيخة العزَّابة، فلازم العمل الاجتماعي والإصلاحي والمهام الدينيَّة ردحًا من الزمن، ثمَّ اعتزل الناس ليشتغل بالتدريس والفتوى والتأليف، من آثاره:"أرجوزة في الفلك ومنازل البروج"،"الأسرار النورانيَّة"، توفي سنة: 1223هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية" ج:2، ص:256. و"تاريخ بني مزاب"ص:112.

2: يحي بن صالح ابن يحي الأفضلي، أبو زكرياء: من العلماء الأعلام ببني يسجن، تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة فأخذ مشايخها، ثمَّ انقطع للشيخ يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي. ثمَّ رحل إلى مصر فلازم دروس المدرسة الإباضيَّة بوكالة الجاموس ودروس جامع الأزهر، توفي سنة: 1202هـ. انظر:" معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص:460. و"تاريخ بني مزاب" ص:110

3: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، ج: 2، ص: 13.

4: انظرها في: تاريخ بني مزاب، ص: 117.

5: لم أجده.

6: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير الحاج سعيد، ص: 117.

الثاني: «المعدن المصون على سورة الكنز المدفون» تفسير سورة الفاتحة، مخطوط، ذكر الشيخ يوسف بن بكير أنه فرغ منه في محرم 1221هـ، وهو نفس تاريخ تأليفه لتفسير آيات من سورة النور.[1]

الثالث: «أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة والعصر» أشار إليه صاحب «المعلمة»[2] وأخبر أنه مخطوط، غير أني وقفت على تحقيق[3] له للأستاذ إبراهيم محمد طلاي.

الرابع: حاشية على «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» للبيضاوي، منها نسخة بمكتبة الاستقامة، ونسخة ثانية بمكتبة الحاج إبراهيم أوزكري بغرداية، ذكر صاحب «معجم أعلام الإباضية» أنها مخطوط.[4]

والباحث يرى أنها ليست بحاشية بقدر ما يمكن اعتبارها تعليقات بسيطة في بعض المواضع على تفسير البيضاوي لم تتعد الصفحات فقط، خاصة وأن النسخة التي كُتب فيها متن «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» كانت وقفا من الشيخ الحاج علي بن عباد الجربي على الشيخ إبراهيم بن بيحمان، والتي امتلكها من بعده الشيخ القطب أطفيش[5]، وترك فيها أيضا مجموعة من التعليقات التي يقارب حجمها تعليقات الشيخ بن بيحمان، كما أن التفاوت في التعليق بين السور والآيات كان بعيدا جدا، فبعد تعليقه على تفسير البيضاوي مثلا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

1: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير الحاج سعيد، ص: 117.

2: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر، ص:39.

3: لم يَعْدُو عمله في التحقيق نسخ النص وتخريج مجموعة من الأحاديث والآثار، مع ترجمة موجزة للشيخ، ويظهر أنه عمل مرقون دون طباعة أو أنه معد للطباعة لم يكتمل بعد، حيث لم أجد دار أو سنة النشر أو غيره، خاصة أنه لم يضع نماذج من لوحات المخطوط المعتمد، والذي أشار إلى أنه نسخة من مكتبة الاستقامة.

تحصلتُ عليه من طرف الدكتور بن دريسو الذي سهل علي عملية الحصول على مجموعة من أعمال الشيخ فجزاه الله خيرا.

4: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، ج: 2، ص:13.

5: أبو إسحاق، محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الحفصي العدوي الجزائري، ولد سنة: 1236هـ، علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضي المذهب، مجتهد، كان له أثر بارز في قضية بلاده السياسية يدل على وطنية صحيحة. مولده ووفاته في بلدة يسجن، له أكثر من ثلاثمائة مؤلف، منها "تيسير التفسير" و"هميان الزاد إلى دار المعاد" وغيرها، توفي سنة: 1332 هـ. انظر:"الأعلام"ج:7، ص:156-157، و"معجم أعلام الإباضية" ج:2، ص:24.

بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [يونس:15]، لم نجد له أي كلام أو تحشية أو تعليق إلى غاية قوله تعالى من سورة هود: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [هود:42].

وكذلك من قوله تعالى مثلا: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود:44] إلى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾ [الرعد:08]. إلا ما كان من بعض الجمل المتناثرة الموجزة والتي لم أستطع الجزم بكونها من تعليقات الشيخ إبراهيم بن بيحمان أو الشيخ أطفيش، لأنها كتبت طوليا، ذلك أن تعليقات الشيخ بن بيحمان كُتبت على حاشية المتن بنفس النسق، في حين تعليقات الشيخ أطفيش جاءت بالمقلوب. والنماذج في ملحق المخطوطات المعتمدة تبيّن ذلك.

وتجدر الإشارة أن تلك "التعليقات" توقفت عند أواخر سورة الإسراء، وهو موضع انتهاء الجزء الأول من المخطوط، وتنتفي فكرة إمكانية وجود جزء ثان للشيخ، ذلك أن نص التمليك، مكتوب كالتالي: "وقف وحبس لله بيد عمنا الشيخ العالم العلامة إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد الثميني اليسجني المصعبي، الحاج علي بن عباد الجربي، الجزء الأول من تفسير القرآن للبيضاوي، وقفا مؤبدا وحبسا مؤكدا لا يباع ولا يشترى ولا يوهب ولا يورث، بتاريخ أوائل ربيع الثاني من سنة: 1197هـ".[1]

1: مخطوط: حاشية الشيخ إبراهيم بن بيحمان، على «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» للبيضاوي، غلاف المخطوط، مكتبة الإستقامة، غرداية.

الخامس: «شرح البسملة» مخطوط، منه نسخة بمكتبة الحاج صالح لعلي، ذكر أنها بخط المؤلف وهي ضمن مجموع كتبه المؤلف.[1]

السادس: «حاشية على شرح البسملة» مخطوط، نسخة بمكتبة الحاج صالح لعلي، ذكر أنها بخط المؤلف أيضا.[2]

وكلا العَمَلين في شرح البسملة والحاشية عليها، ذكر في سبب تأليفهما أنه كان" متبركا بها في شرحها اقتداءً بكتاب الله العظيم، وعملا بالخبر الوارد عن النبي الكريم من طريق غير واحد من العلماء الأكابر الأعلام من أمة سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام:{كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أقطع أو أجذم} على الروايات المشهورة".[3]

ولم يكن فيهما مفسرا بقدر ما كان مبينا لبعض مسائل وفضائل البسملة الفقهية والعقدية والتعبدية، وعلى الرغم من الصبغة التفسيرية عموما واللغة المستعملة فيهما إلا أني أرجح كونهما من رسائل الاعتقاد لا التفسير.

ولأجل بيان أسلوب الشيخ بن بيحمان في التفسير وعلومه، وطريقة عرضه وتعرضه للآيات القرآنية الكريمة، فقد اعتمدت على مصنفه:«أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر» وهي نسخة مرقونة أُعدت للإخراج –بحسب ظني– تحصلتُ عليها مرقونة دون الحصول على مخطوطها، ذكر محققها

1: جهود علماء واد ميزاب في خدمة القرآن الكريم، بشير بن موسى الحاج موسى، مداخلة بملتقى جهود علماء الجزائر في خدمة القرآن وعلومه، جمعية مولود قاسم بسيدي بلعباس، 2013م، ص: 08. نسخة مسلمة من طرف الباحث بمكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية. ولا يسعني في هذا المقام إلا التنويه على فضله وطيب أخلاقه، فجزاه الله خيرا. وقد استلمت نسخة منها من طرف الدكتور بن دريسو حفظه الله.

2: المرجع نفسه، ص: 08.

3: مخطوط «شرح البسملة» نسخة بمكتبة الحاج صالح لعلي، ذكر أنها بخط المؤلف ولم يذكر رقمها، لوحة:150.

أنها نسخة مكتبة الإستقامة، وأنها "كانت ضمن ملزمة جمع فيها المؤلف –رحمه الله– جملة من آثاره نثرا وشعرا بخطه الذي يمتاز بالوضوح والسلامة من الأخطاء".[1]

استفتحها الشيخ ببيان فضائل القرآن، وأن "سورةً من أقصر سوره قد أحاطت ببعض ما ذكر من غرائبه، وهي سورة العصر، لمن تأمل ما فيها وتدبر وأمعن نظره فيها وتفكر" وأنها " تحتاج إلى تعليق يكشف النقاب عن وجوه مخدَّرَاتها، ويزيل الحجاب عن أبكار مهماتها ومعضلاتها".[2]

ثم ذكر عنوانها وآياتها جميعا ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ وأردفها بكونها مكية النزول.

ثم عقد لكل آية من آياتها تعاريف لغوية ثم مسائل فقهية أو عقدية أو مواعظ تذكيرية، وعلى هذا المنوال سار تفسيره لسورة العصر غالبا.

ففي أول آية منها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ بعد أن تعرض لاختلافهم في معنى العصر باختصار موجز دون إسهاب منه، ودون أن يبين مذاهب أصحابها، تعرض لمسألة ما يجوز الحلف به ثم كفارة اليمين فأنواع الأيمان، ثم الحنث ثم وقت إخراج الكفارة وبعض مسائلها.

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ ﴾ بعد بيانه أنها من الأحرف الناسخة، تعرض لمواضع كسرها وذكر منها عشرة مواضع، مستشهدا بالآيات القرآنية الكريمة.

1: أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، إبراهيم بن بيحمان، تحقيق: إبراهيم محمد طلاي، تحت الطبع، دط،دت، ص:أ.

2: المرجع نفسه، ص: 2.

وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ بعد إعرابه للإنسان، ذكر كلاما طويلا في المنطق، من تعاريف لماهية الإنسان، وأنها "كليات منحصرة في خمسة، لأنها إما نفسُ تمامِ الماهِيَّة أو جزء منها داخلا فيها أو عارضا خارجا عنها"، ثم عدَّدها وختم كلامه بالقول:"ومحل بسط الكلام في هذا المقام كتب المعقول".[1]

وتظهر المسائل الكلامية والعقائدية جلية في تفسيره هذا، فقد كان يشير إليها وإلى ما ذهب إليه الإباضية في كل فرصة أتيحت له، كتعرضه لمسألة الإيمان والتعريف به، وندَّد طويلا برأي المرجئة لمخالفتهم مفهوم الإيمان والتعريف به، ثم تطرق للتكفير بالكبيرة عند قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ إذ يقول:"والمرتكب لكبيرة والمضيع لفريضة يسمى عندنا موحدا منافقا كافرا كفر نفاق، عاصيا ضالا فاسقا، مجرما بارئا من الشرك، وانعرى من الإيمان ووسم بحلية النفاق والعصيان، مذبذبا بين هؤلاء وهؤلاء".[2]

ثم عرَّف الصلاح والمراد بالأعمال الصالحة، وتطرق لمسألة الخلط بين الأعمال الصالحة والسيئة والموقف الشرعي من صاحبها، وكل ذلك مستندا لمجموعة من الآيات والأحاديث من متون وكتب ومصادر السنة وغيرها من الفرق الإسلامية الأخرى.

وفي نفس الآيات تعرض لمسائل فقهية متعددة، فقد ذكر ركن الصلاة وبعض أحاكمها وشروطها، ثم ركن الزكاة وركن الصيام وشرطه من تقديم النية وإمساك عن مفطر، ثم عدد مجموعة منها كالحج والجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغيرها من الأمور التي ذكرها للوصية ممزوجة بأحكامها الفقهية.

1: أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، إبراهيم بن بيحمان ، ص:10-11.

2: المرجع نفسه، ص: 30.

كما تعرض للمنهيات الشرعية لحد العورة في المذهب، ولمس بدن الأجنبية وقطيعة الرحم والعقوق وبعض البيوع المحرمة وغيرها، جاعلا منها كبائر لا تغفر إلا بتوبة مع شروط.[1]

وفي قوله تعالى:﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ يعرّف التواصي والحق ومعانيه والصبر ولوازمه تعريفا موجزا، ثم يسرد في الصبر مجموعة كبيرة من الآيات القرآنية الدالة والموصية بالصبر، فاقت العشرين، ويخبر أن الوصية الحقة التي أشار الله سبحانه إليها في قرآنه الكريم، هي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء:131] وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران 102] ثم يورد مجموعة من الآثار والأحاديث، كحديث التنافس على الدنيا[2]، وحديث أشد الناس بلاءً[3] وغيرها، وصية منه للناس ونصحا.

ليختم مصنفه بمجموعة من القصص الوعظية ذكر أنها:" خاتمة مستطرفة، ذيلت بها هذه السورة ونسأل الله فضلها وحسن الخاتمة"، أورد مجموعة كبيرة منها، بدءا من قصة أم سليم التي توفي عنها ولدها دون إخبار زوجها، ثم قصة صابرة بني إسرائيل، فقصة مالك بن دينار وتوبته، فقصة اليمنية ذات المنصب والمال وتقلُّب الحال بها، فقصة صاحب الرباط، وقصة شريح.

1: أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، إبراهيم بن بيحمان، ص:28.

2: ذكره بغير لفظ كتب السنة، وأسنده المحقق للسيرة النبوية للندوي، والحديث بغير هذا اللفظ أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، حديث:2445. بلفظ:{ ... فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم}. وقال الترمذي: صحيح.

3: أسنده المحقق بالمتن الذي أورده الشيخ لكتاب محمد رسول الله لمحمد رضا، والحديث عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال :{ الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي= =على الأرض وما عليه خطيئة}. أخرجه بلفظه، ابن حبان في صحيحه،كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدما أو مؤخرا، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، حديث:2952.

ومن غريب الأمر أنه جعل آخر كلامه تعريف الصبر لغة ثم ذكر مواردها واستعمالاتها عند العرب قديما، وختمها بأبيات شعرية جاء فيها:

كن عن همومك معرضا *** وكِلِ الأمور إلى القضَا

وأبشر بخير عاجـــــل *** تنسى به ما مضـــى

فلرُبَّ أمرٍ مُسخِـــطٍ *** لك في عواقبه رضَـــا

الله يفعل ما يَشـــاء *** فلا تكن مُتَعرِّضَـــا

ويجدر في نهاية هذا التوصيف لمصنفه:«أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر» التنبيه إلى أنه كان خاليا من بعض علوم التفسير كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات وغيرها من الفنون، وأنه لم يُعن كثيرا بالجانب اللغوي النحوي، إلا ما كان من إشارات موجزة في إعرابه لبعض المصطلحات فقط، وأنه كان مكثرا من الاستناد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكذا بعض الآثار.

وعن منهجه في انتقاء الأحاديث وروايتها فقد كان غالبا ما يورد الأحاديث بذكر متنها فقط، وفي بعض الأحايين كان يمزج بين الحديثين والثلاث بل والأربع في متن واحد، ومن أمثلة الأول حديث: {في الصبر على ما تكره خير كثير}[1] الذي أخرجه الحاكم في مستدركه، ومن أمثلة الثاني حديث:{ إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أون انقطاع أبهري، أيها الناس قد بلغني عنكم أنكم جزعتم بموتي وهل مخلد من كان قبلي، فيمن أرسل إليهم حتى أخلد فيكم ....} والحديث في مصادر كتب السنة ذو مخارج متعددة ومتنه غير هذا المذكور، فالجزء الأول منه:{ إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم}[2] عن فاطمة بنت اليمان عند النسائي،

1: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ، حديث:6327.

2: أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الطب، عيادة النساء الرجال عن فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة، حديث:7252.

والجزء الثاني{ وما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أون انقطاع أبهري}[1] من حديث عائشة في المستدرك والصحيح، وقد أسنده المحقق لكتاب: محمد رضا «محمد رسول الله» وهو كذلك، ولم أجد نصه بهذه المتن في كتب الحديث، والله أعلم.

الخامس: محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت:1238هـ):

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري، المعروف بأبي راس، مؤرخ، حافظ، من العلماء بالحديث ورجاله، ولد بمعسكر سنة:1150هـ، وتوفي بها سنة:1238هـ، له مشاركة في الفقه والتفسير والأنساب وغير ذلك، رحل في طلب العلم فزار مصر والشام والحجاز وتونس والمغرب، فتنوع شيوخه وطلبته، فمن **شيوخه:** أحمد بن عمار الجزائري[2]، والسنباوي الأمير [3]ومحمد بيرم[4]، وعبد القادر المشرفي[5]، ومرتضى الزبيدي[6]، وغيرهم، وقد ألَّف كتابه «فتح الإله ومنته» وذكر أشياخه والعلوم التي أخذها عنهم.[7]

له مؤلفات تزيد على الخمسين منها: «الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات»، و«نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتازاني»، و«السيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى»، و«الأحكام

1: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي والسرايا، حديث:4341 بلفظ: قال عروة : كانت عائشة رضي الله عنها تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه :{ يا عائشة، إني أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم }. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

2: سبقت ترجمته.

3: سبقت ترجمته.

4: محمد بن حسين بن أحمد بن بيرم، من أعيان الأسرة البيرمية بتونس، ولد سنة: 1130هـ، أقام مفتيا فيها خمسا وأربعين سنة. وشرع في عدة تصانيف، فلم يتم منها غير "بغية السائل باختصار أنفع الوسائل في تحرير المسائل للطرسوسي" في فقه الحنفية، و"رسالة في السياسات الشرعية" توفي سنة:1214هـ. انظر:"الأعلام" ج:6، ص:104، و"فتح الإله ومنته" ص: 81.

5: سبقت ترجمته.

6: سبقت ترجمته.

7: قمت بالترجمة لمشايخه الذين أخذ عنهم في رحلاته، في مبحث الرحلة عند علماء الجزائر في الفصل الثالث من الدراسة، فلينظر.

الجوازل في نبذ من النوال»، و«المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك»، و«الكوكب الدري في الرد بالجدري» وغيرها، انظر في كتابه «فتح الإله ومنته» باب:"العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز".

أحد رجالات التفسير ببلاد الجزائر، حلَّاه تلميذه ابن السنوسي[1] بالإمام الحافظ الذي كان حافظاً متقناً لجميع العلوم[2]، أخذ التفسير عن جملة من المشايخ منهم الشيخ عبد المالك الحنفي المفتي الشامي[3] الذي أجازه برواية تفسير سورة النور[4]، و«تفسير ابن عطية» عن الشيخ محمد بن بنيس[5]،[6] والشيخ المفسر الأمير الكبير الذي أخذ عنه تفسير «الكشاف» بالأزهر الشريف.[7]

وكان صاحب صنعة تفسيرية وهو في وقت الطلب، فيذكر أنه كان بمجلس أحد المشايخ، حتى ورد قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:07]، فقلت: – بحضرة مجلسه بجامع الجزائر الأعظم– لم لا التفات في هذا الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة؟ فوقف، فقلت: المراد والله أعلم أن هذا وقع من جانب الأدب، لأن النعمة وقع بها الخطاب، ولا يناسب الخطاب بالغضب، ألا ترى إلى قول

1: محمد بن علي بن السنوسي، زعيم الطريقة السنوسية الأول ومؤسسها، ولد في مستغانم وتعلم بفاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي. وجال في الصحراء إلى الجنوب من الجزائر يعظ الناس، ثم زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة، وأقام في الجبل الأخضر فبنى الزاوية البيضاء وكثر تلاميذه وانتشرت طريقته، انتقل إلى واحة جغبوب فأقام إلى أن توفي فيها، له نحو 40 كتابا ورسالة، توفي سنة: 1276هـ. انظر: "الأعلام"ج: 6، ص:299. "شجرة النور"ج:1، ص: 570-571.

2: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 150.

3: لم أجد ترجمته.

4: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118.

5: أبو عبد الله، أحد أعلام المغرب الأقصى، كان علامة مشاركا مدرسا مستحضرا، أخذ عنه عدة من علماء أجلة، له:"شرح على الهمزية" و"شرح على فرائض الشيخ خليل"، توفي سنة: 1214هـ، ودفن بروضة داخل باب عجيسة. انظر: "موسوعة أعلام المغرب"ج:7، ص: 2467.

6: المرجع نفسه، ص: 106.

7: المرجع نفسه، ص: 60.

الخليل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء:78] ثم قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ ﴾، ولم يقل: أمرضني، تأدبا مع أن المرض والشفاء من الله وحده، ومنه: ﴿ وَمَنۡ عَصَانِى ﴾ [إبراهيم:36]، ولم يقل من عصاك تأدبا، وهذه أساليب القرآن التي ليست في طوق البشر، فترافعنا ساعة وافترق المجلس.[1]

ولما قرأ القارئ بين يدي شيخه أبي الربيع سليمان[2]، في سورة الأنبياء: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء:72]، قال أبو راس: يا سيدي، الأولى من حقه أن يسكت شيئا ما عند ﴿ إِسۡحَٰقَ ﴾، ثم يبتدئ ﴿ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً ﴾ فقال لي -أيده الله-: من أين لك ذلك؟ قلت: قال الشيخ إبراهيم عند قول الشيخ خليل في الحدود: وجرد الرجل والمرأة مما يقي الضرب، أن القارئ يقف عند ذكر الرجل، والمرأة مما يقي الضرب، على حد قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةً ﴾، لأن يعقوب ابن إسحاق، فهو حفيد الخليل عليهم الصلاة والسلام، فاستحسن ذلك مني.[3]

خدم التفسير تأليفا وتدريسا فقد ذكر كل من ترجم له أنه ألَّف تفسيرا للقرآن الكريم،[4] وذكر الكتاني في «فهرس الفهارس» أن له إجازة برواية تفسير الإمام أبي راس من طريق تلميذه ابن السنوسي.[5]

وقد عقد في آخر كتابه «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته» بابا عنوانه: العسجد والإبريز في عدة ما ألَّفتُ بين بسيط ووسيط ووجيز، عدَّد فيه تآليفه في كل فن وعلم، فذكر القرآن الكريم أولا فالحديث

1: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 96.

2: أبو الربيع مولاي سليمان، سلطان المغرب الأقصى، كان علما من أعلام المغرب الأقصى في شتى الفنون، له: "شرح الموطأ" و"حاشية على شرح الخرشي" و"رسالة في الغناء"، توفي سنة: 1238هـ. انظر:"موسوعة أعلام المغرب" ج: ص: .

3: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 106-107.

4: "فهرس الفهارس"ج:1 ص:151، "الأعلام"ج:6 ص: 18، "تاريخ الجزائر الثقافي"ج:2 ص:18، "معجم المفسرين"ج:2 ص:487.

5: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، ج:1، ص: 151.

والفقه والنحو والمذاهب والتوحيد والتصوف واللغة والبيان والمنطق والأصول والعروض والتاريخ والأدب وختمها بالقصائد، وذكر في تآليف القرآن الكريم عنوانا مطولا هو «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير» وذكر أنه :"في ثلاثة أسفار ما أبركها قربى، في كل سفر عشرون حزبا، طالما تكلمتُ فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم، فيالها من عطية".[1]

وذهب الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– إلى أن تفسير أبي راس للقرآن الكريم هو هذا العنوان المختوم: بـــ«التيسير إلى علم التفسير».[2]

غير أن الباحث يرى أن تفسيره للقرآن الكريم يعتبر قطعةً أو جزءً منه فقط، وأن هذا العنوان عبارة عن مجموع تضمن العديد من العناوين والتآليف، وما ظهور الكثير من المخطوطات المنسوبة لأبي راس في التفسير وعلوم القرآن إلا دليل على ذلك، فلا يمكن الجزم بأنه ألَّف تأليفا واحدا في تفسير القرآن وهو هذا المعنون بـــ «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير»، بل هو مجموع اشتمل على التفسير للقرآن الكريم وعلى جمع من المواضيع الخاصة بعلم التفسير وعلم القرآن، خاصة أن الدكتور قد جزم أن كتابه «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته» يعتبر آخر ما ألَّفه أبو راس، إذ يقول في تقديمه للكتاب:" وما دام أبو راس قد ألَّفه بعد سنة 1233هـ وقد توفي هو سنة 1238هـ أو 1233هـ، فإننا نحكم أنه قد كتبه في أخريات أيامه، أي بعد أن عاش حوالي ثمانين سنة ... كما أنها تدلنا أن الكتاب من أواخر ما ألفَّ أبو راس".[3]

1: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 179.

2: يقول الدكتور أبو القاسم: فأما أبو راس فقد ذكر أنه قد وضع تفسيرا للقرآن الكريم في ثلاثة أسفار، وأنه جعل كل سفر يحتوي على عشرين حزبا، سمَّاه «التيسير إلى علم التفسير». "تاريخ الجزائر الثقافي" ج:2، 18-19.

3: المرجع نفسه، ص: 07.

وقد ذكر أبو راس في مبحث تآليفه في القرآن أربعة عناوين فقط هي: «مجمع البحرين» وتقييده على الخرَّاز[1] الذي هو: «الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخرَّاز» والدُّرر اللوامع[2] والذي هو «السيوف القواطع في شرح الدرر اللوامع» والطراز[3] الذي هو «إزالة الألغاز على كلام الطراز على الخرَّاز» ثم ظهر لنا مجموعة من التآليف كلها لأبي راس الناصري في علم التفسير وعلوم القرآن، وقد ذكر الدكتور المختار البوعناني مجموعة منها، هي:

«الإبريز والإكسير في علم التفسير» وذكر أنه مخطوط مصور، وأنه في مكتبته الخاصة. و«إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمآن» وهو شرحه الثاني على منظومة «مورد الظمآن»، و«التكلم مع صاحب عمدة البيان[4]»، و«إعانة القدير في شرح النشر والتيسير[5]»، و«تكميل البيان في ضبط الجواهر الحسان» في سفرين، كما له «سر الرحمن في جمع القرآن وسبب جمعه على هذا المنوال» و«فتح المنان في ترتيب نزول القرآن».[6]

وهي تآليف لم يذكرها أبو راس ضمن مؤلفاته في علوم القرآن، ولا توجيه للأمر بعد ثبوت نسبتها له إلا أن يقال أن كتابه «مجمع البحرين »كان متضمن لهذه التآليف.

1: أرجوزة الخرَّاز المسماة «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن» وهي لصاحبها محمد بن محمد الشريشي المعروف بالخراز، من أهل فاس، توفي سنة: 718هـ. وهي في رسم أحرف القرآن. انظر:"الأعلام" ج:7، ص: 33.

2: منظومة «الدرر اللوامع في قراءة نافع» لصاحبها علي بن محمد الرباطي الشهير بابن بري، من أهل تازة، توفي سنة: 709هـ، انظر "الأعلام" ج:5 ص:05 .

3: «الطراز في شرح ضبط الخرَّاز» لمؤلفه محمد بن عبد الله التنسي، أحد علماء تلمسان، أصله من تنس، توفي سنة:899هـ. انظر: "الضوء اللامع" ج:8، ص:120.

4: هي «عمدة البيان في رسم خط القرآن» للخرَّاز أيضا، ويطلق عليها البعض «عمدة البيان في ضبط القرآن» ولكن الأخير في الضبط لا الرسم.

5: «النشر في القراءات العشر» للإمام ابن الجزري(ت: 833هـ)، و«التيسير في القراءات السبع» للإمام الداني(ت:444هـ).

6: ذكرها الدكتور في رسالته: اهتمام الجزائريين بالقرآن الكريم . بيبليوغرافيتا . طبعة أولى، ت: 2002م. وقد وجدتها في موقعه الشخصي:https://www.blogger.com/profile/14129902046987652 71 .

وعن **أسلوبه ومنهجه** في تفسير القرآن الكريم، فلم أجد من تآليفه المخطوطة ما يمكن اعتماده في ذلك إلا مخطوطته «الإبريز والإكسير في علم التفسير» وهي النسخة الوحيدة التي أشار إليها الدكتور البوعناني، وقد تحصلت عليها بعد جهد جهيد.

وقد أشار الدكتور أبو القاسم سعد الله إلى منهج أبي راس في التفسير، وكيفية تعاطيه مع الآيات القرآنية استلهاما من كتاباته عموما دون الوقوف على ما يثبت تصوره واستنباطه هذا، إذ يقول:"ومما عرفناه عن أبي راس نستطيع أن نحكم بأن تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها، ونحكم أيضا بأن عبارته ستكون سهلة وألفاظه قريبة من العامية، أما التفسير في حد ذاته فقد يكون مقتصرا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع، ومهما كان الأمر فإن تفسير أبي راس يُذكِّر المرء بتفسير الثعالبي[1]، لأن كليهما كان يجمع الزهد إلى العلم، وكليهما جاء في وقت اضطربت فيه الأحوال السياسية في البلاد ،كما أن حجم التفسيرين متقارب".[2]

وسيظهر تطابق هذا الحكم أو عدمه من الدكتور على أسلوب أبي راس في التفسير، بعد الكلام عنه من خلال مصنفه في التفسير«الإبريز والإكسير في علم التفسير»، والذي قمت بتحقيق وكتابة جزء سورة الفاتحة منه بالكامل، إذ الموجود المتوفر من مخطوطة تفسير أبي راس هو سورة الفاتحة والربع الأول من سورة البقرة، والمخطوط بأكمله لم يتعد 77 لوحة، كتب بخط مغربي واضح مقروء في غالبه، مسطرته 21، وقد تحصلت عليه بمساعدة أحد الزملاء.[3]

تفسير سورة الفاتحة من «الإبريز والإكسير في علم التفسير» لأبي راس الناصري:

1: يريد تفسير «الجواهر الحسان» لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت: 875هـ)، أما عيسى الثعالبي(ت:1082هـ) فلم يكن له تأليف في التفسير.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 18-19.

3: هو الأستاذ بلحاج جلول، جزاه الله خيرا، فقد انتفعت بمساعدته كثيرا.

" سورة أم القرآن: وهل هي مكية أم مدينية؟ قولان، وسميت أمًّا له لأنها أصله ومنشؤه وأساسه، لتضمنها المعاني الثلاثة التي هي أصول مقاصد القرآن على وجه إجمالي، أولها ثناء ووسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد، ثم يصير ذلك مفصلا في سائر السور، فكانت منها بمنزلة مكة من سائر القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فشأنها أن تسمى أم القرآن كما سميت مكة أم القرى، وتسمى أيضا فاتحة الكتاب لأنها مفتتحه ومبدؤه، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق، إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آية منها والسابعة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:7]. وإن لم تكن منها كما هو مذهب مالك فالسابعة ﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قاله الجلال المحلي، وهو الظاهر دون ما للقسطلاني والبيضاوي وابن جزي.

واختلف هل أوِّل الفاتحة على إضمار قول أي قولوا الحمد لله، ليكون ما قبل إياك نعبد مناسب له، أو هو ابتداء كلام الله ولا بد من إضمار القول في ﴿ إِيَّاكَ نَعبُدُ ﴾ وما بعده. ﴿ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ﴾: جملة خبرية، قُصد بها الثناء على الله تعالى، مضمونها أن الله تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق والمستحق لأن يحمد، فالحمد أعم من الشكر، لأن الشكر لا يكون إلا جزاء عن نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر وثناءً ابتداءً، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد، ﴿ ٱلحَمدُ لِلَّهِ ﴾: الحمد باللسان فقط والشكر باللسان كالتحدث بالنعم، وبالجوارح وهو عمل الطاعة، وبالقلب وهو معرفة مقدار النعمة، وأنها تفضل منه لا باستحقاق العبد، وهذا معنى قول سعد الدين في مختصره: الحمد له خصوص الآلة وعموم المتعلق، والشكر بالعكس. والله علم على المعبود بحق. ﴿ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ﴾ : أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، كلٌّ منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن ونحو ذلك. وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولي العلم على غيرهم، وهو من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم والغالب فهو علامة على موجده سبحانه وتعالى، وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وتناوله لغيرهم على سبيل

الاستتباع، وقرئ ربَّ بالنَّصب، على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دلَّ عليه الحمد.﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير للخلق، وإنما قدَّم الرحمن لاختصاصه بالله وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات، ﴿ مَٰلِكِ ﴾: بغير ألف من الملك، ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ وهي قراءة الجماعة، وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالألف، والتقدير حينئذ مالك الأمر يوم الدين أو الجزاء وهو يوم القيامة، والمراد أنه موصوف بذلك دائما ك﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ قال البيضاوي: المالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة من المِلك، والـمَلك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك، وقرأ بلفظ الفعل وبالنصب على المدح أو الحال، وبالرفع منونا على أنه خبر مبتدأ محذوف. ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾: قدَّم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر، أي ما نخص بالعبادة من توحيد وغيره إلا أنت، ولا نطلب المعونة بفتح الميم وضم العين على العبادة وغيرها إلا منك، وفيه التفات عن الغيبة وقرأ {أياك} بفتح الهمزة، و{هياك} بقلبها هاءً.

لطيفة: قدَّم الثناء على الدعاء لأن شأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وقدَّم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ على غيره لأن رحمته سبقت غضبه، وقدَّم ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾: بيان للمعونة المطلوبة وكأنه قال: أعينكم، فقالوا: اهدنا أي أرشدنا، وأصل هدى أن يتعدى باللام وبإلى فعومل هنا معاملة ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾ والهداية دلالة عطف ولذا تستعمل في الخير. وأما ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ وارد على طريق التهكم، و﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ بقلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق، وخلفٌ يشم الصاد صوت الزاي حيث وقع،

وقرأ قنبل عن ابن كثير بالسين على الأصل، وخلاد بالإشمام في الأول فقط، والباقون بالصاد وهي لغة قريش. وهو طريق الحق أو الإسلام أو الميزان، وقال أبو العالية هو النبي أخرجه أبو حاتم، لأنه طريق إلى الله.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾: بالهداية بدل مما قبله، بدل الكل من الكل، وهو في حكم تكرير العامل من حيث أن المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكدِّ وجه وأبلغه، والمنعم عليهم قال ابن عباس: وهم النبيون والصدقون والشهداء والصالحون، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يكفروا، وقرأ حمزة، عليهُم بضم الهاء.

﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾: الواو عاطفة ولا زائدة لتوكيد النفي بدل من الذين على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلالة، ونكتة البدل أفادتنا أن المهتدين ليسوا بيهود أو نصارى أو صفة مبينة، و﴿ غَيرِ ﴾ بالجر إما بدل من ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ على المعنى أو من ضمير عليهم قرأ شاذا بالنصب إما حالٌ من ضمير عليهم وناصبها ﴿ أَنعَمتَ ﴾ ، أو من ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ وعاملها معنى الإضافة، قال ابن كثير: المعنى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم ﴾ ممن تقدم، ووصفهم بالهداية والاستقامة. ﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ ﴾ وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا صراط﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وهم الذين فقدوا العلم. وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثمَّ مسلكين فاسدين وهما طريق اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين، وقيل: ﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم ﴾ العصاة، و﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الجاهلون بالله تعالى.

فائدة: في شفاء عياض من حديث أبن مسعود: إذ أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله، قال: الخفاجي: كما أرشدنا لذلك في سورة الفاتحة. قال ابن مرجان في تفسيره: إذ قيل لك أنَّ أحدا أحيي ميتا بقراءة الفاتحة فلا تنكره". انتهى تفسير سورة الفاتحة.

افتتح أبو راس تفسيره بذكر فضل علم التفسير إذ يقول:" إن العلم ذو أفنان ويتسمى عن كل دوحة منه أغصان، وإن أعظم ما نطق به الإنسان من ذلك وفاه، وتحركت به الألسن وانطبقت عليه الشفاه علم تفسير القرآن المجيد الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فهو أجلُّ ما يقتنى ويدخر، وأعظم عملٍ حقُّه أن يقدَّم ولا يؤخر، لأنه القطب الذي عليه المدار والأساس الذي عليه بناء الجدار، لرفع مقداره وعلو مناره".[1]

ثم شرع بالتعريف به، إذ قال:" اعلم أن التفسير لغة التبيين، واصطلاحا: بيان معنى القرآن بما هو مأثور عن النبيﷺ والتابعين، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم النحو واللغة والتصريف والبيان والأصول والقراءة، إلى غير ذلك من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. واختلف هل هو بمعنى التأويل، وقيل بالفرق بأن التأويل هو بيانه بما تقتضيه القواعد العربية".[2]

ثم ذكر التفاضل بين الآيات القرآنية، وطريقة جمعه وأوَّل من سمى المصحف مصحفا، وأوَّل من نقطه وشكله، وأوَّل من جمع القراءات السبع وأورد الخلاف في ذلك، ثم أوَّل من حزبه، وصنف في التفسير، ثم مسألة التحذير من التفسير بالرأي وأسهب في الرد عليها، ثم ختم المقدمة بعنوان: **تنبيهات**، أورد فيه مسألتان:

" الأولى: حديث معاوية الذي فيه ومد الرحمن، لم يبينوا معنى المد فيه، هل هو هكذا الرحمن، عوضا عن الألف الساقط، أو المراد إذا رسم ألفا، ويبعده رسم المصحف العثماني.

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:1.

2: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:2.

الثانية: قال ابن حجر في فتاويه: يكفُر من أنكر آية أو جزء من القرآن مجمع عليه كالمعوذتين، بكسر الواو المشدَّدة، بخلاف البسملة من غير النمل، فإن قلت: قد أنكر ابن مسعود كون المعوذتين قرآنا، قلت: قال النووي: يشبه أنه كذب عليه".[1]

وبالنظر في تعريفه لعلم التفسير واشتراطه الاستمداد من علوم النحو واللغة والتصريف والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها من الفنون، فيظهر التزام الناصري بتلك الضوابط والقيود، مع التفاوت في الاستمداد منها.

يستفتح تفسيره بذكر مكي ومدني السور، ويتطرق للخلاف في ذلك، كصنيعه في الفاتحة إذ يقول:" سورة أم القرآن: وهل هي مكية أم مدينية؟ قولان"[2]، ثم لم يجزم ولم يرجح، بل راح يفسر معنى تسميتها بأم القرآن. غير أنه في أول البقرة ذكر أنها مدنية.[3]

واستخدم أحد طرق التفسير بالمأثور وهو تفسير القرآن بالقرآن، عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾. واستخدم تفسير القرآن بأقوال الصحابة، كما في تفسيره ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ بقول ابن عباس، بالرغم من أن تفسيره يصنف ضمن التفسير بالرأي، لقلة التفسير بالمأثور فيه.

وفي القراءات أورد كلام أئمة القراءات عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ إذ أورد خلافهم في صاد كلمة الصراط فيقول:" ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ بقلب السين صادا ليطابق الطاء في الإطباق، وخلفٌ

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2-3.

2: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة: 3.

3: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:5.

يشم الصاد صوت الزاي حيث وقع، وقرأ قنبل عن ابن كثير بالسين على الأصل، وخلاد بالإشمام في الأول فقط، والباقون بالصاد وهي لغة قريش".[1]

أما عن علم النحو فقد أورده في العديد من المواضع من تفسيره لسورة الفاتحة، واستفتح به عند أول تفسيره لأول آية إذ يقول:"واختُلف هل أوَّل الفاتحة على إضمار قولٍ أي قولوا الحمد لله، ليكون ما قبل إياك نعبد مناسب له، أو هو ابتداء كلام الله ولا بد من إضمار القول في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وما بعده. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: جملة خبرية، قُصد بها الثناء على الله تعالى".[2]

وقد كان يورد الخلاف في بعض المسائل، كإيراده للخلاف بين مالك والشافعي عند كلامه عن تسمية الفاتحة بالسبع المثاني، ودخول آية البسملة فيها إذ يقول دون ترجيح:"وتسمى أيضا فاتحة الكتاب لأنها مفتتحه ومبدؤه، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق، إلا أن الشافعي يعدُّ البسملة آية منها والسابعة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:7]. وإن لم تكن منها كما هو مذهب مالك فالسابعة ﴿ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قاله الجلال المحلي".[3]

ولم يكن أبو راس متطرقا للمسائل الفقهية أو العقدية أو السلوكية في هذا الجزء المتوفر، بل كان مقتصرا على معاني وتفسير الآيات دون الولوج في علم الكلام والمسائل الفقهية التي قد يُتطرق لها في التفاسير الأخرى.

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2-3.

2: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:4.

3: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، لوحة:4.

أما عن مصادر أبي راس التي اعتمدها في تفسيره، فيظهر اعتماده على «أنوار التنزيل» للبيضاوي في مواضع عديدة، وعلى سعد الدين التفتزاني[1] في مختصره الذي هو «مختصر المعاني»، وعلى الخفاجي صاحب الحاشية الموسومة: «عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي»، وعلى «الشفا» للقاضي عياض، وغيرها من المصادر التي كان يتفاوت في النقل عنها إما بالمعنى تارة وإما باللفظ تارة أخرى، وهذا الحكم من خلال ما وجدته في هذا الجزء من التفسير، وقد صرَّح باعتماده لمجموعة من أمهات كتب التفسير عند حديثه لمؤلفه المطول «مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير» حيث قال:" طالما تكلمتُ فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه، مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم، فيالها من عطية".[2]

بل صرح في مقدمته بالاقتباس من تفاسير الأئمة إذ يقول:" للاقتباس من تفاسيرهم السَّايرة في الأنام مسير الشمس، ولا ينكرها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس، كالبحر[3] والأنوار[4] والكشاف وابن عطية[5] والجلالين وكشف الكشاف[6]، ذو العبارات الصريحة الواضحة والإشارات المليحة اللايحة".[7]

وليس بهذا النقل والاقتباس مضى كامل تفسيره، بل تظهر شخصية أبي راس الناصري التفسيرية في مصنفه هذا جليا، حيث كان يرجح في كثير من المواطن ويستعمل أدواته العلمية في تفسير الآية الكريمة،

1: قد يتطرق الوهم بأنه مختصر أو حاشية للتفتزاني على البيضاوي، والتفتزاني لم يكتب على البيضاوي، إنما كتب حاشية على الكشاف للزمخشري، وهي مخطوط ذكرها حاجي خليفة في «كشف الظنون »وأطرى عليها كثيرا حيث عدها منعدمة النظير، وتأسف لكونه لم يكملها فقد وافاه الأجل قبل ذلك بسمرقند. انظر: "كشف الظنون" ج:2 ص: 1475.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 179.

3: البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت:745هـ.

4: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ت: 685هـ.

5: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ت:542هـ.

6: كشف الكشاف لسراج الدين عمر بن عبد الرحمن القزويني ت:745هـ.

7: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:2.

كإشارته إلى أنه تعالى:" قدَّم الثناء على الدعاء لأن شأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وقدَّم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ على غيره لأن رحمته سبقت غضبه، وقدَّم ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة"[1]، وغيرها من المواضع في بقية تفسيره.

ومنه فإن حكم أبي القاسم سعد الله على تفسير أبي راس الذي لم يطلع عليه، قد وافق الصواب في جانب وخالفه في آخر، فوافقه في أن تفسيره كان"مقتصرا فيه على المعاني الظاهرة التي لا تحتاج إلى كثرة الاستدلال والاستنباط والتفرع".

وخالفه في حكمه عليه بأن "تفسيره سيكون محشوا بالاستطراد كالأخبار والإعراب والحكايات ونحوها" وهذا ما لم يكن ظاهرا في تفسيره للفاتحة مثلا،كما أن حكمه "بأن عبارته ستكون سهلة وألفاظه قريبة من العامية"، جانب الصواب فيه، بل إن لغته كانت لغة عربية مسبوكة وراقية في غالبها، ولم تكن كما وصفها بأنها قريبة من العامية، وكل هذا البيان في حدود ما استقرأته في لوحات هذا المخطوط الذي لم يظهر كاملا لحد الآن.

أما عن جهود الإمام أبي راس في خدمة التفسير تدريسا، فلم أجد في كتب التراجم والوثائق ما يثبت أنه كان صاحب دَرسٍ أو حلقة خاصة بالتفسير على كثرة حلقاته وانشغاله بالتدريس، وقد أورد هو نموذجا من حلقاته في بعض رحلاته، وذكر أنه سئل في بعض مجالسه عن تفسير مجموعة من الآيات القرآنية، كقوله عند وصفه لرحلة تطوان:"وسئلت بتطوان -إحدى مدن المغرب- عن قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ [الأحقاف:11]، فأجبت: بأن المعنى: وقال الذين كفروا لبعضهم بعضا وقوله ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾المراد عن الذين آمنوا، أي عن شأنهم وتقلدهم الإسلام، ولو كان ما تقلدوه

1: مخطوط: الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، لوحة:5.

خيرا﴿ مَا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾. فقال السائل:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إن الكفار قائلون، والمقول لهم ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾؟ فقلت: لا، وما معناه إلا ما قلت لك، ثم قلت له: يا هذا، لو كان كما تقول لكان ﴿ مَا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ بالخطاب لا بالغيبة، فحينئذ فهم وسلَّم واعترف بالحق وأذعن للصدق".[1]

ولم أجد غير هذا النص في إثبات تدريسه للتفسير وعلومه، سواء أثناء إقامته بالجزائر أو أثناء رحلاته، والباحث لا يستبعد اشتغاله وعقده لمجالس التفسير تدريسا، خاصة أنه كان مشتهرا بكثرة التدريس وعقد الحلقات في جميع الفنون، ولن يكون علم التفسير بمنأى عن ذلك.

السادس: محمد الزجاي[2](كان حيا سنة:1238هـ)[3]:

محمد الزجاي، أحد أعلام التفسير بحاضرة تلمسان، وتلميذ الشيخ ابن لُلُّو التلمساني[4] صاحب المجالس التفسيرية بالجامع الأعظم، لم يُتَرجم له إلا في «إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر»[5] تأليف محمد بن علي التلمساني[6] أحد طلبة الشيخ الزجاي، اشتُهر بخزانته[7] التي قيل إنها إحدى الخزائن الكبار التي تحوي على أحمال من المجلدات والأسفار.[8]

1: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 164.

2: وهو غير محمد بن عبد الله الزقاي، خريج الأزهر الشريف ومدرس المدرسة الشرعية الفرنسية، والذي توفي بعد سنة: 1851م.

3: لم أقف له على ترجمة.

4: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 13. وقد سبقت ترجمته.

5: اعتمده الدكتور أبو القاسم سعد الله في كلامه عن الزجاي، وذكر أنه مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس، قلت: ومنه نسخة ثانية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقم الحفظ: 5753-فب. غير أن عنوانها: التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر.

6: لم أجد ترجمته.

7: ولعل من أسباب ذلك أنه كان: يقوم بالنساخة حتى أصبح له فيها مهرة وطاقة كبيرة، ومن مهارته أنه كان يكتب ويحدث الجالس بدون كلل ولا زلة قلم. انظر:" تاريخ الجزائر الثقافي"ج1، ص:290.

8: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 297

خدم التفسير وعلومه تأليفا، يقول أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–:"وللزجاي مجموعة من التآليف في التفسير والنحو والتصوف، ويهمنا من أعماله ما فسَّره من القرآن، فقد عدَّ له أحد المترجمين [1] «تفسير الخمسة الأولى» وهو تعبير غير واضح، فهل هو تفسير السور الخمس الأولى؟ أو تفسير الأجزاء الخمسة الأول؟ وعلى كل حال فإن التعبير يدل على أن هذا التفسير غير كامل، وأنه تناول فيه جزء فقط من القرآن الكريم، كما ذكر له مترجمه حواشي كثيرة في التفسير وغيره ".[2]

وقول صاحب «إتمام الوطر» بأن شيخه له حواشٍ في التفسير دليل على اهتمام الزجاي بالتفسير وعلومه تأليفا، ولا أستبعد أن تلك الحواشي كانت على كتب التفاسير المشهورة كـ «أنوار التنزيل» للبيضاوي أو «تفسير الجلالين» للسيوطي والمحلي أو« الكشاف» للزمخشري، ذلك أن غالب حواشي كتب التفسير التي اهتم بها علماء الجزائر تلك الفترة كانت حول تلك التفاسير.

وقد نـبَّه الدكتور أبو القاسم أن عمل الزجاي قد يكون مشابها لما قام به يحي الشاوي بالقول:"ولعل هذه الحواشي تشبه ما قام به يحي الشاوي في تعاليقه على التفاسير المتقدمة "[3]، يريد به كتاب « المحاكمات »الذي جمع فيه بين التفاسير الثلاث، تفسير ابن عطية وأبي حيان والزمخشري، والذي قصد فيه جمع اعتراضات الإمام أبي حيان على ابن عطية والزمخشري، ومناقشة تلك الاعتراضات، وليس لدينا ما يمكن اعتماده في إثبات ذلك.

ولعل في رواية تلميذه لحادثة المناظرة التي شهدها الباي بين الشيخ الزجاي وخصومه وتعليقه عليها، ما يمكن أن نحكم به على نوع التفسير الذي كان الزجاي يعتمده، وأنه تفسير بالمأثور، إذ يقول:"وبرهن كل فريق على رأيه، فهو ينقل من الكتاب والسنة وهم ينقلون عن الشيخ خليل وأمثاله"[4]، وهي مخاصمة

1: هو تلميذه صاحب تأليف: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله،ج:2 ص:19.

3: المرجع نفسه، ج:2، ص:19.

4: المرجع نفسه، ج:2، ص: 449.

تمثل امتدادا لصراع المدرسة الحديثية مع نظيرتها الفقهية، خاصة وأن هذا المجلس ما عُقد إلا بعد اتهام الزجاي بادعاء الاجتهاد.

وعن أسلوب الزجاي في التفسير يقول الدكتور أبو القاسم:" الظاهر أن الزجاي كان يتبع في تفسيره طريقة الشروح المتداولة، حيث كانوا يعمدون إلى عبارة الأصل فيعربونها ويذكرون معناه أو معانيها ويستشهدون لذلك بما يعزز رأيهم، وقد يستطردون بعض الشيء لإثراء الفكرة التي يسوقونها أو للتباهي بالحفظ والإطلاع".[1]

كما أن ممارسة الشيخ لعلم اللغة والنحو والبيان وتدريسه لهاته العلوم وتأليفه فيها[2]، يعطي انطباعا أن تفسيره قد اعتمد تلك الفنون وفكَّ بها الألفاظ والمعاني.

وليس بين أيدينا ما يمكن اعتماده في الحديث عن دور الزجاي في خدمة التفسير تدريسا وجهوده في هذا الباب، غير أنه لا يمكن الجزم بأنه لم يخدم هذا الفن وعلومه بالتدريس والحلقات، خاصة أنه" اشتهر بمهنة التدريس".[3]

السابع: علي بن محمد الميلي الجَمَّالي التونسي، (ت:1248هـ):

علي بن محمد الميلي الجمالي، أحد أعلام الجزائر في التفسير الذين سكن أسلافه تونس، نسبته إلى "ميلة" بقرب قسنطينة، ثم انتقلت عائلته إلى قرية جمال بالساحل التونسي، لا يعلم تاريخ ولادته، فقيه مالكي متكلم، مفسِّر[4]، استوطن مصر وتوفي بها سنة:1248هـ. ذكر حسن حسني عبد الوهاب في ترجمته أنه لا "نعرف شيئا عن نشأته الأولى ودراسته، سكن مصر، وكان له مع علمائها خصومات ومجادلات في

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:2، ص: 19.

2: له فيها تآليف منها: شرح على ألفية السيوطي، وشرح على التسهيل لابن مالك وعلى لامية الأفعال في التصريف وعلى نونية صاحب الشذور. "تاريخ الجزائر الثقافي" ج:2، ص:164.

3: المرجع نفسه، ج:2، ص: 19.

4: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج:4، ص: 428. ومعجم المفسرين، عادل نويهض، ج:1، ص: 387.

مسائل الفروع الفقهية"[1]، أشار أبو القاسم سعد الله إلى أنها مع خصوم المذهب المالكي والأشعري[2]، ولم تتحدث المصادر التاريخية عن شيوخه وطلبته، ذكر صاحب «العمر» أنه: نُقل عن الشيخ محمد العروسي[3] أنه قال عنه:"رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا، لا يُنكر علمه وفضله، وهو منعزل عن خلطة الناس، إلا أنه حاد المزاج"[4]، وقد ذُكر في تصانيفه أنه ألَّف رسالة في «حكم ذبيحة أهل الكتاب» لتلميذه إبراهيم باشا المالكي الإسكندري[5]، ولا يعلم غيره من الطلبة ولا الشيوخ.

له تآليف وتصانيف كثيرة، منها: «الكواكب الدرية والأنوار الشمسية في إثبات الصفات السنية القائمة بالذات الأزلية»[6]، و«السيوف المشرفية في الرد على القائلين بالجهة والجسمية» [7] و«الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري»[8] في تكذيب فرية نسبت إلى الإمام الأشعري، و«الشمس والقمر والنجوم الدراري في إثبات القدر والكسب والاستطاعة والجزء الاختياري»[9]، و«أشراط الساعة وخروج المهدي» وغيرها، علَّق عليها الزركلي بالقول:"وكلها رسائل".[10]

ولندرة المصادر التاريخية التي تحدثت عن الشيخ، فإننا لا نجزم بممارسته للتفسير تدريسا، خاصة أنه أشار إلى اعتزاله الناس وكذا المجالس العلمية وهو يروي ذلك بحسرة وكآبة شديدة، إذ يقول:" حفظتني

1: العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، ج:1، ص: 444.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:7، ص: 96.

3: لم أجده.

4: العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت1990م، ج:1، ص: 446.

5: قد يكون إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، أحد ولاة مصر، وصاحب الحملة على نجد والحجاز، المتوفى سنة: 1264هـ، فقد ذكروا في ترجمته أنه طلب العلم على شيوخ القاهرة، وأرجح هذا كونه كتبها له بطلب منه.

6: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم:237، تصنيف عقائد. ونسخة ثانية بالأزهرية برقم: [357 مجاميع] 12603.

7: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم:188/1، وثانية بمكتبة برنستون بأمريكا تحت رقم:3373.

8: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم:177/1.

9: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم:194/1.

10: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج:5، ص: 17.

نفحات من الحق عن مخالطة الخلق، وكلَّفت نفسي رفض المناصب والعوائق، وآثرت الطاحونة ببيتي على سائر الطرائق، وتركت الدنيا وفوائدها والمناصب وعوائدها، والعلوم ومدارسها والفضائل ومؤانستها، واخترت العزلة والإنزوى[1] وانتظرت منادي الله صباحا ومسا"[2]، ثم تمثل بأبيات من الشعر.

غير أنه خدم التفسير تأليفا، بأن صنَّف « تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾»، يريد تفسير آيات سورة فاطر﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ **[فاطر:32]**

وهو مخطوط دار الكتب المصرية والنسخة الوحيدة الموجودة[3]، جاءت في حوالي 93 لوحة، مكتوبة بخط مشرقي عادي، وغالب لوحاتها مطموسة، إضافة إلى سوء التصوير وانتشار الأحبار المتناثرة في اللوحات، مما حال دون دراستها دراسة مستوفاة، إلا ما أمكن من اللوحات السليمة، مسطرتها 19، ورقم حفظها بالدار هو:36/1، ومنها نسخة مصورة بالأزهرية، ولأن المخطوط ناقص غير تام فلم أجد لوحة الكولوفون، ولم أهتد لمعرفة الناسخ ولا سنة نسخها، غير أنه يمكن الجزم أنها كانت بعد سنة:1212هـ، وهي سنة دخول الحملة الفرنسية على مصر، حيث أشار إلى ذلك. وقد حاولت جاهدا بيان أسلوب الشيخ علي الميلي في التفسير وعلومه، بما أتيح لي من لوحات صافية يمكن قراءتها، مع التنويه أن غالب المخطوط رديء التصوير مطموس العبارات بالأحبار.

1: هكذا ورد في النسخة المعتمدة.

2: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، نسخة دار الكتب المصرية، من اللوحات الأولى. ذلك أن المخطوط غير مرقم، وهي عندي برقم:155.

3: منه نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية رديئة التصوير جدا، بالقاهرة، برقم حفظ: 36/1. ومصور عنها بمكتبة الأزهرية.

ذكر المؤلف في سبب تأليفه «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾» أنه طُلب منه التصنيف في التفسير من طرف رجلين لم يفصح عن اسمهما أو مكانتهما، وأنه "ضربت عن قولهما صفحا وطويت عن ضميري كشحا، ثم ظهر لي لا شيء أحسن من العلم، وهو في طريق الخير أجرى، فأجبتهما إلى ذلك القصد ...[1] واخترت آية للمؤمنين تذكرة.. راجيا حصول الثواب من الله في الدار الآخرة، وسميتها «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾».[2]

ثم جعل من أسلوب التعرض للآية بالأسئلة طريقا لفهمها وفهم مغاليقها وتيسير تفسيرها، إذ يقول: " فلننشر بعض ما ظهر في الآية الكريمة من الأسئلة التي يحتاج إليها كل طالب يطلب الفهم في كتاب الله تعالى وشوق إلى معاني أسرار رسول الله ﷺ".

ثم أورد الأسئلة متتابعة، فبدأ بالسؤال الأول فالثاني فالثالث حتى أتم موفى الواحد والعشرين سؤالا دون إجابة، ليعد بالإجابة عنها مفصلا في لاحق اللوحات فقال:"

السؤال الأول: ما سر التعبير بثم ولم يكن ذلك بغيرها من حروف العطف، وقد وقع الفرق بين معانيها ؟

السؤال الثاني: ما سر قوله:﴿ أَوۡرَثۡنَا ﴾ دون الإيتاء، وقد قال الله تعالى في آيةٍ:﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ وهل فرقٌ بين الإيتاء والإعطاء والوراثة والهبة والنحلة ؟

السؤال الثالث: كيف يتقرر معنى الوراثة وترتيبها بعد ذكر الجمل قبلها وهي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ الآية ؟

1: النقاط جعلتها في هذا الموضع للكلمات المطموسة.

2: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم:155 عندي.

السؤال الرابع: ما سر التعبير بـ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ دون القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ وقد قالﷺ:{أهل الله حملة القرآن وخاصته}[1]، وذُكر القرآن في كثير من الآيات ؟

السؤال الخامس: ما سر التعبير بـ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ دون التعبير بكتابنا، كما قال الله تعالى قبلها:﴿ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ ؟

السؤال السادس: ما سر التعبير بالموصول دون المصطفين من عبادنا ،كما قال تعالى في آية:﴿ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾؟

السؤال السابع: ما سر التعبير بـ﴿ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ دون اخترنا أو آثرنا، وهل فرق بين هذه الألفاظ وقد قال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ ؟

السؤال الثامن: ما سر التعبير بـ﴿ عِبَادِنَا ﴾ دون العبيد وهل فرق بينهما؟

السؤال التاسع: ما سر تقديم الظالم لنفسه، والعرب يقدمون ما هو أعنى وأهم، والسابق بالخيرات معلوم العناية عند الله تعالى؟

السؤال العاشر: ما سر التقييد بقوله بـ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ في القسم الأخير، ولم يقيد بمثل ذلك في القسمين الأوليين؟

1: رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، حديث:1988. بلفظ: إن لله أهلين من الناس قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : " أهل القرآن هم أهل الله وخاصته". عن أنس رضي الله عنه. ورواه: ابن ماجة برقم: 215، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: 2165 في صحيح الجامع.

السؤال الحادي عشر: ما سر التقييد في السابق بالخيرات ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ هنا، ولم يقيد ذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ ؟

السؤال الثاني عشر: ما سر قوله ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ دون التعبير بأولئك هم أهل الفضل ، كما قال تعالى في قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ؟

السؤال الثالث عشر: ما سر التعبير بـ﴿ ٱلْفَضْلُ ﴾دون الفوز، كما قال تعالى في غيرها:﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ؟

السؤال الرابع عشر: ما سر التعبير بـ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ دون الأكبر، مع أن الآية سيقت في فضل الهمة، وثوابها أكبر ثواب؟

السؤال الخامس عشر: ماسر هذه الجملة وتقديمها على التي بعدها في قوله تعالى:﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ ؟

السؤال السادس عشر: ماسر التعبير في الآية بالمضارع دون الماضي، كما جاء في قوله ﷺ [1]:{من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة}[2]، وإن كان ذلك جرى على الأصل في الآية ....-كلام مطموس- ؟

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم:152 عندي.

2: ذكره ابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا، حديث:200. بلفظ: من شهد لا من قال. وذكره بلفظه: الدولابي في الكنى والأسماء، باب: من ابتدئ كنيته بالشين، أبو شيبة الخدري رضي الله عنه، حديث:227.

السؤال السابع عشر: ما سر التقديم في ذكره لتحيتهم في الجنة على لباسهم، مع أن اللباس عادة يكون قبل التحية، والخطاب يكون على ما جرى في عرف المخاطب من الذي جرت به العادة في الدنيا؟

السؤال الثامن عشر: ما سر قولهم في ذهاب الحزن عنهم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وهلا قالوا: إن ربنا لغفور رحيم، على أنهم قالوا قبله ما علموا من كتابه، ووقع الثناء به في أصل خطابه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾؟

السؤال التاسع عشر: أن الله ذكر قبلها﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾، فهلا قالوا هنا: إن ربنا لخبير بصير بنا وبأعمالنا ؟

السؤال الموفى عشرين: ما ذكر المفسرون في معنى الآية وسبب نزولها وما قال الجمهور فيها مشهور معلوم، فهل يمكن أن يقال أن الآية معناها خاص بأهل التلاوة للقرآن وهم حفاظه، وهم أقسام ثلاثة: سابق في حفظه وعمله ومقتصد وظالم لنفسه؟

وقد يؤخذ ذلك من كلام من ذكر فضل القرآن وألَّف فيه وذكر الآية في فضل أهل كتاب الله تعالى، ولا بُعد في هذا، وإن تحقَّق ذلك فلا تخصيص في الآية ولا إشكال فيها، ويكون الدخول، وليس في طائفة من أهل الإيمان في الثلاثة الأقسام وهذا لا يمنعه شيء لأن القرآن شافع مشفع لأهله، لكن يقال لا بد من تخصيص الآية لما ورد في بعض من حفظ القرآن ولم يعمل به، وأنه لا بد من الوعيد والورود للنار.

السؤال المتمم للواحد والعشرين: يقال على عموم معنى الآية في الأمة المحمدية بتمامها قد دخلت الأصناف الثلاثة .... جمل مطموسة...."[1]

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم:147 عندي.

ثم لما أكمل إيراد الواحد والعشرين سؤالا قال:" وهذا ختام الأسئلة، ثم الكلام على كل سؤال منها يحتاج إلى طولٍ كثير، ومنه كلَّت الهمم، لكن أرجو من الله أن ألتزم الإشارة إلى بعض الأجوبة من غير إخلال ولا إكثار بل بالاختصار، وربما استغنيت بجواب واحدٍ عن سؤالين، والله المستعان وعليه التكلان".[1]

واعتمد الشيخ في تصنيفه هذا وفي إجابته على الأسئلة الطويلة، مصادر كثيرة نوَّه إليها في مقدمته، مركزا على «أنورا التنزيل وأسرار التأويل» للإمام البيضاوي وحاشية أبي السعود «إرشاد العقل السليم» وحاشية الشهاب الخفاجي «عناية القاضي وكفاية الراضي»، ولم يكن ناقلا فقط، بل كان معترضا في بعض الأحايين مبرزا لرأيه ومرجحا بين الأقوال، كما في قوله عند إيراده لكلام البيضاوي وأبي السعود في كلامهم عن قوله تعالى:﴿ مُصَدِّقًا ﴾:" فإن قلت هذا مخالف لما ذكره العلامة البيضاوي أن ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال مؤكدة، قال عند قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [فاطر:31]: أحقه ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام، ووافقه السعود وأقره الشهاب، قلت: بحث في ذلك ابن هشام[2] أن اللازم للحق هو صادقيته لا تصديقه لجميع الكتب السماوية فالحال مؤسسة لا مؤكدة، على أن التأسيس أبلغ في التأكيد، لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة، تأمل.[3]

وتميز أسلوب الشيخ بالاستطراد والتوسع في الاستشهاد بالآيات الكثيرة مفسرا لها، ككلامه عن الجنة واستطراده في الكلام عن أبوابها إذ يقول:" وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ كيف تجد تحته معنى بديعا، وهو أنهم إذا دخلوا

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم:146 عندي.

2: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، ج:2، ص:249.

3: مخطوط: تحفة الأحباب، من اللوحات الأولى. وهي برقم:141 عندي.

جنةً لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما قال، وأما النار إذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى:﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ﴾ أي مطبقة مغلقة، ومنه سمي الباب وصيدا، قال تعالى:﴿ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ وقال تعالى:﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾.[1]

وقد اهتم الشيخ الميلي بإيراد أقوال ومذاهب المدارس النحوية خاصة الكوفية والبصرية، فقد اعتمدها مثلا عند قوله تعالى ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ إذ يقول:" وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة، فقال الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب.....[2]وأل والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العينين، أي عينيه، ومعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ أي مأواه. قال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به...."[3] والكلام فيه طمس كثير يصعب معه فهم المراد.

وأيضا في كلامه عن توجيه النحويين للنصب في قوله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمۡ ﴾."هل هو على الظرف أم على الحال".[4]

وفي البلاغة يذكر صورا للاستعارة بأنواعها والمجاز وغيره من فنونها، كما في كلامه عن قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴾ إذ يقول: "﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ وإنما قالوا ذلك ولم يقولوا: الشكر لله، إشارة إلى أنه رأس الشكر، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره:{الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لم

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم:99 عندي.

2 : كلام مطموس، غير واضح.

3: مخطوط: تحفة الأحباب، وهي برقم:99 عندي.

4: مخطوط: تحفة الأحباب، وهي برقم:92 عندي.

يحمده}[1]، فإطلاق الرأس مجاز لعلاقة المشابهة في الظهور و.....[2] وهي استعارة مكنية وذكر الرأس دليل على أنهم جمعوا بينه وبين الشكر في قوله ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ وإنما قدَّم لفظ الحمد لأن المقام مقام الحمد وإن كان ذكر أنه أعمُّ، فإن قلت: تقديم المبتدأ هو الأصل فلا حاجة لهذه النكتة ؟ فالجواب: أن عدم الاحتياج لا ينافي حسن اعتبارها".[3]

ولم يُبد الشيخ الميلي –فيما ظهر من لوحاته المقروءة– اهتمامه بالقراءات بل أوردها في مواضع معدودة جدا دون الخوض في تفاصيل ذلك العلم، ككلامه عن اختلاف القراء السبع في قوله تعالى: ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ إذ يقول: "تأمل ما دلَّت عليه لفظة ﴿ عَالِيَهُمْ ﴾ من كون ذلك اللباس من ظاهر ....[4] يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن الذي تحت الثياب وإنما يلبس هذا فوق الثياب المزينة، فالجمال هو شعار غيره، فالإستبرق هو شعار والسندس هو الظهار، وقد اختلف القراء السبعة في نصب﴿ عَالِيَهُمْ ﴾ ورفعه وسكون الياء على قراءتين".[5]

وتميز منهجه في إيراد الأحاديث النبوية بالدمج والرواية بالمعنى، ولم يكن دقيقا في إيراد متون الأحاديث كما هي في كتب السنة، والتي أحيانا يشير إلى بعضها ثم يظهر خطؤه فيها، كصنيعه في تخريجه لحديث:{الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لم يحمده} بأنه عند الترمذي، والصحيح أنه ليس عند الترمذي بل عند البيهقي وآخرون بذلك اللفظ الذي أورده، كما لم يكن مهتما بإيراد كتب السنة ولا مخرج الحديث ولا راويه.

1: لم أجده عند الترمذي، الحديث بلفظه أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان في الثالث والثلاثون من شعب الإيمان، وهو باب في تعديد نعم الله. حديث:4211.

2: كلام مطموس، غير واضح.

3: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم:81 عندي.

4: كلام مطموس غير مفهوم.

5: مخطوط: تحفة الأحباب، وهي برقم:92 عندي.

وغير هذه الفنون والعلوم لم أستطع بيانها من هذا المخطوط، للطمس في لوحاته وسوء تصويره، مع اليقين أنه يعتبر درَّة جزائرية علمية في التفسير، وأن البحث عن نسخة ثانية له قصد إخراجه لرفوف المكتبات المطبوعة من أوجب الواجبات.

بقي الإشارة إلى أن هذا التصنيف-خاصة أنه كان ناقصا لورقة الكولوفون- قد أُلِّف بعد الحملة الفرنسية على مصر أي بعد 1212هـ، وقد أشار إليها الشيخ وأبان عن بعض الحوادث والأحكام في تلك الفتنة المفجعة موردا لها بحسرة شديدة، فيقول في بداية مصنفه:" والعاصي من هذه الأمة لو نزلت به أزمة وأصابته شدة لحق بأهل التقوى وتعلَّق بهم لأنهم آله وحزبه، أبقى الله عليه إسلامه، فإن فارق الإسلام والعياذ بالله وخلَّ بالمعتقد لحق بأهل الكفر لا محالة، كما وقع ذلك عيانا في الديار المصرية في هذه الأزمنة الردية، لما نزلت بها أزمة الفرنسيس، نَكَلَ خسيسٌ من جند إبليس كان يعبد الله على حرف وفي قلبه مرض وضعف، فباع الجنة الفاخرة ولم يرد إلا الحياة الدنيا، وأعرض عن الآخرة، وقد قسَّم الله الخلائق قسمين لا ثالث لهما، فقال سبحانه وتعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾.[1]

وبعدم ظهور نسخة ثانية لهذا المصنف في التفسير، فإنه يستحيل استعماله والاستفادة منه، فضلا عن طبعه ونشره، ولعل قادم الأيام تظهر لنا نسخة ثانية يمكن اعتمادها في نسخ المخطوط وإخراجه لرفوف المكتبات الجزائرية والعربية.

الثامن: يوسف أوالحاج[2]حمُّو بن عدُّون، أبو يعقوب، (ت:1252هـ):

يوسف أوالحاج حمُّو بن عدُّون، من علماء بني يسجن، وأوائل رجال النهضة العلميَّة الحديثة بميزاب، ولد ببني يزقن في أواخر سنة 1158هـ، سافر إلى الحجِّ سنة 1205هـ، ولمَّا رجع أقام بالقاهرة أربع سنوات

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم:146 عندي.

2: أو بالميزابية تعني ابن. ذكره في «معجم أعلام الإباضية» ج: 2، ص: 128.

يأخذ عن شيوخ الأزهر وينسخ الكتب النفيسة، وعاد إلى وطنه ليشتغل بالتأليف والإصلاح بين الناس إلى أن توفي سنة:1252هـ.

تولَّى رئاسة مجلس عزَّابة بني يسجن وقضاء المدينة، حلَّاه صاحب «معجم أعلام الإباضية» بالقول:"من العلماء العاملين"[1] من **شيوخه:** أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي[2]، وعبد العزيز الثميني[3]، الذي استخلفه في مسجد بني يسجن مقيما للدروس والمحاضرات، بعد أن أسندت إليه مهمَّة مشيخة العزَّابة.

ممن تتلمذ عليه: بلحاج بن كاسي القراري[4]، والحاج سليمان بن عيسى يحي[5]، والحاج سعيد بن يوسف وينتن[6] وغيرهم، وقد ترك آثارا جليلة عديدة منها: «مختصر كتاب الطهارات»، و«معجزات الرسول»،

1: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، ج: 2، ص: 129.

2: من كبار المشايخ في وادي ميزاب إبان النهضة الحديثة، من بني يسجن بميزاب، من أحفاد الشيخ باسَّه وافضل (ت: 828هـ). تلقَّى مبادئ العلوم في مسقط رأسه ببني يسجن، ثمَّ قصد جربة ثمَّ انقطع للشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي نزيل جربة. عاد إلى وطنه ميزاب حوالي سنة 1157هـ بعد إلمامه بعلوم كثيرة. ترك ما لا يقلُّ عن 20 نصا بين رسالة وحاشية، توفي سنة: 1202هـ. انظر: "نهضة الجزائر الحديثة"ج:1، ص: 254. و"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 460.

3: من بني يسجن بميزاب، ولد ونشأ بها، وحفظ القرآن ببلدته، ثمَّ سافر إلى وارجلان ليدير أملاك والده بها حتَّى سنِّ الثلاثين، تتلمذ على يد الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي ولازمه في حلقاته إلى أن نبغ في علوم اللغة العربيَّة والشريعة والمنطق وغيرها. خاض مع شيخه معركة الإصلاح في المجتمع، فلاقى من أجل ذلك أذى كثيرًا، فكان ذلك العهد بداية للحركة الإصلاحيَّة التغييريَّة بوادي ميزاب، له تآليف عديدة، توفي سنة: 1223هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 256.

4: بالحاج بن كاسي ابن امحمد القراري، المعروف بالشيخ بالحاج، ولد سنة:1130هـ بالقرارة، من علماء القرارة، يعتبر ثالث شيخ قراري تولَّى المشيخة العامَّة للوادي، كان شيخ القرارة ومحييها، تصدَّى للتدريس ونشر العلم، وقد ترك مكتبة زاخرة بالمخطوطات النفيسة، تحوي الكثير من منسوخاته. توفي سنة 1243هـ. انظر:" معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 81.

5: سليمان بن عيسى اليسجني، آل الشيخ، أحد علماء بني يسجن بميزاب، عيَّن عضوا في حلقة العزَّابة، وكان كاتباً لاتِّفاقاتهم وقراراتهم ، ثمَّ تولَّى مشيخة بني يسجن خاصَّة، وميزاب بصفة عامَّة. له مدرسة علمية خرَّجت علماء كبار، كما كان مهتمَّاً بشؤون الدفاع تحسُّباً لأيِّ هجوم خارجيٍّ. من أحفاده مفدي زكرياء شاعر الثورة التحريرية. وإليه ينتهي نسب آل الشيخ ببني يسجن. كان حيا بين: 1230-1265هـ. انظر:" معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 210.

6: سعيد بن يوسف بن عدون اليسجني، وينتن، المعروف بـ الحاج سعيد أن بافو، من حكماء زمانه في بني يسجن، كان من أوائل من انتقل إلى مدينة تونس ليأخذ العلوم العقلية، وإلى جربة لينهل من العلوم النقلية. رجع إلى ميزاب – بعد أكثر من ثلاثة أعوام قضاها في التعلم –، فتولَّى التدريس والوعظ والإرشاد، كان حيا سنة:1367هـ. انظر:"معجم أعلام الإباضية"ج:2، ص: 187.

و«قصيدة» في العقائد والفقه ذكر الحاج سعيد أن فيها ثمانية وأربعين ألف بيتٍ[1]، و«القصيدة الحجازية» التي حوت 345 بيتا، و«بيان في بعض التواريخ»، و«شرح البائية» في الحكم والمواعظ، وغيرها.

لم تذكر المصادر التاريخية اشتغاله بالتفسير وعلومه تدريسا، ولا نُقل عن أحد من تلامذته أنه أشار إلى دروسه التفسيرية أو نَقل نماذج من ذلك، غير أنه خدم التفسير تأليفا، فله «حاشية» في التفسير ذكر صاحب المعجم أنها مخطوطة، وأن نسختها موجودة بمكتبة الشيخ إبراهيم حفَّار، دون إشارة منه لرقمها أو إلى التفسير الذي قام بوضع هذه الحاشية عليه، غير أن صاحب «معجم المفسرين» أشار إلى أنها «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي.[2]

وبعد الرحلة التي قمتُ بها لمنطقة غرداية، والبحث في مكتباتها العامة والخاصة وسؤال أهل الاختصاص في هذا الفن، أجمعوا على أنه خطأ في الترجمة، وأنه لم يُعلم للشيخ «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي، وأن مصدر نويهض في إفادته بأن الحاشية على البيضاوي كان تخمينا منه لا غير.

غير أني وجدت أن الشيخ يوسف بن بكير قد ذكر في مؤلفاته أن له"حاشية للبيضاوي في التفسير"[3]، وظهر لي أن الأخير قد أخذ عن نويهض، ولا يسعني في هذا المقام إلا إثبات ما أثبتته المصادر الإباضية، من أن له حاشية على تفسير، وترك الجزم في أي تفسير كانت هاته الحاشية.

وبغياب نسخة المخطوط وفقده لا يمكن بيان أسلوب الإمام ابن عدون ولا منهجه التفسيري، وكيفية تحشيته، وهل التزم ما التزم به الإمام المصعبي –مثلا– من ذكر العقائد المخالفة للفرق الأخرى، وتطرقه لعلوم التفسير والقرآن التي آتى عليها في تحشيته على الجلالين.

1: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير، ص: 118.

2: معجم المفسرين، ج:2 ص: 748.

3: تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير، ص: 118.

ويمكن إيجاز أهم ملامح هذا المبحث المشتمل على التراث التفسيري لعلماء الجزائر خلال القرن الثالث عشر بما يلي:

- على المستويين الكمي والنوعي فإن هذا المبحث يعتبر العصر الذهبي للتراث التفسيري لعلماء الجزائر، خاصة أن فترة الدراسة تنتهي بانقضاء عهد العثمانيين بالجزائر، أي سنة :1245هـ، وهي فترة قصيرة دامت 46 سنة حوت ثمانية مفسرين.
- يلاحظ غلبة التأليف في هذه الفترة وبإطلاق، حيث وُجد لكل مفسِّر تأليفٌ في التفسير، وهو ما لم يشهده باقي قرون الدراسة.
- ظهور التفسير الإباضي تأليفا بمؤلفين، الأول لإبراهيم بن بيحمان والثاني لابن عدون، وهو ما لم تشهده باقي قرون الدراسة.
- شهود سلسلةٍ وسندٍ تفسيري جزائري متين تمثل في أخذ الإمام أبو راس الناصري عن الإمام السنباوي، والإمام السنباوي عن الإمام البليدي.
- استمرارية الصراع الفرقي العقائدي بين المدرسة الحديثية والمدرسة الفقهية، يمثله صراع الإمام محمد الزجاي مع بقية الأئمة، والجمالي مع خصوم المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية.
- تنوع التأليف في التفسير بين التفسير الكامل الذي مثله الإمام المستغانمي والتفسير الآيي الذي مثله الإمام الجمالي والتفسير السوري الذي مثله الإمام السنباوي.
- تنوع التفسير بين التأليف فيه منفردا، والنظم فيه وفي علومه، وهو ما لم يقتصر عليه هذا القرن فقط، بل كان في غالب القرون، وقد مثله في هذه الفترة الوجيزة الإمام الزجلاوي بنظمه لألفية التفسير، وكلها دلائل على تطور التفسير وعلومه ودلائل على تنامي الاهتمام به.
- بقاء العقلية الجمودية ببقاء ثقافة التحشية، وعدم وجود أي تصنيف يكون بريدا لعقلية تجديدية في التفسير وعلومه، ولعل قلة الإبداع في هذا الفن ومحاولة الإبقاء على ثقافة الجمود والنقل، كانت

بسبب القاعدة المشتهرة في تلك المرحلة من أن صوابه خطأ وخطؤه كفر، وهو تخويف أرخى بظلاله على نوعية التفسير، وكسر محاولة التجديد فيه، بل والتأثير فيه كمًّا ونوعا.

- ختمت الفصل والمبحث بمنحنى بياني أشير فيه لمسار الحركة التفسيرية لعلماء الجزائر، بين التأليف والتدريس بحسب قرون الدراسة التي هي زمنية الوجود العثماني بأرض الجزائر، وخلصتُ إجمالا إلى أن عدد الأعلام الجزائريين الذين قاموا على التفسير تدريسا اثنا عشر علما، أربعة منهم في القرن العاشر، ومثلهم في القرن الحادي عشر، ومثلهم في القرن الثاني عشر، وأن عدد الذين قاموا عليه بالتأليف عشر مفسرين، خمسة في القرن الثاني عشر ومثلهم في القرن الثالث عشر، وأن عدد من جمع بين الصنعتين سبعة، اثنان منهم في القرن الحادي عشر، ومثلهم في القرن الثاني عشر، وثلاثة في القرن الثالث عشر، فكان مجموع أعلام الجزائر في هذه الفترة الزمنية تسعة وعشرون مفسرا بالضوابط والشرائط التي اعتمدتها في مسمى المفسِّر.

المنحنى

البياني1

الفصل الثالث:

المدرسة التفسيرية الجزائرية، خصائصٌ وملامحٌ

الفصل الثالث: المدرسة التفسيرية الجزائرية، خصائص وملامح

المبحث الأول:

مصادر التفسير وطرقه في التراث التفسيري الجزائري.

المبحث الثاني:

الصناعة التفسيرية عند علماء الجزائر بين التأليف الكتابي والتدريس الشفوي.

أولا: التأليف الكتابي للتفسير بين الكلي والسوري والآيي والمنظومي عند علماء الجزائر.

ثانيا: التدريس الشفوي للتفسير في الحواضر العلمية بالجزائر.

المبحث الثالث:

أثر الرحلات العلمية في الصناعة التفسيرية الجزائرية.

أولا: دوافع الرحلة العلمية عند علماء الجزائر زمن العثمانيين.

ثانيا: الرحلة عند علماء الجزائر بين طلب التفسير قصدا وطلب علوم الآلة.

توطئة:

يمكن اعتبار التراث التفسيري لعلماء الجزائر بملامحه وخصائصه مدرسةً منفردة، اختلفت في بعض فرعياتها كالتباين في عقيدة المفسِّر ونصرته لمذهب وعقيدة معينة كالإباضية عند الإمام المصعبي مثلا والأشعرية عند الإمام المقري، وارتبطت في اتجاهها العام المفضي للتقليد لا التجديد[1] إن على مستوى التراث الكتابي أو الشفوي في كل الحواضر العلمية، زمن بدايات العهد العثماني إلى نهاياته، وهي مدرسة مشتركة اعتمدت نظام التحشية والشرح والزيادة منهجا لها، فغالب تراثها كان حواش على أمهات كتب التفسير المشتهرة، ولم يرتق أصحابها لدرجة الاجتهاد في إنتاج تفسير خالص لا يكون فيه مقلدا شارحا لكلام غيره، لا يتعدى جهده فيه الإضاءة له بنكت وفوائد هامشية لا تدخل قصدا في التفسير وصنعته، ولم تكن النية معقودة عند أعلام التفسير الجزائريين –غالبا– كما عقدها أحد أعلام التفسير في حاضرة الزيتونة بتونس إذ أوجب على نفسه إنتاجا تفسيريا لا يكون فيه عالة على أحد وأنه يريد رسم بصمة تجديدية في التعاطي مع الآي الكريم تبقى خالدة، إذ يقول في مقدمة كتابه:" أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع، متوسطا في معترك أنظار الناظرين، وزائرا بين صباح الزائرين، فجعلت حقا عليَّ أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد. ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضرٌّ كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالما بأن غمط فضلهم كفران للنعمة، وجحد

1: مرادي من التجديد في التفسير الذي لم يكن ظاهرا في كل تفاسير علماء الجزائر ما حكاه الدكتور محمد بن إبراهيم من مفهوم التجديد التفسيري الذي يمس الواقع ابتداءا وانتهاءا إذ يقول:" وعلى ضوء ما سلكه المفسرون على اختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم نستطيع أن نقرر حقيقة التجديد التفسيري بأنه استلهام آيات القرآن الكريم والتوجيه والهداية في كل ما يعترض حياتنا مما يمس العقيدة أو الأخلاق، أو يدخل في بناء اجتماعنا وسياستنا واقتصادنا، بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشرية وفاءً لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهداية، على أن يكون رائدنا في استلهام النص ألا نفرض عليه ثقافاتنا وعلومنا أو نخلع عليه من فلسفاتنا وآرائنا، بل نأخذ من النص –مستعينين بما تقدم– ما يعطيه لنا من قيم أو يدل عليه من آراء ومعتقدات، أو يوحي به من أفكار علمية أو اجتماعية حتى ولو لم تتفق مع ما نعلمه من ذلك". انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم شريف، دار السلام، القاهرة، ط:01، ت: 2008م، ص: 148.

مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة، فالحمد لله الذي صدق الأمل، ويسر إلى هذا الخير ودل. والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لا حظَّ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل"[1]، وهذه العبارة الأخيرة توصيف دقيق للتراث التفسيري الجزائري في مجمله.

وإن يكن من استثناء تمثل في الإمام الزجاي مثلا في القرن الثالث عشر والذي كان حيا سنة: 1238هـ بمصنفه «تفسير الخمسة الأولى» الذي لم يصل إلينا، فإن اشتعال نار الثورات والحروب كانت سببا في إخماد تلك الطاقات وتشتيت الهمم، خاصة وأنه كان أحد رؤوس العداوة للعثمانيين المؤيدين للقيام عليها، ولعل في مكتبته الضخمة التي تبعثرت نتيجة حرب درقاوة وفتنة ابن الأحرش خير دليل، وفي قول صاحب كتاب «إتمام الوطر»:"إن خصوم الشيخ الزجاي قد دفنوا كتبه في الثرى"[2]، دليلٌ بارزٌ على انصراف التجديد العلمي التفسيري إلى تجديد الصراعات والنزاعات الداخلية إن على مستوى المشايخ مع السلطة وإن بين المشايخ أنفسهم.

وفي هذه المباحث الآتية يسعى الباحث لبيان بعض تلك الملامح والخصائص بالحديث عن مصادر التفسير وطرقه، وعن الصناعة التفسيرية لعلماء الجزائر في التأليف الكتابي للتفسير بين الكلّي والسُّوري والآيي والمنظومي عندهم، والتدريس الشفوي للتفسير في الحواضر العلمية المشتهرة ببلاد الجزائر حيث اخترت من كل حاضرة أبرز أعلامها، وأثر الرحلات العلمية نحو الحواضر الإسلامية والعربية المتناثرة في العالم الإسلامي على التفسير وأعلامه في المدرسة الجزائرية التفسيرية.

1: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، ج:1، ص:06.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص:300.

المبحث الأول: مصادر التفسير وطرقه في التراث التفسيري الجزائري:

في الدراسات القرآنية التفسيرية الحديثة غالبا ما يُتطرق لموضوع مصادر التفسير على أنها طرقٌ للتفسير، واستخدم الباحثون هذا المصطلح للحديث عن أهم مصادر المفسِّر التي يرجع إليها أثناء قيامه بالعملية التفسيرية البيانية، وأول من أطلق عبارة "طرق التفسير" هو ابن تيمية في رسالته «مقدمة في أصول التفسير» إذ يجيب متسائلا:" فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك..."[1]، ثم أعقبه الزركشي بتسميتها "مآخذ التفسير" مع توافقهم في المعنى المراد، إذ جعل عنوانا سمَّاه: "فصل في أمهات مآخذ التفسير للناظر في القرآن" أعقبه بالقول: "لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة".[2]

والناظر في كلام الإمامين يلحظ أنهما أرادا بيان أحسن وأفضل الطرق لا حصرها كما فهم البعض، وهو أكثر وضوحا في كلام الزركشي حيث اعتبر المآخذ "كثيرة"، وقد تبعه السيوطي[3] في ذلك، وأورد تلك "المآخذ" بنصها وبنفس عنونة الزركشي لها.

ولا أُغرب إن قلتُ أنَّ كلام الإمام الزركشي كان اختصارا وانتقاءا من كلام الطبري في تفسيره، والذي تناول الموضوع دون عنونة له، جاعلا من السنة أول مصدر من مصادر التفسير، وهو نفس صنيع الزركشي، الذي جعل المآخذ أربعة وهي على الترتيب:

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة.

1: مقدمة في أصول التفسير، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط:1، ت:1980م، ص: 39.

2: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، ج:2، ص: 156.

3: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4، ص: 207.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.

وهو صنيع القرطبي في تفسيره إذ جعل من الكتاب أصلا، ومن السنة له بيانا، واستنباط العلماء له إيضاحا وبيانا[1]، ويريد بالعلماء طبقة الصحابة ثم التابعين، الذين أطلق عليهم " عدول كل خلف"، إذ يقول كلاما متفرقا في باب: ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك، ومراتب المفسرين:" وكل ما أُخذ عن الصحابة فحسنٌ مقدَّم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم"، وعن التابعين" ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف"[2] مستدلا بالحديث {يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله}.[3]

وهي تفرقةٌ اعتمدها ابن تيمية في طرقه، وأجملها الزركشي والسيوطي، فابن تيمية جعل من الصحابة طريقا ومن التابعين طريقا، ومن قبلهما طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وطريقة تفسير القرآن بالسنة، وختم كلامه بطريقة أهل اللغة، وهي طرقٌ خمسةٌ استقرأها ابن تيمية وتبعه فيها معظم الدارسين.

ورغم اختلافهم في تسمية المصادر التي يعتمدها المفسِّر، بين " المآخذ" و"الطرق" إلا أن الباحث اعتمد مصطلح "المصادر" لأنه أوضح في الدلالة على المراد، معتبرا الطرق أسلوبا في التعامل مع المصادر، وباعتبار أن الزركشي تحدث في مآخذه الأربع عن المصادر التي هي: السنة، والصحابة واللغة، والرأي الذي له أصل، وابن تيمية عن الأساليب التي جعلها خمسا وهي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين، وتفسير القرآن باللغة.

1: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:02، ت:1384هـ / 1964م، ج: 1، ص: 02.

2: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي شمس الدين، ج:1، ص:36/35.

3: روي بلفظه في مشكل الآثار للطحاوي، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ، حديث: 3268. وفي مسند الشاميين للطبراني، باب: ما انتهى إلينا من مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن علي بن مسلم البكري، حديث: 584. قال الهيثمي في زوائده بعد إيراده رواية أبي هريرة وابن عمر: رواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشي كذبه يحي بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه إلى الوضع. والحديث صححه الألباني عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، الذي رواه البيهقي." مشكاة المصابيح كتاب العلم" ج:1، ص: 53. حديث رقم: 51.

فظهر لي أن **مصادر التفسير** ثلاثٌ:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: السنة النبوية.

الثالث: الرأي الذي له أصل.

وأن **طرق التفسير –أساليبه –** هي:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن، وفيه:

1: **تفسير القرآن بالقرآن اتصالا**: كتفسيره تعالى للفظ بما بعده من آيات متصلة به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق:1-3]. حيث فسَّر لفظ الطارق بالآية التي تليه مباشرة وهي قوله:﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾، فاجتمعت الأمة على أن المراد بالطارق: النجم الثاقب دون خلاف.

2: **تفسير القرآن بالقرآن انفصالا**: **وأول مراتبه:** تفسير النبي ﷺ للقرآن بالقرآن، كتفسيره للظلم في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: 82] بقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣ ﴾ [لقمان: 13] ففسَّر ﷺ الظلم بالشرك.

وثانيه: تفسير من دون النبي ﷺ للقرآن بالقرآن بدخول نخبة الصحابة والتابعين وأعلام الأمة فيه، كتفسير قوله تعالى:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:7]. بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾

[النساء: 69]. وفسَّره ابن عباس بالمؤمنين، ووكيع: بالمسلمين، وعبد الرحمن بن زيد بالنبيّ ﷺ ومن معه[1]، كلهم يستمدها من نفس الآية.

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، وفيه:

1: التفسير النبوي للقرآن الكريم: كتفسير النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: 96] بالقول: {إذا أحب الله عبدا نادى: يا جبريل إني أحببت فلانا فأحبه، فينادى في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾.}.[2]

2: تفسير القرآن بالسنة: وهي اجتهادات الصحابة والتابعين ومن بعدهم في ربط بعض الأحاديث ببعض الآيات القرآنية الكريمة واسقاطها عليها، كتفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] بقوله ﷺ عن ابن مسعود: { يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها}[3]، ولم يذكر النبي ﷺ الآية إنما أوردها مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها، وتبعه في هذا الصنيع غالب من فسَّر الآية الكريمة من التابعين وعلماء التفسير واستشهدوا بها.

وكتفسير البخاري لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 22] بما أورده من حديث عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: {أن تجعل لله ندا

1: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط:01، ت: 1420 هـ/2000م، ج: 1، ص: 178-179.

2: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الذبائح، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة مريم، حديث: 3168.

3: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حرّ نار جهنم وبعد قعرها، حديث: 5183.

وهو خلقك}، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال:{وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك}. قلت: ثم أي؟ قال: {أن تزاني حليلة جارك}[1]، ففسر الآية الكريمة بهذا الحديث حيث بوَّب بها وجعله تحتها.

ثالثا: تفسير القرآن بالرأي الذي له أصل: وهو اجتهادات ما بعد الحقبة النبوية، من صحابة وتابعين وأعلام هذه الأمة الأمناء، والتي يدخلها الخطأ والصواب باعتبارهم بشرا مجتهدين، مستندين في ذلك إلى أدواتهم المعرفية كاللغة وبعض نصوص السنة والاسرائيليات والفهم والاجتهاد الفردي كتفسير ابن عباس للكرسي في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة: 255] بالعلم[2]، وفي رواية عن ابن جبير: موضع القدمين[3]، وتفسير ابن عباس أيضا ومجاهد لقوله تعالى:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79] بإقعاد الله تعالى لنبيه محمد ﷺ على العرش[4]، وهو مخالفة صريحة لما ورد عن النبي ﷺ من أن المقام المحمود هو الشفاعة.[5] ولم تكن المدرسة التفسيرية لأعلام الجزائر بمنأى عن هذا التقسيم واستخدامه في تعاطيهم للآيات القرآنية وتفسيرها، إذ الناظر في تفاسير العهد العثماني يلحظ وبجلاء دخول

1: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة –باب قوله تعالى:﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾، حديث رقم: 4216.

2: أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في إثبات صفة العلم، حديث: 232. والطبري في تفسيره، حديث رقم: 5787، وقد رجحه بالقول: أما الذي يدل على صحته فظاهر القرآن. انظر: جامع البيان، ج:5، ص:401.

3: أورده الطبراني في المعجم الكبير، كتاب: من اسمه عبد الله وما أسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، سعيد بن جبير، حديث: 12191. والطبري في تفسيره يرويه عن أبي موسى، حديث رقم: 5789، والسيوطي في «الدر المنثور»، ج:2، ص:17.

4: أخرجه الآجري في الشريعة، كتاب: الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، باب: ذكر ما خص الله عز وجل به النبي ﷺ، حديث:1086. وابن عاصم في السنة، باب نسبة الرب تبارك وتعالى، حديث:562. وابن خلال في السنة كتاب: ذكر المقام المحمود،
حديث:247.

5: أخرجه البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾، حديث:7024. والترمذي في جامعه، كتاب: الذبائح، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة بني إسرائيل، حديث 3145:

غالب مصادر ثم أساليب التفسير في كتاباتهم وتآليفهم، ولا ينفك تفسيرٌ من تلك التفاسير من إشارة إلى نوعين من المصادر والطرق أو أكثر.

ويمكن الجزم من خلال استقراء كامل التراث التفسيري الذي وصلنا من تلك الحقبة، أن المصادر الثلاث والأساليب والطرق التفسيرية الخمسة قد استُخدمت في غالب آثار علماء الجزائر التفسيرية، وأن البون والفرق كان في التفاوت في نسب استخدامها واللجوء إليها إقلالا أو إكثارا.

وما سيتطرق له في هذا المبحث سينحصر في **التراث التأليفي** لعلماء الجزائر، باعتباره المادة التي يمكن استقراؤها وتحليلها، إذ الدروس التفسيرية لا يمكن بيان منهج أصحابها في التعامل مع مصادر وطرق التفسير فيها وكيفية ذلك، لأنه لم يصلنا من توصيفٍ لها ولبنيتها وطريقتها من طرف المشايخ أنفسهم أو الطلبة، ولم أستطع الحصول على أي نصٍ توصيفي يعيننا في استقراء منهج أحد مشايخ التفسير التدريسي في تلك الحقبة.

لذا فقد انتقيتُ مجموعة من الأعمال التفسيرية المبثوثة عبر قرون الدراسة، وجعلتها المادة التي يُستقرأ منها منهجية علماء الجزائر في التعامل مع مصادر التفسير وطرقه، مع التنويه أن القرن الأول لم يعرف أي تأليف في التفسير أو علومه وأن الأمر كان مقتصرا فيه على التدريس فقط، ولأن الكثير من تراث المفسرين الجزائريين خالطه العديد من الأعمال في فروع علم التفسير فلم أعتمدها أيضا، بل اعتمدت الأعمال التفسيرية الخالصة لأجل المقصود من المبحث، فـ «إعراب القرآن الكريم» للإمام أحمد بن محمد المقري شهاب الدين (ت:1041هـ) لا يمكن الاعتداد والاعتماد عليه في بيان مصادر وطرق التفسير فيه، ذلك أن إعراب القرآن فرعٌ من فروع علم التفسير كما بيَّن صاحب «مفتاح السعادة»[1]، ولم يَتَطرق صاحبه لتفسير القرآن وبيان المعاني بقدر تطرقه للناحية الإعرابية وما أُشكل من ألفاظه فقط، ونفس الأمر ينسحب تقريبا على كتاب «المحاكمات» لأبي زكريا الشاوي (ت: 1096هـ).

1: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، ج:2، ص: 380.

وتجدر الإشارة إلى أن غالب أعمال المفسرين الجزائريين في تلك الحقبة، كانت عبارة عن حواشٍ لأمهات كتب التفسير المشتهرة، والحاشية في غالبها لا تتقصى كامل المتن خلافا للشرح، لذا فإن ما يتم دراسته في هاته الحواشي ليس منهجا يمكن الجزم والحكم به على كل مفسِّر، بل قد تكون بعض أعماله الأخرى- خاصة بضياع غالب أعمالهم وفقدانها- توحي بغير ما يمكن الجزم به في الحاشية، يقول الدكتور كمال نبهان:"هناك تداخل شديد بين وظائف الحواشي ووظائف الشروح، ويرى فاير أن الشروح تتضمن النص كله بينما تتضمن الحاشية بضع كلمات من المتن، وعلاقة التداخل التي يذكرها فاير بين الشرح والحاشية صحيحة، ولكن التفرقة بينهما غير دقيقة، فهناك حواش تتضمن النص كله".[1]

وقد اخترتُ من الأعمال لدراسة طرق التفسير ومصادره في التراث التفسيري الجزائري تفسيران مالكيان، وآخران إباضيان باعتبارهما شقِّي المدرسة التفسيرية الجزائرية التي تراوحت أعمال أصحابها بين شيوخ المذهب المالكي وشيوخ المذهب الإباضي على قلته، كما انتقيت في كل مذهبٍ حاشيةً وتفسيرا خالصا لمعرفة ما مدى أثر ذلك على استخدام مصادر التفسير وطرقه:

أولا: مصادر التفسير وطرقه من خلال أعمال علماء المذهب المالكي:

أ- «حاشية على أنوار التنزيل» للإمام محمد البَليدي (ت:1176هـ):

وهي حاشية على تفسير الإمام البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» الذي يصنف ضمن تفاسير الرأي، وقد تبع المحشي-البليدي- الماتن -البيضاوي-في منهجيته التفسيرية، فخرجت الحاشية تفسيرا بالرأي مستعملا للمأثور نادرا في بعض آياتها، معتمدا على نفس مصادر البيضاوي ومحشيا لكلامه بنفس أساليبه وطرقه، يقول الذهبي مبينا منهج البيضاوي في تفسيره:"جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرَّر فيه الأدلة على أصول أهل السُّنَّة .... وضمَّ لذلك بعض الآثار الواردة عن

1: عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والتداخل العلمي، كمال نبهان، مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية، مصر، دط، ت:2007م، ص: 236.

الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله، فضمنه نكتاً بارعة ولطائف رائعة واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدُق أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة، وفطنة نيّرة، وهو يهتم أحياناً بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية، ولكن بدون توسع واستفاضة، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك".[1]

وبنفس المنهجية سار الإمام البليدي في تحشيته هاته، غير أنه توسع كثيرا في الصناعة النحوية وتعرض للمسائل اللغوية والإعرابية مبينا آراء وأقوال المدرستين الكوفية والبصرية مستفيضا في ذلك، خلافا للبيضاوي. وغلب على الحاشية المصدر الثالث من مصادر التفسير الذي هو الرأي الذي له أصل، مستخدما طريقة تفسير القرآن بأقوال الصحابة واختياراتهم، وكذا طريقة تفسير القرآن بأقوال التابعين، وأسهب في الاعتماد على الطريقة الخامسة وهي تفسير القرآن الكريم باللغة.

ولم أجد أن الإمام البليدي أعمل المصدر الأول والثاني من تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة، إلا ما كان من تحشيته على ما أورده البيضاوي من أحاديث نبوية قام هو ببيان وشرح بعض ألفاظها ثم إخراجها تخريجا حديثيا.

ففي تفسيره مثلا لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة:25-30]

اتبع البليدي كلام البيضاوي محشيا له بإضافات بيانية موجزة كقوله:

" قوله بدل ... إلخ، والتقدير ولا تأثيما إلا سلاما كما هو قاعدة المبدل ونظيره ما أشار إليه بقوله: كقوله سبحانه وتعالى ...إلخ. قوله: أو صفته المعنى إلا قيلا سالما. قوله: أو مفعوله وعمل القول في المفرد لقصد لفظه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ، قوله أو مصدر والتقدير إلا قولا سلموا سلاما وهو مقول القول، قلتُ -البليدي-: سكت الشارح عن تقديره لوضوحه بخلاف ما قبله كي لا يتوهم أن

1: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ج: 1، ص: 212/211.

القول لا يعمل في المفرد وهو شجر اللوز وعليه أكثر المفسرين، والطَّلح شجرٌ له نور لا يؤكل بل يتمتع برائحته، قال مجاهد: لكن ثمره أحلى من العسل، انتهى زاده –زيد رحمة–، قوله: لما شبَّه حال السابقين.. إلخ، إنما كان تشبيها للمباينة الكلية بين نعيم الدنيا ونعيم الاخرة، ولا يشكل مذكر الحور لأنهم من الجنة حقيقة لا تشبيها، لأن الحور من الحَور وهو البياض، وهو بصدق بحور الدنيا لكن مع تلك المباينة الكلية، فاتجه كونها تشبيها أيضا، انتهى كاتبه.

قوله: لقوله المعنى تلك الحالة وهي الثلثين لأصحاب اليمين ولا يخفى بعده، قوله: شمطا والشمط المختلط بياض شعرهم سواده، ورجل أرمص وامرأة رمصاء من الرمص وهو وسخ يجتمع في الموق من الكبر. قوله: جمع عروب، من أعرب إذا بيَّن.

تتمة: الصحيح أن الحور خلق من خلق الجنة لأطفال المؤمنين وأولاد المشركين، ولا ينكحون أو يُنكحون وهم مع الحور مختلفون في الطول والقصر، نساء الدنيا فعلى طول واحد كما للحافظ السيوطي، وعنه أن أهل الجنة بعد دخولهم لا أسنان لهم، ومرَّ عن الإمام القرطبي الخلاف في أن نساء الدنيا أجمل من الحور والعكس، وطول الخلق فيها بعد دخولهم ستون ذراعا، وحديث{يؤتى الرجل قوة مئة رجل في النساء}، قال الإمام الترمذي: حسن صحيح[1]، انتهى".[2]

قلتُ –الباحث–: وهذا النص من كلامه وتحشيته، يُظهر اعتماده على أقوال بعض الأئمة في ترجيحاته كالسيوطي والقرطبي والسبكي وغيرهم، كما يُظهر أنه لم يكن يستخدم النص النبوي في تفسيره كمصدر من مصادره أو حتى أساليبه في ذلك، على الرغم من وجود أحاديث كثيرة في شرح العُرب الأتراب[3] المذكورة في الآية الكريمة مثلا، كما أنه وفي غالب مخطوطه لم يستخدم الطريقة الأولى التي هي تفسير القرآن بالقرآن

1: لم أجده عند الترمذي بلفظه هذا، إنما وجدته عن أنس بلفظ:{يعطى المؤمن فِي الجنة قوة كذا وكذا من الجماع }، قيل: يا رسول الله أويطيق ذلك؟ قال:{يعطى قوة مائة}. كتاب: الذبائح، أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة، حديث: 2522.

2: مخطوط حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة دار الكتب المصرية، لوحة رقم: 56.

3: كما عند ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث صفوان بن محرز، كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام صفوان بن محرز، حديث: 34485. ومسند ابن الجعد من حديث شريك عن سالم الأفطس، حديث رقم: 1789.

بشقيه ونوعيه، ذلك أنه كان متبعا شارحا لكلام البيضاوي مقتفيا لنفس استخداماته للمصادر والأساليب ولم يكن ذلك عليه بلازم، لذا فيمكننا القول أن هذه الحاشية لم تعن بالمصدر الأول والثاني، بقدر ما اعتنت بالثالث، وعلى هذا النسق والمنوال سار صاحبه في جميع مخطوطه.

ب- «تفسير سورة القدر» للإمام محمد السَّنْباوي المازوني الأزهري، (ت: 1232هـ):

كسابقه من تفاسير السادة المالكية، فإن تفسير الإمام السنباوي يندرج ضمن التفسير بالرأي، فقد كان مقلاً من النقول الأثرية ومن تفسير الآيات القرآنية بطريقة القرآن بالقرآن أو القرآن بالسُّنة النبوية، معتمدا على رأيه وترجيحاته في كثير من تفسيره لآيات سورة القدر، وإن كان مبديا لآراء المفسرين وترجيحاتهم، كصنيعه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إذ يقول:" الليلة واحدة الليالي، زادوا ياءا في جمعها على قياس، كما زادوها في تصغيرها على لُييلة لأن التصغير والتكبير أخوان، وفي «مغني اللبيب» زيادة الياء مبنية على ليلات بمعنى ليلة كما في «القاموس»، وقلَّ تصغيرها على الأصل ... في قصة الإسراء نقلا عن ابن حجر أن الليل قاصر على أهل الأرض للراحة وليس في السماء، وقوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ كناية على الدوام، وقال أهل البيئة: الليل ظل كرة الأرض في ضوء الشمس، وهو مخروط يمتد في شيء من فلك القمر، فهو غرض كالنور يقوم بالهواء والأشعة".

وكذا في تفسير قوله تعالى:﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ إذ يقول:" أي ذات سلامة من الآفات لا يُقدَّر فيها إلا الخير، والتَّوقع بأن يقع فيها آفات لا بد من تقديرها مردود بما علمتَ أن التقدير اللازم العام أزلي، والمراد هنا إظهار المقادير في مواكب الملأ الأعلى، وجاز تخصيصه بأنواع النعم والخيرات وبدائع التفضل وعظائم النفحات، ويُحتمل ربط ﴿ هِيَ ﴾ بما بعده، وربط ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بما قبله".

أيضا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ إذ يقول:" أي ما مقدار شرفها، بدليل ما بعدها لا ما حقيقتها، فإن حقيقتها مدة مخصوصة من الزمن، وفي حقيقة الزمن خلاف مشهور".

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ يقول:"جمع ملك والتاء فيه لتأنيث الجمع، وإذا حذفت امتنع صرفه، وبه يلغز فيقال: كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها، وأصل ملك ملاك". ثم أورد الخلاف في وزن كلمة ملك، وأسهب القول فيه مستعرضا قول كثير من أهل اللغة ومدارسها، وأقوال بعض المفسرين فيها.

وهي نماذج تدليلية على منهج الإمام في استخدام مصادر التفسير وطرقه، وأن هذا المنهج من التفسير بالرأي كان غالبا غلابا في تفسيره، ولم يكن مظهرا اهتماما بتفسير القرآن بالقرآن بشقيه الاتصالي والانفصالي أو بالسنة النبوية بقسميها التفسيري النبوي والتفسير بالسنة النبوية، إذ لم يظهر استخدم الإمام السنباوي للأحاديث النبوية إلا في بيان فضائل ليلة القدر، كما عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ إذ يقول:"وورد في الحديث أن من أحسن ما يدعى به في تلك الليلة العفو والعافية، فإن العافية المعافاة مما يكره في الدين والدنيا والآخرة، وورد:{من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر}، وورد:{من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطر الليل، فإذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر}".

كما أورد مجموعة من الأحاديث عند كلامه لأفضل السور والآيات التي يستحب القيام بها ليلة القدر، إذ يقول:" وأن يتخير ما ورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي فقد ورد أنها أفضل آية، وكالثلاث أو الآيتين من آخر سورة البقرة، فقد ورد:{من قام بهما في ليلة كفتاه}، وكسورة إذا زلزلت، ورد أنها تعدل نصف القرآن، وكسورة الكافرون، ورد أنها تعدل ربع القرآن، والإخلاص تعدل ثلث القرآن، ويس ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له".

ولم يكن إيراده لتلك المجموعة من الأحاديث رغبة منه في تفسير سورة القدر، فقد ورد الكثير منها في كتب السنة خاصة في تحديد ليلتها، إنما كان إيراده لها في فضائلها وفضائل السور التي تقرأ ليلتها.

وقد أظهر اعتماده على طريقة التفسير باللغة وأكثر من استخدامها، وكان مكثرا من نقولات أهل اللغة ومن كتبهم، ك «مغني اللبيب»، وترجيحات الزمخشري من «الكشاف» وغيرها.

ثانيا: مصادر التفسير وطرقه من خلال أعمال علماء المذهب الإباضي:

أ- «حاشية على تفسير الجلالين» للإمام يوسف المصعبي المليكي (ت: 1187هـ):

بالرغم من ظهور قسم التفسير بالرأي غلاَّبا على هاته الحاشية، إلا أن التفسير بالمأثور والمنقول كان فيها واضحا بارزا، خاصة أن صاحبها إباضي المعتقد لا يرى جواز التفسير بالرأي وإن كان صحيحا إلا باستناده على نقل صحيح، كما أخبر بذلك في مقدمة مخطوطه هذا.

وكان الإمام المصعبي اعتمد ربط الآيات وتفسيرها بالآيات المماثلة والمفسرة لها، كما اعتمد أيضا على الأحاديث النبوية، خشية الوقوع في رأي ليس له مستند من كتاب أو سنة، كاستشهاده في عدم جواز الاستغفار للمشركين في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:113] بحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: { استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن لي }.[1]

وهو تفسيرٌ للقرآن الكريم بالسُّنة النبوية المعبر عنه بأنه اجتهادات الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أعلام الأمة المؤهلين في ربط بعض الأحاديث ببعض الآيات القرآنية الكريمة تفسيرا وتأويلا.

وقد يورد الحديث في تفسير الآية ثم يقوم بترجيح مذهبه ومعتقده، وبتأويل الحديث، كصنيعه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:26] ، حيث أورد حديث: {إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن: يا أهل الجنة، فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه}[2]، جاعلا منه قولا في

1: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل، حديث: 1674. وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، حديث: 1567.

2: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث: 292. والترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: الذبائح، أبواب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى حديث: 2538.

المسألة، ثم قام بالرد على من زعم أن الآية دليل على صدق معتقد نظر المؤمنين لربهم على وجه الحقيقة، بمجموعة من الآثار والآراء التي كان جلُّها من أقوال الصحابة والأعلام إذ يقول: قلتُ: قال الشيخ هود – رحمه الله–: ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ يعني الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، وقال صاحب «الكشاف»: ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ ما يزيد من التفضل، ويدل عليه قوله"﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾، وعن علي:﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ غرفة من لؤلؤة واحدة، وعن ابن عباس ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ عشر أمثالها، وعن المعتز عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى آخره والله أعلم. وكذلك البيضاوي قدَّم هذه الأقوال في تفسير ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقال في آخرها: وقيل اللقا، والله أعلم بمعاني كتابه".

كذلك اعتمد التفسير بالرأي المستند لأصل صحيح، وهي إحدى طرق التفسير المستعملة عنده بكثرة، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:3]، حيث فسَّر الآية الكريمة بقول ابن مسعود –رضي الله عنه–:إن أمر محمدٍ كان بيّنا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما إيمان مؤمن أفضل من إيمان الغيب، ثم قرأ هذه الآية.

ويندرج هذا الصنيع بتفسير القرآن الكريم بطريقة الصحابة وفهمهم، وهو اعتماد منه على أصل صحيح وأثر صحيح.

كما اعتمد الإمام المصعبي طريقة تفسير القرآن بالقرآن انفصالا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:44]، حيث فسَّرها بقوله تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء:31] يريد بها التدليل على معتقده في أن مرتكب

الكبيرة غير مؤمن بالله ولا باليوم الآخر لتركه فريضة الجهاد، وفي معرض استدلاله على كفر مرتكب الكبيرة وتعليق الأعمال بشرط الإيمان بالله واليوم الآخر وتقريره لقاعدة: أن الكبائر لا تغفر إلا بالتوبة وأما الصغائر فتغفر بأشياء منها اجتناب الكبائر.

ومن هذه النماذج المتناثرة من تفسير الإمام المصعبي يمكن الجزم باستعماله للمصادر الثلاث من القرآن والسنة والرأي الذي له أصل صحيح، وأن استخدام طريقة تفسير القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة والقرآن بأقوال الصحابة كان مكثرا منها.

كما يظهر أيضا كثرة استخدامه لعلم اللغة والإعراب، حيث كان متطرقا لها بقدر تطرق الجلالين لها في تفسيرهما، ومعلوم توسعهما في هذا الباب، وقد كان المصعبي في حاشيته هاته معتمدا بالخصوص على كلام الزمخشري وتقريراته واختياراته الإعرابية والنحوية، كصنيعه عند تفسير أوائل سورة هود إذ يقول: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:01] سورة مكية، وهي مائة وثلاث وعشرون آية، هذا كتاب: أشار به إلى أن كتاب خبر مبتدأ محذوف، وجوَّز فيما بعده صاحب «الكشاف» أوجها من الإعراب حيث قال في إعرابه وإعراب ما بعده ما نصه:و﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿ أُحۡكِمَتۡ ﴾ صفة له، وقوله: ﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ صفة ثانية، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبرٍ، وأن يكون صلة لأحكمت، و﴿ فُصِّلَتۡ ﴾ أي من عنده، إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عليم بكيفيات الأمور، انتهى. أي بأن جعل أن مصدرية فلذلك مقدر قبلها الباء، وزاد البيضاوي احتمال كونها كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد".

وكلها دلائل توحي بالتزامه بضوابط التفسير لديه التي زبرها في مقدمة مخطوطه، إذ جعل الأخذ بالمصادر الثلاث أساسا في تفسيره ولازما من لوازم العملية التفسيرية، وتنوعت طرق التفسير في حاشيته خاصة طريق اللغة والرأي الذي له أصل صحيح.

ب- تفسير «أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر» للشيخ إبراهيم بن بيحمان الثميني اليسجني (ت:1232هـ):

يُظهر الشيخ بن بيحمان في تفسيره هذا منهجا مغايرا تماما للإمام المصعبي في أسلوب وطريقة تعاطيه مع الآي الكريم، إذ يُعتبر تفسيره هذا تفسيرا بالرأي لا نجد فيه للنقل أي أثر، اعتمد فيه صاحبه مصدر التفسير بالرأي الذي له أصل، ولم يتطرق في تفسيره للآيات القرآنية للمصدر الأول-القرآن- والثاني- السنة- قصدا، أو ما عبرتُ عنه بالمتصل والمنفصل في أساليب تفسير القرآن في المصدر الأول، والتفسير النبوي والتفسير بالسنة النبوية في المصدر الثاني.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ يورد كلاما مطولا في تفسير العصر دون أي أثر أو نقل فيقول:" فهذا قسم عظيم مختص بالله تعالى دون غيره، لأنه عز وجل إذا أراد تعظيم مخلوق من مخلوقاته أقسم به تنويها بشأنه، بمعنى عصر النبوة لما يوقعه فيه من الأعاجيب البديعة والخوارق الغريبة التي لا تتناها كعصر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وغيره كسيدنا موسى عليه السلام، حتى قيل إن عصاه بلغة ألف معجزة، أو المراد صلاة العصر لشرفها على غيرها، وكونه وقت اجتماع الناس على الأمور العظام والملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام، أو مطلق العصر أي الدهر، من ابتداء الدنيا إلى انتهائها، فإنه تعالى كل يوم هو في شأن يغني فقيرا ويفقر غنيا ويعز ذليلا ويذل عزيزا، ويصحح سقيما ويسقم صحيحا، ويميت حيا ويحي ميتا، وغير ذلك من أفعاله الجليلة، ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أي: ورب العصر، وعليه فيكون اقسم بذاته تعالى، وقد أكثر الله سبحانه بمثل هذا في كتابه".

وعلى الرغم من ورود الكثير من الآثار والأحاديث في معنى وتفسير العصر، أكانت أحاديث نبوية أو أقوال لمجموعة من الصحابة والتابعين، غير أنه لم يورد أيا منهما.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ يورد مواضع الكسر في ﴿ إِنَّ ﴾ مستشهدا لها بالآيات القرآنية ومواضعها، ثم يعرِّف الإنسان بأنه ماهية كلية مركبة من الحيوانية والناطقية، ثم يسهب في ذلك دون أي مستند، كذلك الشأن في تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إذ يقول:" أي أقروا بألسنتهم وصدقوا بتوحيد ربهم ورسالة نبيه وحقية ما جاء به من عند ربه، واعتقدوا ذلك في قلوبهم، وهو أي الإيمان يزيد بزيادة الطاعة وينقص بنقصانها، كما نص الله سبحانه عليه في كتابه بقوله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ " ثم أعقب كلامه هذا بتفصيل طويل في التفريق بين الدين والإيمان والإسلام.

وبهذا النسق والمنوال سار الشيخ بن بيحمان في كامل تفسيره لسورة العصر، وهو منهج مغاير تماما لما سبق بيانه من أن الإباضية يرونه بدعا من القول أن يفسِّر المفسِّر دون نقل أو أثر، وهو ما صرحَّ به الإمام المصعبي في مقدمة تفسيره، وسبق التنويه عليه في موضعه، خاصة أنه لم يعتمد النقل ولو في آية واحدة بحديث أو آية أو أثر عن صحابي أو تابعي.

وكان إيراده للآيات القرآنية ليس قصدا في تفسير الآية، إنما استعانة منه بها في بعض مسائلها الفقهية أو العقدية أو السلوكية، كصنيعه عند قوله تعالى:﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ إذ عرَّف الصبر لغة واصطلاحا، ثم أورد عشرات الآيات القرآنية في فضائله، كقوله تعالى:﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:45]، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:110]، وقوله تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:155]. إذ لم يوردها إلا استئناسا بها في فضائل الصبر ومواطنه، ولم تكن قصد تفسير الآية الكريمة.

كذلك كان صنيعه عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ حيث أورد عشرات الأحاديث النبوية في الابتلاء ، وهو في معرض تفسيره للتواصي بالحق في الآية الكريمة، كإيراده لحديث رسول الله المطول عند وفاته:{أيها الناس إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم من الدنيا أن تتنافسوا فيها فيضرب بعضكم رقاب بعض فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم، فوالذي نفسي بيده إني قد أعطيت خزائن الدنيا ورفعت إلي أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، وقد نظرت من مقامي هذا لحوضي، إن عبدا خيره ربه بين أن يؤتيه ما يشاء من زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده}[1]، وحديث:{إن أشد الناس بلاءا الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أبهري، أيها الناس....}[2] ثم أورد الحديث مركبا بطوله.

ويظهر جليا البون بين التفسيرين في طريقة الاعتماد على مصادر التفسير وعلى طرقه، حيث اعتمد الإمام المصعبي النقل شرطا من شروط التفسير والتحشية، خلافا للشيخ بن بيحمان الذي لم يُعن كثيرا بالنقل، فخرج تفسيره خاليا منه مشبعا بالرأي.

ويُظهر كل ما تقدم عرضه وبيانه أن الصناعة التفسيرية لعلماء الجزائر، كانت مقلة من التفسير بالمصدر الأول والثاني من مصادر التفسير الثلاث، وأنها اعتمدت طريقة اللغة اعتمادا شبه كليا في التعاطي مع

1: لم أجده بلفظه، والحديث مركب، قد أخرج مسلم عن عقبة بن عامر قوله: إني لست أخشى إلى قوله: من كان قبلكم، في كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث: 4349. وأخرج البخاري قوله: إن عبدا خيره إلى نهايته، في كتاب المناقب، باب: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، حديث: 3713. والترمذي في جامعه، كتاب: الذبائح، أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث: 3678.

2: أخرج النسائي قوله: {إن أشد الناس بلاءا الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم} بلفظه في السنن الكبرى، كتاب الطب، عيادة النساء الرجال، حديث: 7252، وأحمد في مسنده، مسند الأنصار، مسند النساء، حديث فاطمة عمة أبي عبيدة، حديث: 26498. ولفظ {وما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أبهري} فلم أجده بلفظه. وأورده البيهقي وغيره بألفاظ متعددة في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، جماع أبواب ما لا يحل أكله وما يجوز للمضطر من الميتة، باب استعمال أواني المشركين، حديث: 18341. بلفظ: " يا عائشة، إني أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم. وهو عند البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته.

نصوص القرآن الكريم وتفسيره، كما اعتمدت مصدر الرأي الذي له أصل ومستند، من زمن الصحابة والتابعين وأعلام الأمة اللاحقين منهجا متتابعا في صناعتها، ولعل غلبة البصمة اللغوية والإعرابية والنحوية في تفاسير علماء الجزائر، يرجع لغلبة علوم الآلة على بقية العلوم، والاهتمام المتزايد بكتب اللغة والنحو تأليفا وشرحا وتحشية، إذ الناظر في تراجم مفسري علماء الجزائر يلحظ وبجلاء اهتمامهم المتزايد والكبير بعلم اللغة إما تصنيفا أو تدريسا، ففي ترجمة الإمام البليدي يذكر اشتهاره بمجلسه اللغوي بجامع الأزهر الشريف الذي كان يقوم فيه بالتحشية على «شرح الألفية» للأشموني(ت:900هـ)، والإمام السنباوي صاحب حاشية على «مغني اللبيب» لابن هشام الأنصاري (ت:761هـ)، وحاشية على «شرح شذور الذهب» له أيضا، ولم أجد من علماء الجزائر من لم يكن ذا اهتمام بهذه الفنون والعلوم إما تأليفا أو شرحا أو تحشية، ذلك أن "النحو عندهم-مثلا- يعتني به الكبير و الصغير حتى أنهم اشتهروا به اشتهارا بينا"[1] "حيث عُرف علماء الجزائر بحفظ متون النحو وبعض الشروح وإدراك مسائلها عن ظهر قلب، حتى أصبحوا لا يعانون في ذلك رهقا ولا مشقة... وقد اشتهر بعض الجزائريين بالدراسات النحوية، ومن هؤلاء يحي الشاوي وعبد الكريم الفكون، فقد ترك يحي الشاوي أربعة تآليف على الأقل في النحو ... وممن اعتني بالتأليف في النحو أيضا محمد الزجاي، فقد ذكر في ترجمته أن له شرحا على «ألفية السيوطي» وعلى «التسهيل لابن مالك» وعلى «لامية الأفعال» في التصريف وعلى نونية صاحب الشذور".[2]

قلت: وليس الأمر مقتصرا على النحو فقط، بل أيضا في مسائل الفقه، فقد كانت تفاسيرهم تزخر بسرد جملة مطولة من الأقوال الفقيهة في المسألة الواحدة، كصنيع الإمام علي الميلي الجَمَّالي في تفسيره «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾»،حيث كان يورد في تفسير الآية الواحدة العديد من الأقوال الفقيهة من كتب السادة المالكية وبقية المذاهب، كذلك الشأن مع أبي راس الناصري في تفسيره، وهو سبب مباشر في قلة "الآثار المبتدعة في إنتاج العلماء بحكم الجمود العقلي وشيوع الدروشة

1: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:1، ص: 152.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:02 ص: 164/157.

والتخلف السياسي، فالتمس هؤلاء العلماء نشاطهم العقلي في دراسة أعمال السابقين والنظر إليها نظرة تقديس، وعكفوا عليها يشرحونها ويحشون عليها ويكررونها، مختصرين لمطولاتها ومطولين لمختصراتها أو موضحين لغوامضها".[1]

1: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:01 ص: 21.

المبحث الثاني: الصِّناعة التفسيرية عند علماء الجزائر بين التأليف الكتابي والتدريس الشفوي:

للفظة الصِّناعة في هذا المبحث دلالة مُبْرزةٌ لمنهجٍ مكتمل وطريقة واضحة في التعاطي مع هذا الفن، إذ يمكن اعتبار طريقة وأسلوب تعامل علماء الجزائر مع تفسير وتأويل النص القرآني صناعة، والصِّناعة تبرز منهجا مستقرا متواترا في التعاطي مع المصنوع، إذ الصنع أقوى من العمل، لأن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار مستقرا راسخا متمكنا، على حد تعبير الإمام الرازي[1] عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة:63]

لذا فقد تواتر عند أصحاب العلوم تسمية الفنون التي يقومون عليها بالصِّناعة، كصناعة الفقه واللغة والحديث والتاريخ وغيرها، إذ الصناعة " عبارة عن تركيبٍ وعملٍ يحتاج إلى دراية وتعمُّل، فهي ليست فعلا ساذجا ولا شكلا بسيطا، بل هي من نوع القضايا المركبة التي تقترن بمقدمات كبرى وصغرى للوصول إلى نتيجة".[2]

1: مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:03، ت: 1420هـ، ج:12، ص: 393.

2: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، عبد الله بن الشيخ بن بيه، دار المنهاج، جدة، ط: 01، ت:2007م، ص: 11. والشيخ لا يفرق بين لفظ الصنعة والصناعة ويراهما مترادفان، يقول صاحب كشف الظنون:"يقول الطيبي والحق أن كل علم مارسه الرجل حتى صار له حرفة سمي ذلك عندهم صنعة واستشهد عليه بما قاله الزمخشري، في قوله سبحانه وتعالى:﴿ لَبِئْسَ مَاكَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾.

والأَوْلى أن يقال: إن أريد العرف الخاص فلا ينضبط، وإن أريد العرف العام المتبادر إلى الأذهان، عند الإطلاق، فالحق ما قيل أولا، إذ لا يطلق على الأساكفة أنهم علماء، ولا على صنائعهم أنها علوم؛ وإن كانت أفعالهم لا تصدر إلا عن علم العلماء، وحكمة الحكماء، فالصنائع: الحكم التي تفتقر إلى تصور الجنان، وتمرين البنان، فإن أطلقت الصناعة على ما لا وجود له في الأعيان، فبالمجاز على طريق التشبيه. وأطلقوا على العالم صانعا، للتنبيه على أنه أحكم علمه، وتفرس فيه". "كشف الظنون" ج:1، ص:42.

خلافا لما في بعض كتب المعاجم من تفريقهم للفظين، إذ اعتبروا الصناعة خبرة تقتضي معالجة حرفة ما مدة طويلة حتى يبلغ المرء فيها مرحلة الإنتاج بطواعية وقدرة. أما الصنعة فتطلق على التثقيف والإتيان بمنتج يظهر التثقيف. وهو صنيع أبو البقاء إذ يقول: الصِّنَاعَة: كل علم مارسه الرجل سواء كان استدلاليا أو غيره حتى صار كالحرفة له فإنه يسمى صناعة وقيل: كل عمل لا يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وقيل: الصَّنْعَة (بالفتح) العمل، والصناعة قد تطلق على ملكة يقتدر بهَا على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الإمكان والصناعة (بالفتح): تستعمل فِي المحسوسات، وبالكسر فِي المعاني، وقيل: بالكسر حرفة الصَّانع وقيل: هي أخص من الحرفة، لأنها تحتاج فِي حصولهَا إلى المزاولة، والصنع أخص من الفعل كذا العمل=

ويقول صاحب «الإبهاج» عند حديثه عن لفظ العلم:"وقد يطلق العلم باصطلاح ثالث على الصِّناعة، كما تقول علم النحو أي صناعته، فيندرج فيه الظن واليقين وكل ما يتعلق بنظر في المعقولات، لتحصيل مطلوب يسمى علما ويسمى صناعة".[1]

قلت: وليس من لازم الصِّناعة في فن من الفنون التجديد والابتكار والاختراع، إذ لم يكن ذلك قيدا في التعريف أو لازما من لوازمه، واصطباغ المدرسة التفسيرية الجزائرية بطابع التقليد وثقافة التحشية لا يمنع وصفها بالصِّناعة لدى علمائها.

وتمثلت جهود علماء الجزائر في هذا العلم الشريف بين التأليف الكتابي فيه بإخراج مجموعة من المصنفات التفسيرية بين الكلِّي والسُّوري والآيي والمنظومي، وبين التدريس الشفوي بعقد المجالس العامة في الجوامع والمساجد والزوايا والمدارس.

أولا: التأليف الكتابي للتفسير بين الكلِّي والسُّوري والآيي والمنظومي عند علماء الجزائر[2]:

عبر قرون الدراسة ومباحثها الأربع، استُثني القرن الأول الذي يمثل القرن العاشر(900هـ-1000هـ) بداية الوجود العثماني بالجزائر من دراسة أقسام وأنماط الكتابة في التفسير عند علماء الجزائر، فقد أثبتت الدراسة أن القرن العاشر لم يشهد أي تأليفٍ في التفسير وعلومه، إلا ما يمكن استثناؤه من كتابات الإمام

=أخص من الفعل فإنه فعل قصدي لم ينسب إلى الحيوان والجماد". انظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، ت:1998م، ج:1، ص: 544.

1: الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1995م، ج:01، ص: 30.

2: أعدت في هذا المطلب بعض الهوامش التي ذكرتها في الفصل الأول والثاني والمتعلقة بأماكن وأرقام وتوصيف بعض المخطوطات، وذلك لأهميتها وتسهيلا للباحث والقارئ.

عبد الكريم المغيلي المتوفى سنة:909هـ، الذي ترك في علم التفسير كتابه الشهير «البدر المنير في علوم التفسير»[1] و«تفسير سورة الفاتحة»[2]، وهو خارج نطاق الدراسة لعدم شهوده الحكم العثماني بأرض الجزائر.

وقد تنوعت تآليف وتصانيف علماء الجزائر في التفسير وعلومه إلى أنواعٍ أربع:

أ- التفسير الكلّي: والذي أريد به التفسير الكامل للقرآن الكريم من أول الفاتحة إلى آخر الناس ويدخل في ذلك الحواشي والمختصرات وغيرها مما أُلِّف في كامل القرآن الكريم، كحاشية الإمام البليدي على «أنوار التنزيل» للبيضاوي والتي كانت تحشية من أول الفاتحة إلى آخر الناس.

ب- التفسير السُّوري: الذي اختار صاحبه إحدى سور القرآن الكريم وقام بتفسيرها، ويدخل في ذلك اختياره لتفسير سورة من إحدى التفاسير وقيامه بالتحشية والزيادة عليها، كـ «تفسير سورة القدر» للإمام السَّنباوي.

ج- التفسير الآيي: الذي يشتغل فيه المفسِّر بتفسير آية قرآنية واحدة من آيات القرآن الكريم، كآية الكرسي أو غيرها، وقيامه بتفسيرها واستخراج المعاني الخفية منها وتطبيق أدواته التفسيرية فيها، كتفسير الجمالي «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾».

د- التفسير المنظومي: والذي قصدت به ما نَظَمَهُ أعلام التفسير من منظومات في علم التفسير وفنونه كالألفيات وغيرها، متطرقين فيها لمباحث التفسير وعلومه كالناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وأسباب النزول وغيرها، كمنظومة «ألفية غريب القرآن» للإمام الزجلاوي.

1: ذكر الدكتور محمد بن بريكة أنه في ستين مجلدا، وأنه في الخزانات التواتية بأدرار، وقوله في ستين مجلدة مستغرب جدا.كما أشار صاحب "المعلمة" إلى نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ولم يشر إلى رقمها.

2: حُقق من طرف الأستاذ علال بوربيق طبعة مؤسسة البلاغ سنة: 2013م. وحقق في مجلة رفوف في عددها الثالث الصادر في ديسمبر 2013 من طرف الاستاذ المغيلي خدير، ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة التفريق بين من ألَّف في التفسير قصدا فخرج مؤلَّفُه تفسيرا خالصا، ومن ألَّف في أحد مباحثه أو فنونه وعلومه كعلم الغريب والناسخ والمنسوخ وإعراب القرآن وغيرها، لذا فقد قُسِّم هذا المبحث إلى قسمين:

القسم الأول: ما كان من التأليف في التفسير قصدا:

لم تعرف الساحة العلمية الجزائرية طيلة قرنين من الدخول العثماني لأرض الجزائر تأليفا خاصا بالتفسير، أو حتى تحشية على أبرز وأهم كتب التفاسير التي كانت رائجة تلك الفترة كـ «أنوار التنزيل» للبيضاوي و«الكشاف» للزمخشري و«المحرر الوجير» لابن عطية وغيرها، حيث انقضى القرن الأول من ذلك الوجود دون تأليف في التفسير قصدا، ليلحقه القرن الثاني (1000هـ-1100هـ) دون وجودٍ لأي تفسير طيلة تلك المرحلة الطويلة لا في التفسير الكلِّي ولا السُّوري ولا الآيي ولا المنظومي، ولعل للعامل السياسي والاضطرابات السياسية التي ستأتي في أسباب قلة التصنيف في التفسير زمن الحكم العثماني تأثيرها الكبير.

غير أن هذا الإحجام وتلك الندرة التي استمرت لفترات طويلة، لم تدم بدخول القرن الثاني عشر(1100هـ-1200هـ)، والذي عرف انتعاشا في التفسير قصدا، وعلى غالب محاوره وأنواعه الأربع، ففي التفسير الكلِّي الكامل عرف هذا النوع ستة تآليف كاملة، كان أولها «زاد المسافرين وغاية الموردين في تفسير القرآن بسنة سيد المرسلين وما ثبت من أقوال المهتدين» للإمام علي بن أحمدبن محمد بن الفيرم بن البكاي، الرقادي المتوفى سنة:1120هـ، ثم تبعه الإمام حسين بن محمد ابن العنابي المتوفى سنة:1150هـ، بتأليفه «تفسير القرآن الكريم»، فـ «حاشية على أنوار التنزيل»[1] للإمام البيضاوي لمحمد بن محمد الحسني البَليدي المتوفى سنة:1176هـ، ثم «حاشية على تفسير الجلالين» للإمام يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي المتوفى سنة:1187هـ، فـ «مختصر الدر المصون للسَّمين في إعراب الكتاب المبين» لعبد الرحمن بن عمر

1: منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ45/1 (58)، ونسخة ثانية بالمكتبة الخديويه بالقاهرة أيضا برقم حفظ 164/1 (ن ع 58)، ومنه نسخة بالمكتبة الأزهرية في ثلاث أجزاء، ونسخة مصورة عنه بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكه المكرمة برقم حفظ 208/ 210/209 . ونسخة بالمكتبة الحسنية بالرباط تحت رقم: 8948.

الأموي التنلاني، أبو زيد المتوفى سنة:1189هـ، ويختم هذا النوع من التفسير الكلي للقرآن الكريم بمصنف «تفسير القرآن الكريم» لعمر بن محمد المحجوب الشرقاوي، البهلول المتوفى أواخر القرن:12هـ.

في حين لم يعرف الصنف الثاني من أنواع التفسير الأربع الذي هو التفسير السُّوري أي تأليف أو تصنيف فيه.

وظهر الإمام أحمد قاسم بن ساسي التميمي البوني المتوفى سنة:1139هـ في هذه المرحلة وفي الصنف الثالث الذي هو التفسير الآيي بمؤلفاته الثلاث:

«إرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ ﴾» و«الفتح القدسي بتفسير آية الكرسي»، و«جواب الشيخ أحمد البوني على تفسير بعض آيات التوحيد»، وكلها في التفسير الآيي.

ويظهر لنا مجددا في النوع الرابع التفسير المنظومي بمؤلفه «نظم في تفسير البسملة والاختلاف في أنها آية من كل سورة أم لا»، وينقضي هذا العهد بهذه المصنفات المتتابعة زمانيا.

وما بقي من زمنية الدراسة أي منتصف القرن الثالث عشر(1200هـ-1246هـ) كانت أكثر خصوبة وعطاءً، وعرفت الساحة العلمية التفسيرية مجموعة لا بأس بها من مصنفات التفسير القصدي، فقد عرف النوع الأول من تلك الأوجه الأربع، «تفسير القرآن الكريم» "الكبير" للإمام عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد المتوفى أوائل القرن 13هـ، وله أيضا «تفسير القرآن الكريم» "الصغير"، ثم ظهر تفسير «الإبريز والإكسير في علم التفسير» لمحمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري المتوفى سنة:1238هـ، والذي يرجح الباحث أن مؤلفه قد أكمله، فـ «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي ليوسف أوالحاج حمُّو بن عدُّون المتوفى سنة:1252هـ، وهي تفاسيرٌ أربع في مدة وجيزة وقصيرة مقارنة ببقية قرون البحث.

وعن التفسير السُّوري فيما أَلِّف قصدا، فقد عرفت الساحة العلمية خمس مصنفات هي: «تفسير المعوذتين»[1] وهي رسالة في تفسير سورتي الفلق والناس للإمام محمد بن محمد السَّنْباوي المازوني المتوفى سنة: 1232هـ، وله أيضا: «تفسير سورة القدر».[2]

و«المعدن المصون على سورة الكنز المدفون» تفسير سورة الفاتحة، لإبراهيم بن بيحمان اليسجني المتوفى سنة:1232هـ، و له أيضا «أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر»، كما ألَّف الإمام محمد الزجاي الذي كان حيا سنة: 1238هـ مصنفه «تفسير الخمسة الأولى».

وظهر الإمام السَّنباوي في التفسير القصدي الآيي في هذه المرحلة بمصنفين اثنين هما: «شرح رسالة الصبان في جملتي البسملة والحمدلة»[3]، و«الربح المؤبد في الصلاة على سيدنا محمد»[4]، رسالة في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:56]، ولإبراهيم بن بيحمان مصنفين اثنين أيضا الأول:«تفسير آيات النور من سورة النور»، قام

1: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بالسعودية، رقم الحفظ: 3327. ونسخة ثانية بمكتبة المخطوطات بالكويت رقم الحفظ: 809. مصورة عن الظاهرية:4488. ونسخة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم الحفظ:[315 مجاميع]10180,[403 مجاميع] 16284,[1409 مجاميع] 22358. ونسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ : 105/2 (1424).

2: مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالسعودية، برقم حفظ:00205. ونسخة بالملكية "مكتبه الدولة" ببرلين بألمانيا برقم حفظ: 968. ونسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ: 40/1. ونسخة بالمكتبه المركزيه بجامعه الملك سعود بالرياض، رقم الحفظ : 2281. وقد قام الأستاذ أحمد أزهر بتحقيق هذه الرسالة، وطبعت بمركز الدراسات القرآنية التابع للرابطة المحمدية للعلماء، بالرباط بالمغرب، ولم أتحصل عليها مطبوعة.

3: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بمكة المكرمة، رقم الحفظ: 1761. ونسخة ثانية بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم الحفظ:[503]9201,[687]10278,[2420]43140,[3079]امبابي 49070,[3402]53721. ونسخة ثالثة: بمكتبة برنستون، بالولايات المتحدة الأمريكية، رقم الحفظ : h 5156,308. ونسخة رابعة، بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية رقم الحفظ : 972.

4: مخطوط، منه نسخة بالمكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ : 1270. ونسخة ثانية بدار الكتب الوطنية التونسية، رقم الحفظ: 1091.

بتفسير مجموعة من آيات سورة النور، والثاني: «حاشية على أنوار التنزيل وأسباب التأويل» للبيضاوي[1]، والتي كانت مجموعة من التعليقات على بعض الآيات، ويختم هذا النوع بمؤلَّف «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾»[2]، للإمام علي بن محمد الميلي الجَمَّالي المتوفى سنة:1248هـ، ونشير إلى أن هذه الفترة الوجيزة زمنيا كانت أخصب الفترات إحياءً لحركة التأليف والتصنيف فيها، غير أنه لم تعرف في التفسير المنظومي أي مصنَّف.

والمنحنى البياني الآتي يوضح كل ما تم بيانه أعلاه:

1: والباحث يرى أنها ليست بحاشية بقدر ما يمكن اعتبارها تعليقات بسيطة في بعض المواضع والآيات على تفسير البيضاوي لم تتعد الصفحات فقط، خاصة وأن النسخة التي كُتب فيها متن «أنوار التنزيل وأسباب التأويل» كانت وقفا من الشيخ الحاج علي بن عباد الجربي على الشيخ إبراهيم بن بيحمان، والتي امتلكها من بعده الشيخ القطب أطفيش، وترك فيها أيضا مجموعة من التعليقات التي يقارب حجمها تعليقات الشيخ بن بيحمان، كما أن التفاوت في التعليق بين السور والآيات كان بعيدا جدا، لذا عددتها من التفسير الآيي فقط.

2: منه نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية رديئة التصوير جدا، بالقاهرة، برقم حفظ: 36/1. ومصور عنها بمكتبة الأزهرية.

المنحنى

البياني 2

القسم الثاني: ما كان من التأليف في علوم التفسير وفنونه:

خلافا للقرن الحادي عشر الهجري (1000هـ-1100هـ) الذي لم تعرف الساحة العلمية الجزائرية فيه أي مصنَّف في التفسير قصدا، فقد عرف هذا القرن تأليفين اثنين في علوم التفسير الكلي والكامل، الأول: «إعراب القرآن الكريم»[1] لأحمد بن محمد المقري شهاب الدين، المتوفى سنة:1041هـ، وهو كلي باعتبار صاحبه بدأ فيه من أول سورة البقرة منتهيا بسورة الناس، وقد تطرق فيه لإعراب ألفاظ القرآن الـمُشْكَلة.

والثاني: كتاب «المحاكمات»[2] ليحي بن محمد الشاوي، المتوفى سنة:1096هـ، والذي عمد فيه صاحبه لاعتراضات أبي حيان النحوية والإعرابية على الزمخشري وابن عطية في تفاسيرهم، فكان يورد الآية القرآنية الكريمة فالشاهد منها، ثم كلام الزمخشري وابن عطية، ثم اعتراض أبي حيان عليهما في تلك المسألة النحوية ويقوم إما بالموافقة أو المعارضة.

وطيلة بقية القرن لم يعرف التأليف السُّوري أو الآيي أو المنظومي في علوم التفسير وفنونه أي مصنَّف.

وبدخول القرن الثاني عشر(1100هـ-1200هـ)، عرف صنف التأليف في علوم التفسير الكلِّي مجموعة من التصانيف، غالبها للإمام أحمد قاسم بن ساسي البوني، المتوفى سنة:1139هـ، أولها «تحفة الأريب بأشرف غريب» اختصر فيه غريب العَزِيزي للقرآن العظيم وقد مرَّ شرحه وبيانه في موضعه، ثم

1: تم الحديث عنه وعن منهج صاحبه فيه في المبحث الثالث من الفصل الأول: التراث التفسيري لعلماء الجزائر في القرن الحادي عشر الهجري فلينظر.

2: أخرجه الأستاذ محمد عثمان، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت، والكتاب يحتاج لإعادة إخراج، فلم تكن الطبعة المشار إليها علمية بقدر ما كانت تجارية صرفة، يكثر فيها التحريف والتصحيف للألفاظ والمعاني. وقد قام الباحث عبد القادر مغدير، بتحقيق الكتاب رسالة دكتوراه، بقسم اللغة العربية بجامعة السانية بوهران سنة:2006م، تحت إشراف الدكتور: المختار بوعناني. كما أعد الباحث: مصطفى الغماري بجامعة الجزائر المركزية السور الخمس الأولى من المحاكمات للشاوي، كرسالة دكتوراه، أجيزت سنة : 2000م.

«إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن» له أيضا، و«التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير»، وختم جهده هنا بمصنفه «كشف الرَّان عن قلب قارئ قصيدة سور القرآن».

ومُؤلَّفُ الإمام البليدي الذي ذكره صاحب «سلك الدرر» بالقول:" وله في طريق الجمع مؤلف كبير في كل آية يذكر كيفية الجمع فيها من أول القرآن العظيم إلى آخره"[1]، ولم يذكر عنوانه ولم يُعرف له عنونة في كتب التراجم والبيبليوغرافيا التي تطرقت لحياة الإمام البليدي.

كما لم يعرف التأليف في علوم التفسير السُّوري أي مصنَّف، في حين برزت تآليف الإمام البوني في صنف التأليف في علوم التفسير الآيي، حيث ألَّف مؤلفين أولها «الدُّر النظيم في فضل آيات من القرآن العظيم»، والثاني «التيجان المكللة بدرر فصول التعوذ والبسملة».

وفي التأليف المنظومي في علوم التفسير وفنونه، برزت مؤلفات الإمام البوني أيضا، الذي عُرف عنه كثرة النظم لمؤلفات الأئمة في علوم التفسير، كنظمه «غريب العزيزي في القرآن العظيم» وكتاب «التسهيل في علوم التنزيل» لابن جُزَي الكلبي وسماه «نظم غريب القرآن» لابن جُزَي الكلبي، كما نَظم «غريب القرآن» للإمام ابن عباس سماه «نظم غريب القرآن لابن عباس»، وله أيضا «نظم في التوسل بسور القرآن»، وختم منظوماته بنظم في إسناده لخمسة وعشرين تفسيرا، الذي ذكره له الحفناوي وغيره.

وفيما تبقى من زمن الدراسة في منتصف القرن الثالث عشر، لم يعرف التأليف الكلّي في علوم التفسير أي مصنف، ونفس الأمر ينسحب على التأليف السُّوري في علوم التفسير، خلافا للآيي الذي عرف مصنفين للإمام إبراهيم بن بيحمان، الأول: «شرح البسملة» في بيان فضائلها وبركتها ومواطن استخدامها وتفسيرها، والثاني: «حاشية على شرح البسملة» وهي حاشية على مؤلفه الأول.

1: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، ج:4، ص:111.

فيما عرف التأليف المنظومي في علوم التفسير مصنفين اثنين أيضا للإمام محمد بن أمحمد الزجلاوي، أبو عبد الله المتوفى سنة:1212هـ الأول: «ألفية التفسير»[1]، والثاني:« ألفية في غريب القرآن».[2]

والمنحنى البياني الآتي يوضح سُلَّم التصنيف والتأليف في الأنواع الأربع من الكلِّي والسُّوري والآيي والمنظومي من نوع التأليف في علوم التفسير وفنونه، ويليه منحنى بيانيٌ ثانٍ يوضح التصنيف والتأليف في التفسير إجمالا ما كان منه قصدا أو ما كان في علومه وفنونه:

1: سبق الحديث عنه في مبحث صاحبه.

2: منه نسخة بخزانة الشيخ محمد بن الكبير بأدرار.

المنحنى البياني 3

المنحنى البياني 4

ثانيا: التدريس الشفوي للتفسير في الحواضر العلمية بالجزائر:

من أبرز ما يمكن ملاحظته في مرحلة العهد العثماني-التركي- بأرض الجزائر طيلة الثلاثة قرون التي كانت فيها الجزائر إحدى مقاطعات الدولة العثمانية، دخول الحواضر العلمية الجزائرية من مشرقها بدءً ببونة، إلى مغربها انتهاء بتلمسان، تحت سلطان واحد وحكم واحد دام لعهود طويلة، وهذا ما لم يتم لها من قبل، وذلك راجع إلى حركة المد والجزر التي شهدتها منطقة المغرب الأوسط وكامل شمال إفريقيا من دخول تلك الحواضر تحت سلطان الأقوى وتحت نفوذ المسيطر سياسيا وإقطاعيا، بعد أن حُكم على تلك الحواضر العلمية بتتبع حركة التمدد السياسي الباسط لنفوذه.

فبامتداد حدود الدولة الحفصية -مثلا- غربا إلى مدينة تنس بالمغرب الأوسط، دخلت حاضرة بونة وبجاية في نفوذ الحفصيين، وبامتداد حدود الدولة المرينية شرقا إلى مدينة دلس دخلت حاضرة الجزائر وتلمسان ومازونة تحت نفوذ المرينيين وهكذا، كما شهدت تلك الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط دخولها جميعا تحت الحكم الموحدي وإن اقتصر ذلك الوجود وتلك السيطرة على سنوات قليلة[1] خلافا للدولة العثمانية، مما جعل هذه الفترة الزمنية -العثمانية- تعتبر فترة استكمال الجزائر ولأول مرة "شخصيتها الشعبية والسياسية"[2] ويمكنني القول وحتى الثقافية، بدخول الحواضر العلمية جميعا تحت سلطان الدولة الواحدة، وإن كان هناك تمايز ثقافي، وتفاوت بين النشاط والحركة في كل حاضرة لعوامل سياسية وأخرى ثورية وأخرى اجتماعية واقتصادية وغيرها.

ومن المتفق عليه لدى كثير من الباحثين في الشأن العثماني بأرض الجزائر أن العثمانيين لم يستطيعوا التأسيس لمركزٍ علمي وحضاري بأرض الجزائر ينافس حجم الأزهر الشريف أو جامع القرويين أو الجامع الأموي وغيره من الحواضر العلمية الدينية الكبرى، بقدر ما كان جهدهم متمثلا في إنشاء بعض الزوايا

1: أطلس تاريخ الجزائر، عادل أنور خضر، دار الشرق العربي، بيروت، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط:02، ت:2015م، ص: 85.

2: الموجز في تاريخ الجزائر، يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت:2009م، ج:1، ص:07.

والمدارس والجوامع التي كان –غالبها– لمنافع تشوبها رائحة المصلحة السياسية ونوايا سيطرية، وهي سياسة منتهجة من يوم أن حُطت رحال العثمانيين الأوائل أرض الجزائر إلى آخر داياتها، بدءً بصنيع خير الدين بربروس الذي اتصل بالمرابط سيدي أحمد الكبير الأندلسي المتوفى سنة 1540م، حيث زاره سنة 1535 م وبنى له مسجدا بمدينة البليدة[1]، وانتهاءً بتجديد الباي مصطفى المانزالي ضريح وزاوية سيدي عبد الله بن منصور سنة: 1218هـ[2]، وهي جهود تصب في مجرى فهمهم وإيقانهم بدور المؤسسة الدينية الفعال في التأثير على العامة من السكان.

وحقيقة خلو أرض الجزائر زمن العثمانيين من مركز علمي ديني كبير على مستوى العالم العربي والإسلامي أكدها ابن ميمون الزواوي (ت:1120هـ) وهو المعاصر للوجود العثماني بأرض الجزائر بمقولته الشهيرة:" فالأزهر الشريف وجامع القرويين، وجامع الزيتونة، وجامع الأمويين، والمسجد الأقصى، والمسجد النبوي، أبت الطبيعة أن تجعل أحدها في حوزة القطر الجزائري، حتى ينبُغ فينا رجال علم وأدب، فيكون لهم نتاج يستوجب من علماء الأقطار هزَّ الرؤوس ومن أدباء الأعصار رقص النفوس، فالبعرة تدل على البعير والأقدام تدل على المسير، والحق يعلو ولا يعلى عليه"[3]، وهو كلام من عاصر الحاضرة التلمسانية وبقية الحواضر في أرض الجزائر، والتي وصفها الدكتور أبو القاسم سعد الله مغاليا فيها بالقول:" ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين، لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي"[4] وهو القائل في معرض تقييمه للحالة الثقافية بأرض الجزائر زمن الوجود العثماني –التركي– بسؤاله الذي جاء فيه: هل يصح أن نطلق على هذا العهد عهد الانحطاط الثقافي؟ [5]، ولو كان الأمر

1: DERMENGHEM, Le culte …, p39, - Trumelet, Les saints…, pp239, 240.
DERMENGHEM, EMILLE, "l'Algérie religieuse" in Initiation à Algérie, 1957.

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 265.

3: التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، ص: 80.

4: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 265.

5: المرجع نفسه، ج:01، ص: 19.

بعكسه لما تُطرق لمثل هذا السؤال أصالة فضلا عن دندنته –رحمه الله– حول ثقافة الدروشة الصوفية التي أصَّلَت لها الدولة العثمانية بأرض الجزائر، والتسبب في بقاء ثقافة التحشية في شتى العلوم مع غلبة الجمود عليها وضياع بصمة التجديد فيها.

بل نجد أن الإمام الورثيلاني قد جعل من العنصر –التركي–سببا في اندراس العلم وأهله إذ يقول في معرض كلامه عن أوقاف بلاد بسكرة واستيلاء الترك عليها:" فأصبحوا يأكلون منها وينتفعون بها كالأملاك الحقيقية، وهي ليست لهم وليسوا من أهلها، ولكنهم تمردوا وطغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما، وهذا –والعياذ بالله–سبب اندراس العلم وأهله من كل وطن يوجد فيه ذلك".[1]

بل وجه التهمة بعدم الاعتناء ببناء المساجد ودور العبادة وطلب العلم بطريقة غير مباشرة للعثمانيين[2] ليتهرب من ضريبة كلمته هذه بالقول:" أما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهدما قد جدد أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه إن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين، بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي فيه من كل لون رقعة وإلى الله المشتكى، وما أرى ما حل بمغربنا من الوهن إلا بسبب أمثال هذا من عدم تعظيم شعائر الله ولو في الأمور الظاهرة فضلا عن الباطنة، وقد قيل: إذا أراد الله خلاء بلدٍ بدأ ببيته ثم يتبعه ما سواه، وإذا أراد عمارته فكذلك".[3]

ومنه فإن الفضل في وجود تلك الحواضر العلمية بأرض الجزائر يعود بالأساس للدول السالفة والعابرة[4] على تراب الجزائر، التي أوجدت وأنشأت الزوايا والمساجد والمدارس والمكتبات العامة والخاصة لاستقطاب

1: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:1، ص: 142.

2: انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 01، ص: 251. وذكر أن الورثيلاني قد أشاد بدور ولاة تونس بالعلم والعلماء وتحبيس الأحباس على المدارس، لذا فإنه يعني في هجومه هذا ولاة الجزائر فقط.

3: نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:1، ص: 319.

4: انظر جهود الدولة المرينية أيضا واهتمام سلاطينها بالعلم والمؤسسات العلمية والثقافية بمدن الحواضر التي دخلوها في كتاب: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، لابن مرزوق الخطيب التلمساني، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية=

العلماء وطلبة العلم، سيما زمن الدولة الزيانية بالحاضرة التلمسانية والتي اشتهر حكامها بالشغف بالعلم وأهله واستقطاب العلماء لحاضرتهم[1]، والدولة الحفصية بالحاضرة البجاوية وما قبلهما، وإن اشتركوا في بعض مراحل حكمهم مع العثمانيين في نية إيجاد تلك المعالم الدينية التعليمية للأغراض السياسية.

وبانتشار الزوايا والمساجد والجوامع[2] والمدارس والمعاهد، انتشر الدَّرس الديني عموما والحلقات العلمية في شتى الفنون والعلوم، ونتناول في هذا المبحث الدَّرس التفسيري لعلماء الجزائر من خلال تلك الحواضر العلمية زمن العهد العثماني، والتي جاءت مرتبة حسب رواج وانتشار الدَّرس التفسيري وحلقاته في كل حاضرة:

=للنشر والتوزيع، الجزائر، ت:1981م، ص: 206-270. وانظر أيضا عند ابن خلدون في: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج:07، ص: 464.

1: أورد ابن مرزوق في مخطوطه «المجموع» لوحة:77، عن السلطان أبو يحي يغمراسن بن زيان أنه لم يزل بالفقيه أبي إسحاق التنسي ليسكن تلمسان ويمكث فيها، إذ يقول:" ...ودخل معه إلى المسجد وقال له:"جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا لتحيي به العلم"، واجتمع إليه الفقهاء بحضرة السلطان، فعزموا عليه، فقال لهم:"بسم الله"، فعرض عليه السلطان المنزل والإعانة، فقال لهم:"إنما أقيم ببلدكم بشرط ألا تحملوا علي شيئا من هذا، وأن تتركني بحالي"، وهي قصة تؤرخ لنهم الحكام الزيانيين في استقطاب العلماء من كل الأرجاء للسكن في حاضرتهم تلمسان. انظر: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، عبد الجليل قريان، ص: 369.

2: يقول أبو القاسم سعد الله:" فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين، وكثيرا ما يسمى أيضا جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير أو الأعظم". انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 245. قال الباحث: وقع التفريق قديما بين الجامع والمسجد في كتب الفقه، وقد استخدم عبارة المسجد الجامع الإمام الشافعي إذ يقول:"والاعتكاف في المسجد الجامع أحب إلينا وإن اعتكف في غيره فمن الجمعة إلى الجمعة" انظر: الأم، الشافعي، ج:2، ص:115. واستخدم الإمام مالك عبارة المسجد الذي لا يجمع فيه إذ يقول في بابا الاعتكاف: "فمن هنالك جاز له أن يعتكف في المساجد التي لا يجمع فيها الجمعة". انظر: موطأ الإمام مالك، أنس بن مالك، ج:1، ص: 313. وأورد القاضي في مسائله:" وخالَفَهُ ابن عبد الحَكَم، وقال: لا يصحّ إلَّا في المسجد الجامع" يريد به ابن عبد الحكم المصري المالكي". انظر: المسالك شرح موطأ مالك، القاضي ابن العربي، ج:4، ص:255. وفرَّق بينهما ابن ابي زيد القيرواني في رسالته في كلامه عن الاعتكاف إذ يقول:"ولا يكون إلا في المساجد كما قال الله سبحانه {وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} فإن كان بلد فيه الجمعة فلا يكون إلا في الجامع". انظر: الرسالة، عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، ص:63.

أ- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة تلمسان:

تم التنويه سابقا إلى أن سلاطين بني زيان كانت لهم عناية خاصة بالمجالس العلمية والحلقات التدريسية في المساجد والجوامع والزوايا، وأنهم أسَّسُوا لتقاليد علمية ومؤسسات ثقافية جعلت من تلمسان عاصمة للعلم يفد إليها العلماء من كل صوب، ويرتحل إليها طلبة العلم من كل حدب، ولما بنى السلطان أبو حمو الثاني مدرسته العلمية الشهيرة، كان يُقام فيها درس في التفسير وكان السلطان أحد الحضور، يصفه صاحب «نظم الدرر» بالقول:"وحضر مجلس إقرائه فيها جالسا على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، فلما انقضى المجلس أشهد الأوقاف وكسا طلبتها كلهم وأطعم الناس، وطوَّل الله مدته حتى ختم السيد أبو عبد الله[1] تفسير القرآن العزيز فيها، فاحتفل أيضا لحضور ذلك الختم وأطعم فيه الناس وكان موسما عظيما"[2]، بل كانت من الوظائف التعليمية المعروفة زمانهم "وظيفة مفسِّر"[3] وهي إحدى الوظائف التي كانت تسند للعلماء الأكابر في كل مسجد أو جامع، بل وصل الأمر لتباهي سلاطينهم بكثرة العلماء في مجالسهم والحرص على استمالة أكبر عدد ممكن من قلوب العلماء لحضور مجالسهم الخاصة،" لقد أصبحت هيبة السلطان في الخارج وركون الرعية إليه في الداخل، رهينة بمقدار ما يجتمع إليه من العلماء".[4]

ثم بانقضاء زمن الزيانيين دخلت الحاضرة في ثورات وحروب دامت لعهود طويلة، مما أثر سلبا على الدَّرس التفسيري، وببقاء المراكز العلمية فيها والمؤسسات الثقافية زمن العثمانيين، والتي ذكرت بعض المصادر أن عدد المساجد بتلمسان كان خمسون مسجدا، وأن عدد الزوايا قد فاق الثلاثين زاوية، والذي يَدرُس

1: لم أهتد إلى معرفة اسمه الكامل.

2: نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، محمد بن عبد الله التنسي، تحقيق الجزء الأول: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ت:1985م، ص: 179-180.

3: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحي الونشريسي، تحقيق: جماعة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ت: 1981م، ج:07، ص: 37.

4: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، عبد الجليل قرمان، ص: 99.

كتاب «البستان» لابن مريم قد يعثر على أكثر من هذا العدد، رغم أنه كتبه في بداية القرن الحادي عشر[1]، وكذلك الأمر بالنسبة للمدارس العتيقة "فإن الفرنسيين قد وجدوا فيها بعد احتلالها خمسين مدرسة".[2]

ولا شك أن كل هذه المؤسسات التعليمية كانت تقام فيها حلقات لتفسير القرآن الكريم، غير أن المصادر والمراجع والوثائق التاريخية لم تؤرخ لها، ولم تذكر منها إلا القليل النادر، الذي استطعت من خلاله بيان أحوال الدَّرس التفسيري زمن العهد العثماني.

وأوَّل حلقات التفسير التي كانت تقام زمن العثمانيين بحاضرة تلمسان هي حلقة الإمام علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري التلمساني (ت: 972هـ)، والتي كانت تقام بمسجد أجادير[3]، والتي وصف تلميذه ابن مريم إقامته على التدريس فيها بالقول "حريص على تدريس العلم، ويدرسه طول نهاره، ولا يفتر عن الدرس إلا في وقت الصلاة والأذان... ويأخذ الفأس يخدم به في العرصة، والقارئ يقرأ وهو يُفسِّر إلى الزوال، يركب على دابته والقارئ عن يمينه ويساره، هذا دأبه"[4]، ولم أجد غير هذا النص في توصيف حلقته التفسيرية هاته.

وممن كانت لهم حلقة مذكورة في التفسير ويلهج إليها الطلبة من كل مكان الإمام محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (ت:981هـ)، ولم أجد من ذكر اسم الجامع أو الزاوية التي كان يقيم بها الشيخ حلقته التفسيرية.

كما كانت حلقة الإمام محمد أحمد بن الوقاد، أبو عبد الله (ت:1001هـ) التي كانت تعقد في الجامع الأعظم بتلمسان، ولم أجد لها ذكرا في كتب المصادر والوثائق التاريخية.

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 266-267.

2: المرجع نفسه، ج:01، ص: 274-275.

3: شُيِّد سنة 174 هـ/ 790م، على يد إدريس الأول، وقد سبق الكلام عنه.

4: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، ص:281.

وممن أثر عنهم ختم تفسير القرآن الكريم تدريسا بالجامع الأعظم أيضا، الإمام ابن لَلُّو التلمساني وذلك في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، والتي ذكرها له صاحب «ذخيرة الأواخر والأول»[1] لأبي حامد المشرفي[2] ولم يطل في بيان أسلوبه التفسيري ولا أي أمر يخص الحلقة من قريب أو بعيد.

وممن تتلمذ عليه وأقام على التفسير أيضا بالتدريس الإمام محمد الزجاي الذي كان حيا سنة:1238هـ، وهو أحد أعلام التفسير بحاضرة تلمسان، الذين أقاموا مجالسهم التفسيرية بالجامع الأعظم أيضا.

وتظهر قلة الحلقات التي كانت تقام في التفسير خصوصا، مع ضرورة التنبيه أننا لسنا بصدد البحث عن الحلقات التي كانت تجعل من تفسير القرآن الكريم أحد أدواتها، كحلقات اللغة والنحو والحديث وغيرها، ولعل الحروب والثورات التي كانت تلك الحقبة وعدم استتباب الأمر للعثمانيين بسهولة كان أحد أسباب هذه القلة في العطاء التفسيري مع ندرة وقلة الوثائق التاريخية والمصادر التي تكلمت عنها والتي إما أنها لم تؤرخ لها أصالة، وإما أنها لازالت حبيسة رفوف المكتبات والزوايا.

ولعل الأمر مختلف تماما عن سلاطين الزيانيين، فلم نجد من الوثائق من كتب عن حضور أحد البايات أو الباشوات أو الأغاوات أو حتى الدايات لمجالس علمية مشتهرة آنذاك، فضلا عن مجلس في التفسير لهؤلاء الأعلام الذين تم ذكرهم.

كما أن صاحب «باقة السوسان» ينوه لأمر غاية في الأهمية، وهو فقدان حاضرة تلمسان لمركزها الثقافي العلمي تلك المرحلة، بعد تحول الأمر بسبب الأتراك إلى الحاضرة الجزائرية إذ يقول:"لكن هذه المدينة –تلمسان–فقدت أهميتها كمركز سياسي واقتصادي وثقافي أثناء حكم الأتراك لها، لاتخاذ أولي الأمر والرأي

1: مخطوط «ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول» منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط برقم2659. ونسخة ثانية مصورة ميكروفيلم بالمكتبة الوطنية بالجزائر.

2: تمت ترجمته سابقا.

مدينة الجزائر مقرا جديدا لهم"[1]، ولعله عامل آخر من عوامل قلة البضاعة التفسيرية تدريسا بالحاضرة التلمسانية آنذاك.

ب- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة قسنطينة:

تعتبر حاضرة قسنطينة من أقدم الحواضر العلمية وأعرقها ببلاد الجزائر، والتي عُرف فيها بناء أول مسجد زمن عقبة بن نافع الذي فتحها سلما "وبنى فيها مسجدا وصلى فيها أول جمعة ".[2]

ومنذ ذلك الحين أصبحت مقصدا وقبلة للعلماء وطلبة العلم من كل أرجاء المعمورة، خاصة بعد طبقة التابعين وتابعي التابعين الذين قصدوها نشرا للعلم وطلبا للتعليم، كأبي معمر عباد بن عبد الصمد التيمي البصري الذي قدم القيروان، وكان قد لقي أنس بن مالك والحسن البصري وغيرهما، وأخذ عنه ناس كثير من أهل طرابلس والقيروان، وخرج إلى قسنطينة فمات بها[3]، وبتوافد العلماء عليها زاد الاهتمام بالمؤسسات الدينية والثقافية، وكثر بها بناء المساجد والجوامع، من طرف ملوكها المتعاقبين عليها، إلى أن صارت تارة "تحت طاعة ملوك مراكش من الملثمين المرابطين والموحدين وبني مرين، وتارة تحت طاعة سلاطين تونس الحفصيين، إلى أن دخلها الأتراك".[4]

وخلَّف هذا التعاقب على حاضرة قسنطينة مؤسسات دينية عريقة وثقافية كبيرة، خاصة زمن الحفصيين، والذين كان لهم الفضل في تأسيسها، وللعثمانيين الفضل في إعادة ترميمها، وبعث بعضها من جديد، كما

1: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ت:2011م، ج:01، ص: 97.

2: فتوح إفريقية، محمد الواقدي، د تحقيق، مطبعة المنار، تونس، ط:01، ت:1966م، ج:01، ص: 115. وقد شكك الباحث الطيب بوسعد في نسبة الكتاب للواقدي، انظر مقاله: المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي، مجلة: الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 06، سنة: 2009م، من 130-153.

3: طبقات علماء إفريقية، محمد بن تميم الإفريقي أبو العرب، تعليق: محمد ابن أبي شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، ت:1927م، ص: 26.

4: تاريخ بلد قسنطينة، أحمد بن المبارك بن العطار، تحقيق: عبد الله حمادي، دار الفائز، الجزائر، ط:01، ت: 2011م، ص: 107.

هو في عهد صالح باي (ت:1185هـ) الذي أصدر منشورا خاصا بإعادة ترميم الكثير من مساجد وجوامع قسنطينة وضواحيها.

وقد بلغ عدد المساجد بحسب وثيقة تاريخية[1] مع بداية القرن الحادي عشر الهجري بمدينة قسنطينة إلى واحد وسبعين مسجدا، وذكر الورثيلاني أن قسنطينة قد حوت "خمسة جوامع خطبة وأن بعضها كان في غاية الإتقان"[2]، كما يذكر أن الباي حسين بوكمية بنى جامع سوق الغزل سنة:1143هـ، وهو جامع للمذهب الحنفي، وأن الباي حسن بوحنك أمر ببناء الجامع الكبير سنة:1156هـ، وكان للصلاة والتسبيح والتعليم، ومن أكبر المؤسسات العلمية التي كانت تعنى بالعلم والتعليم ما قام به الباي صالح باي الذي أمر ببناء مسجد سيدي الكتاني والمدرسة الملحقة به سنة: 1189هـ، وأمر ببناء مدرسة ثانية بقرب مسجد سيدي لخضر التي أضحت فرعا له" والتي يُدرِّس فيها كما هو الأمر في مدرسة سيدي الكتاني أساتذة يعينهم رئيس المقاطعة، ويتقاضون أجورهم من ميزانية المساجد، وهم يعلمون النحو والفقه وتفسير القرآن والتوحيد وعلم الحديث أو السنة المحمدية".[3]

وقد كان بحاضرة قسنطينة العديد من الزوايا التي يُحرص فيها على الدَّرس العلمي والديني، وقد بلغت حسب بعض الإحصاءات ست عشرة زاوية، كما حوت قسنطينة سنة 1006هـ سبع مدارس ثانوية وعالية.[4]

1: وجدها الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–وذكرها في تاريخه دون رقمها أو مكانها بالقول:"وقد وجدنا نحن وثيقة وطنية تعود إلى سنة 1006هـ، أن عدد المساجد في قسنطينة كان يبلغ 71 مسجدا". انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:1، ص: 248.

2: نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:02، ص: 791.

3: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، أوجين فايست، ترجمة: صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، ط:01، ت:2010م، ص: 48-49.

4: يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله:"وجدنا في وثيقة وطنية تعود إلى سنة: 1006هـ، أن عدد الزوايا بمدينة قسنطينة قد بلغ ثمانية، وهو بلا شك عدد قليل". انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:01، ص: 264.

وتجدر الإشارة إلى اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم، وتشاركها جميعا في العملية التعليمية، فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون، وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد.

ومما لا شك فيه أنه كان للدَّرس التفسيري والحلقة التفسيرية لعلماء الحاضرة القسنطينية وجودٌ وانتشارٌ، غير أن إشكالية التأريخ لها وقلة أو ندرة المصادر التي تحدثت عنها، كانت عائقا كبيرا في معرفتها وتحديدها وبيان أسلوبها ورصد شيوخها.

وكان لدرس الإمام قاسم بن يحي بن محمد الفكون (ت: 965هـ)، في تفسير القرآن الكريم انتشارٌ واشتهارٌ، خاصة أنه كان يُقام بالجامع الأعظم الذي بُني زمن الحفصيين سنة:430هـ، بحومة بطحاء ولاد سيدي الشيخ، وقد ذكره ونوَّه به صاحب «منشور الهداية»، ويعتبر أول حلقة تفسيرية في حاضرة قسنطينة يمكننا الحديث عنها زمن العثمانيين.

ومما رصده لنا أيضا صاحب «منشور الهداية» حلقة التفسير التي كان يقوم بها الإمام أحمد الجزيري أبو العباس (ت قبل: 1073هـ)، والذي لم أهتد إلى معرفة اسمه الكامل بسبب ندرة ذكره في المصادر والتراجم، وقد جعل الفكون من ترجمته حكايات وآثارا عما أصابه من نقص في إدراكه وسبب ذلك، وأنه كان كثير البحث عن الكنوز وتخديم الروحانية، وكثيرا مما لا يستفاد منه في دراستنا، إلا ما ذكره من أنه كان يجلس في حلقته والطلبة محدقون به[1]، دون ذكر لاسم المسجد أو الجامع الذي كان يقيم فيه حلقته التفسيرية هاته. ومما رصدته لنا الوثائق التاريخية، حلقة الإمام عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني

1: منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، ص: 69-70.

(ت:1194هـ) الذي كانت مجالسه التفسيرية تقام بجامع سيدي الكتاني ومدرسته التي سبق التنويه عليهما وأنهما من آثار صالح باي، وقد أشار الحفناوي إلى أنها كانت توصف بـ "مجالس صالح باي"[1].[2]

وما من شك أن ما تم رصده قليل وقليل جدا بالنسبة لسمعة حاضرة علمية بمقام حاضرة قسنطينة، غير أنه ومع قلة المصادر والوثائق التاريخية التي يمكن من خلالها رصد حركة الدَّرس التفسيري في تلك الحاضرة، فإن الورثيلاني قد تطرق لموضوع غاية في الأهمية من تنكر الناس في تلك الحقبة لأهل العلم إذ يقول متحسرا: "وهذه المدينة–قسنطينة– غير خالية من العلماء ولا من الفضلاء والصلحاء، غير أنها سريعةٌ بأهل الصلاح، فمن ظهر فيها بالقبول والفضل إلا أسرعت بهلاكه فيقبض ساعتئذ، وهذا معلوم عند أهلها، إما لإساءة ظن أهلها فلا ينتفعون بمن ظهر فيهم، أو لأنها كثيرة الملذوذات فقلَّ فيها أهل الفضل من أصحاب الخيرات".[3]

كما أن الناظر في توصيف ابن العطار صاحب كتاب «تاريخ بلد قسنطينة» والمؤرخ أوجين فايست صاحب كتاب «تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي»، للثورات والانقلابات التي كانت تعيشها قسنطينة والحالة السياسية المضطربة آنذاك وتدخُّل العلماء في الشأن السياسي تهدئةً وإصلاحا للوضع، يجزم بحقيقة تأثير كل ذلك على الدَّرس العلمي عموما والتفسيري خصوصا.

ج- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة الجزائر:

لم تخل كتب التراجم والسير والرحلات الجزائرية من ذكر حاضرة مدينة الجزائر، كإحدى أبرز وأهم الحواضر العلمية ببلاد الجزائر، وكان الحديث فيها عن مجالسها الثقافية وعن دروسها العلمية المنتشرة في أهم

1: تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج:2، ص:221.

2: ولعل هذا من مثالب الباي الذي ارتضى لنفسه أن تسمى المجالس العلمية باسمه، فقط لأنه كان مرمما للمدرسة والجامع الكتاني، خلافا لسلاطين الدول الزيانيين الذين كانوا يحضرون بأنفسهم تلك الحلقات والمجالس.

3: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:02، ص: 792-793.

مساجدها وزواياها ومدارسها، وهو صنيع حتى الكتاب الأجانب في تلك المرحلة من العهد العثماني كالعياشي صاحب الرحلة وابن زاكور الفاسي وغيرهم.

ويحدد التمكروتي[1] سنة:925هـ سنة دخول حاضرة الجزائر تحت النفوذ العثماني رسميا[2]، بعد تَضعضع حكم الزيانيين وتراجعه، وانتقلت الإدارة السياسية من تلمسان إلى الجزائر، بعد" اتخاذ أولي الأمر والرأي مدينة الجزائر مقرا جديدا لهم"[3]، وهو انتقال كان له الأثر البالغ في تحول وجهة الطلبة والعلماء من حاضرة تلمسان إلى حاضرة الجزائر.

وبهذا التحول انتشرت الدروس والحلقات العلمية في شتى الفنون والعلوم، وكان لعلم التفسير نصيبه من ذلك، بعد دخول المذهب الحنفي كمنافس بارز للمذهب المالكي في تلك العلوم، وقد أظهرت المادة العلمية درسين تفسيريين لعلماء الجزائر في تلك الفترة:

الأول: درس الإمام أبي عبد الله محمد بن خليفة المالكي(ت:1094هـ)، والذي اشتهر بإقامته بالجامع الأعظم بالجزائر، وقد ذكره تلميذه ابن زاكور الفاسي الذي حدَّث عن شيخه أنه كان مواظبا على تدريسه لسنوات طوال، وأنه وعده بإجازة خاصة بعد إتمامه لتفسير القرآن الكريم بالجامع، إذ يقول:"فوعدني –

1: علي بن محمد بن علي بن محمد، أبو الحسن المجروتي: فاضل، من أعيان المغرب، وجهه السلطان المنصور من فاس إلى القسطنطينية، بهدية إلى ملك الترك، فصنف كتاب في رحلته سماه " النفحة المسكية في السفارة التركية " والمجروتي نسبة إلى تمجروت، باعتبار التاء الأولى مزيدة، وهي كلمة بربرية بالجيم المعطشة. ولا يخطئ من كتبه "التمجروتي" أو "التمكروتي" وتمجروت من بلاد درعة في المغرب الأقصى، وكانت وفاته بمراكش سنة: 1003هـ. انظر: "الأعلام" ج:05، ص: 12. "موسوعة أعلام المغرب" محمد حجي، ج:07، ص:2405.

2: النفحة المسكية في السفارة التركية، علي بن محمد أبو الحسن االتمكروتي، تحقيق: محمد الصالحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المغرب، ط:01، دت،ج:1، ص:147.

3: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، محمد بن رمضان شاوش، ج:01، ص: 97.

رضي الله عنه- بالإسعاد في رغبتي والإسعاف في طلبتي حين يختم تفسير القرآن المجيد، وكان من ذلك الغرض غير بعيد".[1]

وقصد ابن زاكور حاضرة الجزائر من بلاده فاس والتي كانت تعتبر إحدى حواضر العالم الإسلامي في تلك الفترة، دليل اشتهار هذا المجلس التفسيري لهذا العَلَم.

الثاني: درس الإمام حسين بن محمد ابن العنابي الحنفي (ت:1150هـ)، ولم تذكر المصادر والمراجع هذا المجلس التفسيري كثيرا، إلا ما وجد من مادة قليلة جدا عند ابن المفتي صاحب التقييدات، والذي أشار عند ترجمته لابن العنابي كأحد قضاة الجزائر الشرعيين أنه زاول التدريس بالجامع الجديد[2]، وهي حلقة للمذهب الحنفي وفي مسجد حنفي، فقد كان هذا الجامع جامع التدريس لكل من يتولى خطة الفتوى[3].

وذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله -رحمه الله- مجلسا ثالثا لأحد أعلام الجزائر في التفسير وهو الإمام المقري، فقد ذكر أنه" حاول المكث في الجزائر قريبا من المغرب حتى تنجلي الأمور السياسية، فقد وجدناه يستقر بمدينة الجزائر سنة:1027هـ، بعد أن مر بمسقط رأسه تلمسان، واتصل في الجزائر بالعلماء وشرع في التدريس، **وخصوصا التفسير**، وتبادل مع كبير علماء الجزائر عند إذا وهو سعيد قدورة الألغاز والنكت والمعلومات، وقد روى الفكون ذلك في شيء من التعريض بالمقري قائلا: إنه نزل دار الجزائر على فقهائها وعلمائها وتصدى للتدريس بها، **وقرأ بها التفسير على ما قيل**".[4]

قلت: لم يشر الفكون في «منشور الهداية» لهذا التخصيص من أن درسه كان في التفسير، ولعل الدكتور استقى هذه المعلومة من مخطوط «جليس الزائر وأنيس السائر» للشيخ محمد بن سعيد قدورة، وقد أشار

1: نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، ص: 74.

2: بشارع باب البحر بالجزائر، أول من قام بالتدريس فيه هو قرباش أفندي التركي. ويظهر أنه غير الجامع الأعظم المشهور. انظر: تقييدات ابن المفتي، ص: 88.

3: تقييدات ابن المفتي، ص: 88.

4: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:02، ص: 215.

إليه في الهامش وأنه أخذ منه، ويبقى الأمر محتملا، ذلك أن الدكتور يُعمل منهج التخمين في أحكامه في بعض الأحيان، ولم أستطع إيجاد تلك المخطوطة للتأكد من الأمر.

ولم تسعفني المادة العلمية أن أجد أكثر من هذا، مع ضرورة التنبيه إلى أني قصدت حلقات التفسير الخالصة وأعلامها المفسرين.

د- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة توات[1]:

تعتبر حاضرة توات من أبرز الحواضر العلمية ببلاد الجزائر[2]، فقد كان لوجود الزوايا والطرائق الصوفية المتنوعة الأثر البالغ والكبير في ذلك الاشتهار العلمي والثقافي، خاصة أن التعليم والاهتمام بحلقات العلم كان أهم ما يميزها، فغدت قبلة الكثيرين من المريدين والطلاب والأعلام، الذين أسسوا للعديد من المعاهد والزوايا التي كان بث العلم ونشره أحد أولوياتها، كالشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية الذي قدِم لها سنة 1196هـ، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي حلَّ بتوات سنة 882 هـ، واستقر به المقام بقصر بوعلي الذي بنى به زاويته المشهورة،كما يعتبر أول من أدخل الطريقة القادرية لتوات، والشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي الذي قدِم إلى توات وفيها أسس زاويته المشهورة بالزاوية الكنتية الرقادية سنة 999هـ، وهو والد الإمام علي بن أحمد الرقادي المتوفى سنة:1120هـ صاحب الحلقة التفسيرية المشهورة

1: وقع خلاف كبير في أصل التسمية، ويرجح المؤرخ الفرنسي مارتين Martin أن كلمة توات أصلها إغريقي وتعني الواحات. انظر: Martin A.G.P: quatre siècles d'histoire marocaine (1504, 1904),paris, 1923, pp,1, 2.

2: أُشكل كلام العياشي في رحلته عند وصوله إليها كمحطة أولى قادما من سجلماسة، حيث وصفها بقلة العلماء فيها وأن غالب سكانها عوام إذ يقول:"ولم نلق هناك أحدا ممن ينتسب إلى ولاية أو صلاح، ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة جل عيشهم التمر". وليس من توجيه إلا أن مدة إقامته فيها التي لم تتجاوز الستة أيام لم تكن كافية للحكم عليها وعلى أهلها، مع تشعب مناطقها. انظر: الرحلة العياشية، عبد الله بن محمد العياشي، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات المتحدة، ط:01، ت: 2006م، ج:01، ص: 76.

في تلك الزاوية، والذي لازم التدريس بالزاوية والمدرسة الكنتية طويلا، ووصف الشيخ محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي[1] طريقة تدريسه.[2]

ومن حلقات التفسير التي كانت تقام في تلك الحاضرة، حلقة الإمام عبد الحاكم بن عبد الكريم القراري المتوفى بعد 994هـ، والتي ذكرها له تلميذه الشيخ عبد الكريم أبو المكارم[3]، وذكر أنه استفاد منه في حلقته التفسيرية هاته.

ومن تلك الدروس التفسيرية أيضا بالحاضرة التواتية، درس الإمام عبد الرحمن بن إبراهيم التواتي المتوفى سنة:1160هـ، صاحب حلقة شرح تفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للإمام البيضاوي والتي ذكرها له تلميذه المفسِّر التنلاني.

وليس بين أيدينا ما يمكن به إثبات درس تفسيري للإمام محمد بن أمحمد الزجلاوي، أبو عبد الله المتوفى سنة:1212هـ، والتي أشارت المادة العلمية إلى أنه ساهم في التأليف في التفسير، ولم تشر إلى مساهمته فيه تدريسا، غير أنه يستبعد ألا يكون صاحب حلقة في علم التفسير خاصة أنه قيل عنه "مدرسة يحجّ إليها ويقصدها كل من يطلب العلم".[4]

هـ- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة بونة:

بالرغم من اشتهار هذه الحاضرة العلمية والممتد صيتها خارج الديار الجزائرية، غير أني لم أجد ما يشير إلى دروس وحلقات التفسير وعلومه لأعلامها الجزائريين زمن العثمانيين، كما لا نملك أي وثيقة تاريخية تثبت أن الإمام أحمد قاسم بن ساسي التميمي البوني المتوفى سنة:1139هـ، وصاحب التصانيف الكثيرة

1: صاحب كتاب «بيضة الأنوار في سيرة النبي المختار» وهو شيخ الزاوية الكنتيه الرقادية بأدرار حاليا. لم أجد له ترجمة.

2: انظر مقاله: تأسيس الزاوية الرقادية الكنتية ومن أسسها -هكذا- المنشور على الشبكة العنكبوتية:
http://www.hadaik.com/vb/showthread.php?p=94702

3: سبقت ترجمته.

4: موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، ص: 423.

في التفسير وعلومه، والذي ذُكر في ترجمته أنه أقام في بونة آخر حياته يُدرِّس في مساجدها ومدارسها النظامية زمن الدولة العثمانية، نجزم من خلالها أنه درَّس التفسير في حاضرتها، بالرغم من عدم استبعاد ذلك.

وينسحب هذا الحكم على أعلام المدرسة الإباضية الذين ذُكروا في الدراسة، إذ لم تشر المصادر التاريخية والوثائق العلمية إلى دروس الإمام يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي المتوفى سنة: 1187هـ، والإمام إبراهيم بن بيحمان المتوفى سنة:1232هـ في التفسير، بل ذكرت اشتغالهم بالتدريس في العلوم عموما، ولم أجد أي ذكر للدرس التفسيري تحديدا.

و- الدَّرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة مجاجة:

وهي حاضرة علمية لقبت بدار العلم والتقوى[1] بفضل زاوية الإمام محمد بن علي أبهلول المتوفى سنة: 1008هـ، فقد كانت تُشدُّ إليها الرِّحَال طلبا للتفسير وعلومه[2] وبقية العلوم ولشهرتها في كثير من الفنون.

ولم أجد ذكرا للدرس التفسيري فيها للأعلام الجزائريين إلا هذا الإمام فقط الذي كان شيخا للكثير من رواد المدرسة الجزائرية في شتى الفنون.

1: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 268,

2: ذكر ذلك تلميذه سعيد قدورة، انظر:"تاريخ الجزائر الثقافي"ج: 1، ص: 359.

المنحنى البياني 5

المبحث الثالث: أثر الرحلات العلمية في الصناعة التفسيرية الجزائرية:

تعتبر الرحلة لبنةً أصيلةً في التكوين والرسوخ العلمي لدى العلماء والمشايخ أصحاب الفنون والعلوم المتنوعة، وهي إحدى أهم المحطات التي يقف الناظر أمامها وهو يقرأ تراجمهم وسيرهم، فيعرف خط نهلهم من العلوم ومنهج تعاطيهم مع الفنون، إذ تأثر وتأثير الرحلة على العَلَم وشخصيته العلمية حاصلٌ متيقن منه.

و"الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فالرحلة لا بدَّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1]، فأصبحت الرحلة بمثابة اللازم لكل من لازم العلم وأهل العلم، والمُعَوَّلُ لكل من خاض غمار البحث في ثقافات الشعوب وأنماط حياتها ومجتمعاتها[2]، وطلبَ المزيد في العلوم والفنون، وهي إحدى أهم وصايا المشايخ والعلماء الأقدمين للطلبة والمريدين، حتى غدت فنا وعلما يؤلف فيه[3]، ومسلكا دقيقا لا يصح السير في ركاب العلم إلا بسلوكه. وحينما قُـلِّدت الريادة العلمية والحضارية للمشارقة في زمانهم، كانت الرحلة الجزائرية تجاههم تقوم مقام الأمر الرئيس والمطلب النفيس في طلب العلم وتحصيله، والنهل من تلك العراقة المشارقية

1: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون الإشبيلي، ج: 1، ص:744.

2: يقول الدكتور جبور واصفا طغيان الوثائقية الجغرافية على معظم الرحلات العلمية: "وعلى الرغم من طغيان الطابع الوثائقي على هذا النوع من كتب الرحلات يبقى نوعًا من التعبير الأدبي الهجين والضبابي، لكن الاطلاع عليه يفضي إلى قيمة كبيرة قد تكون محصلة لمعارف جمة". انظر: المشرق في أدب الرحلة بين حربي 1914م و1939م، جان جبور، مجلة الفكر العربي، العدد 32، جويلية 1983م، ص:70. قلت: وهو ملاحظ في غالب الرحلات الجزائرية كرحلة ابن حمادوش والورثيلاني وغيرها.

3: كمخطوط: الرحلة إلى المغرب والمشرق، لأبي العباس المقري منه نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، مهداة من طرف حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان سنة 1993م. وقد حققه الأستاذ: محمد بن معمر، وطبع بمكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2004م.

في شتى فنونها ومشاربها المتنوعة والمتعددة، كما انسحب الأمر بتمامه على بقية الحواضر العلمية الكبرى المغاربية كفاس والقرويين والزيتونة والقيروان والأندلس[1] وغيرها.

أولا: دوافع الرحلة عند علماء الجزائر زمن العثمانيين:

تنوعت دوافع وأسباب رحلة علماء الجزائر نحو المشرق والمغرب زمن الحكم العثماني بأرض الجزائر، وقد كانت بعض الدوافع ذات طابع تقليدي موروث لم يكن للوجود العثماني أي أثر في وجوده أو عدمه، ولعل أبرز ما يمكن حصره من دوافع هو:

أ- **الرحلات التعبدية:** التي كان الغرض الأساس فيها هو التعبد وأداء منسك الحج وقصد زيارة بيت الله الحرام والمدينة المنورة والقدس الشريف، وغالبا ما كان يطلق عليها أصحابها الرحلة الحجازية عند تدوينها، حيث كانوا يدونون كل مجريات الرحلة من بدايتها إلى نهايتها، ويصفون فيها المقامات والأضرحة والأماكن المقدسة، معبرين عن أحوال الناس إما ذما أو مدحا في أحوالهم الحياتية والتدينية، منبهين خصوصا إلى ما تعلق بالمجالس العلمية ولقيا الشيوخ والإجازات التي نالوها أو منحوها، والتي غالبا ما يرجع أصحابها لديارهم بعد فترة من الزمن بعد أن توقفوا في العديد من الحواضر والديار، كصنيع الإمام أبي العباس أحمد البوني صاحب «الروضة الشهية في الرحلة الحجازية»[2]، و«نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب» لصاحبها أبي العباس أحمد بن عمار الجزائري[3]، والإمام إبراهيم بن بيحمان الذي نظم قصيدة في زيارته للبيت العتيق

1: يقول الدكتور محمد علي: "ذكرت أعمال الأندلسيين ضمن جهود المغاربة، لأنّ مدرسة الأندلس تعتبر امتداداً لمدرسة المغرب، لذا لا نجد عند المتأخرين فصلاً بين المدرستين، بل يعدون علماء المدرسة الأندلسية من المدرسة المغربية، خاصة وأن الكثير من هؤلاء العلماء هجروا الأندلس بعد محنتها والتجئوا إلى المغرب". انظر: اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، الإمارات المتحدة، ط:01، ت:2000م، ص:81.

2: تحدث الدكتور أبو القاسم سعد الله عنهما بإسهاب مشيرا إلى الغرض منها وإلى تقسيماتها وأبوابها ومواضيعها التي تطرقت إليها، انظر: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج:1، ص: 185/182.

3: أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري: محدث الجزائر ومسندها، له اشتغال بالحديث والتاريخ، من أهل الجزائر. رحل إلى الحجاز سنة 1172هـ وجاور بمكة. له رحلة حجازية، أخذ الطريقة الشاذلية عن أبي عبد الله محمد المنور التلمساني، من آثاره: =

تضم 221 بيتا، وقصيدة «العقيقة» لسعيد المنداسي[1] التي شرحها كثير من العلماء وكانت موضع اهتمام كثير من الطلبة المتشوقين للحجاز وآثارها.

وغير هذه الآثار كثير في التراث الجزائري، وهي رحلات يظهر أصحابها-غالبا- الغرض منها في بداياتها، منبهين إلى كونها جاءت بغرض الحج وأداء المنسك.

ب- الأوضاع السياسية في الجزائر بعد دخول الأتراك:

أسهم حسن تصرف العثمانيين وحنكتهم السياسية وتوظيفهم للعامل الديني في خدمة نفوذهم السياسي بالجزائر، بأن تقربوا من العلماء والمرابطين وطلبوا منهم المساعدة المعنوية، وبذلوا لهم النفقات والعطايا خدمة للدين تارة وللسياسة تارة أخرى، وهو ما ألقى بظلاله على مكانة العثمانيين في قلوب العامة بعد تزكية أصحاب الطرق والزوايا والمساجد المشهورة لهم، ولعل زيارة القائد بابا عروج لشيخ الطريقة الشاذلية اليوسفية أحمد بن يوسف المليانى[2] سنة1517م[3]، دليل على تنامي المكانة لدى الطرفين واكتسابها للمصداقية والقوة، كما أن زيارة القائد خير الدين لسيدي أحمد الكبير الأندلسي سنة:1535م، وبناء مسجد خاص له وفرن وحمام -والتي كانت النواة الأولى لمدينة البليدة التي أسسها هذا الولي الذي قام بحماية ومساعدة

=لواء النصر في علماء العصر، على نهج قلائد العقيان، ترجم فيه لأهل مائتي سنة تقريباً، توفي سنة: 1205هـ. انظر:"فهرس الفهارس" ج:01، ص:121. و"الأعلام" ج:1، ص: 185.

1: سعيد بن عبد الله، التلمساني المنشأ، المنداسي الأصل نسبة إلى منداس، وهي أرض معروفة شرقي نهر مينا بولاية غليزان، أبو عثمان: شاعر بالملحون، من آثاره "العقيقة" قصيدة لامية في مدح النبي العربي الكريم، نشرها الجنرال Faure – Bipuet متنا وترجمة فرنسية، بمقدمة وافية، بالجزائر سنة:1319 هـ. انظر: "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:68. "معجم المؤلفين"ج:4، ص:225

2: أحمد بن يوسف المليانى الراشدي: متصوف، صالح، تنسب اليه الطريقة اليوسفية، وأنكر ذلك صاحب «درة الحجال» وصاحب «سلوة الأنفاس»، دفن بمليانة وإليها نسبته. ولأبي عبد الله محمد القلعي كتاب عرَّف فيه بالمليانى سماه «بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار، ومعدن الأنوار، أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار » توفي سنة:927هـ. انظر: "معجم أعلام الجزائر" ج:1، ص:315، و"تعريف الخلف" ج:02، ص: 101.

3: مخطوط: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، محمد بن علي القلعي الصباغ، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم المخطوط: 1707 لوحة:11

الأندلسيين-[1] كانت حلقة من حلقات التآخي بين السلطة السياسية ممثلة بالعثمانيين والسلطة الدينية ممثلة بهذا الولي.

غير أن الأمر لم يدم طويلا، فقيام الثورات ضد العثمانيين من قبل العلماء الرافضين للوجود العثماني بالجزائر كان هو الدافع الثاني من دوافع قيام الأعلام الجزائريين بالرحلة والهجرة إلى ديار المشرق والمغرب، بعد أن كان الوضع السياسي القائم في أرض الجزائر غير ملائم إثر دخول الأتراك وتضعضع الحكم الزياني، رفضا منهم لهذا الوجود الذي اعتبره الكثيرون منهم احتلالا لا فتحا، وهو الموقف الذي تبناه أعلام كثر أكملوا حياتهم بالمهجر، وعاد بعضهم بعد مرور سنوات طويلة، كصنيع الإمام ابن الوقاد المتوفى سنة:1001هـ بحاضرة فاس، الذي خرج بعد دخول الأتراك أرض تلمسان، وقد كان صاحب مجالس علمية مشتهرة يقصدها الطلبة من كل الأنحاء في حاضرة تلمسان.

وكذلك الشأن بالنسبة لشيخه ابن جلال التلمساني المتوفى سنة:981هـ، الذي هجر أيضا حاضرة تلمسان إثر دخول الأتراك إليها، وشهوده للمقتلة العظيمة التي كانت.

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله-رحمه الله-:" وأكبر موجة من الهجرة نحو المغرب، حدثت بعد فشل الحملة السعدية على تلمسان، فقد رافق السلطان السعدي عند عودته إلى بلاده كثير من العلماء الذين كانوا قد أيدوا تدخله في تلمسان"[2]، قلت: والناظر في تراجم صاحب «البستان»و«تعريف الخلف» و«نيل الابتهاج» يلحظ كثرة الأعلام الجزائريين الذين هجروا الجزائر بعد دخول الأتراك إليها.

بل إن بعضهم كان مضطرا للهجرة هاربا بروحه من ظلم بعض البايات والباشوات، بعد أن صار قتل العلماء والتنكيل بهم أمر له مسوغاته ومبرراته لدى الساسة، كصنيع الباشا محمد بكداش بأحمد سعيد

1: DERMENGHEM, Le culte, p39, - Trumelet, Les saints, pp239, 240

2: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 425.

قدورة[1] الذي أعدمه خنقا بعد شهور من السجن[2]، وشاكر باي الذي أعدم الفقيه محمد المكي بن الساسي[3] الذي أمر بخنقه في الظلام.[4]

وليس الموقف من الوجود العثماني فقط هو الدافع لتلك الهجرة والرحلة، بل إن الوضع السائد وانتشار الحروب والثورات المضادة للحكم العثماني وعدم استتباب الأمن والاستقرار، كان دافعا للهجرة والرحلة أيضا، خاصة مع قيام العامة وثورانهم على جرائم الأتراك، وعن هذه الظاهرة أشار صاحب «الثغر الجماني » واصفا حالة البلاد نقلا عن أبي القاسم البوزاغتي المجاجي[5] قوله: "ثار الرأي العام على الجرائم التي كان يرتكبها الأتراك على يد بعض البايات السفاحين الذين ضربوا الرقم القياسي في الاستخفاف بأرواح الأبرياء، كآخر باي الولاية الوهرانية حسن، فإنه كان يتتبع رجال العلم والدين فيسجن ويعذب ويقتل، وأحدث محاكم التفتيش الشبيهة بالمحاكم التي أحدثها الإسبان بعد سقوط مملكة غرناطة، وقد ذهب ضحيتها كثير من كبار العلماء والرؤساء".[6]

وهو ما جعل من الورثيلاني يصف الوضع السائد بالقول: "اجتمع عليها –الجزائر– أمران: ظلم الأتراك وظلم الأعراب، فكانت بينهما كالكرة في أيدي الصبيان"[7]، وهو توصيف دقيق يوحي بعدم الاستقرار والجو غير المناسب لطلب العلم والتعليم، ما حدا بالكثيرين منهم إلى الرحلة حتى تهدأ الأوضاع وتستقر الأمور.

1: تحدث ابن المفتي في تقييداته عن توليته لخطة القضاء بعد عزل شقيقه محمد سعيد قدورة، انظر: تقييدات ابن المفتي، ص: 98.

2: انظر: تقييدات ابن المفتي، ص: 106. وتاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:1، ص: 357.

3: لم أجد ترجمته.

4: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، أوجين فايست، ترجمة: صالح نور، ص:178.

5: الفقيه الشيخ أبو القاسم البزاغتي، ولد في أول القرن الثالث عشر، ومات عام أربعة وثمانين منه، ودفن بمجاجة، تفقه بأم عسكر وتلمسان، وتضلع بالمنقول والمعقول، وصارت له الفتوى إليه من كل ناحية، وتقلد قضاء القضاة بمدينة الأصنام أوائل الاستيلاء الفرنسوي، وله شرح على «كشف الاستار عن علم الغبار» في علم الحساب للقلصادي وغيره. انظر: "تعريف الخلف" للحفناوي، ج:02، ص: 35.

6: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، أحمد بن محمد الشريف المعروف بابن سحنون، ص: 51–52.

7: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، ج:01، ص: 142.

وهو وضع ألزم البعض الدخول في محاريب السياسة، تهدئة للوضع أو تحيزا لطرف على طرف، وهو ما كان له الأثر السلبي على العطاء والمنتوج العلمي، كصنيع الإمام الخروبي الذي سعى في الصلح بين الخليفة العثماني وأمير فاس أبو العباس الوطاسي، حينما سافر له إلى حاضرة فاس، ونجح في مساعيه، ثم أعاد الكرة مرة أخرى في عهد السلطان محمد الشيخ المهدي السعدي، بعد أن استولى على مدينة فاس وطرد منها الوطاسيين وشق على أتباعهم، وسعى الخروبي بالصلح بين الأتراك والسعديين.[1]

وكذا الفكون الجد، الذي وجهه أهل بلده –قسنطينة– إلى الجزائر دار السلطنة، رفقة أحد شيوخ البلدة، وهروبهم لزواوة بعد خلع ربقة أهله للطاعة والبيعة، فبعث على إثرهم بعد هروبهم وسَجنهم.[2]

بل نجد فيهم من كان أحد جنود قوات الباي كالإمام عبد القادر الراشدي، الذي يقول عنه صاحب«نفح الأزهار»:"لم يكن الرّاشدي عالم دين وحكم فقط، بل كان رجل كفاح وجهاد؛ فقد انضمّ إلى الجيش الجزائري الذي خرج من مدينة قسنطينة بقيادة صالح باي، للدّفاع عن مدينة الجزائر التي تعرضت للاعتداء الإسباني، وبناحية الحراش منها وقعت معركة سنة:1189هـ من01 إلى11جويلية سنة:1775م، انتهت بانتصار الجيش الجزائري، فكان للراشدي أحد رجال هذه المعركة قصيدةٌ يُشيد فيها ببطولات هذا الجيش وحنكة القائد صالح باي". [3]

وبضدها قصة المفسر الشيخ ابن للو التلمساني مع القائد حفيظ حاكم تلمسان، الذي مسك القائد من لحيته وجذبه منها إلى أن أخذ منها، في موقف يظهر مقدار العداوة بين الطرفين، وتأزم العلاقة بين الشخصين، وهو أحد أعلام التفسير في الحاضرة التلمسانية وصاحب أشهر حلقة تفسيرية في الجامع الأعظم.

1: انظر مجريات ذلك في: الأنس في شرح عيوب النفس، محمد علي الخروبي، تحقيق: محمد طيب إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:2011م، ص:08.

2: انظر تمام الحادثة في: منشور الهداية، عبد الكريم الفكون، ص: 48.

3: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، سليمان بن بلقاسم الصيد، ص: 35-36.

ووصف ابن المفتي للحاكم آهشي مصطفى بالطاغية ودعائه على الذين أهانوا العلم وأهله –كما عبر– إذ يقول:"وولى مكانه الحاج محمد النيار وهو رجل جاهل مرتش قليل الدين، وكان أول من أهان العلم وأهله عند ملاقاة الأمير الطاغية آهشي مصطفى، وكان هذا آهشي مصطفى يبدي خيلاءه بلبس الذهب، وشاهدته مرة يوم الجمعة قادما للصلاة في جامع علي بتشين، فرأيت خادمه الجالس بقربه يعاونه في حركات الركوع والسجود وأداء صلاة النافلة، وكان من قبل يقف الأمراء للعلماء والفقهاء عند الورود عليهم ويقبلون أيدي العلماء والصالحين ويودِّعونهم عند انصرافهم... وقليل الدين النيار ينحني على يد أهشي ويقبلها مرارا فتبعه الرفقاء وبقيت عادة، وتُرك القيام إلا لمفتي الحنفية يقف ويمد له يده وإن كان جالسا، ولحق مفتي المالكية أو القاضيان لا وقفة ولا تزحزح، أذل الله من يهين العلم وأهله".[1]

والإمام المقري الذي يمثل الحديث عنه هنا توصيفا لشمول الاضطرابات السياسية للحواضر العلمية بعمومها فلم تكن الساحة الجزائرية محل الاضطرابات زمن العثمانيين فقط[2]، فموقفه من بعض القضايا السياسية بالاختفاء من الساحة نهائيا كأحد الحلول للهروب من بطش الساسة وجبروتهم، زاده شرفا ومكانة لدى العامة، يظهر ذلك في موقفه من فتنة العرائش في حاضرة فاس، "حيث غادر تلمسان قاصدًا مدينة فاس التي حل بها في صفر سنة:1009هـ، ومنها إلى مراكش حيث اتصل بأبي العباس أحمد المنصور الذهبي، أشهر سلاطين السعديين وقمة مجدهم ووساطة عقد ملكهم، الذي اشتهر بعظائم الأعمال، وكانت فترة حكمه من أزهى فترات التاريخ السعدي سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، ومكث المقري هناك متنقلا بين فاس ومراكش، عايش خلالها أحداثًا سياسية بارزة في تاريخ المغرب، من أهمها وأشهرها أزمة العرائش، فبعد موت المنصور الذهبي دخل المغرب الأقصى مرحلة اتسمت بالصراع والتطاحن حول العرش بين الأبناء

1: تقييدات ابن المفتي، ابن المفتي حسين بن رجب، ص: 89.

2: غير أن وجهة علماء الجزائر نحو بلاد المغرب كان أقوى، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "قد كان الجو العلمي في المغرب أفضل منه في الجزائر رغم تقلب الأحوال السياسية فيه، فقرب المغرب من الأندلس وكثرة مراكز التعليم والعواصم العلمية ووفرة المكتبات ووجود القرويين وتقدير ولاة المغرب لأهل العلم، كل ذلك لعب دورا في جلب علماء الجزائر على هناك". انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج:01، ص: 429.

الثلاثة :أبو عبد الله محمد الشيخ المأمون، وأبو فارس عبد الله الواثق، وزيدان الناصر، وفي خضم الصراع بين الأخوة الأمراء استفحل أمر الأمير زيدان الذي تكلم به أهل فاس وسائر بلاد المغرب في الوقت الذي ازدادت فيه سمعة المأمون سوءًا، إذ رفضته القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعًا، وبسبب هذه العزلة انتقل المأمون إلى العرائش ومنها إلى القصر الكبير، وهناك اتخذ قراره الخطير وهو طلب النجدة من نصارى الإسبان لتمكينه من العرش، ولما خاف المأمون الفضيحة وإنكار الخاصة والعامة عليه صنعته، احتال وكتب في ذلك سؤالا إلى علماء فاس وغيرها يطلب فتوى تجيز له فدي أولاده من أيدي الكفار، فانقسم الفقهاء والعلماء في موقفهم من هذه الفتوى إلى طوائف ثلاث بين مبيح للمأمون ما فعل اتقاء لشره وخوفًا من بطشه، وبين منكر عليه عمله ومغلظ له في الملام، وبين مختفٍ عن الأنظار حتى تصدر الفتوى عن غيره، وكان المقري من الطائفة التي اختفت"[1]، وكان ذلك سببا في هجرته للعديد من الأقطار والحواضر كالحجاز والقدس الشريف وتونس ومصر وغيرها.

ومن أعلام التفسير الذين كتبوا مدحا في العثمانيين الإمام أبو راس الناصري الذي ألَّف كتابا في مدحهم بعد طردهم للإسبان من وهران، والذي لم يسلم أيضا من ظلمهم رغم تزكيته لهم، فقد عزل من الفتيا والقضاء والتدريس زمانا، يقول الدكتور أبو القاسم:" ولكنه عُزل منها لأسباب نجهلها حتى الآن".[2]

ولعل في عبارة الدكتور أبي القاسم سعد الله الذي درس العهد العثماني دراسة وافية، وتعرض فيها للعلاقة بين رجال السياسة ورجال الدين، دليلا على التنافر والتباعد بين الطرفين إذ يقول:" فالجمع بين العلم والوظيف في العهد العثماني مع المحافظة على الأخلاق، كالجمع بين الماء والنار، وصاحب ذلك كالساكن مع النمر لا يدري متى يفترسه".[3]

1: مقال: كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، الدكتور: عبد القادر شرشار، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 98، ماي، 2005 م، جمادى الأولى 1426هـ، ص:185.

2: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت:2007م، ج:01، ص: 87.

3: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:01، ص: 419.

وما سبق ذكره يمثل الجو السائد الذي يُلقي بظلاله على المردود العلمي والمنتوج الثقافي عموما والتفسيري خصوصا، كما يؤرخ لولوج العلماء ودخولهم في عالم السياسة ودهاليزها وساحاتها إما تأثيرا فيها أو تأثرا، وهو أحد أبرز أسباب الرحلة والهجرة من وإلى الحواضر العلمية في أنحاء العالم الإسلامي.

ج- الرحلة في سبيل طلب العلم وتحصيل الإجازات:

وهي رحلات علمية كان الغرض الرئيس منها طلب العلم ولقيا المشايخ والتزود بالمعارف، ونيل الإجازات وشرف الملاقاة بأصحابها، وهي الظاهرة التي بقيت متوارثة ممتدة امتداد الإسلام في ربوع أرض الجزائر، وكانت الرحلة بذلك متنوعة الأقطار بداية من المغرب الأقصى وحواضره إلى تونس الزيتونة والقيروان ومصر وبلاد الشام فالحجاز والقدس الشريف، وحتى بلاد الهند ومالي والسودان، كلها كانت قبلة لعلماء الجزائر مع اختلاف العلوم التي يريدون ويقصدون.

وكان صنيع علماء الجزائر في تدوين تلك الرحلات أنهم يذكرون وجهتهم وقبلتهم من الحواضر، ثم أسماء شيوخهم الذين قصدوهم أو قابلوهم، والعلوم التي أخذوها منهم مع ذكر المتن المدروس في كل فن وعلم، كصنيع الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر[1] شيخ الإمام عبد الرحمن بن عمر التنلاني[2]، صاحب الرحلة لفاس والذي كتب في مقدمتها أن رغبته في دراسة ألفية ابن مالك وفقه مالك هو الدافع لرحلته لحاضرة فاس، فيقول:" فقد كنت في حال صغري مشغوفا بالعلم مولعا بطلبه ومشتغلا بقراءة الشيخ خليل وألفية ابن مالك، مقبلا على ذلك متشوفا إلى شيخ يحل لي ألفاظهما ويوقفني على معانيهما، فلم يتفق لي ذلك

1: أبو حفص عمر الأكبر بن عبد القادر التنلاني الأموي، ولد بتنلان سنة: 1089هـ، ارتحل لفاس سنة 1117هـ ومكث بها سنين، مشتغلا بالقراءة والتحصيل، ثم تولى التدريس فيها، وكان له مجلس خاص بالقرويين، انتقل من فاس إلى زاوية تنلان، وتولى خطة القضاء ببلده، مال في آخر عمره للتصوف، واحتجب عن الناس، توفي سنة: 1152هـ وعمره :54 سنة. انظر:"موسوعة تراجم علماء الجزائر" ص: 386/382 و"الغصن الداني" ص: 05.

2: أحد أعلام التفسير في الجزائر، تمت ترجمته.

لكون البلد شاغرة من العلماء، إلى أن شرح الله صدري وتوجهت همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس قصدا لذلك، فثنيت عنان عزمتي وصرفت لذلك وجهتي".[1]

ثم ذكر أنه قرأ القرآن الكريم على الشيخ أبي عبد الله محمد السالم البرباعي[2]"المدرس بالمدرسة المصباحية بفاس مواظبا على تجويد القرآن للطلبة بجامع القرويين من الضحى إلى العصر لا يلهيه شيء عن ذلك".[3]

وعن تعلم اللغة العربية يقول: "ثم توجهت للعربية فقرأت مقدمة ابن آجروم على الأديب سيدي محمد العربي[4] بن الأستاذ أبي عبد الله محمد بن مقلب الفاسي، وقرأتها أيضا قراءة بحث وتحقيق على الأستاذ النحوي سيدي أحمد السقاط[5]".[6]

وبهذا النسق سار الإمام أبي حفص في سرد رحلته وتأليفها، بذكر مجموعة من العلوم والشيوخ الذين درس عندهم وأجازوه، مبينا مجموعة من عناوين كتب تلك العلوم التي كان شيوخه يقومون بتدريسها وشرحها.

وكثيرة هذه التصنيفات في التراث الجزائري، والتي كان القصد منها الرحلة لأجل العلم ونيل الإجازات ولقيا الشيوخ.

1: الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، ص:08.

2: لم أجد ترجمته.

3: المرجع نفسه، ص: 08.

4: لم أجد ترجمته، غير أن الكتاني ذكره فيمن طلب إجازة بـ «أسهل المقاصد بحلية المشايخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الإمام الوالد» للشيخ أبي عبد الله محمد الطيب بن الشيخ أبي عبد الله بن عبد القادر الفاسي المتوفى بفاس سنة 1113هـ.
انظر:"فهرس الفهارس"ج:01، ص:182.

5: قلت لم أجده، ولعله علي وليس أحمد، وهو أبو الحسن عليّ بن محمد بن العربي السقاط، الفاسي مولداً، المصري مدفناً، العلامة المحدث المسند المعمر الشهير. قال عنه الحافظ الزبيدي في " ألفية السند ": ومنهم المعروف بالسقاط *** محدث العصر بلا إفراط. كان فرداً من أفراد العالم فضلاً وعلماً وديانة وزهداً وولاية، حج سنة أربع عشرة ومائة وألف وجاور بمكة وأخذ بها، توفي سنة:1183 هـ ودفن بمصر. انظر:"فهرس الفهارس"ج: 02، ص: 1008. و"سلك الدرر"ج:03، ص:229.

6: المرجع نفسه، ص: 09-10.

ثانيا: الرحلة عند علماء الجزائر بين طلب التفسير قصدا وطلب علوم الآلة:

بالنظر في تراجم أعلام التفسير الجزائريين زمن العثمانيين الذين تناولتهم الدراسة، يمكن الجزم بأن غالبهم لم تكن رحلاتهم لطلب التفسير قصدا، كمن يخرج للرحلة في سبيل طلب علم محدد أو الأخذ عن شيخ معين، كالشيخ سعيد قدورة[1] الذي ذكر أن رحلته لحاضرة مجاجة كان القصد منها أخذ التفسير عن الإمام المفسر علي أبهلول المجاجي، الذي اشتهرت زاويته بالدرس التفسيري زمانه، والشيخ ابن زاكور[2] الذي قصد الجامع الأعظم بالجزائر لأجل حلقة الإمام المفسر عبد الله بن خليفة في التفسير، وطلب الإجازة منه.

بل كانت رحلاتهم قصد تتبع العلوم والفنون والأخذ من الشيوخ وطلبا للعلوم المساعدة في التفسير والتي لم يُجز أهل هذا الفن أن يخوض فيه خائض إلا بضبطها وحسن التحصيل فيها، كالإمام السيوطي[3] الذي لم يُجز لمن لم يكن جامعا للعلوم الخمسة عشر أن يُفسِّر القرآن أو يتصدى للكلام فيه وفي معانيه، وهذه العلوم هي:

الأول: اللغة. الثاني: النحو. الثالث: التصريف. الرابع: الاشتقاق. الخامس: المعاني. السادس: البيان. السابع: البديع. الثامن: علم القراءات. التاسع: أصول الدين. العاشر: أصول الفقه. الحادي عشر: أسباب النزول والقصص. الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ. الثالث عشر: الفقه. الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

والإمام الزمخشري الذي اشترط البراعة في عِلمين اثنين مختصين بالقرآن "وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة

1: أحد أعلام الحاضرة الجزائرية، وقد مرت ترجمته.

2: أحد أعلام الحاضرة الفاسية، وقد مرت ترجمته.

3: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج:4 ص: 213-215.

الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين: تحقيق وحفظ".[1]

والراغب الأصفهاني الذي عقد لها مبحثا في تفسيره بعنوان: "بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسِّر" وجعلها عشرة علوم: وهي علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة".[2]

وقد اخترت لدراسة رحلات أعلام التفسير الجزائريين اثنين من الأعلام هما: الإمام المفسِّر أبو راس الناصري، والإمام المفسِّر أبو العباس المقري، وذلك لتتبع خط رحلتهم في طلب التفسير قصدا وطلب علوم الآلة، وللنظر في الحواضر العلمية التي قصدوها والشيوخ الذين أخذوا عنهم.

ويرجع سبب اختيار هذين العَلمين لأمرين اثنين، تمثل الأول في توفر المادة العلمية التي تحدثت عن رحلاتهم في تراجمهم وسيرهم، والثاني في أنهم كتبوا تصانيف خاصة برحلاتهم التي قاموا بها خلافا للبقية.

أ- الإمام المفسِّر أحمد بن محمد المقري شهاب الدين، أبو العباس (ت:1041هـ):

مضرب المثل للرحلة في سبيل طلب العلم والتحصيل ولقيا الشيوخ والعلماء، وقد دوَّن أحد أهم رحلاته في بداية طلبه، وأخرجها في مصنف خاص بعنوان «روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس»[3] التي أفاض فيها القول حول رحلته إلى حاضرتي فاس ومراكش والتي ترجم فيها لـأربع وثلاثين شيخا وعالما وأديبا لقيهم بهما، ذكر فيه شيوخه الذين أخذ عنهم والعلماء الذين قابلهم وناقشهم والإجازات التي أجازوه في كل علم وفن.

1: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، ج: 01، ص:03.

2: تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، ج:1، ص: 39.

3: ثلث الكتاب كان تزكية ومدحا، نثرا ونظما، للسلطان أبي العباس أحمد المنصور الذهبي، وما من ترجمة من تراجمه الأربع والثلاثين إلا وذكر نظم أصحابها في السلطان أو أحد أبنائه.

ولعل أول شيوخه بحاضرة تلمسان والذي ذكره كثيرا في مصنفه هذا، دون أن يفرد له ترجمة خاصة، هو عمه أبو عثمان سعيد المقري[1]، الذي ذكر أنه "درس عليه صحيح البخاري وقرأه عليه سبع مرات، وروى عنه الكتب الستة بسنده"[2] وساق سنده للقاضي عياض.

وكان تاريخ انطلاق رحلته[3] هاته إلى فاس سنة:1009هـ، وأول شيوخه ذكرا هو الإمام محمد الوجدي الغماد[4]، الذي ذكر أنه استفاد منه في "أنواع من الأدب"[5]، ولم يسم تلك الآداب، ثم ذكر الفقيه علي الهوزالي[6] الذي أنشده كثيرا من نظمه، وأنه كتب عنه كثيرا من ذلك[7]، وذكر الشيخ عبد العزيز الفشتالي[8] الذي أجازه بجميع كتبه التي أوردها المقري وهي:

«ترتيب ديوان أبي الطيب المتنبي» الذي رتبه على حروف المعجم.

1: سبقت ترجمته.

2: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، ج:05، ص: 428.

3: من الملاحظ أن الإمام المقري دخل حاضرة فاس ومراكش ثم تلمسان بعد عودته لها –غالبا– طالبا متعلما، في حين أنه دخل بقية الحواضر عالما وشيخا يُجلس عنده، وهو الملاحظ في خط رحلاته ومجالسه التي حكاها أو حكيت عنه.

4: حلاه المقري بالقول: الكاتب البارع الذي سن البدائع وشرعها وولد عقائل المعاني واخترعها، أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي، من أهل فاس، الملقب بالغماد، راو أحاديث ابن منيع عالية الإسناد، له: "الألباب الطائشة في مناقب أم المؤمنين عائشة" و"تميمة الألباب ورتيمة الآداب" وغيره، توفي بفاس سنة: 1033هـ. انظر: "نشر المثاني"ج:01، ص: 261. و"روض الآس" ص: 99/71.

5: روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، المغرب، ط:02، ت:1983م، ص:99.

6: الكاتب البارع الفقيه السوسي أبو الحسن علي الهوزالي أحد كتاب الإنشاء، له مشاركة في العلوم والبيان والنحو وغيرها، أخذ عن القاضي الحميدي والإمام المنجور وقاضي الجماعة أبي القاسم بن أبي نعيم الغساني، ودخل القسطنطينية العظمى مع بعض قرابته وهو القائد أبو العباس أحمد بن يحي الهوزالي، كان حيا سنة:1011هـ. انظر:"روض الآس" ص: 107.

7: المرجع نفسه، ص: 99.

8: أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، حلاَّه المقري بأنه آية من آيات الله في النظم والنثر، ولو لم يكن من محاسن الدولة الأحمدية غيره لحصل لها الفخر، له يد طولى في علم المنطق، وصاحب "نشر المثاني بقوله" الكاتب الأرفع البليغ الأبرع"، كان يقرئ قصيدة المكودي، من تصانيفه:"مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا" و"مدد الجيش" الذي ذيل به "جيش التوشيح" لابن الخطيب انظر: "روض الآس" ص: 162/112. و" نشر المثاني"ج:1، ص: 241.

وكتابه «مدد الجيش» الذي ذكر أنه جمع فيه موشحات أهل العصر في مدح السلطان أبي منصور.

وكتاب« تقديم الإمام» الذي ضمنه فن التورية.

وكتابه:«مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا» وهو في تراجم رجال الدولة الأحمدية.[1]

ثم ذكر استفادته في علم التاريخ من شيخه العَلم الحسن المسفيوي[2]، الذي حلَّاه بالقول:"وقد استفدت منه فوائد جمة لا سيما في علم التاريخ، فإنه كان حافظا له جدا ضابطا له محققا فيه".[3] وذكر استفادته من شيخه الإمام أحمد ابن القاضي[4] في فنون وعلوم عديدة، كالفقه والنحو والأصلين والعروض والأدب[5]، وأورد إجازته العامة له بكل مصنفاته وإجازات شيوخه له، في الفقه والنحو وغيرها. وأطال المدح في شيخه الإمام أحمد بن أبي القاسم التادلي[6]، وذكر أنه أخذ واستفاد منه، وأنه استجازه فأجازه في كل ما تجوز له وعنه روايته وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه[7] منها:

«سراج الباحث في شرح المباحث» و«نزهة الناظرين ومصباح السالكين وشمس العارفين في بعض معاني مقامات السالكين» للإمام الهروي، و«شرح الشريشية على مقامات الصوفية» لأبي العباس الشريشي، وهي رائيته الشهيرة وغيرها كثير، ويلاحظ أن غالبها في التزكية والتصوف.

1: روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، ص: 161-162.

2: أبو محمد الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد المسفيوي، من أهل مراكش، ولد سنة: 968هـ، له قدم راسخ في علم الطب مع المشاركة التامة في غيره من العلوم، له منظومات، وهو تلميذ القاضي الحميدي والأستاذ الزموري وغيره، من تصانيفه: "جمع كلام الششتري" في سفرين، وله تعريبات لبعض كتب الطب. انظر: "روض الآس" ص: 173/163. و"درة الحجال" ج:1، ص: 241-242.

3: روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، ص: 173.

4: أبو العباس أحمد بن محمد ابن ابي العافية، الشهير بابن القاضي الملقب بشهاب الدين، من أهل فاس، حلاه المقري بالقول: الشيخ الفقيه القاضي، لا يجارى في علم الفرائض والحساب والهندسة، ولد سنة: 960هـ، حج وجاور ولقي الأعلام ثم آب إلى بلاده بعد سنين، ركب البحر حاجا سنة 994 هـ فأسره قرصان الإسبان وعذبوه، فافتداه السلطان، له تآليف كثيرة منها:"درة الحجال في غرة أسماء الرجال" و"درة السلوك فيمن حوا الملك من الملوك" وغيرها، توفي سنة:1025هـ. انظر:"روض الآس" ص:239. و"الأعلام" ج:01، ص:236.

5: المرجع نفسه، ص: 239.

6: مرت ترجمته.

7: المرجع نفسه، ص: 300.

وذكر شيخه أحمد بابا التنبكتي السوداني[1] صاحب «نيل الابتهاج» الذي حلاه بالقول:"لقيته بمراكش وانتفعت به واستفدت منه... وكنت كثيرا ما أذهب معه إلى زيارة الصالحين بحضرة الإمامة مصحوبين بجملة أعلام فنتذاكر في طريقنا فنونا جمة، وأعاريني جملة كتب من خزانته الفريدة"[2]، وذكر أنه أجازه بكل كتبه وجميع تآليفه، وكتب له بذلك، ومن كتبه التي أجازه فيها:

«شرح على مختصر خليل» لم يكمله، و«تنبيه الواقف على مسألة وخصصت نية الحالف» و«النكت الوفية لشروح الألفية» لم يكمله أيضا، و«منور الحالك في شرح بيتي ابن مالك» وغيرها كثير. وقد ذكر إجازة الشيخ الإمام القصار[3] له بقوله:" وأجازني شيخنا المفتي الشيخ القصار صاحب الترجمة جميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه، وكانت إجازته إياي يوم سفري من الحضرة الفاسية إلى تلمسان حماها الله"[4]، ومما أجازه به بسنده لأصحابها صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك وغيره.

ثم حكى أخذه لشرح «مختصر خليل» عن شيخه الإمام علي بن عمران السلاسي، وذلك في أول يوم دخوله لفاس.[5]

وأخذ علوم التفسير والنصف من كتاب «التلخيص» عن شيخه أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني[6]، وكتاب«التلخيص» هذا لم يفصح عنه الإمام المقري، هل هو «التلخيص في أصول الفقه» لأبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين المتوفى سنة:478هـ؟ أم هو كتاب «التلخيص في علوم البلاغة» للخطيب القزويني المتوفى سنة:739هـ؟

1: مرت ترجمته.

2: روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، ص: 303.

3: محمد بن قاسم بن علي القصار القيسي، أبو عبد الله، ولد سنة: 940هـ، تولى خطة الفتيا والإمامة والخطابة لفترة ثم عزل منها، له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الإطالة والإصابة، أخذ عن جملة من الأعلام، حلاه المقري بالقول: الشيخ المفتي العلم المتفنن الأدرى المنتصر للعلوم كل الانتصار، من تصانيفه:" حاشية على شرح الكبرى" للسنوسي، توفي سنة: 1012هـ. انظر: "روض الآس" ص:332/316. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 86.

4: المرجع نفسه، ص: 322.

5: روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، ص: 333.

6: أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن أبي النعيم الغساني، قاضي حضرة فاس، انفرد بمعرفة البيان وبرز على أهل عصره، حلاه المقري بقوله: القاضي العلم العلامة المشارك البياني، تلميذ الإمام المنجور والقاضي الحميدي وعن المفتي السراج، وهو أحد القواسم المشهورين في المغرب، كان مجلسه بعد العصر بالمجلس المجاور لبيته بالعقبة الزرقاء، ويحضره كبار العلماء، توفي سنة:1032هـ . انظر:" روض الآس" ص: 336/335. و"نشر المثاني" ج:01، ص: 254-255.

والإمام الغساني يعتبر آخر شيوخه ذكرا في مصنفه «روض الآس»، الذين أخذ عنهم وبلغ عددهم عشرة شيوخ من مجموع أربع وثلاثين شيخا وعالما، أما البقية فقد كانوا ضمن الأعلام والشيوخ الذين التقى بهم وذاكرهم في بعض الفنون والعلوم فقط.

وكل من تقدم ذكره كانت الرحلة إليهم في طلب علوم الآلة والعلوم المساعدة على التفسير كالأدب والبلاغة والنحو والحديث والفقه وأصوله والتاريخ وغيرها.

أما عن شيوخ الإمام المقري في التفسير في هاته الرحلة، فالشيخ علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي الذي أشار إلى تخصصه واهتمامه بالتفسير، والإمام أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد ابن أبي النعيم الغساني، الذي ذكر سيدي أحمد بن علي السوسي[1] في «بذل المناصحة» أنه كان يحضر درسه في التفسير[2]، والذي ذكر صاحب «نشر المثاني» أن مجلسه هذا "كان يحضره العلامة وحيد عصره أبو العباس أحمد بن محمد المقري".[3]

وذكرت كتب تراجم الإمام المقري أنه قَصدَ القاهرة وأقام دروسه بجامع الأزهر الشريف، وكان من طلبته الشهاب أحمد العجمي[4]، الذي أجازه الشيخ المقري[5]، ويذكر أنه أخذ عنه التفسير وأن المقري كان يشرح تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل»، إذ يقول بعد ترجمته لشيخه:"وحَضَرْتُهُ بجامع الأزهر ثم سمعتُ عليه الكثير من «الصحيحين» و«الشّفا»...، و«تفسير البيضاوي» مع حواشيه، بمنزل الأستاذ أبي الإسعاد يوسف بن وفا[6] بحضور جمعٍ من الأعلام". ثم يبين تلك الحواشي في موضع آخر بالقول:" وسمعتُ عليه أيضاً من

1: أحمد بن علي السوسي، البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي، من بني أبي سعيد هشتوكه، نزل مدينة فاس، فكان يأوي بالمدرسة المصباحية، إلى أن توفي، عام:1046هـ. انظر:"نشر المثاني" ج:01، ص: 356.

2: نقلا عن: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، دط، ت:1977م، ج:01، ص: 245.

3: المرجع نفسه، ج:01، ص: 254.

4: سبقت ترجمته.

5: إجازة المقري للمؤلِّف مؤرّخة في جمادى الأخيرة سنة 1033هـ ، ذكر نصّها المقري في "رسائله" ص367-368.

6: سبقت ترجمته.

أول تفسير القاضي البيضاوي إلى انتهاء الحزب الأول من سورة البقرة، مع النّظر في «الكشّاف» وحواشي «السّعد»[1] و«السّيد»[2]، و«شيخ زاده»[3]، و«شيخ الإسلام زكريا الأنصاري»[4]".[5]

وكل ما مر بيانه في رحلته بالقاهرة، يدل على أن الإمام المقري دخلها مُعلما للتفسير لا متعلما، وكان صاحب حلقة تفسيرية في جوامعها، خلافا لفاس ومراكش، وكذلك الشأن في رحلته الحجازية والقدسية.

ب- الإمام المفسِّر محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت:1238هـ):

الذي كتب في هذا الشأن سيرته وترجمته الشهيرة «فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته »وهي ترجمة ذاتية، ذكر فيها أسفاره ورحلاته إلى الحواضر العلمية والبلدان الإسلامية، والعلوم التي درسها وأخذ الإجازات فيها، والشيوخ الذين التقى بهم وأخذ عنهم والذين وصفهم بالقول:" ذِكر أشياخي النافضين عني قشب أوساخي شريعة وحقيقة وقرآنا وطريقة".[6]

1: يريد بها حاشية سعد الدين التفتازاني (ت:791هـ) على الكشاف للزمخشري.

2: يريد بها حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ) على الكشاف للزمخشري.

3: يحتمل أنه يريد حاشية باره باره زاده: أحمد جلبي البرسوي المعروف بطاشكبري زاده (ت 986هـ) على الكشاف للزمخشري. أو أنه يريد حاشية الشيخ زاده على أنوار التنزيل للبيضاوي.

4: حاشية بعنوان "فتح الجليل ببيان خفيّ أنوار التنزيل" منها نسخة مخطوطة برقم188 بالمكتبة التيمورية. وقد حققت كرسالة ماجستير من أول الفاتحة إلى آخر سورة النساء للطالب: الحسن ابن خلوي وعبد الله سلقيني، كلية أصول الدين: قسم القرآن وعلومه/ جامعة الإمام محمد بن سعود سنة:1406هـ. وقد أكمل الباقي كرسالة ماجستير أيضا بنفس الكلية والقسم والجامعة من طرف: سليمان ابن إبراهيم وعبد الله سلقيني، سنة: 1406هـ.

5: مخطوط، مشيخة شهاب الدين أحمد بن أحمد العجمي، منه نسخة بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية وزارة الأوقاف بمصر، ضمن مجموع، الرقم العام:(1779)، الرقم الخاص :(1238) رسالة رقم 1/13. عدد الأوراق:(35)-غير مرقمة-.

6: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 41.

وأول الحواضر العلمية ذكرا في سيرته، حاضرة فاس التي حكى أنه التقى فيها بالكثير من الأعلام في شتى الفنون والعلوم، كالإمام الفقيه الهواري[1]، والذي لم يحدد ماذا أخذ عنه واكتفى بالقول:" ولقيت الفقيه الهواري فوجدته في النظم والنثر كالسيل الجاري"[2]، ثم انتقل لشيخه الزروالي[3] الذي ذكر أنه كان يحضر له شرحه على المختصر في الفقه المالكي، ثم ذكر شيخه في النحو ابن منصور[4]، الذي زكاه بالقول: "وليقت ابن منصور فكأنه في –نحو ابن هشام– أسد هصور".[5]

ثم ذكر رحلته إلى بلاد تونس التي وصفها بالقول:"تونس أم البلاد ومثوى الطارق والتلاد، هي التي على عمل، أهلها في القديم بهذا الإقليم كان العمل، والكرسي الذي بعصاه ترعى الهمل، والمصر الذي له في خطة المعمور الناقة والجمل، ذات المناهي والمبادي، يقضي منها نفثه العاكف والبادي، والرائح والغادي".[6]

1: محمد بن الطاهر الهواري، علامة مشاركا فهامة مدققا، ولي قضاء فاس مدة، وهو من أشياخ المولى سليمان وقد انقطع عقبه، له شعر متوسط الجودة، وتآليف عديدة منها: "أرجوزة في علم الكلام"، وأرجوزة في أنواع الجناس سماها "كعبة الجلاس" وغيرها، توفي سنة:1220هـ، ودفن بروضة الشيخ أنوار. انظر: "موسوعة أعلام المغرب" ج:07، ص: 2477.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 106.

3: محمد بن عمرو بن عبد الله الزروالي نسبا الأعصاوي الفاسي أصلا، من أولاد ابن عليلو من مدشر دار ابن هيدور، أحد الأعلام المحققين والأحبار المدققين في الحاضرة الفاسية وأحد شيوخها، توفي سنة: 1230هـ. انظر: "موسوعة أعلام المغرب" ج:07، ص: 2494، و"فتح الإله ومنته" ص: 127.

4: محمد ابن منصور الشفشاوني، الفقيه المعقولي صاحب الحواشي على مختصر سعد الدين، توفي سنة: 1232هـ. لم أجد في ترجمته أكثر من هذا. انظر:" موسوعة أعلام المغرب" ج:07، ص: 2500.

5: المرجع نفسه، ص: 106.

6: المرجع نفسه، ص: 108-109.

وذكر لقياه بالشيخ صالح الكواش[1] وأنه جلس في مجلسه الذي وصفه بالقول:"العلامة الفهامة الذي ولو فقدنا الكبرى أو السعد أو المحلى لأحياها من حفظه وفهمه ولبه"[2]، وذكر في ترجمته أنه أحد رواد الفقه في حاضرة الزيتونة، ولكن الناصري لم يشر إلى الفن الذي أخذه من عنده، كما ذكر اجتماعه بالشيخ السيد إبراهيم الرياحي[3] الذي أخذ عنه شرحه لمقامات الحريري.

ثم ذكر الناصري رحلته لبلاد مصر بركوبه البحر من تونس، وأطال في مدحها ومدح آثارها –كعادته في كل موطن– والتي أخبر أنه:" لقيتُ بها العلماء الكبار أهل العلم والأدب والأخبار"[4] وذكر تلقيه «شرح رسالة القشيري» و«مختصر العين» و«مختصر الكنز الراقي» عن شيخه مرتضى الزبيدي صاحب «القاموس» وأنه قرأ على الشيخ الشرقاوي[5] مذهب الشافعي–هكذا–.

1: أبو الفلاح صالح بن حسين الكواش التونسي، كأن أحد رواد الفقه، كما كان نادرة زمانه في الحفظ والتحقيق، والشجاعة الأدبية، من مؤلفاته:" شرح المشيشية"، توفي سنة: 1218هـ. انظر: "فتح الإله ومنته" ص: 128، و"العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين" ج:1، ص: 546.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 109.

3: أبو إسحاق، إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي الطرابلسي الأصل، التستوري المنشأ، التونسي القرار والإقبار، كان حجة في شتى الفنون وعلامة في عصره، من مؤلفاته: "ديوان الخطب المنبرية" و"حاشية على الفاكهي"، توفي سنة:1266هـ. انظر: "فتح الإله ومنته" ص:128، و"العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين"ج:01، ص: 869.

4: المرجع نفسه، ص: 115.

5: أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الشرقاوي: فقيه شافعيّ، من مدرسي الأزهر بالقاهرة خلف أباه في ذلك وتصدى للإفتاء وحل قضايا مراجعيه. وكان جسيما فصيحا، اتهمه الفرنسيون بالتحريض على الثورة بمصر عليهم، وقتلوه في قلعة القاهرة ولم يعرف قبره. له: "نحور الحور العين" في الاستعارات، بخطه فرغ منه سنة 1184هـ، توفي سنة: 1241هـ. انظر: "الأعلام" ج:01، ص: 89. و"معجم المؤلفين"ج:1، ص:140.

وعلى الشيخ عصمان الحنبلي[1] مذهب أحمد بن حنبل بمختصر الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي[2] على «القاضي أبي شجاع» أحمد بن الحسين ين أحمد الأصبهاني(ت:509هـ) من كتابه «دليل الطالب لنيل المنى والمطالب».

كما أخذ الفقه الحنفي على الشيخ محمد بن بيرم[3] مفتي تونس، الذي كان صاحب حلقة تدريسية في الفقه الحنفي بالأزهر الشريف، ولم يشر إلى المصنف الذي كان يدرسه عند الشيخ.

ثم انتقل الإمام أبو راس للحديث عن رحلته من مصر إلى مكة المكرمة التي اجتمع فيها "بعلمائها وفقهائها"[4]، وكان من أوائل من ذكر من الشيوخ الإمام السيد عبد المالك الحنفي[5]، الذي قرأ عليه "نبذة من الحديث ونبذة من الكنز".[6]

1: لم أجد ترجمته.

2: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلى: مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء. ولد في طوركرم (بفلسطين) وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفي فيها. له نحو سبعين كتابا، منها:"بديع الإنشاء والصفات "يعرف بإنشاء مرعي، و "ديوان شعر" و"إحكام الأساس في أول بيت وضع للناس" وغيرها كثير، توفي سنة: 1033هـ. انظر: "الأعلام" ج:7، ص: 203. و"معجم المؤلفين"ج:12، ص:218.

3: محمد بن حسين بن بيرم: من أعيان الأسرة البيرمية بتونس، أقام مفتيا فيها خمسا وأربعين سنة، وشرع في عدة تصانيف، فلم يتم منها غير"بغية السائل باختصار أنفع الوسائل في تحرير المسائل للطرسوسي" في فقه الحنفية، و"رسالة في السياسات الشرعية"وله نظم، توفي سنة: 1241هـ. انظر: "الأعلام" ج:06، ص: 104. و"معجم المؤلفين"ج:9، ص:233.

4: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118.

5: عبد المالك بن عبد المنعم بن القاضي تاج الدين القلعي، نزيل مكة، كان أحد أعلام عصره في شتى الفنون، من مؤلفاته: "الكواكب الدرية في الفتاوى القلعية" و"بلوغ القصد في تحقيق مباحث الحمد"، توفي سنة: 1229هـ، بمكة المكرمة. انظر: "فتح الإله ومنته" ص: 130، و"هدية العارفين"ج:3، ص:196.

6: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118. ومتن الكنز هنا هو نظم الكنز لابن الفصيح الحنفي المتوفى سنة: 755هـ، وهو في الفقه الحنفي.

كما أخذ عن الإمام الصوفي اللغوي عبد الرحمن التادلي المغربي[1] الذي وصفه بالقول:"له الباع الواسع في طريق القوم واللغة"[2]، وذكر أنه أخذ عنه «شرح الحكم العطائية» لابن عباد.[3]

ثم ذكر الناصري خروجه من مكة إلى طيبة، وأنه لقي"بها علماء أجلاء من كل قطر ومصر"[4]، ولم يذكر أحدا باسمه ولا مجلسا بعينه، إنما مر مباشرة لرحلته إلى بلاد الشام، حيث ذكر مجلسه مع علمائها حلو مسألة الحبس إذ يقول: "فطال بحثنا فيها جدا"، ولم يزد عن ذلك، ثم ذكر خروجه للرملة بفلسطين وأنه لقي"مفتيها وعلماءها فتفاوضنا زمانا في الدخان والقهوة"[5]، وقد ختم فصل مشيخته هاته بتوصيف رحلته للعريش، التي ذكر أنه دخلها فلم يجد بها أحدا من العلماء يأنس إليه ويكون التعويل عليه.[6]

والناظر في هاته المشيخة وهذا الفصل من سيرته، يلحظ غلبة المخاصمات والمنازعات والمناقشات والمجادلات مع الخصوم في كل حاضرة وكل بلد دخلها أو يدخلها أبو راس الناصري، خاصة ما كان متعلقا بعلماء الوهابية على حد تعبيره، مع إعجاب شديد كبير بنفسه واعتداد بعلمه، وأنه الفارس الذي لا يهزم في كل علم وفن، ويلحظ أيضا أنه دخل غالب تلك الحواضر وسافر لتلك الأوطان برداء العالم لا مسكنة

1: عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي التادلي المدني المالكي السمّاني طريقة، لغويّ، قدم المدينة المنورة حوالي سنة: 1175هـ، وتصوف بها على يد الشيخ محمد السَّمان وسافر إلى مكة ودرّس بها، ثم قام برحلة إلى مصر فاليمن سنة:1186هـ، وعاد إلى المدينة فتزوج، واستوطن مصر. له "الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد للصحاح"، توفي بعد :1220هـ. انظر: "الأعلام" ج:3، ص:310. و"إيضاح المكنون" ج:4، ص:709.

2: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118.

3: محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الحميري الرندي، أبو عبد الله، المعروف بابن عباد، متصوف باحث، من أهل رندة بالأندلس. تنقل بين فارس وتلمسان ومراكش وسلا وطنجة، واستقر خطيبا للقرويين بفاس، وتوفي بها، له كتب منها:"الرسائل الكبرى" في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات، و"غيث المواهب العلية بشرح الحكم والعطائية" ويعرف بشرح النفزي على متن السكندري، و"بغية المريد" نظم به الحكم العطائية توفي سنة: 792هـ. انظر:"الأعلام" ج:5، ص: 299. و"موسوعة أعلام المغرب"ج:2، ص:705.

4: المرجع نفسه، ص: 119.

5: المرجع نفسه، ص: 120.

6: المرجع نفسه، ص:120.

المتعلم، إلا ما ندر وما كان من جلوسه لأئمة يعلم صعوبة التقول عليهم أو الاجتراء على شخصهم وغمط حقهم، وتوصيف الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله– له بالثرثرة [1]كان صائبا دقيقا.

وكل ما تم التطرق له، كان ضمن رحلته في طلب علوم الآلة والعلوم المساعدة، أما عن التفسير وشيوخه في هاته الرحلة، فقد ذكر أنه أخذ التفسير عن جملة من المشايخ منهم الشيخ عبد المالك الحنفي المفتي الشامي[2] الذي أجازه برواية تفسير سورة النور[3]، و«تفسير ابن عطية» عن الشيخ محمد[4] بن بنيس[5]، بحاضرة فاس، وذكر المجلس التفسيري لأبي الربيع سليمان[6] الذي حضره، بالقول:"ولما قرأ القارئ بين يدي شيخه أبي الربيع سليمان، في سورة الأنبياء: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء:72]، قال أبو راس: يا سيدي، الأولى من حقه أن يسكت شيئا ما عند ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾، ثم يبتدئ ﴿ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ فقال لي –أيده الله–: من أين لك ذلك؟ قلت: قال الشيخ إبراهيم عند قول الشيخ خليل في الحدود: وجرد الرجل والمرأة مما يقي الضرب، أن القارئ يقف عند ذكر الرجل، والمرأة مما يقي الضرب، على حد قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾، لأن يعقوب ابن إسحاق، فهو حفيد الخليل عليهم الصلاة والسلام، فاستحسن ذلك مني".[7]

كما حكى عن شيخه المفسِّر الأمير الكبير، الذي أخذ عنه تفسير «الكشاف» بالأزهر الشريف.[8]

1: انظر تصدير الدكتور أبو القاسم سعد–رحمه الله– لهذا الكتاب، ص: 07. وقد برَّر تلك الثرثرة بالسِّن المتقدمة، وأراه تبريرا غير مقنع، والصحيح أن يقال بأن سببه تكبر واضح وإحسان ظن بنفسه وعلمه، والله الهادي.

2: لم أجد ترجمته.

3: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 118.

4: سبقت ترجمته.

5: المرجع نفسه، ص: 106.

6: سبقت ترجمته.

7: المرجع نفسه، ص:107.

8: المرجع نفسه، ص: 60.

ولعل آخر شيوخه في التفسير ما ذكره عند رحلته لحاضرة مكة المكرمة، وجلوسه للشيخ المفتي الحنفي عبد المالك، إذ يقول:"قرأت عليه شيئا من سورة النور وأجازني بالباقي".[1]

ومما سبق بيانه من خط سير رحلات الأعلام الجزائريين في طلب التفسير وعلومه المساعدة، يظهر أثر الرحلة على صناعتهم التفسيرية، بنهلهم من العلوم المساعدة وعلوم الآلة التي خدموا بها تفاسيرهم المتنوعة، غير أن التأثر كان واضحا بثقافة التحشية التي اصطبغت بها الحضارة العربية الإسلامية بعمومها في تلك المرحلة، مع عقلية جمودية في التعامل مع النص القرآني، والتي لم يتمكن علماء الجزائر من مدافعتها أو التخلص منها، وهي الصورة التي ظلت تفاسيرهم وأعمالهم التفسيرية مصطبغة بها.

1: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، ص: 108.

خاتـــــــــــمة:

في ختام هذه الدراسة التي تطرقت لجهود علماء الجزائر في علم التفسير زمن العهد العثماني، وبعد اعتماد مطبوع التراث ومخطوطه مع قلة المادة العلمية التي مسحت تلك الفترة الزمنية المحددة، وقلة المصادر والمراجع فيها، فإن الدراسة خرجت بانطباعات وأحكام أجملها في الآتي:

أولا: جعلت الدراسة ضوابط أربعا محددة للمفسِّر والتسمية به بعد تعريفه، في محاولة لتمحيص التراث التراجمي من آفة الألقاب المدحية التي كانت تكال للعَلم دون أحقية علمية، بل بممارسات تزكوية واجتهادات شخصية كانت علة "التتلمذ" و"النقل دون تثبت" فيها أصلا وملمحا واضحا في التلقيب والتسمية، وهو مطلب يسعى الباحث لدعوة كل متخصص في مجاله أن يدلي بدلوه في هاته الآفة لأجل تمحيص أعلامها وغربلتهم.

ثانيا: ظهور العامل السياسي كعامل سلبي في تنامي الاهتمام بهذا العِلم خصوصا والعلوم عموما، بظهور الثورات والانقلابات والحروب ضد الدولة العثمانية، والتي كانت الساحة الجزائرية حينها ساحة اضطرابات جعلت ثلة كبيرة من العلماء يغادرونها بلا رجعة، خاصة مع تباين الآراء حول وجود هذا الحكم الذي اعتبره الكثيرون احتلالا لا فتحا، ويكفي توصيف الدكتور أبو القاسم سعد الله له بالاحتلال التركي الإسلامي.

ثالثا: لم يحمل التراث التفسيري الجزائري بصمات التجديد ولا بذور ذلك، بل كان حبيس نظام وثقافة التحشية التي كانت غلَّابة في تلك المرحلة، والتي لم يسلم منها العالم الإسلامي العربي بكل حواضره تقريبا، وكانت التحشية على أمهات كتب التفسير بالإضافة والزيادة والإضاءة له بنكتٍ وملحٍ جديدة هي همة الأعلام في تلك المرحلة، وليس أدل على ذلك من عدم وجود تفسير واحد في كل تلك المرحلة يحمل صبغة تجديدية نافضة لغبار الجمود العقلي والإتباع المنهجي لسلفهم في هذا المضمار، ولعل السبب الرئيس في ذلك الرحلة للديار المشارقية التي اشتهرت بثقافة التحشية في تلك الحقبة، والتتلمذ على شيوخ تلك الحواضر.

رابعا: يظهر وبجلاء أثر الرحلة عند علماء الجزائر نحو الحواضر العلمية الكبرى كفاس ومراكش والقيروان والقرويين والزيتونة والأزهر والشام وغيرها، في محصولهم ومردودهم العلمي في التفسير، أكان على مستوى قصد التفسير، أو العلوم المساعدة وعلوم الآلة.

خامسا: بالرغم من عدم حمل الإنتاج الجزائري في التفسير وعلومه لطابع التجديد، فإنه كان حاملا لملامح التنوع الاعتقادي والفقهي والمذهبي، بتنوع التصنيف والتدريس فيه بين مدارس متعددة كان المذهب المالكي بمدرسته الاعتقادية الفقهية غلابا مسيطرا.

سادسا: بقاء كثير من الأعمال التفسيرية لعلماء الجزائر حبيس رفوف الزوايا والمكتبات العامة والخاصة، يعتبر حجرة عثرة أمام دراسة هذا المنتوج التفسيري، والذي لا أشك في أنه أكبر بكثير مما أحصيته في دراستي هاته، خاصة مع فقد وضياع كثير من مصنفات التراجم والرحلات والسير والتي هي إما حبيسة عدم الفهرسة أو حبيسة شح بعض الزوايا العريقة.

سابعا: لم تستطع الدراسة الحكم على أسلوب ومنهج الدرس التفسيري لدى علماء الجزائر في الحواضر العلمية التي كان يقام فيها، لغياب المادة العلمية التي يمكن من خلالها بيان ذلك، واستطاعت في حدود ما توفر من مادة علمية مخطوطة أو مطبوعة بيان أسلوب تآليفهم وكتاباتهم في التفسير وعلومه، وهو ما أمكننا من دراسة مدى استخدامهم لعلوم القرآن وعلوم التفسير في مصنفاتهم التفسيرية، كالناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات وأسباب النزول والإعراب والنحو وغيرها مما جاء مبثوثا في مواطنه.

ثامنا: أكدت الدراسة غلبة العلوم والفنون من نحو وبلاغة وحديث وفقه وتاريخ وسير وتراجم على علم التفسير، وأنها كانت مُزَاحِما شديدا ومنافسا كبيرا في محصول التراث والإنتاج الفكري للجزائر بحواضرها العلمية الكبيرة.

تاسعا: أحصت الدراسة تسعةً وعشرين مفسِّرا من أعلام الجزائر في الحقبة العثمانية، ممن مارس التفسير بالدَّرس أو التأليف أو الجمع بينهما، ففي القرن الأول أحصت أربعة أعلام، وفي الثاني ستة أعلام، وفي

الثالث أحد عشرة علما، وفي الرابع ثمانية أعلام، تنوعت مشاربهم ومواطنهم وحواضرهم ورحلاتهم وشيوخهم وطلبتهم ومؤلفاتهم، في تنوعٍ أرخى بظلاله على نوع التفسير ومنهجه وأسلوبه، وإن كان غالبا متسما بالجمود.

عاشرا: حاولت الدراسة التنويه والتنبيه لمجموعة من تصانيف وتآليف الأعلام الذين أتت عليهم، ومواطنها كمخطوطات في مكتبات العالم، قصد تسهيل عملية البحث عنها لكل من أراد تحقيقها ودراستها وإبرازها لعالم المطبوع من أجل الاستفادة والإفادة.

والله الهادي والموفق

ملحق المخطوطات المعتمدة في الدراسة:

مخطوط

تفسير سورة القدر

لمحمد السنباوي المازوني(ت:1232هـ)

نسخة دار الكتب المصرية رقم:40/1

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا، وانزل القرآن رحمة وشفاء وذكرا، وحث فيه على حسن التدبر والذكر، والصلاة والسلام على سيد الانام المختص بمراكب ليلتي القدر والاسرا، وعلى آله واصحابه وذريته واحبابه طرا، وجميع امته اجابته ادخلنا الله في فضله معهم وحشرنا في زمرتهم يوم القيامة غرا امين،

اما بعد فيقول محمد بن محمد الامير، عفى الله تعالى عنه وغفر له ولطف به امين

هذا ما يسره الله تعالى خدمة لسورة القدر، جعلته عدة للمذاكرة فيها بالجامع الازهر، والمسجد الانور، عمره الله بذكره وزاد في تشريفه ورفعة قدره امين فاقول وبالله المستعان سورة القدر الارجح انها مدنية ورجح بعضهم انها مكية فلعله تكرر نزولها فيها على مزيد شرف ليلة القدر بسم الله الرحمن الرحيم

ادخلت بها التناكيد ردا على منكر اضمار والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا اساطير الاولين وقالوا تنزلت به الشياطين فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لانه مختلف ولان اساطير الاولين واسناد الانزال لحضرة العلية معبر

بضمير العظمة المناسبة ذلك للمقام الى نحن على ما نحن عليه من العظمة انزلناه وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فضلا عن ان ينزلوا به وقد اورد بعضهم بحثا في نظير ما نحن فيه وهو التوكيد بالقسم في النجم اذا هوى وهو ان المومنين يصدقون خبر المولى بلا قسم ولا تاكيد والكافرون يعاندون ولو تعددت الاقسام والتاكيد فما فائدة القسم والتاكيد في القرآن والجواب كما قال النبتيتي منع الاخبر فان عادتهم الانقياد للاقسام والتاكيدات فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك على ان فائدة ان لا تنحصر في التاكيد للرد بل قد تكون لغير ذلك كما بسطه السعد في المطول نقلا عن الشيخ عبد القاهر كالترغيب في تلقي الخبر والتنبيه لعظم قدره وشرفه فان الله انزله والملائكة لهم مدخلية في انزاله نزل به الروح الامين قل نزله روح القدس من ربك بالحق فيكون نظير ان الله وملائكته قدسنا انزلناه وعلى فرض ان الاسناد للملائكة مجازي فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز العقلي في الاسناد كان يقال بنى الامير المدينة والمراد عمالته ولا يعترض الجمع بين القديم والحادث في تعبير واحد فانه حاصل في ضمير يصلون اليس الله يحكم الحاكمين

لضمير

اللوحة الأولى

فيها ابواب السماء للتنزل كما ورد وبذلك يتحدث
الناس عنها ممن يرى بعض ذلك ويستطع الانوار
ويحصل تحلل عظيم حتى قيل تعذب المياه
الملحة في البحار ويطلع الله على من شاء وتجيب
عمن شاء باذن ربهم قد تعرضنا لشرح
رسالة البسملة لتصريف كلمة رب وما يتعلق بها
من كل امر قرئ شاذا من كل امر اى من اجل شان
كل انسان وما قدر له سلام هي اى ذات سلامة
من الافات لا يقدر فيها الا الخير والتوفيق بان يقع
فيها افات لابد من تقديرها مردود بما علمت
ان المقدر اللازم العام ازلي والمراد هنا
اظهار المقادير في مواقيت الملأ الاعلى وحسان
تخصيصه بانواع النعم والخيرات وبدائع
التفضل وعظائم النفحات ويحتمل ربط هي بما
بعده وربط سلام بما قبله ويقدر له وقيل
المراد سلام الملائكة على المومنين في زيارتهم
اياهم واستغفارهم لهم تدارك لقولهم
انجعل فيها من يفسد فيها لما بين الله لهم من
كلات المومنين مالا يعلمون حتى مطلع الفجر
قرا الكسائي من السبعة بكسر اللام والباقون
بفتحها وفتحها مستهم ورش ومابعد حتى
داخل حكما فيما قبلها فقد ورد ان هذا الدرس
المنتور ان يوجهه الفضل كليلة واللتمس

تطلع

تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة
القدر وتكون صافية نقية ولا ينافيه تصفيد
الشياطين في رمضان كما توهم اذ قد تطلع بين
قرنيه وهو مصفد على تسليم عموم التصفيد
على حقيقته وقد ورد من قال لا اله الا الله
الكليم الكريم سبحان رب السموات السبع ورب
العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن ادرك
ليلة القدر فتبصر في الايمان بذلك قال ليلة
وسئال الله تعالى من فضله العفو والعافية
فانه عفو كريم يحب العفو امين وصلى
الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين تم وكمل بحمد الله وعونه في يوم الاربعا
سابع يوم خلون من شهر رمضان الذي هو
من شهور سنة ١٢٤٦ ست واربعين ومائتين الف
من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه
وذلك على يد كاتبه الفقير معوض
ابن سلامه المالكي مذهبا
غفر الله له ولوالديه
واحسن اليهما والي
وكافة المسلمين
امين

مخطوط

التعليق على آية التنزيه

لأبي زكريا يحي الشاوي(ت:1096هـ)

نسخة زاوية طولقة بولاية بسكرة

غير مرقمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد والصلوة على الظاهر احمد ما دام كل من الملوين يتجدد الحمد لله
المتفضل باجابة السايل المقبول يا فاضة النايل فاتح ابواب الامال البعيدة المنايل
مانح الهبات لواقره والعطايا الجزايل الذى جعل الموافقة من اعظم الاسباب والوسايل
وقرب بين متباعدى الانساب باسباب منها الرسايل والصلوة والسلام على سيد
الرسل والمنتخب من اشرف الشعاير والقبايل الاتى بالحج الواضحة والدلايل والرضى عن آله
الافضلين واصحابه الاكرمين ما تعاقب الليل والاصايل وبعد فطالما عنت الروح
او النفس او العقل من يحيى ان يحاييحيى اعنى من تطاير ذكره فى الافاق ومدت اليه
الاعناق وحاز قصب السباق مفتى الدولة العثمانية وحايز الذروة الرياسية الكامل
الاكمل الامر مفتى الاسلام يحيى بن عمر سمى يراوى مذهب مالك يحيى بن عمر ما توافر من
شفقته على المساكين وانخفاضه مع المتمسكين ورحمته للسيايين وسموه على بنى
عصره اجمعين وكنت خادع النفس بالاماني وانتظر وجه التهاني وارجوا ذ
ماعناني واطلق ناشر يد مدحه لساني واذكر ذلك على وجه السرار خوفا على القمر من
السرار حاذرا من تسامع حاسد او تكالب جاحد ولا يخلو الدهر من واحد
يحرفون الكلم عن مواضعه ويحولون بين المرء ومنافعه وكلما دفعت الشوق
ازداد وكلما غمضت لطرف رقاد خصوصا ان جمعنى الزمان مع اخوان الصفا
وخلان الوفا وكنت على النفس بعسى ولعل حتى سمعت ان الوارث البكرى على
عجل فشمرت باشارة البكرى عن ذهن الابتكار واخترت كلاما لرسالة تلزم فيها
فعند ما هويت بالقلم للقرطاس حضرنى فى الخاطر ليس من الوسواس اية التبرية
والتطهير للقلب للكسير بقصد العرض عليه لعله يرى انى ممن يصلح انه له سمير والله
على كل شى قدير فالكلام فى الاية يستدعى مقدمة وفى قاعدة التى فى المحل ما هى فاقول
هى مسالة كلية لان موضوعها كلى وهو المغير فى القضية وهى من باب عموم السلب
اى سلبت مماثلة شى له تعالى وانما قلنا كذا لان محط الحكم المحمول والمحمول هنا
كمثله فى هذه الاية وفا باصل القضية وعكسها المستوى لان القضية السالبة الكلية
تنعكس كنفسها ولا معنى لعكسها الآن تقدم محمولها وهو هنا قد يتقدم لكن لا يفوت
الموضوعية باعتبار العربية اذ لو عكسنا عربية على زيادة الكاف لنصبنا شيا
لكن المنطقى نظر الصورة دون تقيده لاعراب واما عليها على عدم زيادة الكاف
وانها حرف جر فلا يصح الا بتقدير كاين ومن ثم صح دعوى النحويين ان الخبر المجرور
على انه كاين ونحوه نقول مثالا كل ملك على السرير فلا يتعاكس بذاته وان قدرت كاينا

انعكس

انعكس على حاكم عكس الكلية الموجبة صريحة ثم اعلم ان من المعلوم عند اهل المعقول
ان كل قضية يلزم من صدقها كذب اربعة امور كذب نقيضها وصدق عكسها
الثلاثة احدها المستوى وتقدم وثانيهما عكس نقيضها الموافق وهو هنا ليس لا يماثله
لا شئ والمخالف لا يماثله شئ وحيث كان الخطاب مع الكبير فنى الاشارة اعظم تقرير
ثم اعلم ان مثل وان اضيف الى معرفة لا يتعرف فالمحمول كلى وان كانت القضية لا تسمى
ومحصل القضية سلب مماثلة شى وهى مفاعلة تقوم بالطرفين اى لا يماثله الله تعالى
شيا كلا يماثله شى وهذا ليس ماخوذ من صورة القضية اصلا ولا عكسا وانما نشم
رايحته من المفاعلة ويا ذكر على وفق القواعد تعلم جهل ابن الجهم بن صفوان فى
اخذه من الاية ان الله لا يسمى شيا مفهوما ان ليس الشى الله اى فلا يسمى شيا وبعد ذكره
ذكر شبهه تسقط بادنى نحته وتتلاشى بادنى لمحة هى ان الشى اسم لغيره فلو سمى به
لشاركه غيره وليس فى الشيئية علو فلا يسمى به وهذا جهل وعناوة اما فى اخذه من
الاية فانها مسوقة للمعنى لا للالفاظ ولنفى المماثلة لا لنفى الشيئية واكبر شهادة على الجهم
قل اى شى اكبر شهادة قل الله ومن شهد على غلطته القران سقط منه اللسان واما
الشبهة فى التسمية فلا توجب مماثلة فانه قادر ومريد وموجود والعبد يوصف
بهذه الاوصاف لكن على ما يليق به وهم على ما يليق بهم ولعله لعظم شيطنتهم عما
وجه شبهته لان المعدوم عندهم شى فلا يسمى الله شيا لما لا يطلق عليه ما يصح
ما ينحاشى عنه وهو العدم من تخلى بخلية ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ثم ان
الشى عند اهل الحق قاطبة الموجود والمعدوم ليس شيا وعند المعتزلة فجهم
الله ان المعدوم شى اى ذوات مثبوتها باشيا فى ظلام لم تظهر حتى يكون فى الوضع
فورد فهى موجودة حكما لم تبلغ درجة الوجود الحقيقى والاشيا مستترة قبل وجودها
نظير الحمل تقريبا وهذا اخذ من مذهب الفلاسفة اهل جميعهم فى القول بقدم
العالم لكن عادة المعتزلة الشيطنة فى اخذ مذهبهم مع تحويل ما يلزمهم الخروج عنه
وقد صرح الايمة بهذا ومن تتبع اماكن خلافهم وجد ذلك يقينا فاعلم ثم ان
النحويين يطلقون على المعدوم شيا قالوا ان النكرات شى ثم موجود وقد صرح
بذلك سيبويه وفى القران والله على كل شى قدير وهو قبل وجوده فعلق القدرة
بالاشيا قبل الوجود وعند قضية تسمية المعدوم شيا وقال تعالى وقد خلقتك
من قبل ولم تكن شيا ففيه نفى الشيئية عن المعدوم تنبيه الشيئية المعدوم
بمعنى التقرر فى الازل او فى العدم وهو المنفى عند اهل الحق وعليها قوله تعالى ولم تكن
شيا اى لا تقرر لك بوجه بل خلقتك عن عدم لا عن مادة وصورة والشيئية بهذا

اللوحة الأولى

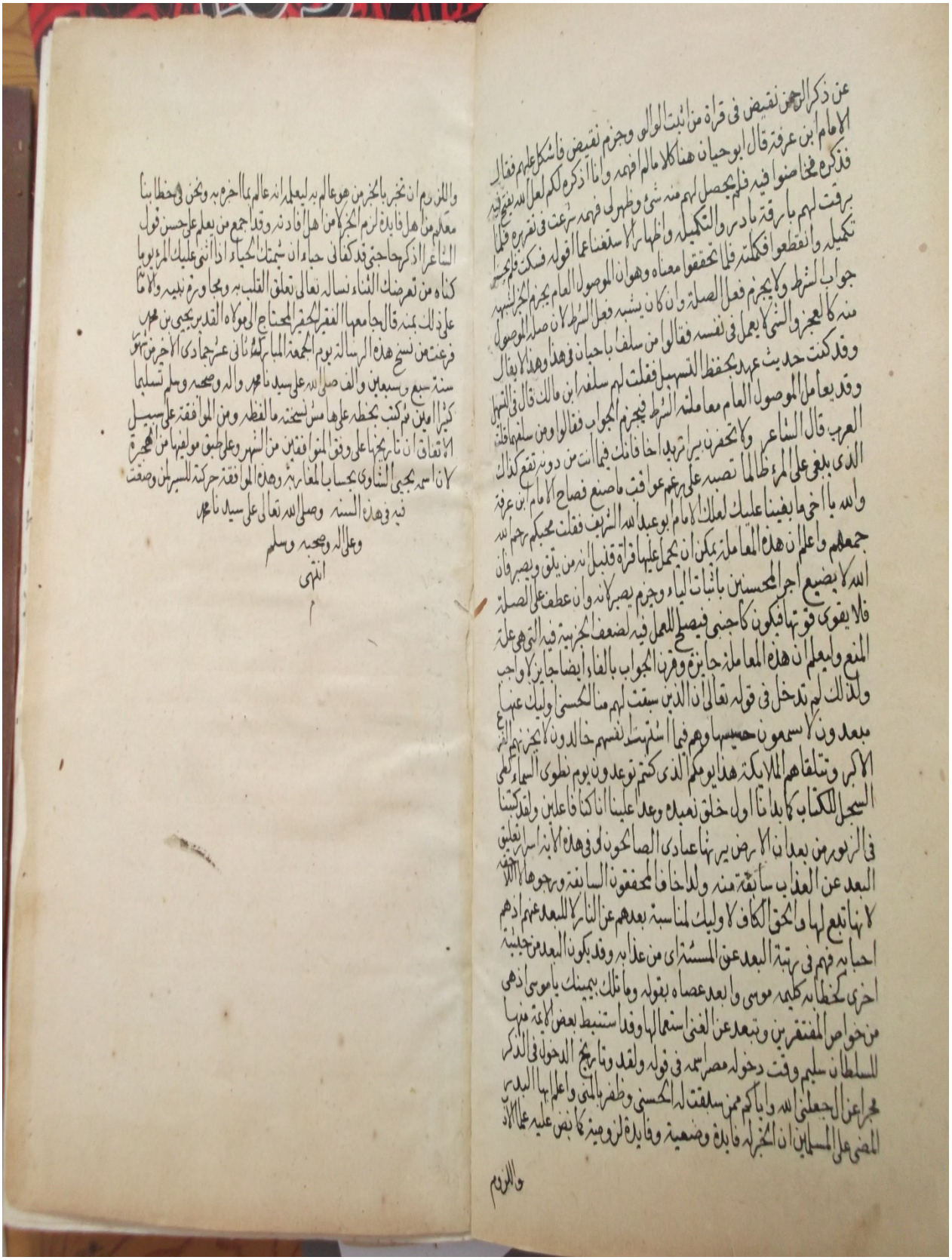

اللوحة الأخيرة

مخطوط

نظم غريب القرآن

لمحمد الأنصاري الزجلاوي(ت:1212هـ)

نسخة خزانة الشيخ محمد بن لكبير بآدرار

غير مرقمة

اللوحة الأولى

اللوحة الأخيرة

مخطوط

حاشية المصعبي على الجلالين

ليوسف بن محمد المصعبي(ت:1187هـ)

نسختان:

الأولى: نسخة المكتبة البارونية بمدينة جربة بتونس

رقم حفظ:13. تفسير.

الثانية: نسخة المكتبة البارونية بمدينة جربة بتونس

رقم حفظ: 94. تفسير.

تفسير القرآن

يوسف المصبح

كما ذكره البيضاوي وغيره وأما النسبة بين الشكر اللغوي والحمد الاصطلاحي فهي التساوي وبين الشكر الاصطلاحي وبين بقية النسب عموم وخصوص مطلقا والشكر أعم متعلقا وموردا فنظم بعضهم ذلك في بيتين بقال إذا أخبرت بالحمد الشخص مثنيا

وإيضاح ذا أن يقال	يوخ لبيب عقل اللبيب يوالف
حمد إن لغوي وعرفي	وشكر لدى عرفي أخص جميعها
وشكر إن يكن الشكر	وفي لغة للحمد عرفا مرادف
وحمد لغوي مع	عموم لوجه فيه أهنى نسبة
شكر لغوي أو عرفي	وفي نسب ست لمن قد تعارفوا
وحمد عرفي مع شكر	

عرفي أو لغوي فذاك ست نسب انتهى محمدا موافيا لنعمه نعت مصدر محذوف

للنوع منصوب بمثله موافيا لنعمه قال في القاموس يقال أوافاه الدهر انتهى

والضمير في لنعمه راجع لله غلبة أما الضمير من قوله المزيد فالظاهر أنه كذلك

ولو أراد ما هو المتبادر من عوده على المنعم لقال مزيدا لها وعلوما هو الظاهر فالمصدر

بالمزيد مضاف لمفعوله وأراد أن لله تعالى نعما لا تحصى كثرة غير محصية

لقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله أعلم هذا ما اشتملت عليه

حاشية الراجبين قال في الحاشية هذا الشيء الذي في الذهن إذا كان مغايرا لما يحمل

التصنيف يعني والمراد في الخارج إذ كان موجودا عند التأليف لا يذكر فإنه

رجوعه لما في الذهن مطلقا فليراجع والله أعلم تفسير الفرد انتهى

زادني في حاشيته على الخضاب على ما تجمع هو لعلم الباحث عن أحوال الشيء والله

أعلم من حيث الدلالة على المراد انتهى الشعر في القاموس الكرم وفي مختار

النوع كرم بضم الراء كرامة وكرما وهو كريم الوان فعال ورجل كريم عشيرته أو فعلا

تسهيلا لينا أنتهى والعلاوة في الفرد إنما الكلام باعتبار هذه الأطلاق والأخير

وتتميم ما أشار له عند قوله تكملة تفسير الفرد ان بقيمة قال

في معجم البلدان وفي بعضها تتمة وفي بعضها تتميم وفي بعضها بقيمة

ابن عباس وغيره كما في تفسير البغوي انتهى قوله اي وروح عبادة الخ
وروح صدرت منه لا بتوسط مادة كجري الماء والمادة له وقيل سمي
روحا لانه تحيى القوى والقلوب قوله له وعيسى وامه قال البيضاوي ويشعر
به قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او للثلاثة
او لهم انهم يقولون لله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس وعيسى له
وامه اقنوم ثالث اهـ قول قوله وكريا قوله يتكم ويانف زاد البيضاوي من خلوت
الدمع اذا جاش ما عبدك كي لا يهدى اثره عليك قوله تعالى ان يكون عبدا لله
قال البيضاوي وان عبوديته يشرف بها غيره وانما المذلة والاستنكاف
في عبودية غيره ويدل عليه ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
علام تدعونا قال الى ما في صاحبي قالوا ما شأنه قال يقول انه عبد الله قالوا ان ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت قال
ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا جميعا او احتج به من زعم فضل بعض الملائكة على الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ورد باستلزامه فضل الملائكة على المسيح رفع المسيح عن
مرتبة العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف
عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه
ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فيا يحكى ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالبعض المبالغة باعتبار التقرير دون التكثير كقوله
اصاح الامر لا يخفى ريبتي ولا مين وسن ان اراد التكثير فبعد بينه
بفضل المقربين من الملائكة ونفع القرب بين الذين حول العرش ومن
اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة و
السلام ولا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والخلاف فيما
تقتضي كلمة البيضاوي واذا بمن زعم الزمخشري والتجريد منه كيف يقرر
من ترك ويكفي عن اسمه المحتمل له ولعل الحكمة في ذلك التنويه بشأنه
والله اعلم وكتب زكريا على قوله ولو سلم اختصاصها بالنصارى ما نصه
قال الطيبي الجواب الصحيح ان يقال ان الكلام انما سيق للرد على النصارى

ان جماعة من الملائكة كجبلونه من الشياطين وفرعون الهما لا يمنع ان كان زيد
عليه حاوذلك والانسب بقية الوجه ان يجعل مستعدون بمعنى المشهود والوجه
لا يعني الشهادة انتهى قوله تعالى فذكروا مثلا ابعد قال البيضاوي لانهم
جمعوا بين الضلال والاضلال والمثل يكون اشرف في الضلال والجمع في الاضلاع
منه قوله رفيعا نبيه يكون نعتا لزكريا البيضاوي او الناس يعني عامة
خلقه وخلا معهم او باعة مرة الملك قال والدابة تدل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع اذ لا معنى لايعاد الجاهلين بين الكفر والعقل قوله من الكهف قال الخفاجي
من كهف النجاد وقال الزمخشري اي جمعه ابين الكهف والمغار اي كان بعضهم
كافرين وبعضهم مسلمين اصحاب الجبار لانه لا فرق بين الغرين في ان كلا يعبر
لها الا بالتوبة انتهى وهو ظاهر مما ذكر لما نقول المعتمد عندنا واما
البيضاوي فحمل الكل على الكفر بقرائن منها قوله السابق ووعيده المحتوم
عليهم ومنها تحمل كفرهم فيكون خالدا في النار وخالدين حال مقدرة قوله
اي اهل مكة قال الخفاجي والظاهر انه خطاب عام وقول المفسر عائد على القاعدة
المقررة في الغالب من انه متى قال يا ايها الناس فالمراد بهم اهل مكة ومتى
قال يا ايها الذين امنوا فالمراد به اهل المدينة واستظهر الخفاجي انه
هنا على غير الغالب وهذا البيضاوي وعبارته لما فرغ من امر النبوة
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها حاكيا الناس عامة بالمواجهة
والزوج الحية الخ قوله وانتم وانتن الخ قال الخفاجي يعني ان مفعول
فعل المحذوف اي ايتوا امر انتم وفيه ان الاصل ما انتم عليه
فهو من باب علفتها تبنا وماء باردا او التعليل اي امروا اي انا خير لكم
وقيل ان الامر ان خير لكم انتهى قوله الاجيل قول جله عليم ليكون اوفق
بما بعده وصدر البيضاوي بالتعميم بين اليهود والنصارى حيث قال
الخطاب للعرب بعث اليهود بحكم عيسى عليه السلام وحتى رموه بانه
ولد بغير رشدة والنصارى في الغلو حتى اتخذوه الها الخ قال زكريا في قوله
رغبة ورهبة بكسر الواو وبفتحها خوفا وطمعا والمعنى واحد اهـ قوله
او هما قال الخفاجي وحمل ابيها يعني خلفه بالكلمة ارسل جبريل الى
مريم ينفخ فيها فحبلت فوضعها بمنزلة الفاخ الاب الاوحى

نسخة ثانية

مخطوط

حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي

لمحمد البليدي الحسني(ت:1176هـ)

نسخة دار الكتب المصرية

رقم حفظ:45/1(58)

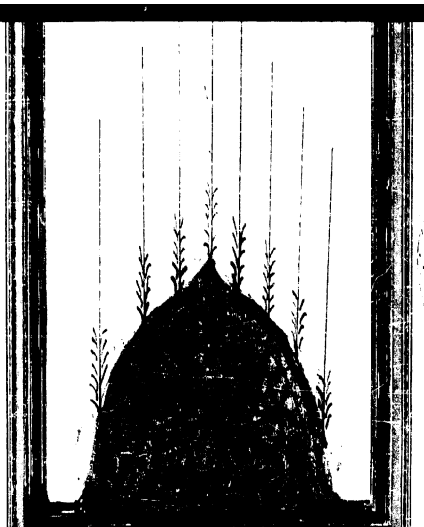

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر

قوله بين بين كلاهما مبني على الفتح وهو مغيس في الاصول والظروف القصر شرح المقدور كاتبه. قوله السورة البدوءة بحم تهجاها الحاء والميم وكلاهما جمع حمة ملافا لقول بجواز بقي وكبرى خطا قوله مكية بخلاف ولما اضاف هل الا ان الذين يجادلون في ايات الله الخ المحمي قوله صريحا اي صالة تامة لا بين بين قول على التحريك الا تفا الساكنين اي كان وكيف قوله والنصب عطف على التحريك وقيل على فتح الميم اي هو مبني او معرب ولم يمنع الصرف كما ذكره قوله على ريه العجمي على وزن مخنص بلغة العجم وكثير فيها وهذا عن سيبويه وشبه العجمة اي بخروج الوزن على الاوزان العربية فيلحق بالعجمي ويسمى شبه العجمة قوله القدرة الكاملة لكن توزيع قوله والاضافة فيه حقيقة بعض سيبويه على ان كل ما اضافه المطيبة يجوز ان ينوى بالاضافة المحض الا الصفة المشبهة فلا تعرف بالاضافة ابدا ومكى صاحب المتع عن الكوفيين انها كغيرها تعرف بالاضافة وهو خطا عند البصريين قلت ان اعرف محلى السيوطي ان اسم الفاعل يدل على التجدد فاذا لوحظ فيه الحدوث والدوام دون التجدد كانت اضافته محضة اذ لا يدل كونه مقارنا للزمن الدال على الحدوث بخلاف الصفة المشبهة فليست بمعنى الحدوث ولا يشترط في كلها الزمن المخصوص بل انقد شرط اعمالها من الدلالة على زمن مخصوص لم يكن مضافا للمعمول فتكون اضافته محضة بخلاف الصفة المشبهة انتهى زاده زيد رحمة ولان حسن الوجه نكره اذ اريد تعريفه فكل الحسن الوجه فلا يقال الشون = في اسم الفاعل الموصل به الى تعريفه بالاضافة بما مر بالصفة المشبهة مع ان اضافتها لفظية فتامل كاتبه وقيل المعرف لازالة العهد وقيد بتشديد العقاب مشددة اي فتكون

الاضافة محضة كما قال سيبويه فيكون اسم فاعل تصدر به لاستمرار نفع الوصف به قوله او التشديد عقابه فيكون صفة مشبهة وهي لا تعرف بالاضافة عند البصريين فتجعل معرفة بلام مقدرة قال الاخفش تقدر في نحو ما يحسن بالرجل امثاله ان يفعل ولا بالجر اجر مثاله ان يفعل عكس ما قالوا الضمير وقد ثنى الزمر وجه المشفع في قوله لا تعرف سمي وليه من عباده فثنى سمي وليه وهو المذكر للزوجة عادليه وهو الخصيان والحديث ارجعن ما زورت غيرها جورات تصلي وازرات فراوج ما جورات انتهى زاده وهذا للزمخشري ورد بان المعبر خلاف الاصل مع امكان الاصل ومزوجه الوتر المشفع نادر قوله او ابدل جمع بدل عطف على قوله صفات ولا يرد عليه ان البدل في المشتقات قليل ولان النكرة لا تبدل من المعرفة عالم يوصف ولان قصد البدل في مبدل منه وهذا لم يجمع من كلام النحاة لان النحاة فرعوا خلافه والحاصل ان الاقوال ثلاثة بكونها اوصافا او بدلا او غافر الذنب وقابل التوب صفتان وشديد العقاب بدل قال الزجاج ووجه الزمخشري كونها بدلا لما وقع معها لانه صفة لكونه نكرة فقد اذنت انها كلها ابدال كما ان مستغفرين ست مرات من الزجر فاذا وقع فاصلات بدل واحد من فاعليه صابرين من الكامل واعترض عليه بانه يجاب لما لا يقترن بعد وتفاعيل جمع تفعال او تفعيل او تفعول وهي غير مفاعيل البحور وتقدير البدل ليس في كلام النحاة وليب بمنع المنع في الاول والثالث ولان التفاعيل مجرد اسم الشهي من المعرب بالمعنى قوله مسوق للنظم هذا رد لقول الزجاج المتقدم اي لما فيه من الالباس والفصل بين الصفات بالبدل والثاني بان البدل بعض المطرح والوصف يقتضي ان الموصوف مفهوم من الكلام قوله لافادة الجمع اي لافاد جمع العفو وقبول التوب بالاشارة عليها وهو معنى القبول في نوع واحد وهم الذين يؤتون ما يؤتون قعني يبارك ونعالى يعلم وقبل يوتيهم وذكر الاوصاف دلت على اجتماعها في موصوف واحد لكن العطف بدل على معنى زايد وهو كونه سلفا معطوفا بنوع واحد والوصف الثاني لافادة تغاير المغفرة وهو ستر الذنب مع بقايه وقبول التوبة الذي محي معها والثالث وضع قوله جمعها اي اسم جمعها ولا يلزم الاعتزال وليس معناه ان العفو متوقف عليها كما يقولونه قوله التايب من الذنب لو لا ذنب لها اي في الوجود لحديث خرجه ابن ماجة والطبراني وهو كما قال الحافظ ابن حجر حسن قال تلميذه السخاوي اي حسن لغيره لان فيه انقطاع وقال في المزان ضعيف انتهى كاتبه محمد البليدي عفا الله عنه قوله وذلك لو لم يتب اي بحسب المشيئة لانه بحسب المشيئة وتيب بحمة لا لانه لا

اللوحة الأخيرة

مخطوط

السعي المحمود في نظام الجنود

لمحمد ابن العنابي(ت:1850م)

نسخة مكتبة الإسكندرية

رقم حفظ:4562ج.

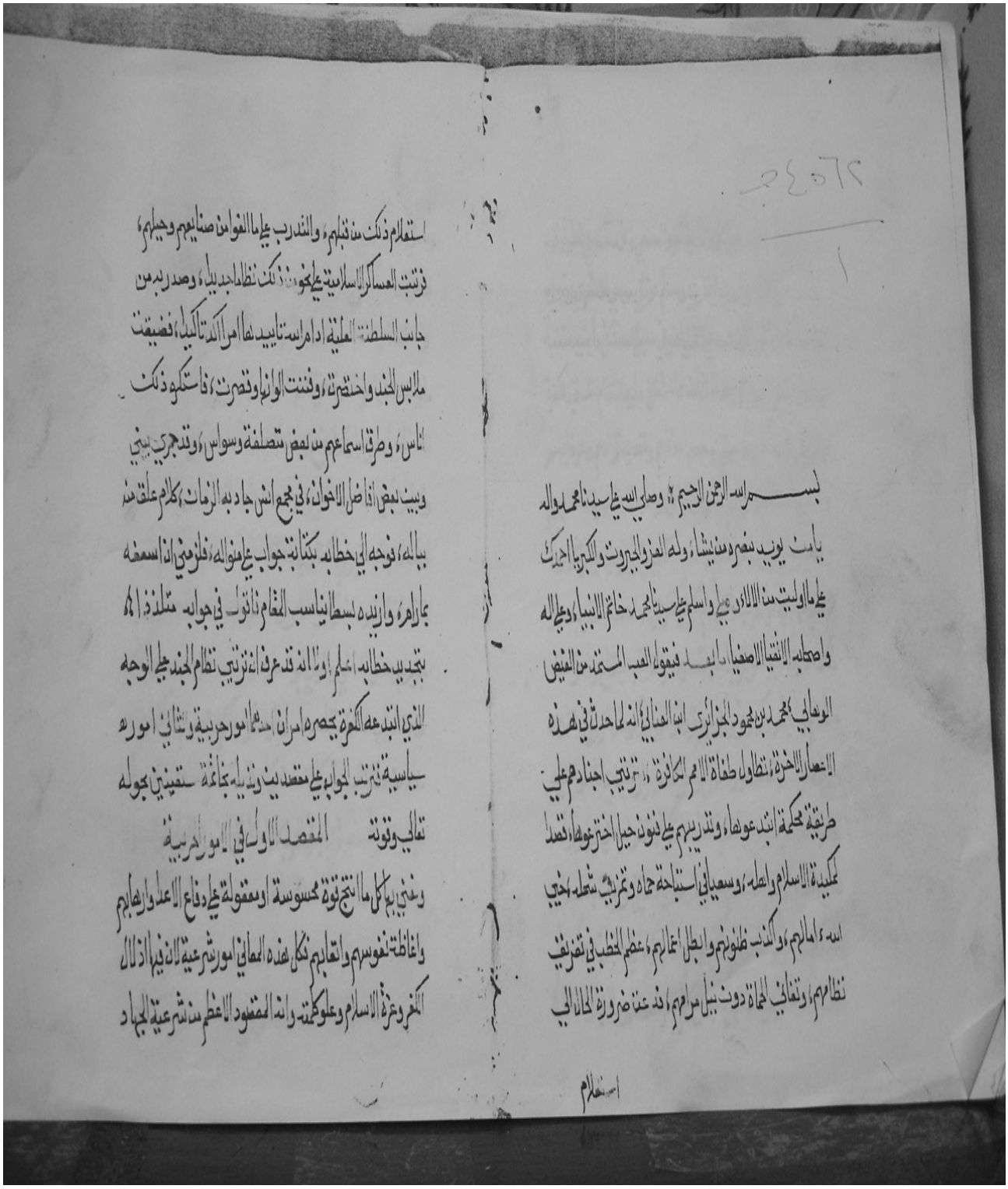

اللوحة الأولى

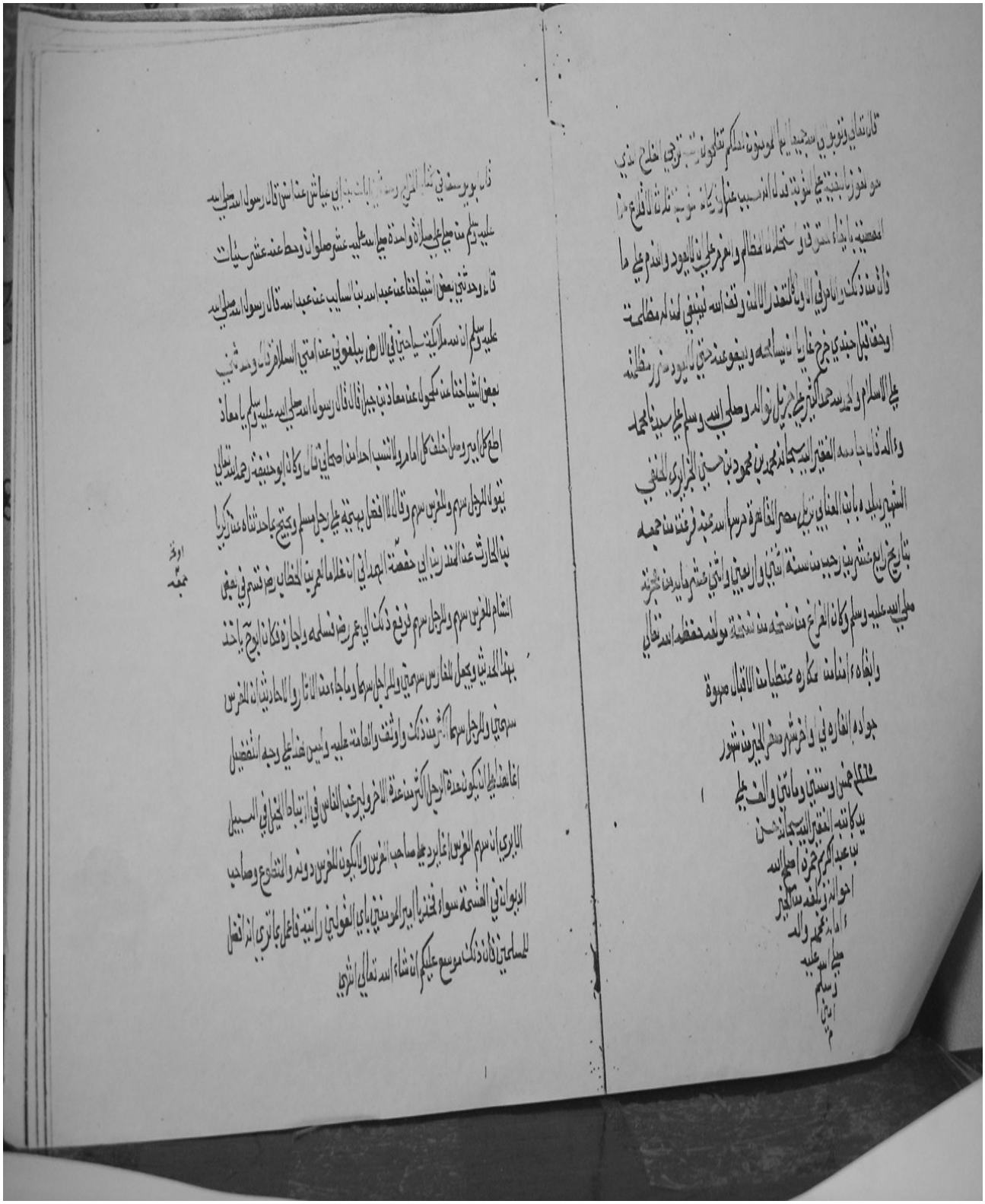

اللوحة الأخيرة

مخطوط

مختصر الدر المصون

لعبد الرحمن التنلاني(ت:1160هـ)

نسخة خزانة الشيخ باي بلعالم بآولف

نسخة مهداة

اللوحة الأولى

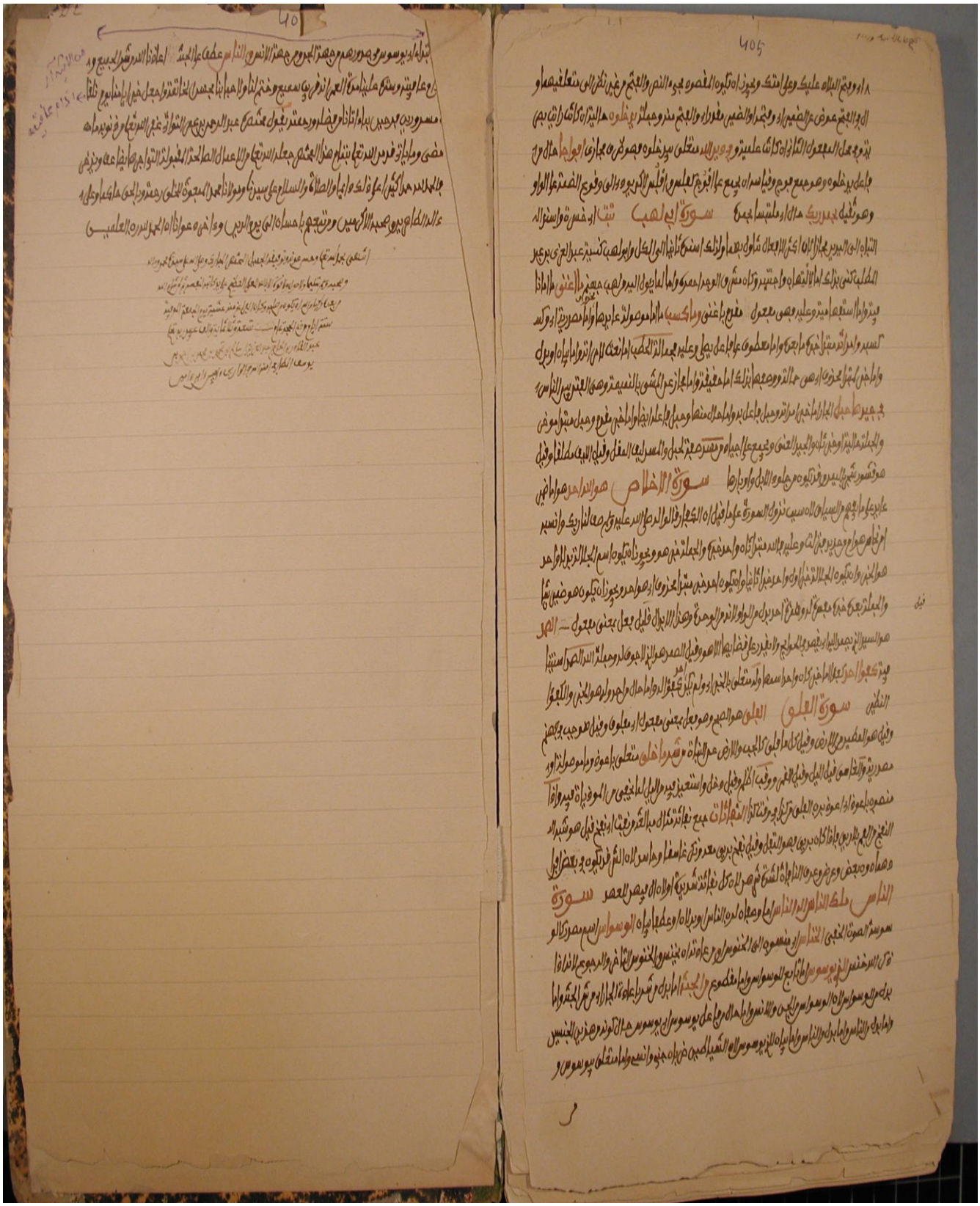

اللوحة الأخيرة

مخطوط

المحاكمات

لأبي زكريا يحي الشاوي(ت:1096هـ)

نسخة المكتبة الأزهرية

رقم حفظ:340/244.

عن اصله وعما يؤول اليه لكن حيث لم نر شيئا يحالفه وجب علينا ان
نعلمه منه حيث لم نعلمه ويكون وجهه انه ليس بمقدور ولا
اشرفا على فلا يعلم لكن لا يمتنع حمل كلام الى البقا على انه اى عجهوف
بالاضافة كحسن وطل فيعمل ويبعد هذا التاويل انه لو اراده لم
يحتج الى تاويله بالرباعى لانه وصف بذاته لا بمالا تاويل ولعل
المحوج للتاويل ان المتبادر من المصدر فيحتاج فى اثبات
وصفيته الى التاويل وانه بظاهره يكون بمعنى المفعول
اذ هو كعجيب بمعنى مستعجب منه وهو اذا لا يعمل فاوله
بما يوجب عمله اى وصف بالبقاء على الرباعى كما هو كذلك
فى فعيل مبنى من ثلثيه بمعنى مفعل كاليم وسميع **قوله تعالى**
ايذا كنا ترابا ز يجوز كونه فى محل رفع بدلا من قوله ح هو تكلف
وخروج من الظاهر وهو انه معمول بالقول **قوله تعالى له معقبات**
اصله معتقبات فادغمت التاء فى القاف فحركت بالكسر لالتقاء الساكنين
المعقبون ويجوز معقبات ز بكسر القاف ولم يقرا ح هذا وهم
فاسكن الاول ادغم فى القاف والتا الا القاف فيها وهو ادغم فيه
وقد نحن البصريون على ان الكاف والقاف كل منهما يدغم فى
الاخر ولا يدغمان فى غيرهما ولا غير هما فيهما واما ما ذكره فى
المعذرون فلا يتعين ز واما تجويزه كسر العين فبناه على ان
اصله معتقبات وقد بينا فساده ت كذا فى هذه النسخة
ولم يظهر وجه كسر العين وبناءه على معتقبات ولعل
صوابه سكون العين وهو الذى يبنى على معتقبات فتامله
قوله تعالى له دعوة الحق ز فيه وجهان ان يكون الحق ضد
الباطل فتضاف الدعوة الى الكلمة التى هى قال كلمة الحق ودعوة
الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق متمحضة به وانها
بمعزل عن الباطل والمعنى انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة
ويعطى الداعى سؤله ان كانت مصلحة له وكانت دعوته ملابسة
للحق لكونه حقيقيا بان يوجه اليه الدعا والى دعوته من يحدوك

والنفع

والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدك دعاءه او ان يكون الحق بمعنى الله
على تعقى المدعو الحق اى الله وعن الحسن الحق بمعنى الله وكل دعا الى به
دعوة حق ح هذا الوجه الذى ذكره ز لا يظهر لانه يصير المعنى دعوة
الله والذى يظهر انه من اضافة الموصوف للصفة تعود الدار ن
الاخرة على احد الوجهين والتقدير له الدعوة الحق بخلاف غيره
فان لم الدعوة الباطلة والمعنى ان لله تعالى الدعوة له اى
الدعوة الحق ت تتلخص ثلاث احتمالات الاول ان مراد
استجابة الدعا فلم يدع بحق لا بباطل والثانى ان الحق بمعنى الله
وقد علمت ما فيه الثالث وهو محتار ح انما يدعو اليه الله
حق وما يدعو اليه غيره باطل **قوله تعالى ام هل تستوى**
الظلمات والنور ام منقطعة تقدر بل والهمزة على المختار
والتقدير بل اهل وهل وان ثابت عن الهمزة فى كثير من المواضع
فقد جامعها هنا ما يخالفه قوله اهل راونا بواد الف ذى الاكم
فمع التعمل فى بيتى بهل بعد ام المنقطعة تشبيها هل بالهمزة
المتضمنة للاستفهام فى وقوعها بعد ام لعدم الاصالة
فى الاستفهام فى الكرنية لان الهمزة لا يؤتى بها بعد ام لان ام
بمعنتها فلم يكونوا ليجمعوا بينهما وقال الشاعر شاهدا على
الاتيان بهل بعد ام

هل علمت وما استودعت مكتوم ام هل ابيت ليالى ام تنامون

ام هل كبير بكى لم يقض عبرته اثر الاحبة يوم البين مشكوم

ت لا داعى الى هذا الاحتمال ان يقال ان ام المنقطعة تفيد بل فقط
دون الهمزة فلا حاجة الى الاعتذار عن الجمع بين اداتى استفهام
كما لا سبيل الى دعوى اصالة الاستفهام للهمزة ونيابة هل عنها
حتى تصير كالاسما المتضمنة للاستفهام فتجمع مع ما تضمنه
مع ما فى هذا القول من تضمن الحرف معنى حرفين وهو بعيد
بعد اقتصرنا على الخلاصة على تضمن ام المنقطعة معنى بل لا يمتنع
فتامله **قوله تعالى كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا**

لا نساد في حمل ز ولان تشبيهه المصري لانه شبه حالة
الكافر في الدنيا باعتبار انعدام حالته في الاخرة باعتبار ما له
كما شبه المحترى ما جار يا على رخام ما جار على ثياب بيض لقصار
وهذا التشبيه التي بنفسه لاعتبار الحالتين وقد يفعل
الشئ على نفسه باعتبار محلين فكذا يشبه باعتبار حالة بنفسه
باعتبار اخرى قوله تعالى اما كان قول المومنين اذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا رفب قولا ولى ليكون
خبر كان يقولوا اسم كان لان الاولى بالاسمية لكان الا وعمل
في المعرفة وان يقولوا اوعل لانه لاسبيل للنكرة بخلاف
قول وكان هذا سبيل ما كان الله ان يتخذ ما يكون لنا ان
نتكلم بهذا ح مذهب سيبويه عدم اعتبار هذا وكذا البصريون
فاذا كانا معرفتين فانت بالخيار في ايهما شئت جعلته الاسم
قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ز يكون مثل
لقد تقطع بينكم ح لا يتعين في الاية اذ يجوز ان يكون الفاعل ضميرا
يعود على ما قبله وانما هنا فاناب من الفاعل ضمير المصدر
ليحكم بواى احكم والمعنى ليفعل الحكم ومثله قوله جمع بينهما والف
بينهما وقوله تعالى وصل بينهم قوله لا تحسبن الذين كفروا
معجزين في الارض ز على العينية يكون الاصل لا يحسبنهم الذين
كفروا معجزين فحذف المفعول الاول والتقى بالفاعل والمفعول
الثاني لان المفعولين والفاعل كالشئ الواحد فاكتفى باثنين عن
ثالث ح تقدم رده وانه ليس من الضمائر التي يفسرها بعدها
اذ لا يجوز ظننه زيدا قائما على قاعلية زيد قوله تعالى طوافون
عليكم بعضكم على بعض ع بعضكم بدل من طوافون ح لا يصح بدل من
طوافين لان بعضهم وبعضكم وبعد المعنى لا يصح وكذا من ضميره
فتصير بعض يطوفون بعضكم فلا يصح وان قدر المبتدا انتم طوافون
يدفعه عليكم لاقتضائه ان الغير يطوفون عليهم وانتم طوافون
يقتضي انهم هم الطوافون فتغاير صا ف كان ع يغني بدل من ضميره

فان

فان طوافون حذا دق على الطايف وعليكم صادق على الطوف عليهم
وقوله بعضكم بدل من الطوافين وعلى بعض بدل من الطوف عليهم
وهم المذكورون في قوله عليكم وليس مجموعه بدلا صناعيا وانما
البدل الاول وهو بعضكم وهو على نية تكرار العامل فعلى بعض
متعلق بالعامل المنوى فلا اشكال في اعراب النحاج ثم رايته حقا

سورة الفرقان

قوله تعالى اكتتبها ز قراطلحة بالبنا للمفاعيل والمعنى اكتتبها كاتب
له لانه كان اميا لا يكتب بيده فهو من باب المجاز ثم حذفت اللام
فوصل الفعل للضمير فصار اكتتبها اياه لقوله واختار موسى قومه
ثم بنى الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان
كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فبقي اكتتبها
لا يصح على هذا مجرورا بحرفين لان له العايد على الرسول صلى الله
عليه وسلم وان وصل الى الفعل بنفسه استاثارها وهو مفعول بسرح
لفظا ستبد بتقدير او ضمير الاساطير سرح لفظا وتقديرا وهذا اولى
بالنيابة لان اياه اصله له فكان القياس نيابة ضمير الاساطير
ويتصل الضمير المتصل الذي كان مجرورا ان كان يكون اكتتبها له
وعليه جا السماع فان

• ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع •

ولوجا على ما قرره الزمخشري في الترتيب ومنا الذي اختير •
الرجال لان اختار يعدى الى الرجال على اسقاط حرف الجر اذ تقديره
اختير من الرجال ت ما ذكره ممنوع لانه يعدى وصول الفعل
اليه لا يبقى على حاله فيجب نيابة غيره بل هو كالمفعول المسرح من كل
وجه هذا وقد جوز اقامة المجرور مع وجود المفعول فكيف بما كان في
الاصل تقدير مجرورا ومنوا الان مفعولا وايضا الكلام في القياس
وعدمه لان الذي سمع واكتتبها سمع كان الضمير الموت لم ينب قطعا
واذا لم ينب علم ما كان مجرورا للنيابة وبعد وقوعه لا مانع فيه
اذ هو في القران واسماع اعلامه والسماع يجب قبوله سماحيث

مخطوط

نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن

لمحمد بن علي السنوسي(ت:1276هـ)

نسخة الشيخ بوخبزة التطواني

على الأنترنت.

اللوحة الأولى

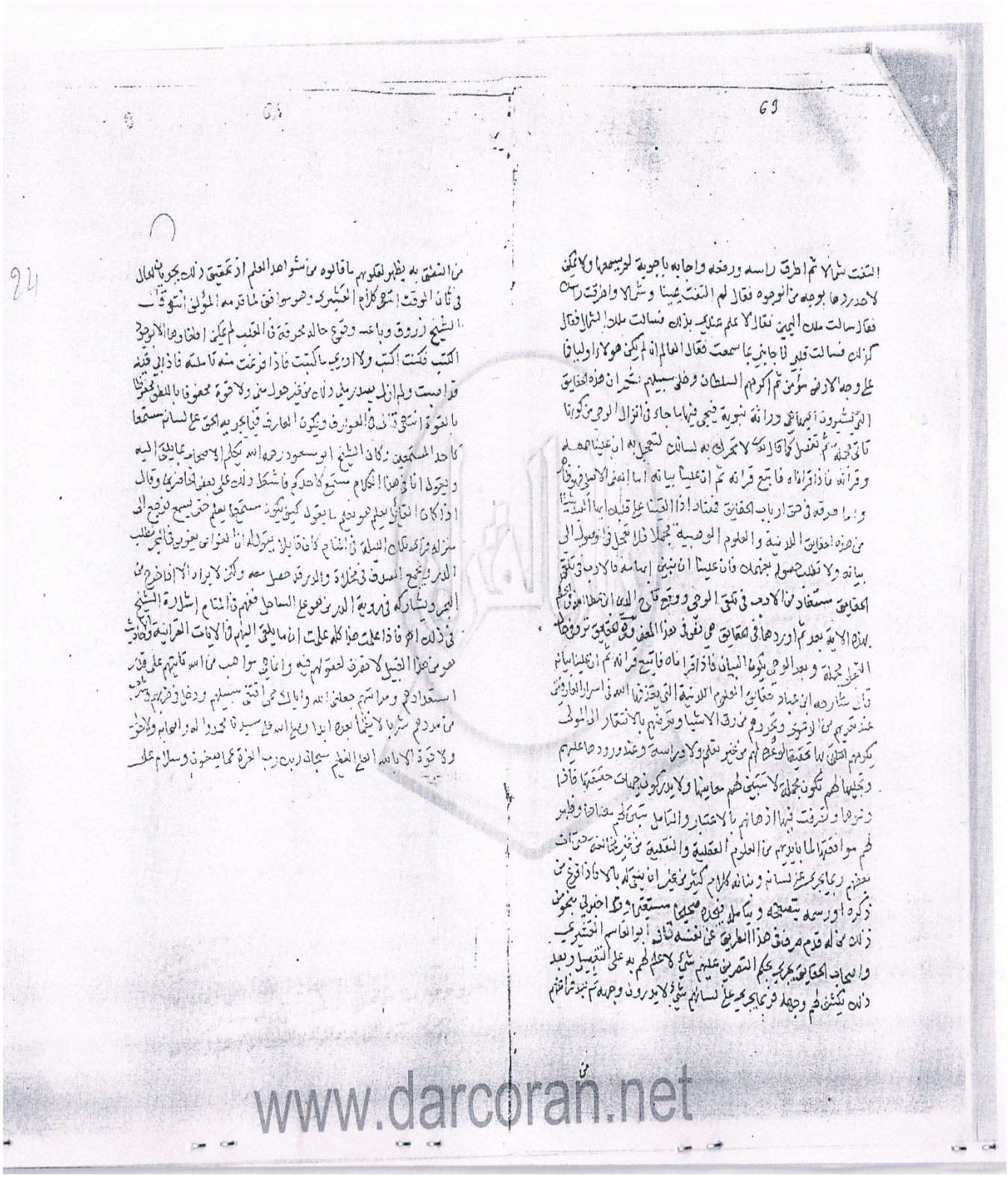

اللوحة الأخيرة

مخطوط

تفسير القرآن الكريم

لمصطفى بن العنابي(ت:؟ هـ)

نسخة مهداة.

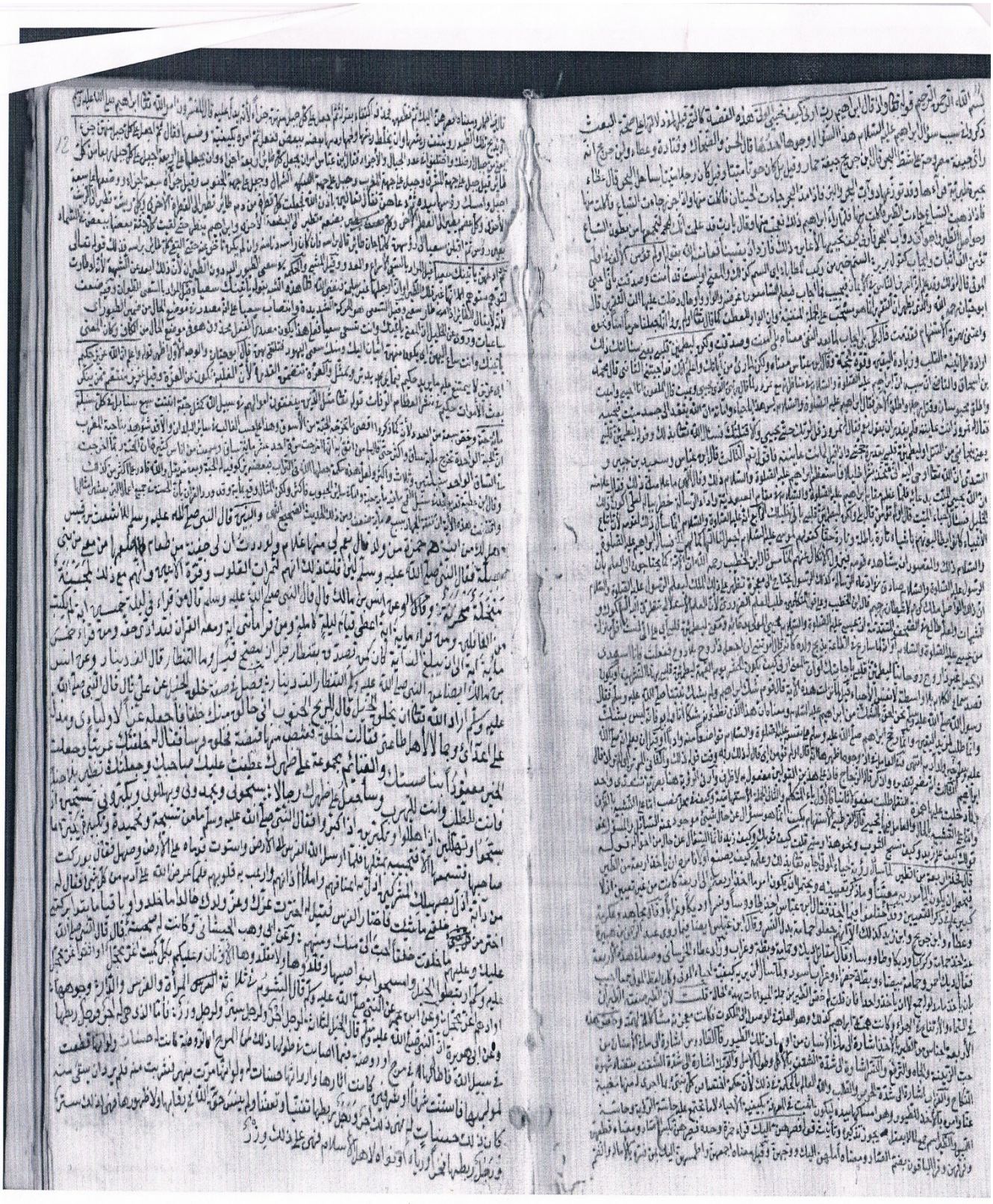

اللوحة الأولى

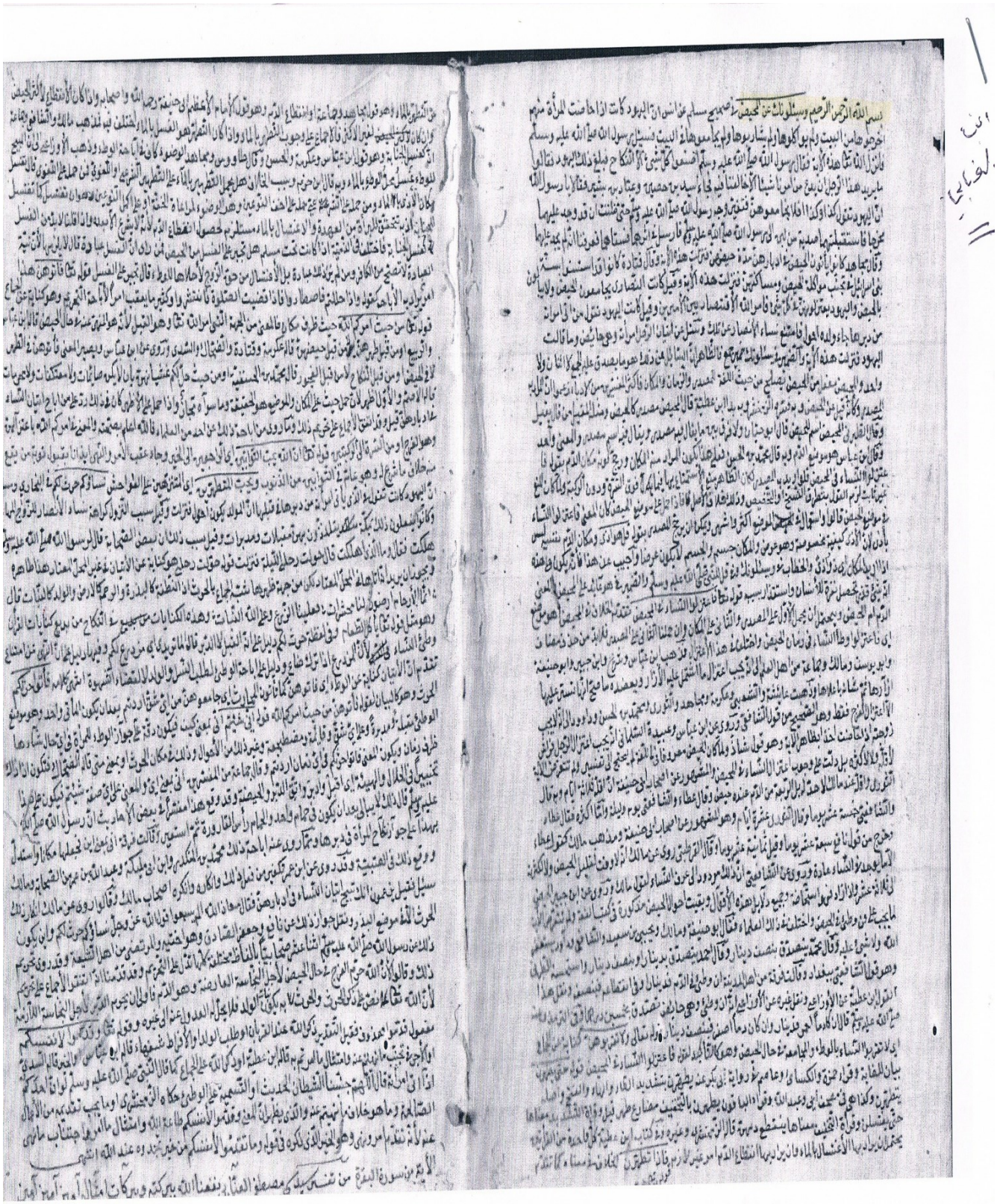

لوحة ثانية

مخطوط

الإبريز والإكسير في علم التفسير

لأبي راس الناصري(ت:1238هـ)

نسخة مهداة.

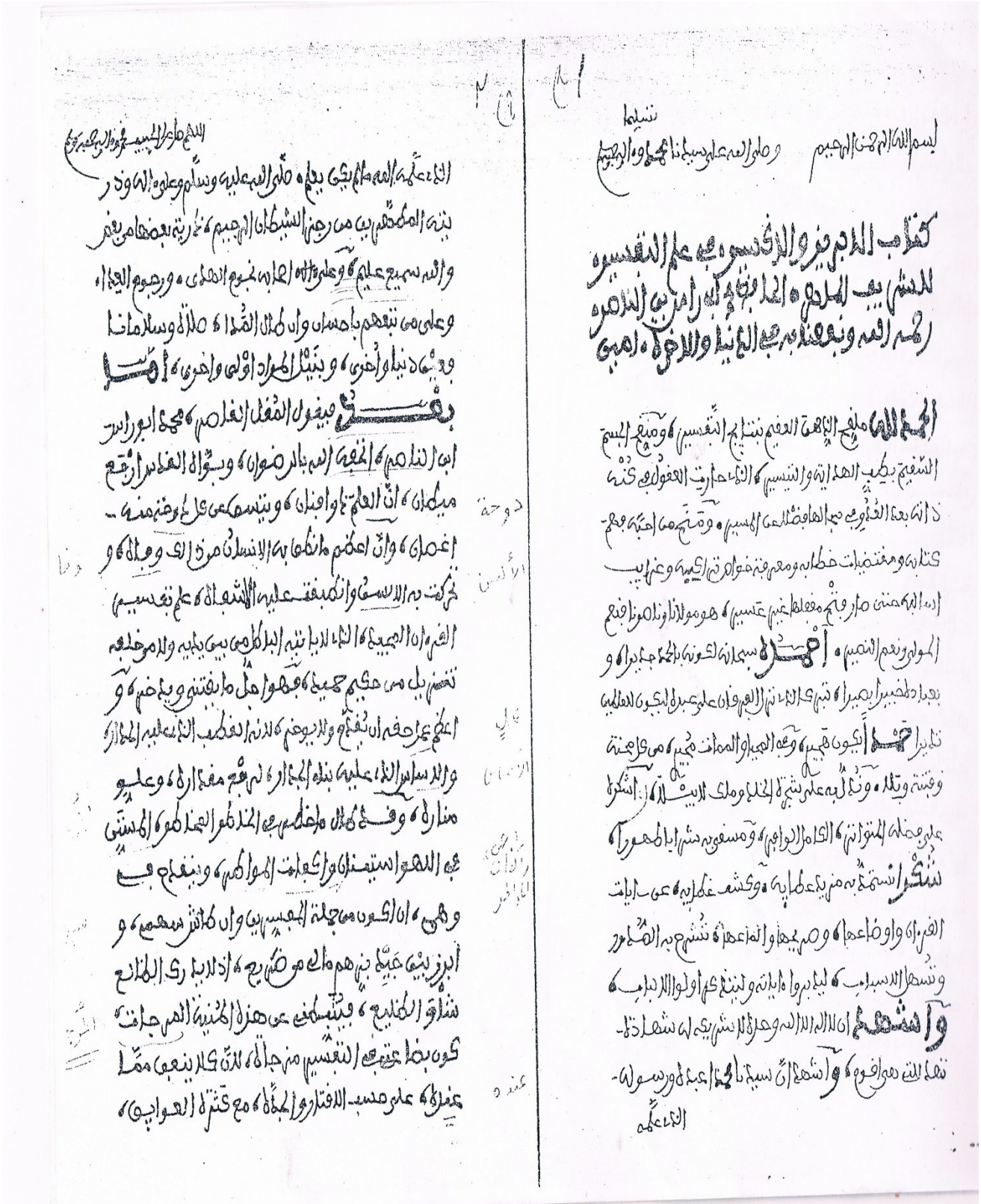

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب التدريب والترغيب في علم التفسير
للشيخ الإمام العالم العلامة أبي زكريا يحيى بن الشرف
رحمه الله ونفعنا به في الدنيا والآخرة آمين

الحمد لله مفيض النعم العظيم بتعليم التفسير، ومتيح الفهم
الشريف بكتب الهداية والتيسير، الناصر بآيات العقول في كتبه
الذي أتبع القرون في سالف الدهر المسير، ومنحهم أحبة فهم
كتابه ومقتضيات خطابه ومعرفة خواص تراكيبه وغرائب
أساليبه حتى صار فيهم مفعلها غير عسير، هو مولانا ونعم المولى
ونعم النصير. أحمده سبحانه لكونه الحكيم الخبير، وأشهد
بعباده لخبيرا بصيرا، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى عامة
وجنة وثقلين، ونزله على شرذمة الخلو وملك لا يسأل عما يشكر
على عظمة المتواتر الكامل الوافر، ومنحه شرف الحضور
بشرف نسمة به من زيغ عمايه، وكشف غماه عن آيات
القرآن واوضاعها، وصريحها وقواعده تشرح به الصدور
وتسهل الأسباب، ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تفك الله بها العفو، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي عمه

اللهم صل على السيد محمد وآله وصحبه وسلم

اللهم عمه العلم الذي يعلم، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وذرية
المطهرين من رجس الشيطان الرجيم، ذرية بعضها من بعض
والله سميع عليم، وعلى آله الهداة نجوم الهدى، ورجوم العداة
وعلى من تبعهم بإحسان وآل لهم الفداء صلاة وسلاما نامين
وجودا دائما وأخرى، وتنيل المراد أولى وأخرى. أما
بعد فيقول الفقير الخاضع محمد أبو زكريا
ابن الناظم، أنعم الله عليه بالرضوان، وبوأه الغدير أرفع
ميدان، أن العلم بأوفى فنون، وتيسر على طالبه من
أعظم، وأن أعظم ما تطابت به الإنسان مرد إلى الله وحده و
تحركت به الألسن وانكبت عليه الأشباه علم تفسير
القرآن العزيز، الذي الآيات البالغات من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد، فهو أجل ما يقتنى ويدخر، و
أعظم ما يحرص أن يقتنى ويدخر، لأنه أخص الذي عليه المدار
والأساس الذي عليه بناء الجدار، ثم هو مفزعه، وعليه
منار، وفي كل ما يخصه من الخاطر العاطر المستقى
من النور الساطع من مشكاة المعارف، وينفع في
وهي، أن أكثر من جلة الجسيم بأن كاثر سهمه، و
أبرز بين عينيه نهم ما من ضريح، إذ لا يدرك المنازع
شأو الطليع، فينبغي عن هذه المنية المرجلة
كون باعثه على التفسير منزجاه، لأن كلا ينعق مما
نعق به على حسب الافتقار والحاجة، مع كثرة العوائق،

اللوحة الأولى

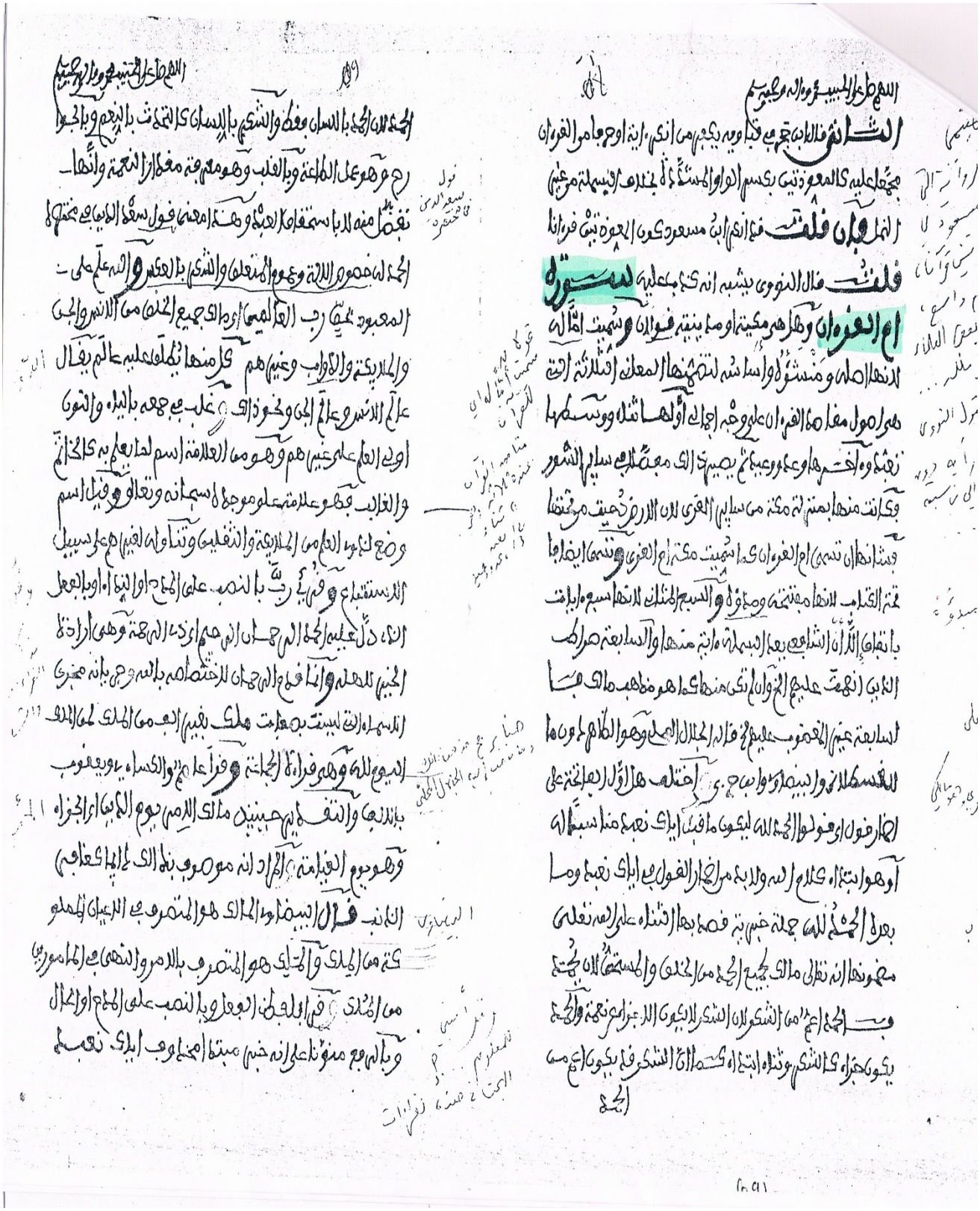

لوحة ثانية

مخطوط

ثبت الإمام السنباوي

لمحمد السنباوي المازوني(ت:1232هـ)

نسخة المكتبة الأزهرية

رقم حفظ: 61498 مصطلح.

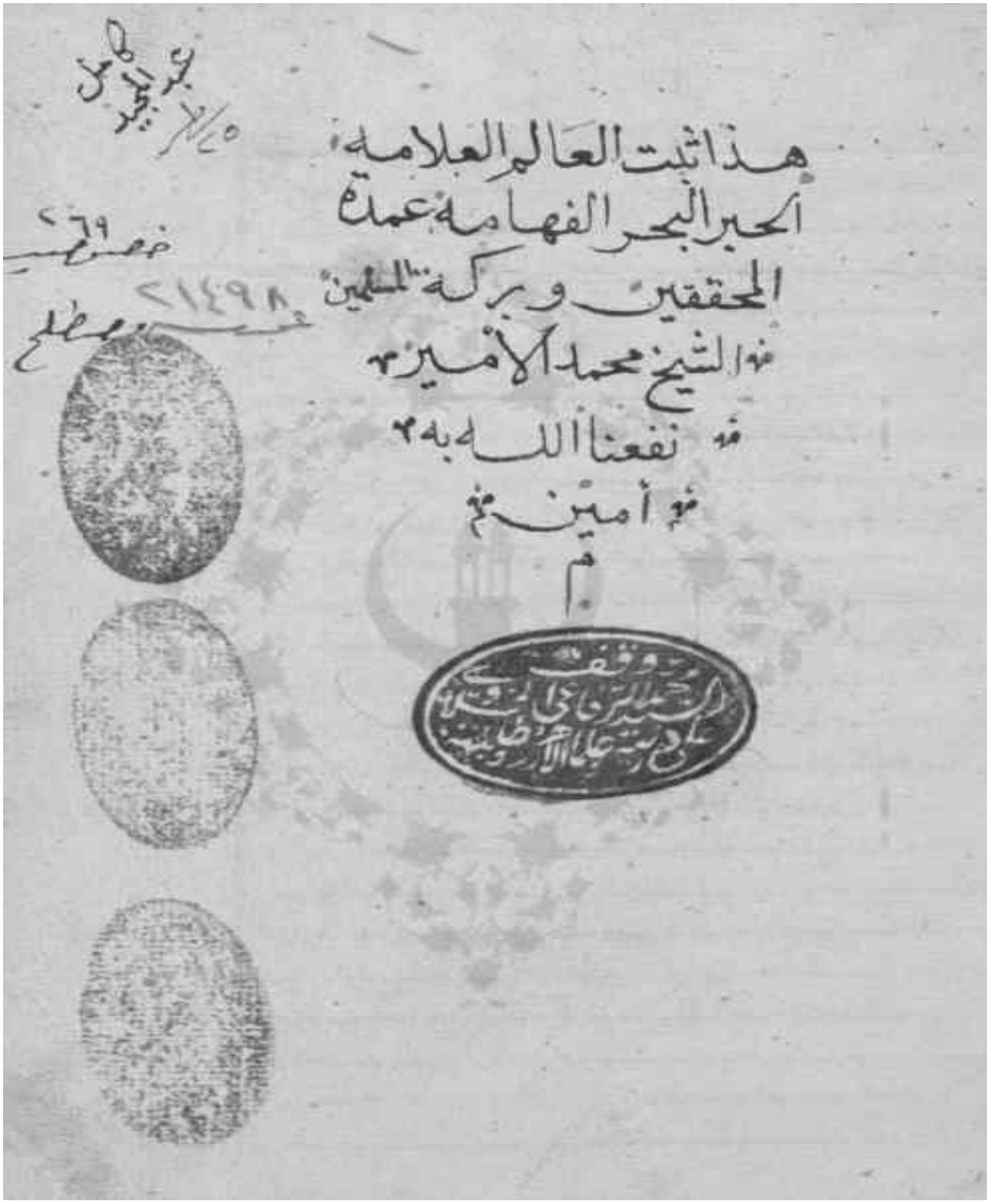

اللوحة الأولى

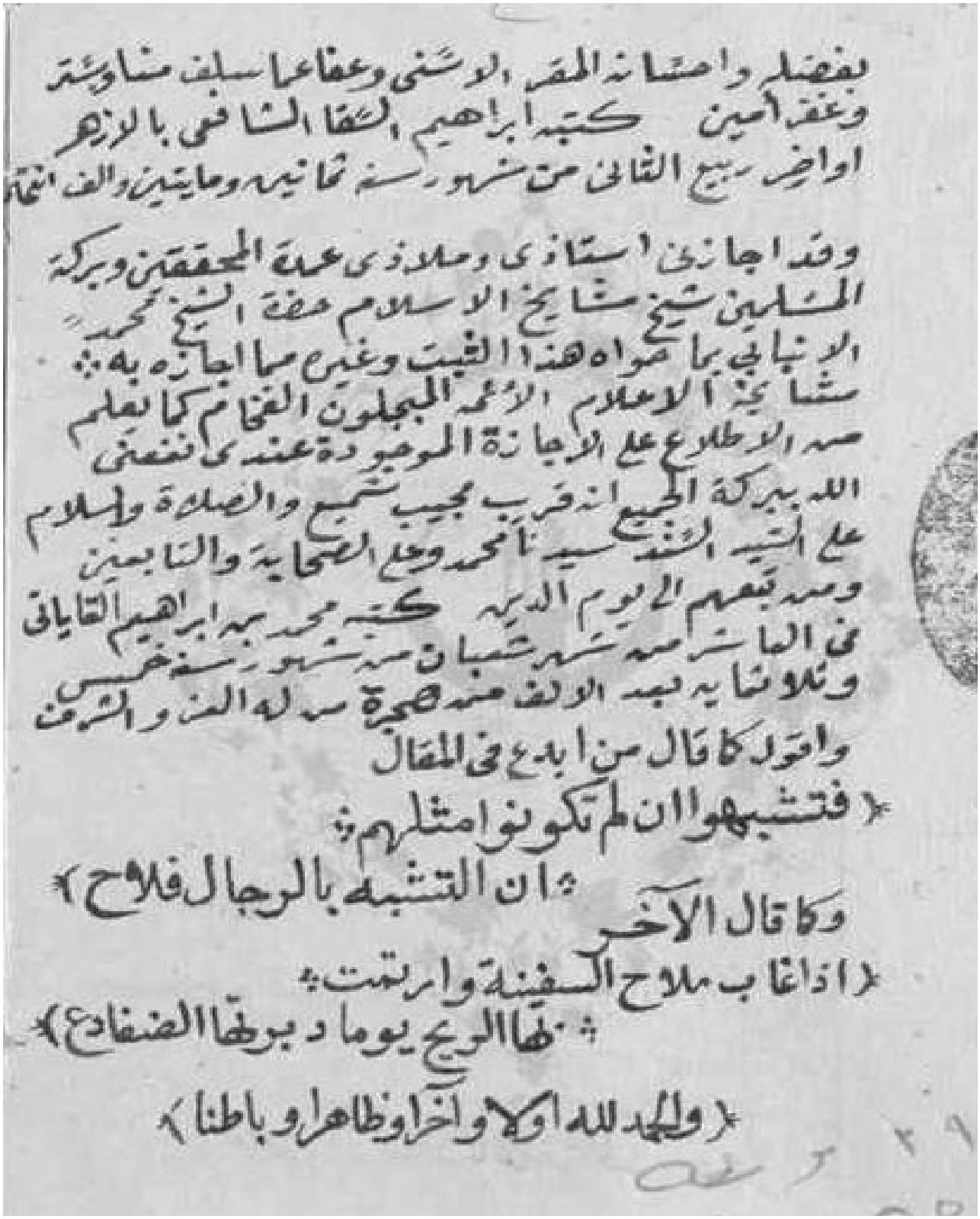
بفضله واحسانه المقر الوشنى وعفا عما سلف منا وشنه
وغفر امين كتبه ابراهيم العقا الشافعى بالازهر
اواخر ربيع الثانى من شهور سنة ثمانيه وماتين والف انتهى

وقد اجازنى استاذى وسلالة ذوى عمدة المحققين وبركة
المسلمين شيخ مشايخ الاسلام حضرة الشيخ محمد
الدنبابى بما حواه هذا الكتيب وغيره مما اجازه به
مشايخه الاعلام الائمة المبجلون الفخام كما يعلم
من الوقوف على الاجازة الموجودة عندى فنفعنى
الله ببركة الجميع انه قريب مجيب سميع والصلاة والسلام
على السيد الشفيع سيدنا محمد وعلى الصحابة والتابعين
ومن تبعهم الى يوم الدين كتبه محمد بن ابراهيم الغابانى
فى العاشر من شهر شعبان من شهور سنة خمس
وثلاثمائة بعد الالف من هجرة من له العز والشرف
واعود كما قال من ابدع فى المقال

﴿ فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ۞
ان التشبه بالرجال فلاح ﴾

وكما قال الآخر

﴿ اذا غاب ملاح السفينة وارتمت ۞
بها الريح يوما دبرتها الضفادع ﴾

﴿ ولله الحمد اولا واخرا وظاهرا وباطنا ﴾

اللوحة الأخيرة

مخطوط

عمن يتصدى لتفسير كلام الله

لإبراهيم حفار(ت:1954م)

نسخة ضمن مجموع لفتاوى الشيخ، مكتبة الحاج سعيد بن أيوب

بغرداية، دون رقم حفظ، وهي مهداة.

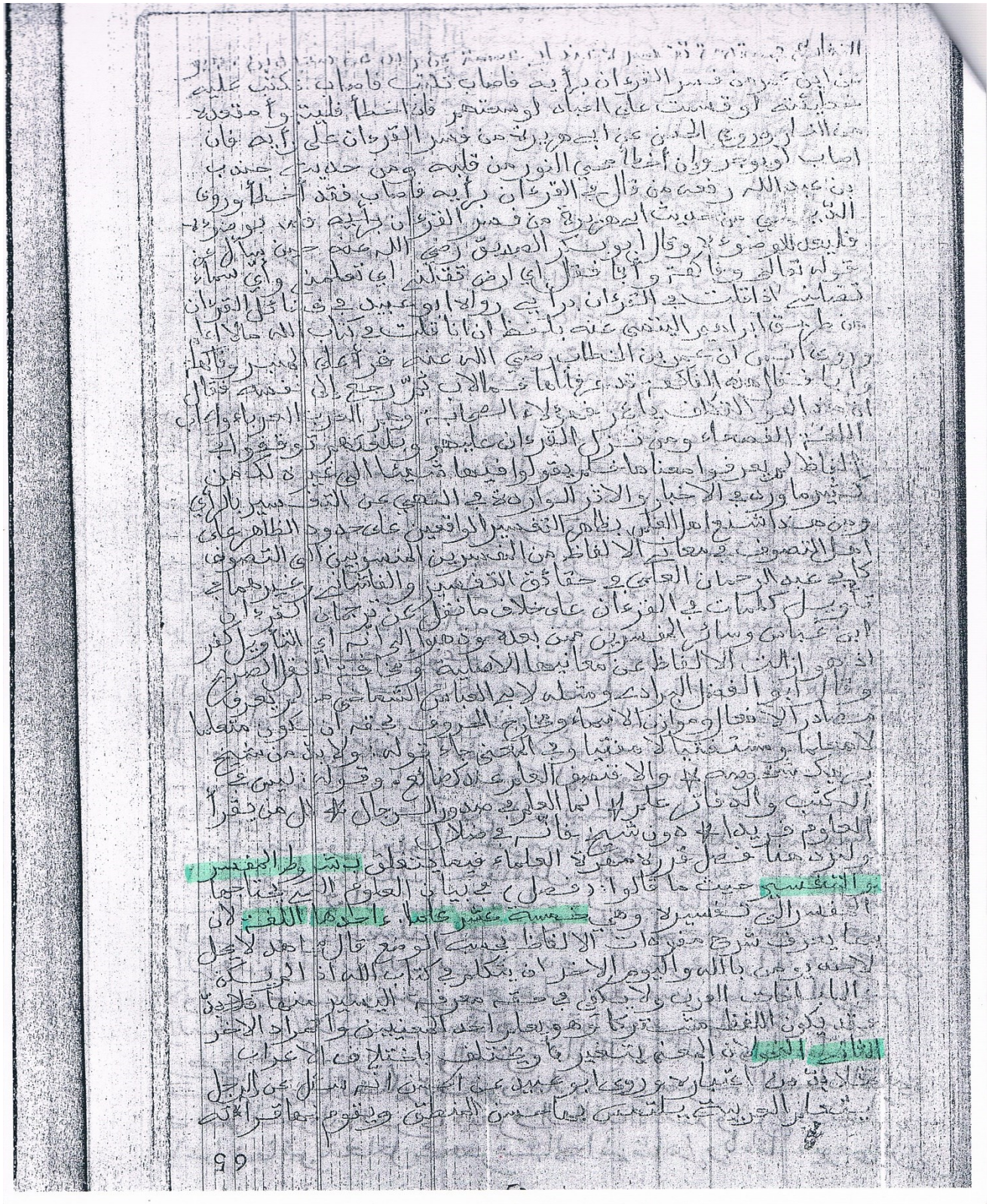

اللوحة 51 منه

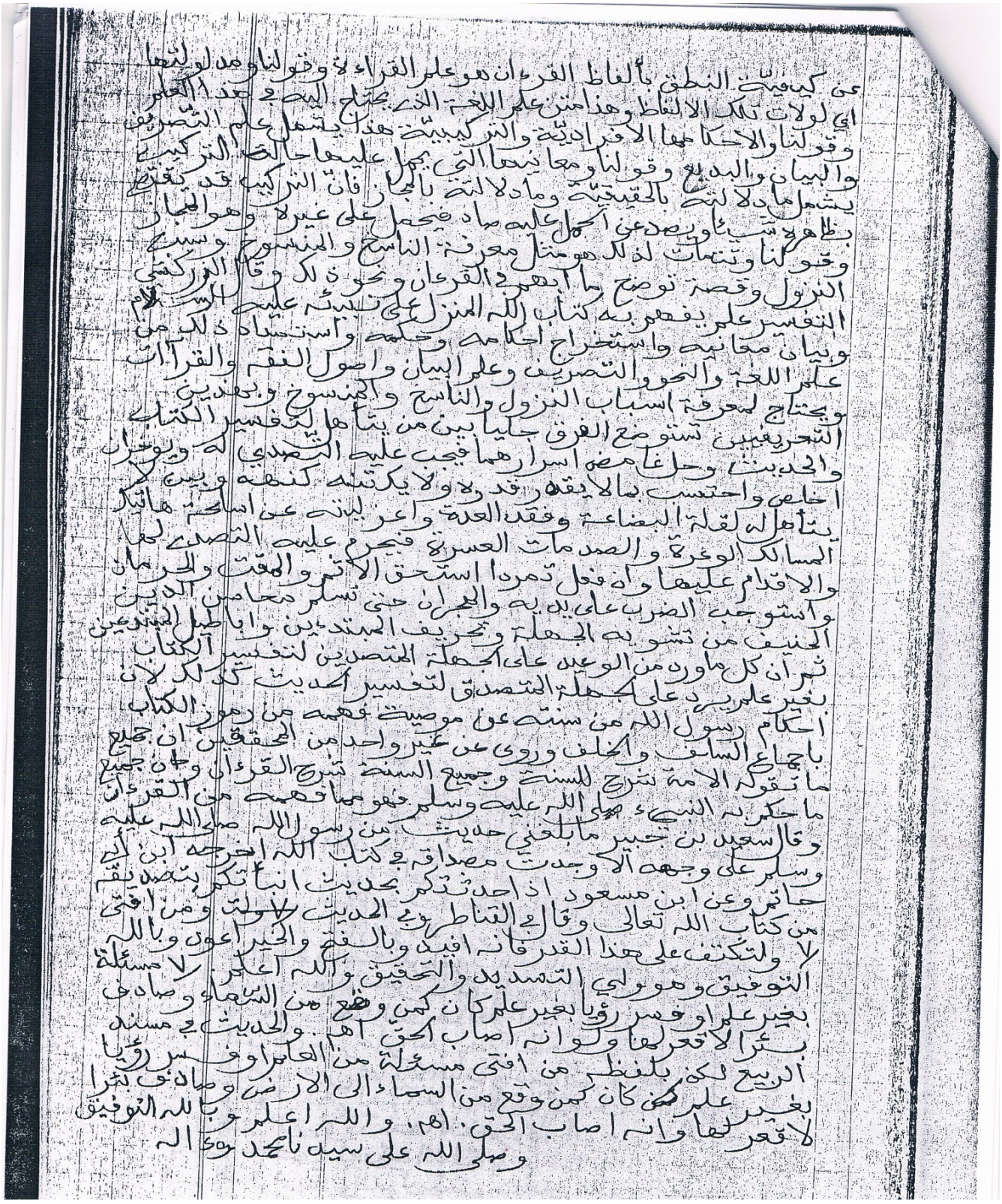

اللوحة الأخيرة

مخطوط

حاشية إبراهيم بين بيحمان على أنوار التنزيل للبيضاوي

لإبراهيم بن بيحمان(ت:1232هـ)

نسخة مكتبة الإستقامة بغرداية

غير مرقمة

اللوحة الأولى

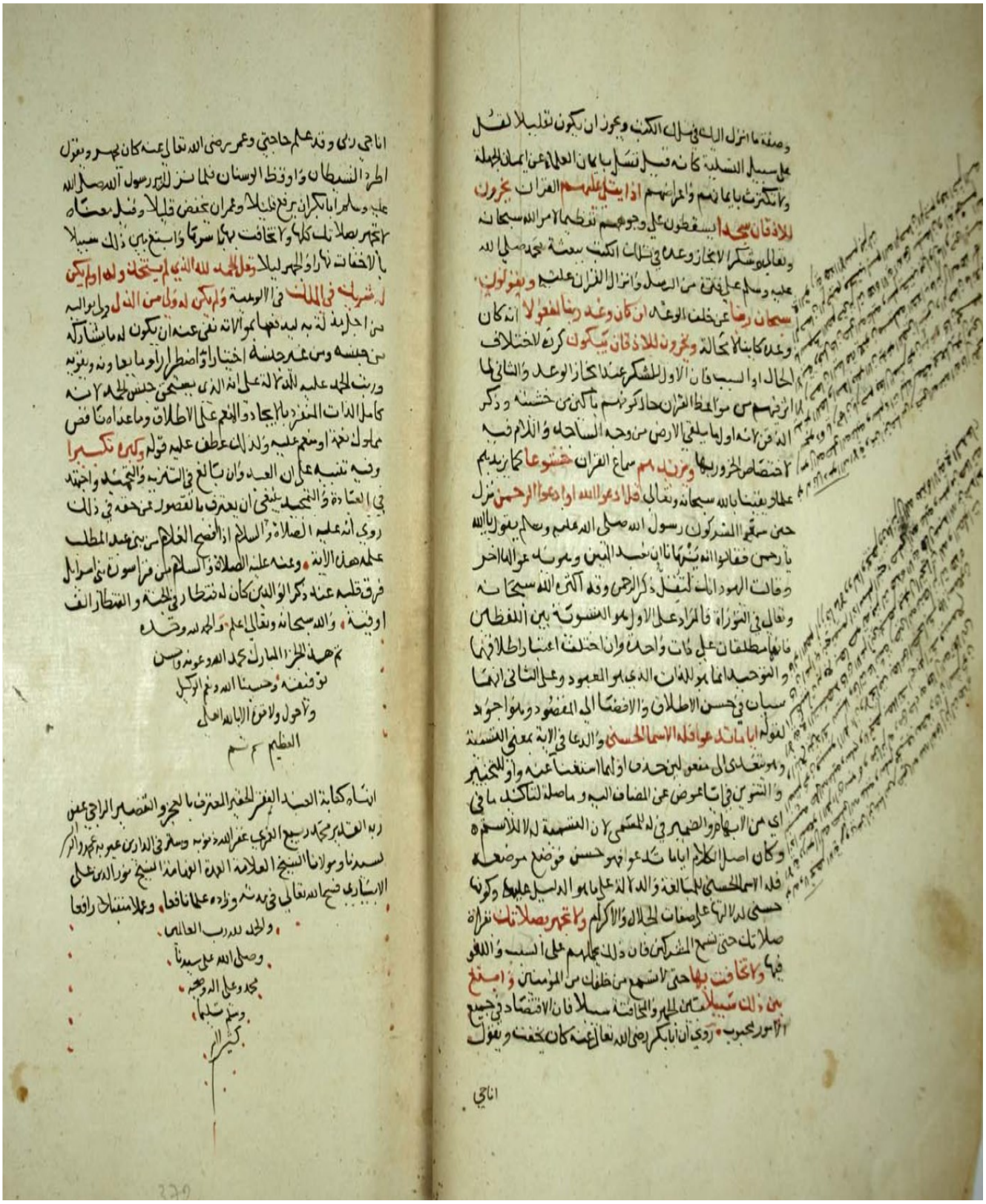

اللوحة الأخيرة

مخطوط

شرح البسملة

لإبراهيم بن بيحمان(ت:1232هـ)

نسخة مكتبة الحاج صالح العلي بغرداية

غير مرقمة

اللوحة الأولى

اللوحة ما قبل الأخيرة

مخطوط

تحفة الأحباب

لعلي بن محمد الميلي الجمالي(ت:1242هـ)

نسخة دار الكتب المصرية

رقم:36/1. تفسير.

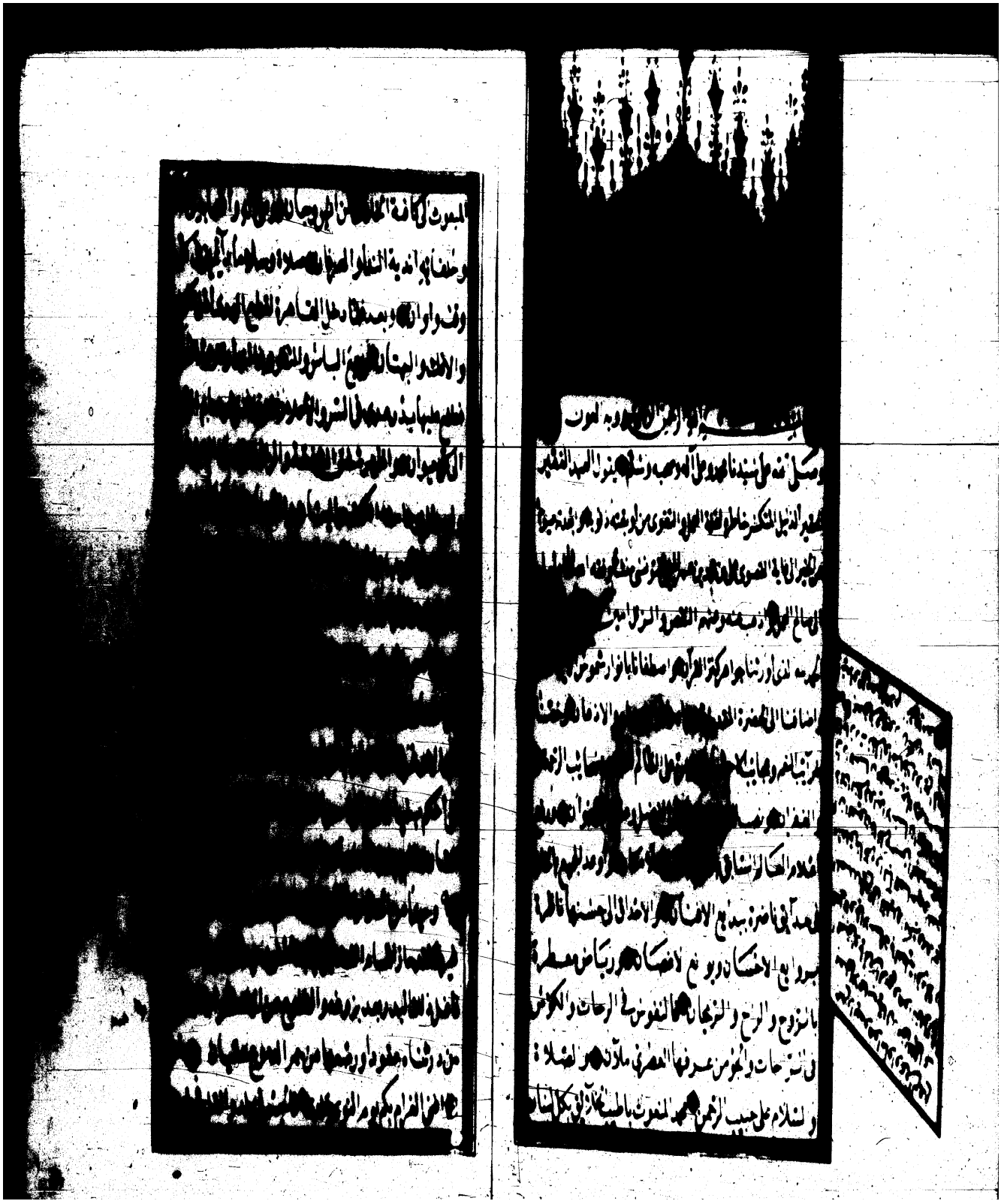

اللوحة الأولى

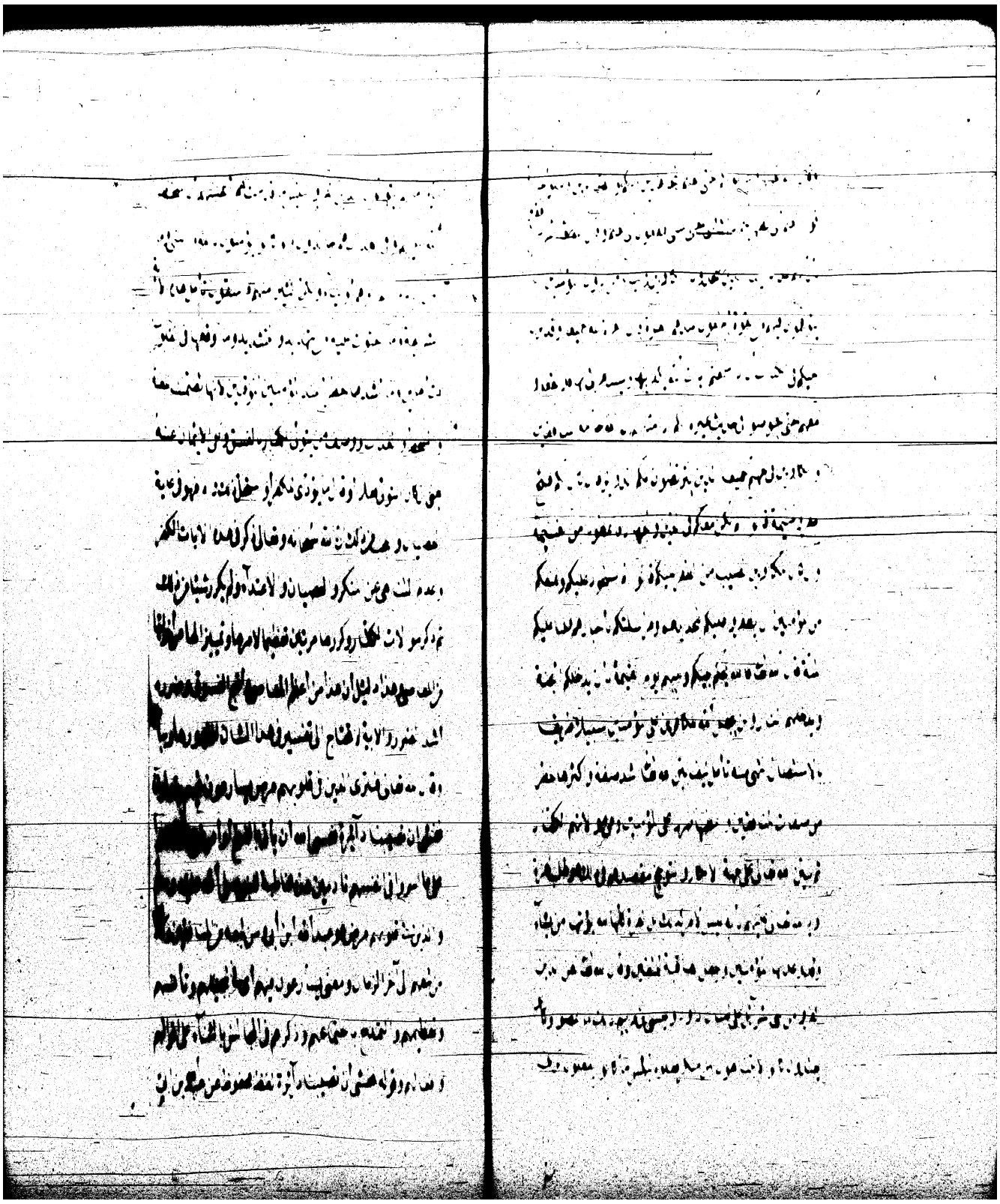

لوحة أخرى

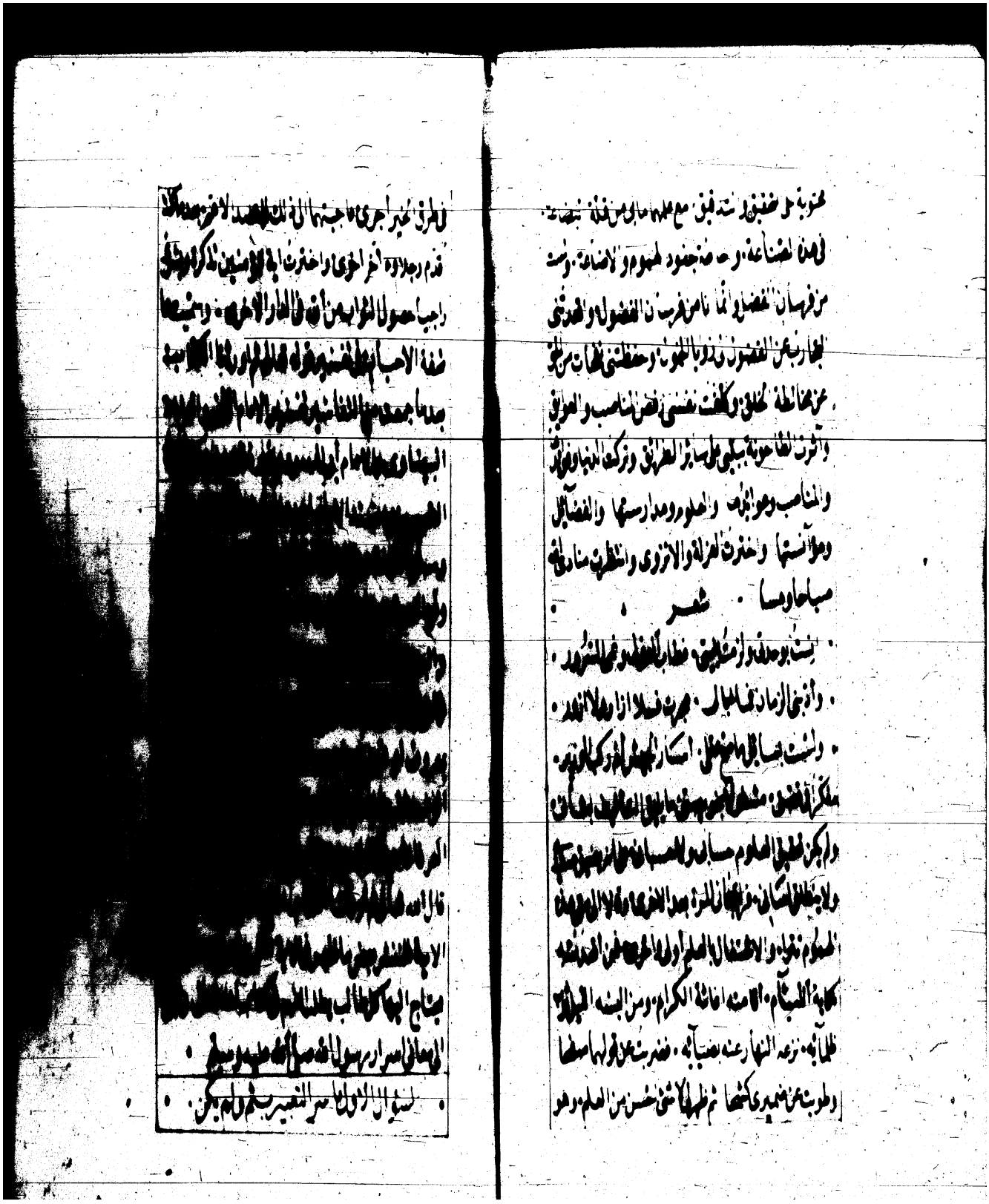

لوحة أخرى من نفس المخطوط تدليلا على سوء التصوير والبقع.

مخطوط

تفسير المباني

لمجهول

نسخة مصورة من مكتبة الدولة ببرلين ألمانيا

من الفاتحة على الحجر

رقم:1031. موقع المكتبة على الأنترنت.

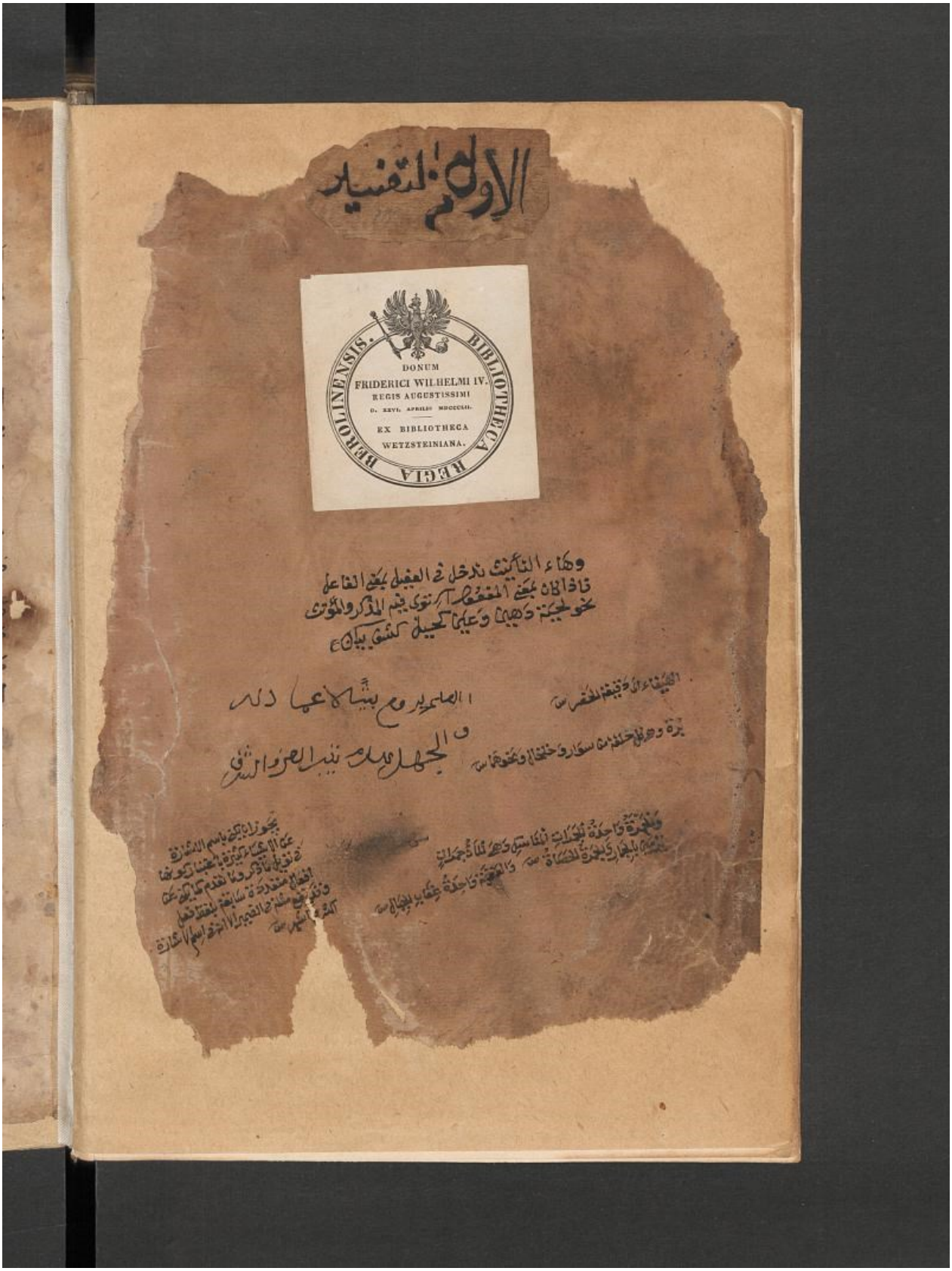

اللوحة الأولى

غرف الجنان وزوجهم بخيرات الحسان المضارعات للياقوت والمرجان ويضع من
أعرض عنه اشتغالا بالعصيان فيهوي بهم الى اسفل المعاصي والخسران وذلك
لانه كلام الملك الديان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه محفوظ
بالحجة والسلطان محروس عن معايد اهل العناد والطغيان تبارك الله ذو النعمة
والاحسان والفضل والامتنان خالق الجان والانسان وله الشكر الدائم والذكر
اللازم ما اختلف الملوان ومرج البحران وتقلب في حكمه الثقلان **اما بعد**
فان الله تعالى انعم على هذه الامة بالقرآن العزيز الجليل وجعله سبيلا اليه مقرونا
بالحجة والدليل اكرم به رسوله الامين وسماه صراطه المستقيم وفرع الدرب
بالبيان مثلثة او بتعض منه ان لم يقدر والى كله وسماه باسامي محمودة وضمنه
معاني غير معدودة وكان مما سماه به بعد وصفه باحسن الحديث المثاني كما
قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني فكما ان ظاهره حجة
على فصحاء العرب بنظمه بذلك باطنه حجة على العلماء البصر بحكمه وعلمه وكما ان
ظاهره مربوط بنظم لا يتطرق اليه بعيب كذلك باطنه مبسوط بحكم لا يبقى معه
عادة لريب وكما ان ظاهر نظمه لو وقع فيه خلل لكان للطاعنين فيه مقال كذلك
ان وقع في نظم الباطن اعني نظم معانيه زلل فان للمعرضين عنه مجال والله اشار بقوله
سبحانه لا يأتيه [illegible] من بين يديه ولا من خلفه اراد والله اعلم من جهة نظم
الباطل ولا من [illegible] ولكن هذا علم خاص يخص الله به من يشاء من عباده
الى معرفة طرف منه وسلمه الى مناول شرب به وعنه وهو الذي قال تعالى بل هو ايات
بينات في صدور الذين اوتوا العلم والعمري قد كنت شرعت في باب الظاهر كتب
العلماء في فنونه واوردت في كل واحد منها ما هو الدليل فيه من عزيزه وعيونه وكنت
اشرت في بعضها الى احتياج طالب هذا الباب الى كتاب استخرج فيه وريدته
استخراج ذلك بمصادره ومآتيه واجدته بعد ذلك ان اشرع في اخبار ما وعدت
والوفاء بما عهدت بعد فيل اخرج ما وعد بحاب اولفه في معانيه والجابه عن اشيائه

Ex
Bibliotheca Regia
Berolinensi.

لوحة ثانية

الفهارس والكشَّافات:

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثا: كشَّاف المخطوطات.

رابعا: فهرس الأعلام.

خامسا: كشَّاف الحواضر العلمية.

سادسا: فهرس المصادر والمراجع:

1: قائمة الكتب المطبوعة.

2: قائمة المخطوطات.

3: قائمة الرسائل الجامعية.

4: قائمة المقالات.

سابعا: فهرس المحتويات.

أولا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية.....الصفحة

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2]..... 208

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:3].....295

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة:5].....96

﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ صلج ﴾ [البقرة: 223].....165

﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ ﴾[البقرة: 253].....125

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: 255]..... 287

﴿ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾ [البقرة: 258].....127

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى ﴾ [البقرة:185] 208

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: 170].....207

﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ ﴾[البقرة:248].....227

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 22]..... 287

﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة:45].....298

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [البقرة:155].....298

﴿ الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[آل عمران: 1-2]..... 196

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: 9].....142

﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ ﴾ [آل عمران:13].....227

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ﴾ [آل عمران:37].....130

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ ﴾ [آل عمران: 91].....87

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران 102].....245

﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم ﴾ [آل عمران: 125]..... 164

﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾ [آل عمران: 171].....86

﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ ﴾ [آل عمران: 152].....162

﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ ﴾ [النساء:31].....295

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ﴾ [النساء:60].....209

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ﴾ [النساء: 61].....207

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: 69].....285

﴿ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [النساء:131].....245

﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾ [النساء:176].....189

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: 3].....208

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ ﴾ [المائدة : 4].....143

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾[المائدة:50]،.....209

﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة:63].....302

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ ﴾ [المائدة: 95].....78

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة : 104].....145

﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: 1].....207

﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام: 38].....208

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: 57].....209

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام: 82].....285

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنعام:118].....188

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ ﴾[الأعراف:1-2] 217

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف:3].....217

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ [الأعراف : 18].....145

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ ﴾[الأنفال: 10].....197

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾ [الأنفال: 23].....84

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم ﴾ [الأنفال: 38].....78

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾ [التوبة: 12].....207

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:28].....186

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ﴾ [التوبة:44].....295

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ ﴾ [التوبة:113].....294

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾ [التوبة:114].....187

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:128].....188

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ [يونس:15].....241

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:26] 294

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: 32].....208

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هود:01].....296

﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ [يوسف: 88].....116

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ ﴾ [الرعد:08].....241

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد: 10] 131

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد:41].....209

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: 43].....144

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ [إبراهيم: 47].....142

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: 34].....201

﴿ وَمَنْ عَصَانِي ﴾ [إبراهيم:36].....249

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ ﴾ [الحجرات: 11].....97

﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا ﴾ [الحجر:48].....181

﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾[الحجر: 79].....198

﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ﴾ [الحجر:85].....190

﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: 40].....128

﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: 89].....208

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ [النحل:110].....298

﴿ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: 9].....208

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: 79].....287

﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ ﴾ [الكهف: 65].....129

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ ﴾ [الكهف: 110].....217

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ ﴾ [مريم: 96].....286

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴾[طه:108].....228

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ ﴾ [الأنبياء:72].....249

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ ﴾ [الأنبياء:72].....353

﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾ [الحجر:48].....181

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [الحج: 78].....206

﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ﴾ [الحج:31].....210

﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [المؤمنون: 62].....208

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ [النور:55].....85

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ ﴾ [النور: 48].....207

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء:78].....249

﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ ﴾ [القصص: 20].....178

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: 13].....285

﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ [الأحزاب: 10].....195

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: 44].....128

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [الأحزاب:56].....233

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا ﴾ [سبأ: 28].....92

﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [فاطر:31].....270

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ [فاطر:32].....265

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ [فاطر: 45].....218

﴿ يسٓ ﴾ [يس:1-6].....216

﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: 3].....127

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[ص: 75].....204

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ [الزمر: 9].....126

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: 32].....208

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: 3].....173

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ ﴾ [غافر: 10] 173

﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر: 28].....177

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [غافر: 56].....172

﴿ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴾ [غافر: 72]. 174

﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ [فصلت: 9] 173

﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت: 10] 176

﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ ﴾ [فصلت: 42]. 208

﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ ﴾ [فصلت: 31].....163

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت:39]. 228

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: 10] 209

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11].....139

﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ ﴾ [الشورى: 21].....207

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[الشورى: 23]. 177

﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [الشورى:53].....86

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [الزخرف: 36] 90

﴿ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الزخرف: 37].....174

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الجاثية: 39].....208

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا ﴾ [الأحقاف:11].....260

﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 30] 208

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾ :[الفتح: 1] 98

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ ﴾ [الحجرات: 11] 97

﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾ [ق: 30].....174

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾ [ق: 38]. 128

﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾[الطور: 6].....174

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:3].....209

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم: 39].....177

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا ﴾ [الواقعة:25-30] 290

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ [الحديد: 11]. 176

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: 44-46] 70

﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: 22].....194

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق:1-3] 285

﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ [الغاشية: 11]. 194

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: 23]. 286

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]. 199

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: 02]. 234

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث ..... الصفحة

1: (إذا أحب الله عبدا نادى: يا جبريل...) 286

2: (إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن...).....294

3: (إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ...) 211

4: (استأذنت ربي في زيارة قبر أمي...) 187

5: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام...) 175

6: (إن من أشد الناس بلاء الأنبياء ...).....246

7: (أهل الجنة عشرون ومائة صف...) 175

8: (أهل الله حملة القرآن وخاصته) 267

9: (أي الذنب أعظم عند الله؟ قال:...) 286

10: (أيها الناس إني لست اخشى عليكم..).. 299

11: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) 157

12: (تعدل نصف القرآن).....293

13: (الحمد رأس الشكر، ما شكر لله عبدٌ لم يحمده...) 271

14: (خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحا....) 237

15: (الدعاء مخ العبادة). 175

16: (الدعاء هو العبادة). 175

17: (في الصبر على ما تكره خير كثير) 246

18: (كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه ببسم الله ...) 242

19: (لا يكون الرجل فقيها كل الفقه....) 227

20: (المقام المحمود هو الشفاعة....) 287

21: (من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر...).....293

22: (من صلى العشاء في جماعة ...).....293

23: (من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة) 268

24: (من قام بهما في ليلة كفتاه...) 293

25: (يا محمد اعرض علي أمرك، فعرض ....) 190

26: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله....) 284

27: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام...) 286

30: (يؤتى الرجل قوة مئة رجل في النساء) 291

ثالثا: كشاف المخطوطات

المخطوط.....**الصفحة**

أبحاث في التفسير 92

الإبريز والإكسير في علم التفسير.....251، 252، 256، 257، 258، 259، 289،306.

إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن.....158، 311.

إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر.....261، 262، 282.

الأحكام الجوازل في نبذ من النوازل.....248

أحكام القرآن للباغائي.....73

إرشاد الزمر لمعنى قوله تعالى:" لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر".....156، 306.

أشراط الساعة وخروج المهدي.....264

أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة سورة والعصر .....240، 242، 243، 244، 245، 246، 297، 307.

إعانة القدير في شرح النشر والتيسير.....251

إعراب القرآن الكريم.....123،
125، 126، 127، 288، 310.

إغاثة اللهفان في شرح مورد الضمآن.....251

اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة 90

الإقناع في كيفية السماع 80

ألفية التفسير.....192،
223، 276، 312.

ألفية الغريب.....223،
233.

ألفية الغريب في القرآن.....192،
224، 228، 229، 230.

أنيس الغريب والمسافر 29

الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات.....247

البدر المنير في علوم التفسير.....98،
304.

بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار.....334

بيان جملة التوحيد.....239

بيان في بعض التواريخ.....275

تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى:"ثم أورثنا الكتاب".....265،
266، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 300، 304، 308.

تحفة الأحباب ومنية الأنجاب في أسرار بسم الله وفاتحة الكتاب 79

تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن 94

تحفة الأريب بأشرف غريب..... 156،
310.

تحفة الألباب في عذر أولي الألباب.....183

التعريف بما للفقير من تواليف .....156،
158.

التعليق على آية التنزيه.....139،
140.

تفسير إبراهيم بن فايد الزواوي 92

تفسير آيات النور من سورة النور.....239،
307.

تفسير حسين ابن العنابي.....160،
305.

تفسير الخمسة الأولى .....262،
282، 307.

تفسير الرصاع 95

التفسير الصغير للمستغانمي.....222،
306.

تفسير سورة الإخلاص 90

تفسير سورة الأنعام 87

تفسير سورة ص 96

تفسير سورة الفتح للعقباني ....87،
88.

تفسير سورة الفتح لأبي يحي 88

تفسير سورة القدر.....233،
234، 235، 236، 237، 238، 292، 293، 304، 307.

تفسير سورة الكوثر.....96

تفسير عبد الرحمن بن رستم.....69،
70، 73.

تفسير عبد الوهاب بن رستم .....71،
72.

تفسير علي بن ناشر الوهراني .....79.

تفسير عمر المحجوب البهلول.....53،
214، 215، 216، 220، 306 .

تفسير الفاتحة 91

التفسير الكبير للمستغانمي.....222،
306.

تفسير المباني.....43،
44، 45.

تفسير مصطفى العنابي 163

تفسير المعوذتين..... 233،
238، 307.

تفسير يحي المنداسي 80

تفسير يوسف الورجلاني 76

التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات 77

التقييد الصغير 89

تقييد في التفسير 89

تقييدات على أوضح المسالك.....102

تقييدات على الحكم العطائية.....232

التكلم مع صاحب عمدة البيان.....251

تكميل البيان في ضبط الجواهر الحسان.....251

تلخيص عقائد الوهبية في نكتة توحيد خالق البرية.....239

تليين القاسي من نظم الإمام الفاسي.....155

تهاني الأماني.....170

توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد.....137

التيجان المكللة بدرر فصول التعوذ والبسملة.....159،
311.

التيسير في إسنادنا في كتب جمع من التفاسير.....158،
219،311.

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من معاني السنة والقرآن.....84

جليس الزائر وأنيس السائر.....327

الجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز والطراز.....251

الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب 95

جواب الشيخ أحمد البوني على تفسير بعض آيات التوحيد.....159،
306.

حاشية البليدي على أنوار التنزيل.....171،
172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 289، 291، 305.

حاشية على أصول الدين.....183

حاشية على أنوار التنزيل لابن بيحمان.....240،
241، 308.

حاشية على تفسير الجلالين.....184،
185، 186، 187، 188، 189، 190، 294، 305.

حاشية على تقريب الكلام في تخفيف حمزة وهشام.....180

حاشية على الزرقاني على المختصر.....167

حاشية على شرح الألفية للأشموني.....167

حاشية على شرح أم البراهين.....137

حاشية على شرح البسملة.....242
،311.

حاشية على شرح الجهالات.....183

حاشية على شرح السيد للمواقف.....203

حاشية على شرح المرادي.....102

حاشية على الفوائد الشنشورية.....232

حاشية على كنز المعاني في شرح حرز الأماني.....180

حاشية على مغني اللبيب.....232

حاشية يوسف بن عدون.....274، 275، 306.

الحسام السمهري لقطع جيد الكاذب المفتري.....264

خصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم 79

الدر النظيم في فضل آيات من القرآن العظيم.....159، 311.

ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول.....212، 214، 321.

الربح المؤبد في الصلاة على سيدنا محمد..... 233، 307.

الرحلة الحجازية.....239

رسالة في أصول النحو.....137

رسالة في المصافحة.....102

رسالة في المقولات العشر.....167

الروضة الشهية في الرحلة الحجازية.....155، 333.

رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن.....57،
101، 102.

زاد المسافرين وغاية الموردين في تفسير القرآن بسنة سيد المرسلين .....152،
153، 305.

سر الرحمن في جمع القرآن.....251

السعي المحمود في نظام الجنود.....25،
161، 162، 219.

السيف المنتضى فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى.....247

السيوف القواطع في شرح الدرر اللوامع.....251

السيوف المشرفية في الرد على القائلين بالجهة والجسمية.....264

شرح الأخضري.....223

شرح البائية.....275

شرح البسملة لابن بيحمان.....242،
311.

شرح التسهيل لابن مالك.....102

شرح رسالة الصبان في جملتي البسملة والحمدلة.....232،
307.

شرح على التلمسانية في الفرائض.....223

شرح قصيدة غرامي صحيح.....232

شرح المرشد المعين.....223

شرح موازين القسط.....239

شمس المعارف ولطائف العوارف.....79

الشمس والقمر والنجوم الدراري في إثبات القدر.....264

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار.....18، 19.

عمن يتصدى لتفسير كلام الله.....50، 51.

فتح الإغلاق على وجوه مسائل خليل بن إسحاق.....155

فتح الباري في شرح غريب البخاري.....155

فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل.....122، 348.

الفتح القدسي بتفسير آية الكرسي.....156، 306.

فتح المنان في ترتيب نزول القرآن 251

فرقان الفرقان وميزان القرآن 80

فصول في التفسير 80

فضل الكريم الوهاب في فضائل البسملة مع جملة من الأبواب 79

قصيدة البردة في مدح خير البرية.....239

القصيدة الحجازية.....275

قصيدة في العقائد والفقه.....275

قصيدة في مدح النبي.....203

كشف الران عن قلب قارئ قصيدة سور القرآن.....159، 311.

كنز الرواية المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع.....57

الكواكب الدرية والأنوار الشمسية في إثبات الصفات السنية القائمة بالذات الأزلية.....264

الكوكب الدري في الرد بالجدري.....248

الكوكب الوقاد في ذكر فضائل المشايخ وحقائق الأوراد 153

لامية في إعراب الجلالة.....137

لامية في العقائد.....167

اللوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار .....92، 93.

مباحث الإجتهاد.....203

متسعات الميدان في إثبات وجه الوزن وآيات الميزان.....203

محدد السنان في نحور إخوان الدخان 22

مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف.....96

مختصر الدر المصون في علم الكتاب المكنون.....167، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 200، 201، 222، 305.

مختصر كتاب الطهارات.....274

المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك.....248

مشيخة شهاب الدين العجمي.....122، 348.

معجزات الرسول.....274

المعدن المصون على سورة الكنز المدفون.....240، 307.

المقاصد النامية في شرح الدالية.....180

مقدمة في التفسير 91

منجنيق الصخور.....117

منظومة الغريم.....167

منظومة في التصوف.....167

نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب.....202،
333.

نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.....45،
46، 47، 48، 49، 51.

نظم الخصائص النبوية.....155

نظم غريب العزيزي في القرآن العظيم.....157،
311.

نظم في الاختلاف في البسملة.....158

نظم في التوسل بسور القرآن.....159،
311.

نظم في غريب القرآن لابن عباس .....159،
311.

النوازل.....167
، 223.

نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني.....247

نيل السعادات في علم المقولات.....170

الوجيز شرح لمختصر خليل.....223

ياقوتة النسب الوهاجة.....116،
117، 118.

رابعا: فهرس الأعلام[1]

العَلَم: ..... الصفحة:

عبد الرحمن بن رستم(171هـ) 69

عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(188هـ) 71

هود بن محكم الهواري(280هـ) 72

أحمد الباغائي أبو العباس(401هـ) 73

أحمد بن نصر الداودي(402هـ) 74

مروان بن علي الأسدي البوني (ت:439هـ). 75

يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت:570هـ). 76

حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت:580هـ). 77

يحيي بن أبي علي الزواوي، أبو زكريا (ت:611هـ). 78

علي بن عبد الله بن ناشر الوهراني، أبو بكر (ت:615هـ). 79

أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني (ت: 622هـ). 79

1: تم اعتماد تاريخ وفاة العَلَم الأقدم فالأقدم في الترتيب، ولم يرتب أبجديا تسهيلا على الباحث وترسيخا لتاريخ الوفاة.

محمد بن عبد الحق بن سليمان اليعفري الكومي، أبو عبد الله (ت:625هـ).....80
يحيي بن محمد بن موسى التجيبي المنداسي، أبو زكريا (ت:652هـ). 80
محمد بن الحسن القلعي، أبو عبد الله (ت:673هـ). 81
أبو إسحاق بن العرافة البجائي (ت:675هـ). 81
أحمد بن أحمد الغبريني أبو العباس (ت: 704هـ). 81
منصور بن عبد الحق المشدالي البجائي، أبو علي (ت:731هـ). 82
عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، ابن الإمام (ت:741هـ). 83
محمد بن محمد المقري التلمساني، أبو عبد الله (ت:759هـ).....84
أحمد بن العباس النقاوسي، أبو العباس (ت:763هـ). 85
منصور بن علي الزواوي، أبو عبد الله (ت: نحو 776هـ). 85
محمد بن أحمد الإِدْرِيسي الحسني، الشَّرِيف التِّلِمْسَاني (ت:771هـ).....86
عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، أبو زيد (ت:786هـ).....86
عبد الله بن محمد الإدريسي الحسني التلمساني، أبو محمد (ت:792هـ).....87
سعيد بن محمد التجيبي التلمساني العقباني (ت:811هـ).....87
عبد الرحمن بن محمد يحي الحسني التلمساني، أبو يحيي (ت:826هـ).....88
أحمد بن محمد بن أحمد المسيلي، أبو العباس (ت:830هـ). 89

محمد بن أحمد ، أبو عبد الله العجيسي الحفيد (ت:842هـ). 90

أحمد بن محمد ابن زاغو المغرواي التلمساني (ت:845هـ). 91

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن الإمام، أبو الفضل (ت:845هـ).....92

إبراهيم بن فايد الزواوي النجار، أبو إسحاق القسنطيني (ت:857هـ).....92

عيسى بن سلامة البسكري (ت:860هـ). 92

محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي، أبو الفضل (865هـ). 93

أحمد بن محمد بن حسن بن علي الشُمُنّي القسنطيني (ت:872هـ).....93

عبد الرحمن الثعالبي أبو زيد (ت: 875هـ). 94

إبراهيم بن محمد ، الزواوي البجائي، المصعصع (ت:882هـ). 95

محمد بن قاسم الأنصاري، الرصاع، أبو عبد الله (ت:894هـ). 95

أحمد بن عبد الرحمن أبي يحيي التلمساني، أبو العباس (ت: 895هـ).....96

محمد بن يوسف بن عمر السنوسي ، أبو عبد الله (ت:895هـ).....96

محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله التنسي (ت:899هـ).....97

أحمد بن محمد ابن زكري، أبو العباس (ت:899هـ). 97

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله (ت:909هـ).....98

محمد بن أبي العيش الخزرجي التلمساني، أبو عبد الله (ت:911هـ) 98

قاسم بن يحي بن محمد، الفكون(ت:965هـ).....102

علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري التلمساني(ت:972هـ).....105

محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني(ت:981هـ).....107

عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي القراري(ت:994هـ).....110

محمد أحمد بن الوقاد، أبو عبد الله (ت:1001هـ). 113

محمد بن علي أبهلول المجاجي (ت:1008هـ). 116

أحمد بن محمد المقري شهاب الدين، أبو العباس (ت:1041هـ). 119

أحمد الجزيري، أبو العباس (ت قبل:1073هـ). 132

أبو عبد الله محمد بن خليفة (ت:1094هـ). 133

يحي بن محمد الشاوي، أبو زكريا (ت:1096هـ). 135

علي بن أحمد بن محمد بن الفيرم بن البكاي، الرقادي (ت:1120هـ) 151

أحمد قاسم بن ساسي التميمي البوني (ت:1139هـ) 154

حسين بن محمد ابن العنابي (ت:1150هـ) 160

عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري التواتي، أبو زيد (ت:1160هـ) 166

محمد بن محمد الحسني البَليدي (ت:1176هـ).....168

عبد الرحمن بن إدريس المِنْجري التلمساني، أبو زيد (ت:1179هـ) 179

يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي أبو يعقوب (ت: 1187هـ).....182

عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني، أبو زيد (ت:1189هـ).....191

عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني (ت:1194هـ) 202

ابن لَلُّو التلمساني (ت: أواخر ق 12هـ). 212

عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي، البهلول (ت: ق12هـ).....214

عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد (ت: أوائل ق 13هـ) 221

محمد بن أمحمد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي، أبو عبد الله (ت:1212هـ) 222

محمد بن محمد السَّنْباوي المازوني الأزهري، الأمِير (ت: 1232هـ) 230

إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد، الثميني اليسجني (ت:1232هـ).....238

محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت:1238هـ).....247

محمد الزجاي (كان حيا سنة:1238هـ).....261

علي بن محمد الميلي الجَمَّالي التونسي، (ت:1248هـ).....263

يوسف أوالحاج حمُّو بن عدُّون (1252هـ/1836م).....273

خامسا: كشاف الحواضر العلمية

الحاضرة.....الصفحة

حاضرة بجاية .....03،
12، 17، 18، 26، 33، 75،77، 78، 82،83،81، 85، 86، 87، 92، 93، 95،
100، 129، 315.

حاضرة بونة .....27،
75،79،93، 154، 156، 155،219، 315، 329، 330، 427.

حاضرة توات .....03.
97،98، 110، 111، 151، 152، 166، 167، 168، 191، 192، 219، 222،
223 ،304، 328، 329، 417، 424.

حاضرة تلمسان.....03،
11، 17، 18، 20، 22، 26، 33، 54، 55، 56، 74، 80، 83، 84، 85، 86، 87،
88، 90، 91، 93، 95، 96، 97، 98، 100، 101، 105، 106، 107، 108، 109،
110، 113، 114، 118، 119، 121، 123، 125، 127، 131، 147، 151، 152،
179، 191، 202، 212، 213، 214، 219، 223، 250، 261، 315، 318، 319،
320، 321، 321، 322، 326، 329،327، 335، 336، 337، 338، 344، 346،
352.

حاضرة الجزائر.....16،
20، 33، 55، 57، 58، 61، 62، 71، 81، 83، 89، 94، 96، 98، 101، 104،

116، 133، 134، 135، 147، 150، 154، 160، 170، 202، 203، 212، 222،
248 ،304، 310، 315، 321، 325، 326، 327، 332، 333، 334، 337، 342.

حاضرة دمشق.....79،
82، 84، 93، 120، 123، 127، 129، 137، 138، 159، 169، 181، 215،
216، 230، 316.

حاضرة الزيتونة .....20،
24، 50، 63، 67، 90، 92، 95، 103، 111، 137، 170، 183، 205، 281،
316، 333، 340، 350، 355.

حاضرة فاس.....20،
21، 26، 54، 55، 57، 58، 86، 89، 90، 100، 101، 106، 107، 109، 111،
114، 116، 120، 121، 127، 128، 133، 134، 136، 150، 151، 152، 166،
179، 180، 182، 191، 202، 219، 222، 230، 247، 250، 326، 327، 333،
335، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348،
349، 352، 353، 355.

حاضرة القاهرة.....03،
04، 25، 73، 79، 90، 91، 93، 103، 106، 121، 122، 127، 129، 131،
136، 137، 138، 155، 166، 170، 171، 172، 193، 232، 264، 265، 273،
305، 307، 308، 347، 348، 350، 351.

حاضرة قسنطينة.....03
،17 ،33، 34، 93، 94، 101، 102، 103، 104، 111، 147، 202، 203، 210،
219، 263، 322، 223، 324، 325، 337.

حاضرة القيروان.....59،
60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 125، 322، 340، 355.

حاضرة القرويين.....20،
21، 24، 63، 108، 121، 179، 180، 181، 315، 316، 333، 338، 340،
341، 355.

حاضرة مازونة.....27،
33، 315.

حاضرة مجاجة.....116،
136، 147، 330، 336، 342.

حاضرة المدينة المنورة.....55،
57، 84، 95، 131، 132، 185، 201، 299، 333، 352.

حاضرة مراكش.....21،
58، 87، 90، 101، 108، 114، 117، 119، 120، 129، 322، 326، 338،
343، 344، 345، 346، 348، 352، 355.

حاضرة مكة المكرمة.....80، 84، 95، 169، 183، 185، 201، 202، 232، 247، 307، 333، 341، 351، 352، 354.

سادسا: فهرس المصادر والمراجع:

1- قائمة الكتب المطبوعة:

حرف الألف

1. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة، ط:03، ت:2013م.
2. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر الجزائر، ط خ، ت: 2007م.
3. الإبهاج في شرح المنهاج، علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:1995م.
4. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، محمد إبراهيم الشريف، دار السلام، القاهرة، ط:01، ت: 2008م.
5. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:01، ت: 1974م.
6. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1424هـ.
7. إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش، الغوثي بن حمدان، دار البصائر، الجزائر، دط، ت:2011م.
8. إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فُلَّان في جنوب الجزائر، محمد عبد القادر، باي بلعالم. دط، ت: 1433هـ.
9. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، دط، ت:1939م.
10. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 01، ت: 1992م.

11. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1415هـ.
12. اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات المتحدة، ط:01، ت:2000.
13. أطلس تاريخ الجزائر، عادل أنور خضر، دار الشرق العربي، بيروت، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط:02، ت:2015م.
14. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية، الرباط، ط: 02، ت:1993م.
15. أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، محمد بسكر، دار كردادة، الجزائر، ط خ، ت:2013م.
16. أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت:2009م.
17. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، ت: 2002م.
18. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق: عبد الله الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، ت: 1424هـ-2004م.
19. الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي ابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث، مصر، دط، دت.
20. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، :1981.
21. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، أبو نصر علي بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1411هـ-1990م.
22. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، دط، ت: 1410هـ/1990م.
23. الأنس في شرح عيوب النفس، محمد علي الخروبي، تحقيق: محمد الطيب إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت:2011م.
24. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:01، ت: 1418هـ.

25. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، دت.
26. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، ت: 1947م.

حرف الباء

27. باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ت:2011م.
28. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط: 01، ت:1957.
29. البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:2014م.
30. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط:01، ت:1964م.
31. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط:03، ت: 1983.
32. بين الشيعة والسنة دراسة مقارنة في التفسير وأصوله، علي السالوس، دار الاعتصام، القاهرة، دط، دت.

حرف التاء

33. تاريخ إفريقية والمغرب، الرقيق القيرواني، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الفرجاني، تونس، ط:1،ت: 1994م.
34. تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي، أوجين فايست، ترجمة: صالح نور، دار قرطبة، الجزائر، ط:01، ت:2010م.

35. تاريخ بلد قسنطينة، أحمد بن المبارك بن العطار، تحقيق: عبد الله حمادي، دار الفائز، الجزائر، ط:01، ت: 2011م.
36. تاريخ بني ميزاب، يوسف بن بكير الحاج سعيد، المطبعة العربية، الجزائر، ط:3، ت: 2014م.
37. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م.
38. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دط، ت: 1986م.
39. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، ت:1998م.
40. تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، عبد الحي الكتاني، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط:2، ت: 2005م.
41. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، ت:1984م.
42. التحفة المرضية في الدولة البكداشية، محمد بن ميمون الجزائري، تحقيق: محمد عبد الكريم، ش و ن، ط: 01، ت: 1972م.
43. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت:1985م.
44. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى، تحقيق: ابن تاويت الطنجيو، عبد القادر الصحراوي، د:ط، ت: 1966 – 1970 م.
45. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط:1، ت:1416هـ.
46. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:07، ت:2000م.
47. التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى، سعاد أشقر، دار السلام، القاهرة، ط:01، ت:2010م.
48. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، القاهرة، ط:01، ت: 1999م.
49. تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين، تحقيق: حسين بن عكاشة، محمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط: 01، ت: 2002م.

50. تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، تحقيق: بالحاج شريفي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت:1990م.
51. تقييدات ابن المفتي، ابن المفتي حسين بن رجب، تحقيق: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، ط:1، ت:2009م.
52. التشوف إلى رجال التصوف، يوسف ابن الزيات، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، دط، ت: 1984م/ 1404هـ.
53. تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01، ت: 2012م.
54. التعليم بتلمسان في العهد الزياني، عبد الجليل قرمان، دار جسور، الجزائر، ط:1، ت:2011م.
55. تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، أبو الحسن القلصادي، تحقيق: محمد أبو الجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دط، ت:1978م.
56. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: 01، ت: 1326هـ.
57. التيسير في قواعد علم التفسير، محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط:01، ت: 1998م.

حرف الثاء

58. الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، أحمد بن محمد الشريف المعروف بابن سحنون، تحقيق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت: 2011هـ.

حرف الجيم

59. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط:01، ت: 2000م.
60. جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، بيروت، دط، ت:1980م.

61. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:02، ت: 1964م.
62. الجزائر خلال الحكم التركي، صالح عباد، دار الألمعية، الجزائر، ط:01، ت:2013م.
63. الجزائر في عهد الآغوات، أمين محرز، دار البصائر، الجزائر، دط، ت:2011م.
64. الجزائر منطلقات وآفاق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 2000م.
65. جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، إبراهيم التهامي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط:01، ت:2012م.

حرف الحاء

66. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة، مصر، دط، ت:1974م.

حرف الخاء

67. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي، دار صادر، بيروت، دط، دت.
68. الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، محمود إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، المغرب، ط:02، ت:1406هـ.

حرف الدال

69. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط:1، ت: 1406هـ.
70. درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس أحمد ابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، دط، دت.
71. الدرر المكنونة في نوازل مازونة، يحي بن موسى المازوني، تحقيق: قندوز ماحي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ط:01، ت:2012م.

72. دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ط:02، ت: 1977م.
73. الدولة الرستمية، إبراهيم بحاز، نشر جمعية التراث، الجزائر، دط، ت: 1988م.
74. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دط: دت.
75. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2، ت:1988م.

حرف الراء

76. رائد التجديد الإسلامي ابن العنابي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02، ت:1990م.
77. الرحلة العياشية، عبد الله بن محمد العياشي، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات المتحدة، ط:01، ت:2006.
78. روض الآس العاطر الأنفاس بذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، المغرب، ط:02، ت:1983م.
79. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، أبو بكر عبد الله بن أبي بكر المالكي، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:01، ت:1951م.

حرف السين

80. السعي المحمود في نظام الجنود، ابن العنابي، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ت: 1983م.
81. سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، التهامي غيتاوي، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، ط:01، ت:2001م.

82. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، أبو الفضل محمد خليل الحسيني، دار ابن حزم، بيرت، ط:03، ت: 1408هـ.
83. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، دط، دت.
84. السير، أبو العباس أحمد الشماخي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، ت:1301هـ.
85. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: 03، ت: 1985م.

حرف الشين

86. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:01، ت:2003م.
87. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق /بيروت، ط: 01، ت: 1986م.

حرف الصاد

88. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت:1955م.
89. صناعة الفتوى وفقه الأقليات، عبد الله بن الشيخ بن بيه، دار المنهاج، السعودية، ط:01، ت:2007م.

حرف الضاد

90. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، دط، دت.
91. ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، محمد باي بلعالم، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، دط، دت.

حرف الطاء

92. طبقات علماء إفريقية، محمد بن تميم الإفريقي أبو العرب، تعليق: محمد ابن أبي شنب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، ت:1927م.
93. طبقات الحُضيكي، محمد الحضيكي، تحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:01، ت: 2006م.
94. طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1983م.
95. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:01، ت: 1396هـ.
96. الطبيب الرحالة ابن حمادوش، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م.

حرف العين

97. عبقرية التأليف العربي علاقات النصوص والتداخل العلمي، كمال نبهان، مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية، مصر، دط، ت:2007م.
98. علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، دار السلام، القاهرة، ط:01، ت:2010م.
99. العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، ت1990م.
100. عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أبو العباس الغِبْرِيني، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:02،ت: 1979م.

حرف الغين

101. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري، تحقيق: ج. برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، ط:01، ت:1351هـ.
102. الغصن الداني من ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، محمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط، دت.

حرف الفاء

103. فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، محمد أبو راس الناصري، تحقيق: محمد عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ت:1990م.
104. فتح المتعال في مدح النعال، أحمد المقري، تحقيق: علي عبد الوهاب، عبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، ط:1، ت: 1997م.
105. فتوح إفريقية، محمد الواقدي، د تحقيق، مطبعة المنار، تونس، ط:01، ت:1966م.
106. فتوح مصر والمغرب، أبو القاسم المصري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، ت: 1415هـ.
107. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ألفريد بل، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ت:1981م.
108. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، دار المعارف، الرباط، دط، ت:1340هـ.
109. فهرس أحمد بن منجور، أحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، دط، ت:1976م.
110. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:2، ت: 1982م.
111. فهرس مخطوطات مكتبة الباروني بجربة، سعيد بن يوسف الباروني، تونس، دط، ت: 1998م.
112. فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، صلاح محمد الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، ت: 1983م.
113. فهرسة ابن خير الإشبيلي، ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:1419هـ.
114. فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، بشير ضيف بن أبي بكر، دار ثالة، الجزائر، ط:02، ت:2007.
115. الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، أبو زيد عبد الرحمن التمنارتي، تحقيق: اليزيد الراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:02، ت:2007م.

حرف القاف

116. قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عبد الكريم غلاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 2005م/1426هـ.
117. قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي، مسعود الركيتي، دار أبي رقراق، الرباط، ط:01، ت:2012م.

حرف الكاف

118. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 03، ت: 1407هـ.
119. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، ت: 1941م.
120. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب الكفوي أبو البقاء، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، ت:1998م.
121. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، ت:1997م.

حرف اللام

122. لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المشهورة برحلة ابن حمادوش الجزائري، عبد الرزاق بن حمادوش، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، ت:1983م.

حرف الميم

123. مباحث في علم الكلام والفلسفة، علي الشابي، دار أبو سلامة، تونس، دط، ت:1977.
124. مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، العربي الدرقاوي الحسني، تحقيق، بسام محمد بارود، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات المتحدة، ط:1، ت:1999م.

125. محاضرات ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، ط:01، ت:1995م.
126. المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري، أبو زكريا يحي الشاوي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب المصرية، بيروت، ط:1، ت:2009م.
127. المختصر في تاريخ الجزائر، صالح فركوس، دار العلوم، الجزائر، دط، ت: 2002م.
128. مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والفلاح، عيسى بن محمد الراسي البطوئي، تحقيق: حسن الفكيكي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:1، ت: 2000م.
129. المسالك والممالك، عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، دار صادر أفست ليدن، بيروت، دط، ت: 1889 م.
130. المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، لابن مرزوق الخطيب التلمساني، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ت:1981م.
131. مشكاة المصابيح، محمد بن الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 03، ت:1985م.
132. مشيخة أبي المواهب الحنبلي، أبو المواهب الحنبلي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، سوريا، ط:1، ت: 1990م.
133. مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، ت: 1999م .
134. مع المغيلي ابن عبد الكريم، عبد الرحمن حمادو، مؤسسة البلاغ، الجزائر، ط خ، ت: 2013م.
135. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أبو زيد الدباغ " مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:02، ت: 1968م.
136. معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، دار الأندلس الجديدة، مصر، ط: 01، ت:2008 م.
137. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط: 01، ت: 1426هـ.

138. معجم أعلام الإباضية، محمد بن موسى باباعمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، ت: 1421هـ / 2000م.
139. معجم أعلام بسكرة، عبد الحليم صيد، دار الهدى، الجزائر، دط، ت:2012م.
140. معجم أعلام الجزائر من صَدر الإسلام حتى العصر الحَاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02، ت:1980م.
141. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط: 02، ت: 1995م.
142. معجم الصفوة، عبد القادر السائحي، تين وزيتون، الجزائر، دط، ت:2012م.
143. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط: 03، ت: 1409هـ/1988م.
144. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحي الونشريسي، تحقيق: جماعة بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، ت: 1981م.
145. المغرب في حلى المغرب، على بن موسى الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: 03، ت: 1955م.
146. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:03، ت: 1420هـ.
147. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زاده، تحقيق: اللجنة العلمية للدار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، ت:1985م.
148. المفسرون الجزائريون عبر القرون، محمد المختار إسكندر، مطبعة دحلب، الجزائر، دط، دت.
149. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:02، ت: 1427هـ.
150. مقدمة في أصول التفسير، أحمد عبد الحليم ابن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط:1، ت:1980م.
151. مقدمة نص جديد عن فتح العرب للمغرب، عبيد الله بن صالح، ليفي بروفنسال، نشره في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، ط:2، ت:.1954م.

152. منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت:1987م.
153. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:01، ت: 1418 هـ.
154. الموجز في تاريخ الجزائر، يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ط خ، ت:2009م.
155. موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، دار زمورة، الجزائر، ط خ، ت: 2011م.
156. الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، ط:01 ت:2001م.

حرف النون

157. الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة البغدادي المقري، تحقيق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:01، ت: 1404هـ.
158. النحو وكتب التفسير، إبراهيم رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط:3، ت: 1990م.
159. نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، الحسين بن محمد الورثيلاني، تحقيق: محمد ابن أبي شنب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: ط:01، ت:2008م.
160. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط:01، ت: 1404هـ .
161. نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، ابن زاكور الفاسي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خ، ت:2011م.
162. نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري، تحقيق : محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، دط، ت:1977م.
163. نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، محمد بن عبد الله التنسي، تحقيق الجزء الأول: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ت:1985م.

164. نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، سليمان بن بلقاسم الصيد، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر، ط:1، ت: 1994م.
165. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط:7، ت: 1997م.
166. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد أمين المحبي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:01، ت:1971م.
167. النفحة المسكية في السفارة التركية، علي بن محمد أبو الحسن التمكروتي، تحقيق : محمد الصالحي، المؤسسة العرية للدراسات والنشر، المغرب، ط: 01، دت.
168. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط:1، ت:1989م.

حرف الهاء

169. هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، دَار إحْيَاء التراث الْعَرَبِيّ، بيروت، دط، ت:1951م.

حرف الواو

170. ورقات جزائرية، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 01، ت: 2000م.
171. الوفيات، معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، أحمد بن حسن، ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:01، ت: 1403 هـ/1983م.

2- المخطوطات:

- الإبريز والإكسير في علم التفسير، أبو راس الناصري، نسخة مهداة.
- أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر، إبراهيم بن بيحمان، نسخة غرداية مكتبة الاستقامة.
- بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، محمد بن علي القلعي الصباغ، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم المخطوط:1707.
- تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، نسخة دار الكتب المصرية، رقم.36/1.
- التعليق على آية التنزيه، لأبي زكريا يحي الشاوي، نسخة زاوية طولقة ولاية بسكرة. غير مرقمة.
- تفسير سورة القدر، محمد السنباوي، نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم الحفظ: 40/1.
- تفسير المباني، لمجهول، قطعة في مكتبة الدولة ببرلين، تبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الحجر برقم 1031، على موقع المكتبة في الأنترنت.
- تفسير مصطفى ابن العنابي، لمصطفى ابن العنابي، نسخة مهداة.
- ثبت الإمام السنباوي المازوني، نسخة الأزهرية، رقم حفظ: 61498، مصطلح.
- حاشية البليدي على أنوار التنزيل للبيضاوي، نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم حفظ45/1 (58).
- حاشية إبراهيم بن بيحمان على أنوار التنزيل للبيضاوي، مكتبة الاستقامة، غرداية غير مرقمة.
- حاشية المصعبي على الجلالين، نسخة البارونية اللوحة الأولى من المخطوط. نسخة برقم: 13، وأخرى برقم: 94.
- السعي المحمود في نظام الجنود، محمد بن العنابي، مكتبة الإسكندرية، نسخة رقم: 4562ج.
- شرح البسملة، لإبراهيم بن بيحمان، نسخة بمكتبة الحاج صالح لعلي، ذكر أنها بخط المؤلف ولم يذكر رقمها.
- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، أبو راس الناصري، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم: 1632.
- عمن يتصدى لتفسير كلام الله، الشيخ إبراهيم حفار، ضمن مجموع لفتاوى الشيخ، من الصفحة:50 إلى 56. نسخة مكتبة الحاج أسعيد محمد بن أيوب، غرداية، دون ترقيم.

- المحاكمات لأبي زكريا يحي الشاوي، نسخة المكتبة الأزهرية، رقم حفظ:340/244.
- مختصر الدر المصون، عبد الرحمن التنلاني، خزانة الشيخ باي بلعالم بآولف، نسخة مهداة.
- نزهة الجنان في أوصاف مفسِّر القرآن، محمد السنوسي، نسخة الشيخ بوخبزة التطواني. على الإنترنت.
- نظم غريب القرآن، لمحمد الأنصاري لزجلاوي، خزانة الشيخ محمد بلكبير، أدرار، نسخة مهداة.

3- الرسائل الجامعية:

- إعراب القرآن، شهاب الدين أحمد المقري، تحقيق: أحمد فراجي، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2005 /2006م.
- رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن، سورة الصافات إلى آخر غافر، نور محمد علي المكاوي، ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر الشريف، سنة: 2002.

4- المقالات:

- أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني، صادق قادة، مجلة إنسانيات، العدد:03، سنة:1997م.
- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني، محمد مكحلي، مقال نشره الدكتور بموقع: www.icozium.com المهتم بالتاريخ الجزائري.
- تأسيس الزاوية الرقادية الكنيتية ومن أسسها، محمد بن مصطفى بن عمر الرقادي الكنتي، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية:
http://www.hadaik.com/vb/showthread.php?p=94702
- حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، العيد مسعود، مجلة سيرتا، الجزائر، العدد:03.
- الحياة الصحية بعنابة أثناء العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، مقال بمجلة "الأصالة" العدد: 35/34، سنة: 1976م.

- الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، عبد الحميد حاجيات، مجلة الأصالة، عدد خاص، جويلية/ أوت، 1975م.
- كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، عبد القادر شرشار، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد: 98، ت: ماي 2015م.
- المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي، مجلة: الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 06، سنة: 2009م، من 130-153.
- المشرق في أدب الرحلة بين حربي 1914و1939م، جان جبور، مجلة الفكر العربي، العدد:32، ت: 1983.
- نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط، الطاهر بونابي، مجلة:حوليات التراث، العدد:02، سنة: 2004م.

سابعا: فهرس المحتويات:

مقدمة..... 01

مدخل حول الحركة العلمية الثقافية الجزائرية زمن الحكم العثماني 15

الفصل الأول: التراث التفسيري الجزائري من الفتح الإسلامي حتى القرن الحادي عشر الهجري....36

تمهيد.....38

شروط الأهلية العلمية للمفسِّر.....40

شروط الأهلية التدينية للمفسِّر.....43

ضوابط تسمية المفسِّر.....52

ضوابط نسبة العَلم إلى الجزائر.....57

المبحث الأول: حركة التفسير في بلاد الجزائر، من البدايات إلى العهد العثماني.....59

أولا: المفسرون زمن الرستميين.....69

ثانيا: المفسرون زمن العبيديين.....73

ثالثا: المفسرون زمن الحماديين والموحدين.....75

رابعا: المفسرون زمن الزيانيين.....83

المبحث الثاني: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن العاشر الهجري.....100

الأول: قاسم بن يحي بن محمد، الفكون(ت:965هـ).....102

الثاني: علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري التلمساني(ت:972هـ).....105

الثالث: محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني(ت:981هـ).....107

الرابع: عبد الحاكم بن عبد الكريم الوطاسي القراري(ت:994هـ).....110

المبحث الثالث: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الحادي عشر الهجري.....113

الأول: محمد أحمد بن الوقاد، أبو عبد الله (ت:1001هـ). 113

الثاني: محمد بن علي أبهلول المجاجي (ت:1008هـ). 116

الثالث: أحمد بن محمد المقري شهاب الدين، أبو العباس (ت:1041هـ). 119

الرابع: أحمد الجزيري، أبو العباس (ت قبل:1073هـ). 132

الخامس: أبو عبد الله محمد بن خليفة (ت:1094هـ). 133

السادس: يحي بن محمد الشاوي، أبو زكريا (ت:1096هـ). 135

الفصل الثاني: التراث التفسيري الجزائري زمن العثمانيين في القرنين الثاني والثالث عشر الهجري.....148

المبحث الأول: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الثاني عشر الهجري.....150

الأول: علي بن أحمد بن محمد بن الفيرم بن البكاي، الرقادي (ت:1120هـ) 151

الثاني: أحمد قاسم بن ساسي التميمي البوني (ت:1139هـ) 154

الثالث: حسين بن محمد ابن العنابي (ت:1150هـ) 160

الرابع: عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري التواتي، أبو زيد (ت:1160هـ) 166

الخامس: محمد بن محمد الحسني البَليدي (ت:1176هـ).....168

السادس: عبد الرحمن بن إدريس المِنْجري التلمساني، أبو زيد (ت:1179هـ) 179

السابع: يوسف بن محمَّد المصعبي المليكي أبو يعقوب (ت: 1187هـ).....182

الثامن: عبد الرحمن بن عمر الأموي التنلاني، أبو زيد (ت:1189هـ).....191

التاسع: عبد القادر بن محمد الراشدي القسنطيني (ت:1194هـ) 202

العاشر: ابن لَلُّو التلمساني (ت: أواخر ق 12هـ). 212

الحادي عشر: عمر بن محمد المحجوب الشرقاوي، البهلول (ت: ق12هـ).....214

المبحث الثاني: التراث التفسيري وأعلامه زمن العثمانيين في القرن الثالث عشر الهجري.....221

الأول: عثمان بن سعيد المالقي المستغانمي، أبو سعيد (ت: أوائل ق 13هـ) 221

الثاني: محمد بن أمحمد بن أحميد الأنصاري الزجلاوي، أبو عبد الله (ت:1212هـ) 222

الثالث: محمد بن محمد السَّنْباوي المازوني الأزهري، الأمِير (ت: 1232هـ) 230

الرابع: إبراهيم بن بيحمان بن أبي محمد، الثميني اليسجني (ت:1232هـ).....238

الخامس: محمد بن أحمد الراشدي المعسكري، أبو راس الناصري (ت:1238هـ).....247

السادس: محمد الزجاي (كان حيا سنة:1238هـ).....261

السابع: علي بن محمد الميلي الجَمَّالي التونسي، (ت:1248هـ).....263

الثامن: يوسف أوالحاج حمُّو بن عدُّون (1252هـ/1836م).....273

الفصل الثالث: المدرسة التفسيرية الجزائرية، خصائصٌ وملامحٌ.....279

المبحث الأول: مصادر التفسير وطرقه في التراث التفسيري الجزائري.....283

أولا: مصادر التفسير وطرقه من خلال أعمال علماء المذهب المالكي.....289

ثانيا: مصادر التفسير وطرقه من خلال أعمال علماء المذهب الإباضي.....294

المبحث الثاني: الصناعة التفسيرية عند علماء الجزائر بين التأليف الكتابي والتدريس الشفوي.....302

أولا: التأليف الكتابي للتفسير بين الكلّي والسُّوري والآيي والمنظومي عند علماء الجزائر.....303

القسم الأول: ما كان من التأليف في التفسير قصدا.....305

القسم الثاني: ما كان من التأليف في علوم التفسير وفنونه.....310

ثانيا: التدريس الشفوي للتفسير في الحواضر العلمية بالجزائر.....315

أ- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة تلمسان.....319

ب- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة قسنطينة.....322

ج- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة الجزائر.....325

د- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة توات.....328

هـ- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة بونة.....329

و- الدرس التفسيري عند علماء الجزائر بحاضرة مجاجة.....330

المبحث الثالث: أثر الرحلات العلمية في الصناعة التفسيرية الجزائرية.....332

أولا: دوافع الرحلة عند علماء الجزائر زمن العثمانيين.....333

أ- الرحلات التعبدية.....333

ب- الأوضاع السياسية في الجزائر بعد دخول الأتراك.....334

ج- الرحلة في سبيل طلب العلم وتحصيل الإجازات.....340

ثانيا: الرحلة عند علماء الجزائر بين طلب التفسير قصدا وطلب علوم الآلة.....342

خاتمة 355

ملحق بصور المخطوطات المعتمدة في الدراسة.....358

الفهارس والكشَّافات 413

أولا: فهرس الآيات القرآنية.....414

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.....425

ثالثا: كشَّاف المخطوطات.....427

رابعا: فهرس الأعلام.....441

خامسا: كشَّاف الحواضر العلمية.....446

سادسا: فهرس المصادر والمراجع.....450

1- قائمة الكتب المطبوعة.....450

2- قائمة المخطوطات.....465

3- قائمة الرسائل الجامعية.....466

4- قائمة المقالات.....466

سادسا: فهرس المحتويات.....468